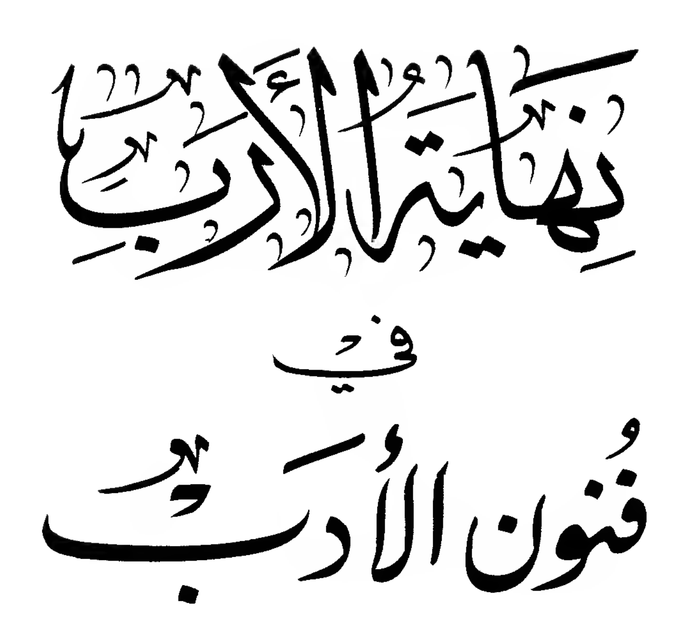


تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

المتوفى ٧٣٣ هـ

الجزء الثامن عشر

تحقيق

الأستاذ عبد المجيد ترحيني

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه توفيقي

ذكر وفادات العرب على رسول الله ﷺ وما يتّصل بذلك

كانت أكثر وفادات العرب على رسول الله ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة؛ ولذلك سُمّيت سنةَ الوفود. وذلك أنّ العرب إنما كانوا ينتظرون فتح مكة وإسلام هذا الحيّ من قريش؛ فلما فتح الله عزّ وجل على رسوله ﷺ مكة ـ شرّفها الله تعالى ـ وأسلم مَنْ أسلم من قريش، وفدت عند ذلك وفادات العرب من كل قبيلة وجِهة، ودخلوا في دين الله أفواجًا، كما قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝﴾ [النصر: ١ ـ ٣].

وقد رأينا إيراد ذلك على نحو ما أوْرَدَه أبو عبد الله محمد بن سعد بن منِيع في طبقاته الكبرى، ونذكر ما أوْردَه ابن سعد ممّن ذكرهم أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله، إلا أنّا نَبْدأ من ذلك بذكر مَن وَفَد على رسول الله ﷺ وهو بمكة قبل هجرته إلى المدينة، ثم نذكر مَن وَفَد عليه ﷺ بعد هجرته إلى المدينة وقبل فتح مكّة، نقدّمهم على حسب السابقة، ثم نذكر مَن عدا هؤلاء من الوفُود الذين وَفَدوا في سنة تسعٍ وما بعدها؛ نرتّبهم على ما رتّبهم محمد بن سعد في طبقاته في التقديم والتأخير، ونستثني منهم من تقدّم ذكره؛ فنقول وبالله التوفيق:

ذكر من وَفَد على رسول الله ﷺ وهو بمكة قبلَ الهِجْرَة

وَفَد عليه ﷺ وهو بمكة غِفَارٌ، وأَزْدُ شَنُوءَةَ، وهَمْدان، والطُّفَيل بن عَمْرو الدَّوْسيّ، ونصارى الحبشة.

ذكر وَفْدِ غِفار وقِصّة أبي ذَرٍّ الغِفَارِيّ في سبب إسلامه

رَوَى الشَّيخ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي رحمه الله في كتابه المترجم بـ«دلائل النبوّة» بسنده إلى عبد الله بن الصَّامت، قال: قال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: خرجنا عن قَوْمنا غِفار، وكانوا يُحِلّون الشّهر الحرام، فخرجت أنا وأخي أُنَيْس وأمُّنا، فانطلقنا حتى نزلنا على خالٍ لنا ذي مال وذي هيئة، فأكرمَنا وأحسن إلينا، فحسَدَنا قومُه، فقالوا له: إنك إذا خرجت عن أهلك خالفَ إليهم أُنَيْس، قال: فجاء خالُنا فَنَثَا[١] علينا ما قيل له؛ فقلت له: أمّا ما مضى من معروفك فقد كدّرتَه، ولا جِماع[٢] لك فيما بعد. قال: فقرّبْنا صِرْمتنا[٣] فاحتمَلْنا عليها ويغطّي خالَنا ثوبُه فجعل يبكي وانطلقنا حتى نزلنا بحَضْرة مكّة، فنافَر أُنَيْسٌ عن صِرْمتنا وعن مِثْلها، فأتينا الكاهن فخبّر أُنَيْسًا، فأتانا بصِرْمتنا ومِثْلِها معها. قال أبو ذرّ: وقد صلّيْتُ يا بن أخي قبل أن ألْقَى رسولَ الله ﷺ بثلاث سنين. قال ابن الصّامت: فقلت لمن؟ قال: لله. قلت: فأين تَوَجَّهُ؟ قال: أتوجّه حيث وَجَّهني الله؛ أصلّي عِشاء حتى إذا كان من آخر الليل أُلْقِيتُ كأني خِفَاءٌ[٤] - يعني الثوب - حتى تعلوني الشمسُ. فقال أُنَيس: إنّ لي صاحبًا بمكة فاكْفِني حتى آتيك. فانطلق أُنَيْسٌ حتى أتى مكة فراثَ[٥] عليّ، ثم أتاني فقلت: ما حبَسَك؟ قال: لَقيتُ رجلًا بمكة يزعم أن الله أرسله على دينك. قال: ماذا يقول الناس فيه؟ قال: يقولون إنه شاعرٌ وساحرٌ وكاهنٌ. قال: وكان أُنَيس أحد الشُّعراء - وفي رواية عنه: والله ما سمعت بأشعر من أخي أُنَيْس - لقد ناقض اثني عشر شاعرًا في الجاهلية أنا أحدهم. قال فقال أُنَيس: لقد سمعتُ قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقْراء[٦] الشِّعر فلم يَلْتَئِم، وما يلتئم والله على لسان أحد بعدي أنه شِعْرٌ، ووالله إنه لصادقٌ وإنهم لكاذبون. قال: قلت له هل أنت كافيّ حتى أنطلق فأنظر؟ فقال: نعم! وكُنْ من أهل مكة على حَذَر، فإنهم قد شَنِفُوا[٧] له وتَجَهّموا. فانطلقت حتى قدمت مكة، فَتَضَعَّفْتُ[٨] رجلًا منهم فقلت:

---

(١) أي حدثنا به.

(٢) الجماع: الاجتماع.

(٣) الصرمة: القطعة من الإبل.

(٤) الخفاء بالكسر: الكساء، وكل شيء غطيت به فهو خفاء.

(٥) راث: أبطأ.

(٦) أقراء الشعر: طرقه وأنواعه.

(٧) شنف له: أبغضه وتنكره.

(٨) تضعفت: أي استضعفت.

أين هذا الذي تدعونه الصابىء؟ قال: فأشار إليّ، الصابىء! فمال عليّ أهل الوادي بكل مَدَرة[١] وعَظْم حتى خَرَرْتُ مغشيًا عليّ. قال: فارتفَعت حين ارتفعت كأنّي نُصُبٌ[٢] أحمر، فأتيت زَمْزَم فشربت من مائها، وغسلت عنّي الدّم، ودخلت بين الكعبة وأستارها، ولقد لبثت يأبن أخي ثلاثين من بَيْن ليلة ويوم وما لي طعام إلا ماء زمزم، فسمِنْتُ حتى تكسّرت عُكَنُ[٣] بطني، وما وجدت على كَبدي سُخْفَة جوع[٤]. قال: فبينما أهل مكة في ليلة قمْراءَ[٥] إضحيان[٦]، قد ضرب الله على أصْمِخَة[٧] أهل مكة فما يطوف بالبيت أحدٌ غير أمرأتين وهما تدعوان إسافًا[٨] ونائلة، فأتتا عليّ في طوافهما فقلتُ: أنكحا إحداهما الأخرى، فما ثناهما ذلك عما قالتا. فأتتا عليّ فقلتُ: هَنٌ مثل الخشبة غيرَ أنّي لا أَكْنِي، فأنطلقتا تُوَلْوِلانِ وتقولان: لو كان هاهنا أحدٌ من أنفارنا! قال: فأستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان من الجبل، فقال لهما: ما لكما؟ قالتا: الصّابىء بين الكعبة وأستارها. قالا: ما قال لكما؟ قالتا: قال لنا كلمةً تملأ الْفَمَ. فجاء رسول الله ﷺ هو وصاحبه فأستلم الحجر ثم طاف بالبيت هو وصاحبه ثم صلّى، فلما قضى صلاته قال أبو ذرّ: فأتيته فكنتُ أوّل من حيّاه بتحيّة الإسلام؛ فقال: «وعليك ورحمة الله»، ثم قال: «ممن أنت»؟ قلتُ: من غِفَار، قال: فأهوى بيده فوضع يده على جبينه، فقلت في نفسي: كره أني أنتميت إلى غِفَار، قال: فأهوَيْت لآخذ بيده، فقَدَعَني[٩] صاحبُه وكان أعلم به منّي، ثم رفع رأسه فقال: «متى كنت هاهنا»؟ قلت: منذ ثلاثين من ليلة ويوم، قال: «فمن كان يطعمك»؟ قلت: ما كان لي من طعام إلا ماء زمزم، فسَمِنْت حتّى تكَسَّرت عُكَنُ بطني، وما وجدت على كبدي سَخْفَة جوع، فقال رسول الله ﷺ: «إنها مباركةٌ، إنها طعامُ طُعْمٍ[١٠]، وشفاء سُقْم» فقال أبو بكر: يا رسول الله! ايذن لي في إطعامه الليلة،

---

(١) المدرة: جمع المدر، وهو الطين اللزج المتماسك.
(٢) النصب: الصنم، والمراد صار كالنصب المحمر بدم الذبائح.
(٣) العَكن: واحدتها العكنة، وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنًا.
(٤) سخفة الجوع: رقته وهزاله.
(٥) قمراء: مقمرة. (٦) إضحيان: مضيئة.
(٧) الأصمخة: جمع الصماخ، وهي قناة الأذن التي تغطي إلى طبلته؛ وضرب الله على صماخه: أي أنامه.
(٨) إساف ونائلة: صنمان. (٩) قدع: منع.
(١٠) الطعام الطعم: أي يشبع الإنسان إذا شرب ماءها كما يشبع من الطعام.

ففعل، فانطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر، وانطلقت معهما حتى فتح أبو بكر بابه، فجعل يقبض لنا من زبيب الطّائف، فكان ذاك أوّل طعام أكلته بها، قال: فَغَبَرْتُ[١] ما غَبَرْت، ثم أتيت رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إني وُجِّهتُ إلى أرض ذات نخلٍ لا أحسبها إلا يَثْرِبَ، فهل أنت مبلغ عنّي قومَك لعل الله أن ينفعهم بك، ويأجرك فيهم»؛ قال: فانطلقت حتى أتيت أخي أُنَيْسًا فقال لي: ما صنعت؟ قلت: أسْلَمْتُ وصدّقتُ. قال: فما بي رغبةٌ عن دينك، فإني قد أسلمت وصدّقت. ثم أتينا أُمَّنا، فقالت: ما بي رغبة عن دينكما، فإني قد أسلمت وصدقت، قال: ثم احتملنا حتى أتينا قومنا غِفارًا، فأسلم نصفهم قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة، وكان يؤمُّهم خُفافُ بن إيماء بن رَحَضَة الغِفاريّ، وكان سيِّدَهم يومئذ، وقال بقيتُهم: إذا قدِم رسول الله ﷺ أسلمنا؛ فقدم رسول الله ﷺ المدينة فأسلم بقيّتهم؛ وجاءت أسْلَمُ، فقالوا: يا رسول الله! إخواننا؛ نُسْلِم على الذي أسلموا عليه. فأسلموا، فقال رسول الله ﷺ: «غِفَار غَفَر الله لها وأَسْلَمُ سالمها الله».

وهذه الرواية في خبر إسلام أبي ذرّ؛ قد روى مسلم في صحيحه نحوها، وهي تخالف رواية البخاريّ.

وروى البيهقيّ عن أبي ذَرٍّ قال: كنت رُبُع الإسلام، أسلم قبلي ثلاثَةُ نفر وأنا الرابع؛ أتيت النبيّ ﷺ فقلت: السلام عليك يا رسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا عبده ورسوله، فرأيت الاستبشار في وجه رسول الله ﷺ.

وروى أبو عمر بن عبد البر بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما بلغ أبا ذر مَبْعَثُ رسول الله ﷺ بمكة قال لأخيه أُنَيس: اركب إلى هذا الوادي، فاعلم لي عِلم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله، ثم ائتني؛ فانطلق حتى قدِم مكة وسمع مِن قوله ثم رجع، فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وسمعت منه كلامًا ما هو بالشعر. قال: ما شفَيْتني فيما أردت، فتزوّد وحمل شَنَّة[٢] له فيها ماءٌ حتى قدم مكة فأتى المسجد، فالتمس النبيّ ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه الليل، فاضطجع فرآه عليّ بن أبي طالب؛ فقال: كأنّ الرجل غريبٌ، قال: نعم، قال: انطلق إلى المنزل، قال: فانطلقت معه لا يسألني عن شيء ولا أسأله، فلما أصبحت من الغد رجعت إلى المسجد، وبقيتُ يومي حتى

---

(١) غبرت: مكثت.

(٢) الشنّة: القربة الخلق الصغيرة يكون الماء فيها أبرد من غيرها.

أمسيتُ وصرت إلى مَضْجَعي، فمرّ بي عليّ بن أبي طالب، فقال: أما آن للرّجل أن يعرف منزله؟ فأقامه وذهب به معه، وما يسأل واحدٌ منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك، فأقامه عليٌّ معه، ثم قال: ألا تحدِّثني ما الذي أقدمك هذا البلد؟ قال: إن أعطيتني عَهْدًا ومِيثاقًا لَتُرشِدني فعَلْتُ؛ ففعل؛ فأخبره عليّ أنه نَبِيٌّ، وأنّ ما جاء به حَقٌّ، وأنّه رسول الله، قال: فإذا أصبحتَ فاتّبعني، فإني إن رأيتُ شيئًا أخاف عليك قُمْتُ كأنّي أُرِيق الماء، فإن مَضيتُ فاتّبعني حتى تدخل مَدْخَلي، قال: فانطلقت أقفُوه حتى دخل على رسول الله ﷺ، ودخلت معه وحييت رسول الله ﷺ بتحيَّة الإسْلام، فقلت: السلام عليك يا رسول الله! فكنت أوّل من حيّاه بتحية الإسلام، فقال: «وعليك السلام، مَن أنت»؟ قلت: رجل من غِفار، فعرض عليّ الإسلام، فأسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فقال لي رسول الله ﷺ: «ارجع إلى بلاد قومك، وأخبرهم، واكتُم أمرَك عن أهل مكة، فإني أخشاهم عليك»، فقلت: والذي نفسي بيده لأصرخنّ بها بين أظهرهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته! أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، فثاب[1] القوم إليه فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباسُ فأكَبَّ عليه وقال: ويلكم! أولستم تعلمون أنّه من غِفار، وأنّ طريق تجاركم إلى الشام عليهم! وأنقذه منهم، ثم عاد إلى مثلها، وثاروا[2] إليه فضربوه، فأكب عليه العباسُ فأنقذه، ثم لَحِق بقومه. وكان هذا أوّل إسلام أبي ذرٍّ.

ومن رواية اللّيث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب قال: قدم أبو ذرٍّ على النبي ﷺ وهو بمكة فأسْلَم، ثم رجع إلى قومه، فكان يسخر بآلهتهم، ثم إنه قدم على رسول الله ﷺ بالمدينة، فلمّا رآه وَهِم في اسمه، فقال: «أنت أبو نَمْلة»؟ قال: أنا أبو ذرّ، قال: «نَعَم أبو ذرّ».

ذكر وفدِ أزدِ شَنُوءَةَ وكيف كان إسْلامُ ضِمادٍ

روى أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقيّ ـ رحمه الله ـ بسنده إلى سعيد بن جُبَير عن ابن عباس رضي الله عنهم، قال: قدم ضِمَاد مكة، وهو رجلٌ من أزْدِ شَنُوءة، وكان يَرْقِي من هذه الرياح، فسمع سُفهاءَ الناس يقولون: إنّ محمدًا مجنونٌ، فقال: آتي هذا الرجل لعل الله أن يَشْفيه على يديّ، قال: فلقيت محمدًا، فقلت: إني أرْقِي من هذه الرياح، وإن الله يَشْفي على يدي من يشاء، فهَلُمَّ؛ فقال رسول الله ﷺ: «إنّ

(١) ثاب القوم: أي أقبل القوم.

(٢) يقال: ثار إلى الشيء، إذا نهض إليه.

الحمد لله نحمده ونستعينه، مَن يهده الله فلا مضلّ له، ومَن يضلل فلا هادي له، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله» ثلاث مرات، فقال: تالله لقد سمعت قول الكَهَنَة، وقول السَّحَرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات، فهلمّ يَدك أبايعك على الإسلام، فبايعه رسول الله ﷺ، وقال له: «وعلى قومك»؟ فقال: وعلى قومي، فبعث رسول الله ﷺ سرّية فمرّوا بقوم ضماد، فقال صاحب الجيش للسريّة: هل أصبتم من هؤلاء شيئًا؟ فقال رجل منهم: مِطْهَرَة[١]، فقال: «ردّوها عليهم فإنهم قوم ضِماد». رواه مسلم في صحيحه.

وروى القاضي عِياض بن موسى في كتابه المترْجَم بـ(الشّفا، بتعريف حقوق المصطفى): أن ضِمادًا قال لرسول الله ﷺ: أعِدْ عليّ كلماتك هؤلاء فلقد بَلَغْن قَامُوسَ البحر[٢]، هات يديك أبايعك.

ذكر وفد هَمْدان

قال محمد بن سعد رحمه الله تعالى: أخبرنا هشام بن محمد، قال: حدثنا حِبّان بن هانِيء بن مسلم بن قَيْس بن عمرو بن مالك بن لأْيِ الهَمْدانيّ ثم الأرْحَبِيّ عن أشياخهم، قالوا: قدِم قيسُ بن مالك بن سعد بن مالك بن لأْيِ الأرْحَبيّ على رسول الله ﷺ وهو بمكة، فقال: يا رسول الله أتيتُك لأومِنَ بك وأنصُرَك؛ فقال له: «مَرحبًا بك، أتأخذوني بما فيّ يا معشر هَمْدان»؟ قال: نعم؛ بأبي أنت وأمّي، قال: «فاذهب إلى قومك، فإن فعلوا فأرجع أذهب معك»، فخرج قيس إلى قومه، فأسْلموا واغْتَسَلوا في جَوْف[٣] المحورة - وهو ماءٌ يغتسلون فيه - وتوجّهوا إلى القِبلة، ثم خَرَج بإسْلامهم إلى رسول الله ﷺ، فقال: قد أسلم قومي وأمروني أن آخذك، فقال رسول الله ﷺ: «نِعْم وافدُ القوم قيسٌ»، وقال: «وفَيْتَ وفّى الله بك»، ومسَحَ بناصيته، وكتب عهدَه على قومه هَمْدان: أحمورِها[٤] وعَرَبِها وخَلائِطِها ومَوَاليها أن يسمعوا له ويُطيعوا، فإنّ لهم ذمّة الله وذمّة رسوله ما أقَمتم الصّلاَة وآتيتُم الزّكاة؛ وأطْعَمَه ثلاثمائة فَرَق[٥]، من خَيْوَانَ[٦] مائتان: زبيبٌ وذُرَةٌ شِطْران، ومن عُمْران[٧] الجَوْف مائةُ فَرَق بُرّ، جارِيةً أبدًا من مال الله.

---

(١) المطهرة: كل ما يتطهر به ويتوضأ مثل سطل أو ركوة.

(٢) قاموس البحر: قعره.

(٣) جوف المحورة: موضع ببلاد همدان.

(٤) أحمورها: أهل القرى، سموا بذلك لأنهم بيض. وعربها: أهل البادية.

(٥) الفرق: مكيال يقال: إن سعته ستة عشر رطلاً.

(٦) خيوان: بلد باليمن.

(٧) عمران: قرية من بلاد مراد باليمن.

ومن طريق آخر له قال: عَرضَ رسولُ الله ﷺ نَفسَه بالمَوْسم على قبائل العرب، فمرّ به رجلٌ من أرْحَب يقال له: عبد الله بن قيس ابن أمّ غَزال. فقال: «هل عند قومك من منعة»؟ قال: نعم، فعرض عليه الإسلام، فأسلَمْ، ثم إنه خاف أن يُخْفِره[١] قومه فوعده الحجّ من قابِل، ثم وجّه الهَمْدانيّ يريد قومه، فقتله رجلٌ من بني زُبيد يقال له ذُباب، ثم إن فتية من أرْحَب قتلوا ذُبابًا الزُّبَيديّ بعبد الله بن قيس. هذا قبل الهجرة.

وأما بعد الهجرة، فقد روى محمد بن إسحاق رحمه الله، قال: قدم وَفْدُ هَمْدان على رسول الله ﷺ، منهم مالك بن نَمَط، وأبو ثور وهو ذو المِشْعار، ومالك بن أيْفَع، وضِمام بن مالك السَّلْماني، وعَميرة بن مالك الخارقيّ، فلقُوا رسولَ الله ﷺ مَرْجِعَه من تَبُوك[٢]. وعليهم مُقَطَّعات الحبرَات[٣] والعمَائم العَدَنيّة[٤]، برحال المَيْس[٥] على المَهْرِيّة[٦] والأرْحَبِيّة[٧]، ومالك بن نَمَط، ورجل آخر يرتجِزان بالقوم؛ يقول أحدهما: [من الرجز]

هَمْدانُ خَيْرُ سُوقَةٍ وأقْيالْ ليس لها في العالمين أمْثالْ[٨]
مَحَلُّها الهَضْبُ ومنها ألأبْطالْ لها إطَاباتٌ بها وآكَالْ[٩]

ويقول الآخر: [من الرّجز]

إلَيْك جَاوَزْنَ سَوادَ الرِّيفِ في هَبَواتِ الصَّيْفِ والْخريفِ[١٠]
* مُخَطَّماتٍ بِحِبالِ اللِّيفِ[١١] *

---

(١) يخفر: ينقض العهد والذمام.
(٢) تبوك: بالفتح ثم الضم، وواو ساكنة، وكاف: موضع بين وادي القرى والشام، وقيل بركة لأبناء سعد من بني عذرة.. وقيل: هي بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام، وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبيّ ﷺ... (معجم البلدان لياقوت).
(٣) الحبرات: جمع حبرة. (٤) العدنية: نسبة إلى عدن.
(٥) الميس: الشجر الذي يصنع منه الرحال. (٦) المهرية: نسبة إلى مهرة، وهي قبيلة عربية.
(٧) الأرحبية: نسبة إلى أرحب، وهي بطن من همدان.
(٨) الأقيال: واحدها القيل، وهو الملك في لغة أهل اليمن.
(٩) الإطابات: الأطعمة الطيبة؛ وآكال: مآكل الملوك.
(١٠) الهبوات: جمع هبوة، وهي الغبرة. (١١) المخطمات: التي لها خطام.

فقام مالك بن نَمَط بين يديه، ثم قال: يا رسول الله! نَصِيَّة[١] من هَمْدان من كل حاضر وبادٍ، أتَوْكَ على قُلُصٍ[٢] نَوَاجٍ[٣]، مُتَصِلة بحبائل الإسْلام، لا تأخذهم في الله لَوْمةُ لائم، من مِخْلاَفِ[٤] خارِفٍ[٥] ويَام وشاكِر، أهل السُّودِ[٦] والقود[٧]، أجابوا دعوة الرسول، وفارقوا آلهَاتِ الأنْصابِ، عهدهم لا يُنْقَض ما أقامت لَعْلَعُ[٨]، وما جرى اليَعْفورُ[٩] بِضَلَع[١٠]. فقال رسول الله ﷺ: «نِعم الحيُّ هَمْدان، ما أسرعَها إلى النّصر، وأصبَرها على الجُهد، ومنهم أبدال[١١]، وفيهم أوتاد[١٢] الإسلام»، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابًا؛ فيه: «بسم الله الرحمٰن الرحيم. كتابٌ من محمد رسول الله لمِخْلاف خارِفٍ وأهل جَناب[١٣] الهَضْب وحِقافِ[١٤] الرَّمْل، مع وَافِدها ذي المِشْعار مالك بن نَمَط، ومَن أسْلَم من قَوْمه، على أن لهم فِراعَها[١٥] ووِهاطَها[١٦] وعَزازَها[١٧]، يأكلون عِلاَفَها[١٨]، ويَرعَوْن عافِيهَا[١٩]، لنا منهم من دِفْئهم[٢٠] وصرامهم[٢١] ما سَلَّموا بالمِيثاقِ والأمانة، ولهم من الصّدقة الثِّلْبُ[٢٢] والنّابُ[٢٣] والفَصِيل[٢٤] والفَارِضُ[٢٥] والدّاجِن[٢٦] والكَبْش الحَوَرِيّ[٢٧]، وعليهم فيها الصّالِغُ[٢٨]

---

(١) النصيّة: الأخيار الأشراف.
(٢) القلوص: الفتي من الإبل.
(٣) نواج: جمع ناجية، وهي السريعة.
(٤) المخلاف: المدينة بلغة أهل اليمن.
(٥) خارف: من قبائل اليمن.
(٦) السود: الإبل.
(٧) القود: الخيل.
(٨) لعلع: اسم جبل.
(٩) اليعفور: الظبي الذي يشبه لونه لون التراب.
(١٠) الضلع: القوة والشدة.
(١١) الأبدال: جمع البدل، وهو الولي أو العابد.
(١٢) الأوتاد: جمع وتد، وهو الرئيس.
(١٣) جناب الهضب: اسم موضع.
(١٤) الحقاف: الرمل المستطيل المشرف.
(١٥) الفراع: الأعالي.
(١٦) الوهاط، أي الوهاد، وهو من الأرض المنخفض المطمئن.
(١٧) عزاز الأرض: ما صلب منها وخشن واشتد.
(١٨) العلاف: ما تعلفه الدواب.
(١٩) العافي: النبات الكثير.
(٢٠) المراد بالدفء: الإبل والغنم.
(٢١) الصرام: قطع النخل.
(٢٢) الثلب: الجمل الذي تكسرت أنيابه من الهرم.
(٢٣) الناب: الهرمة من الإناث.
(٢٤) الفصيل من الإبل: الصغير الذي فصل عن أمه.
(٢٥) الفارض: المسنّ الهرم.
(٢٦) الداجن: الحلوبة الملازمة للإنسان.
(٢٧) الحوري: منسوب إلى الحور.
(٢٨) الصالغ من البقر والغنم: الذي كمل سنّه.

والقَارحُ[١]، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزّكاة، لهم بذلك عهد الله وذِمامُ رسول الله عليه السلام، وشاهدهم المهاجرون والأنصار».

ذكر وفادة الطُّفَيل بن عمرو الدَّوْسيّ وإسلامه

قال محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى: كان الطُّفَيْل بن عَمْرو الدَّوْسي يُحدِّث أنه قدم مكّة ورسولُ الله ﷺ بها، فمشى إليه رجالٌ من قريش ـ وكان الطُّفَيل رجلاً شريفًا شاعرًا لبيبًا ـ فقالوا له: يا طُفَيْلُ! إنك قدِمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بَيْن أظْهُرنا قد أعْضَل[٢] بنا، قد فرّق بين جماعتنا، وشَتَّتَ أمْرَنا، وإنما قوله كالسِّحْر يفرّق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نَخْشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه، ولا تسمعن منه شيئًا. قال الطُّفَيل: فوالله ما زالوا بي حتى أجْمَعتُ على ألاّ أسمعَ منه شيئًا ولا أكلِّمه، حتى حَشَوْت في أذني حين غَدوْت إلى المسجد كُرْسُفًا[٣] فَرَقًا[٤] من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه! قال: فغَدَوْتُ إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائمٌ يصلِّي عند الكعبة، فقمت منه قريبًا، فأبى الله إلاّ أن يُسْمِعني بعضَ قوله، فسمعت كلامًا حَسَنًا، فقلت في نفسي: واثكل أمِّي؛ والله إنِّي لرجلٌ لبيبٌ شاعر، وما يخفى عليّ الحَسَن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان الذي يأتي به حسنًا قبِلتُه، وإن كان قبيحًا تركتُه، قال: فمكثت حتى أنصرف رسول الله ﷺ إلى بيته، فأتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلتُ: يا محمد إنّ قومك قد قالوا لي كذا وكذا ـ للذي قالوا ـ فوالله ما برحوا يخوِّفونني أمرَك حتى سَدَدْتُ أذني بكرسُف ألا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يُسْمِعني قولك، فسمعت قولاً حسنًا، فأعْرِضْ عليّ أمرَك. قال: فعرض عليّ رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا عليّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قَطُّ أحْسَنَ منه، ولا أمْرًا أعْدلَ منه، فأسلمتُ، وشهدت شهادة الحقّ، فقلت: يا نبيّ الله! إني أمرؤ مُطاعٌ في قومي، وأنا راجع إليهم فداعِيهم إلى الإسلام، فأدعُ الله أن يجعل لي آية تكون لي عونًا عليهم فيما أدعوهم إليه. فقال: «اللهم أجعل له آية»، فخرجت إلى قومي، حتى إذا كنت بِثَنِيَّة[٥] تطلعني على[٦] الحاضِر وقع نورٌ

---

(١) القارح من الخيل: الذي دخل في سن الخامسة.

(٢) أعضل بنا: أعيانا أمره.

(٣) الكرسف: القطن.

(٤) الفرق: الخوف.

(٥) الثنيّة: الطريق في الجبل.

(٦) الحاضر: أي الحيّ العظيم.

بين عيني مثل المِصْباح؛ قلت: اللهم في غير وجهي! إنّي أخْشَى أن يظنوا أنها مُثْلَة[١] وقعتْ في وجهي لفِراقي دينَهم، قال: فتحوّل النور فوقع في رَأس سَوْطي، فجعل الحاضِرُ يَتَراءَوْن ذلك النور في سَوْطي كالقِنْديل المعَلّق، وأنا أهبط إليهم من الثَّنِية حتى جئتهم، فأصْبحتُ فيهم، قال: فلما نزلتُ أتاني أبي وكان شيخًا كبيرًا، فقلتُ: إليك عنّي يا أبتِ، فلستُ منكَ ولستَ منّي، قال: لِمَ يا بنيّ؟ قلت: أسلمتُ وتابعت دين محمد، قال: أي بنيّ! فدِيني دِينُك، قلت: فأذهب وأغتسل، وطهِّر ثيابك، ثم تعالَ حتى أُعلِّمك مما عُلِّمت، فذهب فأغتسل وطهَّر ثيابه ثم جاء، فعرضت عليه الإسلام فأسلم، ثم أتتني صاحِبتي، فقلتُ: إليكِ عنّي فلستُ منكِ ولستِ منّي، قالت: لم؟ بِأبي أنت وأمّي! قلت: فرّق بيني وبينكِ الإسلام، وتابعتُ دين محمد عليه السلام. قالت: فديني دِينُك، قلت: فأذهبِي إلى حِنَاذِي الشَّرَى ـ قال ابن هشام: ويقال حِمَى ذِي الشَّرَى ـ فتطهَّري منه.

قال: وكان ذو الشَّرَى صنمًا لدَوْس، وكان الحِمَا حِمًى حَمَوْه له، وبه وَشَلٌ[٢] من ماء يهْبط من جبل، قال فقالت: بأبي أنت وأمّي، أتخشى على الصّبيّةِ[٣] مِن ذي الشَّرَى شيئًا؟ قلت: لا، أنا ضامن لكِ، قال: فذهبتْ فأغتسلتْ، ثم جاءت، فعرضتُ عليها الإسلام فأسلمت، ثم دعوتُ دَوْسًا إلى الإسلام فأبطؤوا عليّ، ثم جئتُ رسول الله ﷺ بمكة، فقلت له: يا نبيّ الله! إنّه قد غَلَبني على دَوْسٍ الزِّنى، فادعُ الله عليهم، فقال: «اللّهُمّ اهدِ دَوْسًا، ارجع إلى قومك فأدعهم وارفق بهم»، قال: فلم أزل بأرض دَوْس أدعوهم إلى الإسلام، حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم أسلموا بعد ذلك، ووَفَدوا على رسول الله ﷺ على ما نذكر ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ فيمن وفد بعدَ الهجرة.

ذِكر وفد نصارى الحبشة على رسول الله ﷺ وإسلامهم

قال محمد بن إسحاق: قَدِم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عِشرون رجلًا أو قريبٌ من ذلك من النّصارى حين بلغهُم خبرُه من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلّموه، وسألوه ـ ورجالٌ من قُرَيش في أندِيتهم حول الكعبة ـ فلما

---

(١) المثلة: العقوبة والتنكيل.

(٢) الوشل: الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ولا يتصل قطره.

(٣) الصبيّة: المراد بها زوجة الطفيل.

فرغوا من مسألته ﷺ دعاهم إلى الله، وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدّمع، ثم استجابوا لِلّه تعالى وآمنوا به وصدّقوه، وعرفوا منه ما كان يُوصَف لهم في كتابِهم من أمْرِه، فلمّا قاموا عنه اعترضَهُم أبو جهل بن هشام في نَفَر مِن قريش، فقالوا لهم: خيّبكُم الله من رَكْب! بعثَكُم مَنْ وراءكم من أهل دينكم تَرْتادون لهم لتأتوهم بخَبَر الرّجل، فلم تَطْمَئِنّ مجالسُكم عنده حتى فارقتم دينكم، وصدّقتموه بما قال، ما نعلم رَكْبًا أحمقَ منكم! فقالوا لهم: سلامٌ عليكم لا نجاهِلكم، لنا ما نحنُ عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نألُ أنفسنا خيْرًا. ويقال: إن النّفر من أهل نَجْران. والله أعلم. فيقال فيهم أنزل الله قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [القصص: ٥٢]. إلى قوله: ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٣]: وقيل: إنما نزلتْ هذه الآياتُ في النّجاشي وأصحابه، والآيات التي في سورة «المائدة» قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢] إلى ﴿ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، وكان مِمّن وفد على رسول الله ﷺ وهو بمكة الأوْسُ والخَزْرَجُ، وقد تقدم ذكرهم في بَيْعة العَقَبة.

ذكر من وفد على رسول الله ﷺ بعد الهجرة وقبل الفتح

وَفَد على رسول الله ﷺ بعد الهجرة وقبل فَتْح مكّة: عَبْسٌ، وسَعْدُ العَشيرة، وجُهَيْنَة، ومُزَيْنَة، وسعدُ بن بَكْر، وأشْجَع، وخُشَيْن، والأشْعَرون، وسُلَيْم، ودَوْسٌ، وأسْلَم، وجُذامُ.

ذكر وفد عَبْس

قال محمد بن سعد: وفد على رسول الله ﷺ تِسْعة رَهْط من بني عَبْس فكانوا من المهاجرين الأوّلين، منهم مَيْسَرة بن مسروق، والحارِث بن الربيع ـ وهو الكامل ـ وقَنان بن دارم، وبِشْر بن الحارث بن عُبادة، وهِدْم بن مَسْعدة، وسِباعُ بن زَيْد، وأبو الحِصْن بن لُقمان، وعبد الله بن مالك، وفَرْوة بن الحُصَين بن فَضَالة فأسلموا؛ فدعا لهم رسول الله ﷺ بخَيْر، وقال: «أبغوني رجلًا يَعْشِركم أعقِدْ لكم لِواءً» فدخل طلحة بن عُبيد الله فعقد لهم لِواء، وجعل شعارَهم: يا عشرة.

وقال من طريق آخر: بلغ رسول الله ﷺ أن عِيرًا لقريش أقبلت من الشام فبعث بني عبس في سرِية وعقد لهم لِواء، فقالوا: يا رسول الله! كيف نقسم غنيمة إن أصبناها ونحن تسعة؟ قال: «أنا عاشركم».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قدم ثلاثة نفرٍ من بني عَبْس على رسول الله ﷺ، فقالوا: إنه قدِم علينا قوم فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هِجرة له، ولنا أموالٌ ومواشٍ هي مَعاشنا، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له بِعناها وهاجرنا. فقال رسول الله ﷺ: «اتقوا الله حيث كنتم، فلن يلِتكم من أعمالكم شيئًا، ولو كنتم بِصَمْدٍ[١] وجازان[٢]».

ذكر وفد سَعْد العَشِيرة

قال محمد بن سعد بسنده إلى عبد الرحمٰن بن أبي سَبْرة الجُعْفيّ قال: لمّا سَمِعتْ سعدُ العشِيرة بخروج النبي ﷺ وثَب ذُباب ـ رجلٌ من بني أَنسِ الله بن سعد العَشِيرة ـ إلى صنم يقال له فَرّاص فحطمه، ثم وفد إلى النبيّ ﷺ فأسلم، وقال: [من الطويل]

تَبِعتُ رسولَ الله إذْ جاء بالهُدى ... وخَلَّفتُ فَرّاصًا بِدارِ هَوانِ
شَدَدْتُ علَيْه شَدَّةً فتركْتُه ... كأنْ لم يَكُنْ والدّهْرُ ذو حَدَثانِ[٣]
فلَمّا رأيتُ الله أظْهَرَ دِينَه ... أجَبْتُ رسولَ الله حِينَ دَعانِي
فأصبَحْتُ لِلإسْلامِ ما عِشْتُ ناصِرًا ... وألْقَيْتُ فيها كَلْكَلي وجِرانِي[٤]
فَمَنْ مُبْلِغٌ سَعْدَ العشِيرةِ أنَّنِي ... شَرَيْتُ الّذي يَبْقى بآخَرَ فانِي

ذكر وفد جُهَيْنَةَ

قال ابن سعد: لما قدِم رسول الله ﷺ المدينة، وَفَد إليه عبد العُزّى بن بدر بن زيد بن معاوية الجُهَنيّ، ومعه أخوه لأمه أبو رَوْعَة وهو ابن عم له، فقال رسول الله ﷺ لعبد العُزّى: «أنت عبد الله» وقال لأبي رَوْعة: «أنت رُعْتَ العَدوّ إن شاء الله» وقال: «من أنتم»؟ قالوا: بنو غَيّان، قال: «أنتم بنو رَشْدان» وكان اسم واديهم غَوى فسماه رسول الله ﷺ رُشْدًا، وقال لجَبَلَيْ جُهينة الأشْعَر والأجْرَد: «هما من جبال الجنة لا

(١) الصمد: اسم ماء للضباب.
(٢) جازان: موضع في طريق الحاج من صنعاء.
(٣) حدثان الدهر: نوائبه وحوادثه.
(٤) الكلكل: الصدر. والجران: باطن العنق من ثغرة النحر إلى منتهى العنق في الرأس.

تطؤهما فتنةٌ»، وخَطّ لهم مسجدَهم، وهو أوّل مسجد خُطّ بالمدينة، وجاء من جُهَينة عمرو بن مُرّة الجُهَنيّ. روى عنه محمد بن سعد بسنده إليه قال: كان لنا صَنَمٌ، وكنا نعظِّمه، وكنتُ سادنه(١)، فلما سمعت برسول الله ﷺ كسرتُه، وخرجتُ حتى أقدم المدينة على النبيّ ﷺ، فقدِمْت فأسلَمْتُ وشهدت شهادة الحقّ، وآمنت بما جاء به من حلال وحرام، فذلك حين أقول: [من الطويل]

شَــهِــدتُ بــأنّ الله حَــقٌّ وأنَّــنِــي ... لآلِــهَــةِ الأحْــجَــارِ أوّلُ تــارِكِ
وشَمَّرْتُ عَنْ ساقِي ألإِزارَ مُهَاجِرًا ... إلَيْكَ أجُوبُ الوَعْثَ بَعْدَ الدّكادِكِ(٢)
لأَصْحَبَ خَيْرَ النَّاسِ نَفْسًا ووَالِدا ... رَسُولُ مَلِيكِ النَّاسِ فَوْقَ الْحَبَائِكِ(٣)

قال: فبعثَه رسول الله ﷺ إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فأجابوه إلاّ رجلاً واحدًا ردّ عليه قوله، فدعا عليه عمرو بن مُرّة فسَقَط فُوهُ، فما كان يَقدِرُ على الكلام، وعَمِيَ وٱحْتاجَ.

ذكر وفد مُزَيْنَةَ

وهذا الوفْد هو أوّلُ ما بدأ به محمد بن سَعْد من الوُفُود في طبقاته، فقال: كان أول من وفد على رسول الله ﷺ من مُضَر أربَعَمائة من مُزَيْنة، وذلك في شهر رَجب سنةَ خمسٍ، فجعل لهم رسول الله ﷺ الهِجْرة في دارهم وقال: «أنتم مهاجرون حيث كنتم فٱرجعوا إلى أموالكم» فرجعوا إلى بلادهم. وقال محمد بن سعدٍ بسنَدٍ يرفعه إلى أبي مِسْكين، وأبي عبد الرحمٰن العَجْلانيّ، قالا: قدِم على رسول الله ﷺ نفرٌ من مُزَيْنة، منهم خُزاعيّ بن عبد نُهْم فبايعه على قومه مزينة، وقدِم معه عشرةٌ منهم، فيهم بِلالُ بن الحارث، والنعمان بن مُقَرِّن، ثم خرج إلى قومه فلم يجدهم كما ظنّ فأقام، فدعا رسول الله ﷺ حسّان بن ثابِت، فقال: «ٱذكر خُزاعيًا ولا تهجه» فقال حسّان: [من الوافر]

ألاَ أبــلِــغْ خُــزَاعِــيــا رَسُــولا ... بــأنّ الــذَّمَّ يَــغْــسِــلُــهُ الْــوفــاءُ
وأنَّــكَ خَــيْــرُ عُــثْــمــانَ بْــنِ عَــمْــرٍو ... وأسْــنــاهــا إذا ذُكِــرَ الــسَّــنَــاءُ(٤)

(١) السادن: خادم المعبد.
(٢) الوعث: الطريق العسر. والدكادك: واحدها دكدك، وهو الغليظ من الأرض.
(٣) الحبائك: واحدتها حبيكة، وهي الطريق إلى النجوم.
(٤) السناء: العلو والرفعة.

وبـايَـعْـتَ الـرّسـول وكـان خَـيْـرًا إلَـى خَـيْـرٍ وآداك الـثَّـنـاءُ[١]
فـمـا يُـعْـجِـزْكَ أو مـا لا تُـطِـقْـهُ مِـنَ الأشـيـاءِ لا تَـعْـجِـزْ عِـدَاءُ

قال: و«عِداء» بَطْنُه الذي هو مِنْه. فقام خُزاعيٌّ فقال: يا قومُ! قد خَصّكم شاعرُ الرجل، فأنشُدُكم[٢] الله. قالوا: فإنّا لا نَنْبُو[٣] عليك؛ فأسلَموا ووَفَدوا على النبي ﷺ. فدفع رسول الله ﷺ لواء مُزَيْنَة يوم الفتح إلى خُزاعيّ، وكانوا يومئذ ألْفَ رجل.

ذكر وَفْد سَعْد بن بَكْر

قال محمد بن إسحاق: بعثَتْ بنو سعد بن بَكْر إلى رسول الله ﷺ رجلاً منهم يقال له ضِمام بن ثَعْلَبة ـ قال ٱبن سعْد: في شهر رجب سنة خمس ـ قال ٱبن إسحاق بسنده إلى ٱبن عباس: فقَدِم وأناخَ بعيرَه على باب المسْجد ثم عَقَله[٤]، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالسٌ في أصحابه. قال: وكان ضِمام رجلاً جَلْدًا[٥] أشعَرَ ذا غَدِيرتيْن، فأقبلَ حتّى وقَف على رسول الله ﷺ في أصحابه، فقال: أيُّكم ٱبن عبد المطلب؟ فقال رسول الله ﷺ: «أنا ٱبنُ عبد المطلب». قال: أمُحمَّدٌ؟ قال: «نعم». قال: يا بن عبد المطلب! إني سائلك ومُغلظٌ عليك في المسألة، فلا تجِد[٦] في نفسك. قال: «لا أجد في نفسي، فأسأل عما بدا لك» قال: أنْشدكَ اللّهَ إلَهكَ وإلّهَ من كان قبلك، وإلّهَ مَن هو كائنٌ بعدك، آللّهُ بعثك إلينا رسولاً؟ قال: «اللّهمّ نعم» قال: فأنشدُك الله إلهك وإلَه من كان قَبْلك، وإلهَ من هو كائنٌ بعدَك، آلله أمرك أن تأمُرَنا أن نعبدَه وحدَه، لا نشرك به شيئًا، وأن نَخْلَعَ هذه الأنْدادَ التي كان آباؤنا يعبدون معه؟ قال: «اللّهمّ نعم». قال: فأنْشُدُك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائنٌ بعدك، آلله أمرك أن نُصَلّي هذه الصلاة الخمسَ؟ قال: «نعم»، قال: ثم جعل يذكُر فرائضَ الإسلام فريضةً فريضةً: الزّكاةَ، والصّيَام، والحج وشرائعَ الإسلام كلّها، يَنشُده عن كلِّ فريضة منها كما يَنْشدُه في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإنّي أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وسأُؤدِّي هذه الفرائضَ، وأجتنِبُ ما نهيتَني عنه، ثم لا أزيدُ ولا أنقُصُ، ثم ٱنصرف إلى بعيره راجعًا. فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) آدى الشيء: كثر. (٢) أنشدكم الله: أي أسألكم وأقسم عليكم.
(٣) لا تنبو عليك: أي لا تمتنع عما تريده منّا.
(٤) عقل البعير: أي شدّ على ساقه حبلاً بعد ثني ركبته.
(٥) الجلد: الصلب الشديد. (٦) لا تجد: أي لا تغضب.

«إنْ صَدَق ذو العَقِيصَتَينِ[١] دخل الجنة» قال: فأتى بعيره فأطلق عِقَالَه، ثم خرج حتى قدم على قومه، فاجتمعوا إليه، فكان أوّل ما تكلم به: بِئْسَت اللاّتُ والعُزّى! فقالوا: مَهْ يا ضِمامُ! اَتّقِ البرصَ، اَتقِ الجُذام، اَتّقِ الجُنون! قال: وَيْلَكم! إنهما والله لا ينفعان ولا يضران، إن الله قد بعثَ رسولاً وأنزل عليه كتابًا، فأَسْتَنْقذكم به مما كنتُم فيه، وإني أشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأن محمّدًا عبدُه ورسوله، وقد جئتُكم من عنده بما أمرَكُم به، ونهاكم عنه، قال: فواللّهِ ما أمْسَى من ذلك اليومِ في حاضِرِه رجلٌ أو اَمرأةٌ إلا مُسْلمًا.

قال: يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: فما سمعنا بوَافِد قَوْم كان أفضلَ من ضِمامِ بن ثَعْلبَة.

ذكر وفْدِ أشْجَعَ

قال: وقَدِمَتْ أشْجَعُ على رسول الله ﷺ عام الْخَنْدَق، وعامُ الْخَنْدَق سنةَ خمْسٍ من الهِجْرة، وهم مائةٌ، رأسُهم مسعود بن رُخَيْلَة بن نُوَيْرَة بن طَرِيفٍ، فنزلوا شِعْبَ سَلْع[٢]، فخرج إليهم رسولُ الله ﷺ، وأمر لهم بأحْمال التمر، فقالوا: يا محمد! لا نعلم أحدًا من قومنا أقْرَبَ دارًا منك منّا، ولا أقَلّ عَددًا، وقد ضِقْنا بحَرْبك وبحَرْب قومك، فجئنا نُوَادِعُك، فوادَعَهم.

ويقال: بل قدِمَتْ أشْجَع بعدما فَرَغ رسولُ الله ﷺ منْ بني قُرَيْظة، وهم سبعمائة فوادعهم. ثم أسلموا بعد ذلك.

ذكر وفد خُشَيْن

قال أبو عبد الله محمد بن سعد: قَدِمَ أبو ثَعْلَبة الخُشَنِيُّ على رسول الله ﷺ وهو يتجهّز إلى خَيْبَر، فأسْلَم وخرج معه فشهد خَيْبَر، ثم قدم بعد ذلك سبعةُ نَفرٍ من خُشَيْن فنزلوا على أبي ثعلبةَ، فأسلموا وبايعوا ورجعوا إلى قومهم.

---

(١) العقيصتان: الضفيرتان من الشعر.

(٢) سلع: بفتح أوله وسكون ثانيه: جبل بسوق المدينة، وقيل: موضع بقرب المدينة. وقيل أيضًا: حصن بوادي موسى عليه السلام بقرب بيت المقدس... (معجم البلدان لياقوت).

ذكر وَفْد الأشْعَرِين

قالوا: وقدم الأشْعَرون على رسول الله ﷺ، وهم خمسون رجلًا؛ منهم أبو موسى الأشْعَري، ومعهم رجلان من عَكّ. وقدموا في سُفُنٍ في البحر، وخرجوا بجُدَّة، فلما دَنوا من المدينة جَعَلوا يقولون: [من الهزج]

غَــدًا نَــلْــقَــى الأحِــبَّــهْ　　مُــحَــمَّــدًا وحِــزْبَــهْ

ثم قدموا فوجدوا رسول الله ﷺ في سفره بخَيْبر، فلقُوه ﷺ فبايعوه وأسلموا؛ فقال رسول الله ﷺ: «الأشعرون في الناس كصُرَّة فيها مِسك».

ذِكر وَفْدِ سُلَيْم

قالوا: وقدم على رسول الله ﷺ رجلٌ من بني سُلَيْم، يقال له قَيْس بن نُسَيْبَة، فسمع كلامه، وسأله عن أشياء فأجابه، وَوَعى ذلك كلّه، ودعاه رسول الله ﷺ إلى الإسْلام، فأسلم ورجع إلى قومه، فقال: قد سمعتُ بَرْجَمة[1] الروم، وهَيْنمة[2] فارس، وأشعار العرب، وكَهانة الكاهِن، وكلام مَقاوِل حِمْيَر، فما يُشبه كلامُ محمد شيئًا من كلامهم، فأطيعوني وخذوا بنصيبكم منه. فلما كان عامُ الفتْح خرجتْ بنو سُلَيْم إلى رسول الله ﷺ، فلقُوه بقُدَيْد[3] وهم سبعمائة. ويقال: كانوا ألفًا. وفيهم العباس بن مِرْداس السُّلَمي، وأنَس بن عبّاس بن رِعْل، وراشد بن عبد ربه، فأسلموا وقالوا: اْجعلنا في مقدّمتك، واْجعلْ لِواءَنا أحْمرَ، وشعارُنا مُقدّم، ففعل ذلك بهم. وأعطى رسول الله ﷺ راشدًا رُهاطًا[4] وفيها عَيْنٌ يقال لها عين الرّسول. قال: وكان راشدٌ يَسْدُنُ[5] صَنَمًا لبني سُلَيْم، فرأى يومًا ثُعْلَبين يبولان عليه، فقال: [من الطويل]

أَرَبٌّ يَــبُــولُ الــثُّــعْــلَــبــان بــرَأسِــه　　لـقَـدْ ذَلَّ مَـنْ بـالَـتْ عـلـيه الثَّـعالِـبُ

ثم شدّ عليه فكسره. وأتى النبي ﷺ، فقال له: «ما اسمك»؟ قال: غاوي بن عبد العُزّى، فقال: «أنت راشد بن عبد ربّه» فأسلم وحَسُن إسلامه وشَهِد الفَتْح. فقال رسول الله ﷺ: «خير بني سليم راشد» وعَقَد له على قومه.

---

(١) برجمةُ الروم: رطانتهم وكلامهم.　(٢) الهينمة: الكلام الخفيّ لا يفهم.

(٣) قديد: موضع قرب مكة.

(٤) رهاط: موضع على بعد ثلاث ليال من مكة.

(٥) يسدن الصنم: يخدمه. والسادن: خادم المعبد.

وروى محمد بن سعد أيضًا، عن هشام بن محمد، قال: حدّثني رجلٌ من بني سُلَيم من بني الشّريد، قال: وَفَد رجل منا يقال له قُدَد بن عمّار على النبي ﷺ، وعاهده على أنْ يأتيه بألف من قومه على الخَيْل؛ وأنْشأ يقول: [من الطويل]

شَدَدت يَميني إذْ أَتَيتُ مُحمّدًا ... بِخَيرِ يَدٍ شَدّتْ بِحُجْزَةِ مِئْزَرِ[١]

وذاك ٱمْرُؤٌ قاسَمْتهُ نِصْفَ دِينِهِ ... وَأعْطَيْتُه كَفّ ٱمْرِىءٍ غَيْرِ أعْسَرِ

ثم أتَى قومَه فأخبرهم الْخبَر، فخرج معه تِسْعُمائة، وخَلّف في الحيِّ مائةً، وأقْبلَ يريد النبيّ ﷺ فنزل به الموتُ، فأوْصى إلى ثلاثة رَهْطٍ من قومه؛ وهم: عباس بن مِرداس وأمّره على ثلاثمائة، وجَبّارُ بن الحكم وأمّره على ثلاثمائة، والأخْنَسُ بن يزيد وأمّره على ثلاثمائة. وقال: ٱيتوا هذا الرجل حتى تَقْضوا العَهْد الذي في عنقي ثم مات، فمضوا حتى قدموا على رسول الله ﷺ، فقال: «أين الرجل الحسن الوجه، الطويل اللسان، الصادق الأيمان»؟ قالوا: يا رسول الله! دعاه الله فأجابه، وأخبروه خبرَه؛ فقال: «أين تكملة الألف الذين عاهدني عليهم»؟ قالوا: خَلّف مائةً في الحيِّ مخافةَ حرب كان بيننا وبين بني كِنانة، قال: «ٱبعثوا إليها فإنه لا يأتيكم في عامِكم هذا شيءٌ تكرهونه» فبعثوا إليها فأتتْه بالهَدّة[٢] وعليها المُنقَع بن مالك بن أمية، فشهدوا مع رسول الله ﷺ الفتح وحُنَيْن. وللمنقع يقول العباس بن مِرْداس: [من الكامل]

القائِدُ المائةِ التي وَفّى بِها ... تِسْعَ المِئِينِ فَتَمّ ألْفُ أقْرَعُ[٣]

وحكى أبو عمر بن عبد البر في ترجمة خَنْساء بنت عمرو بن الشّريد السُّلَمِيّة الشّاعرة ـ وٱسمها تُماضِر بنت عمرو بن الشَّرِيد بن رَبَاح بن ثَعلبة بن عُصَيّة بن خُفاف بن ٱمرىء القيس بن بُهْثَة بن سُليم ـ أنها قدمت على رسول الله ﷺ مع قومها من بني سليم فأسلمت معهم. قال: فذكروا أن رسول الله ﷺ كان يسْتَنْشدها، ويُعجبه شعْرُها، فكانت تُنْشِدُه، وهو يقول: «هِيَهِ يا خُناسِ» ويُومِىء بيده. وشهدت الخَنساءُ القادِسيَّة مع بنيها الأربعَة. وسنذكر إن شاء الله خبرها معهم يوم القادسية، ووَصيتَها لهم في الحرب في خلافة عمر بن الخطاب، عند ذكرنا لفتح القادسية.

---

(١) الحجزة: موضع شدّ الإزار من الوسط: أو موضع التكة من السراويل.
(٢) الهدّة: موضع بين مكة والطائف. (٣) الألف الأقرع من الخيل: أي التامّ.

ذكر وَفْد دَوْسٍ

قالوا: لمّا أسلم الطُّفَيْل بن عمرو الدَّوْسيّ - كما تقدم - دعا قومه فأسلموا، وقدِمَ معه منهم المدينةَ سبعون أو ثمانون أهْلَ بَيْت. وفيهم أبو هريرة وعبد الله بن أُزَيْهِر الدَّوْسيّ، ورسول الله ﷺ بخَيْبر، فساروا إليه فلقوه هناك، فيقال: إنه قَسَم لهم من غنائم خَيْبَر، ثم قدموا معه المدينة. فقال الطُّفَيْل بن عمرو: يا رسول الله! لا تُفَرِّق بيني وبين قومي، فأنزلهم حَرَّة الدَّجاج، فقال أبو هريرة حين خرج من دار قومه: [من الطويل]

يـا طُـولَـهـا مِـنْ لَـيْـلَـةٍ وعَـنـائِـهـا ... عـلـى أنَّـهـا مِـنْ بَـلْـدَةِ الْـكُـفْـرِ نَـجَّـتِ

وقال عبد الله بن أُزَيْهِر: يا رسول الله! إن لي في قومي سُلْطة ومكانًا فاْجعلني عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «يا أخا دوس، إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غَريبًا، فمن صدَق الله نجا، ومن آلَ إلى غير ذلك هلك. إن أعظَم قومِك ثوابًا أعظمُهم صِدْقًا، ويوشِك الحقّ أن يَغْلب الباطلَ».

وروى أبو عمر بسنده إلى محمد بن سِيرين أنه قال: بلغني أنّ دوسًا إنّما أسلمتْ فَرَقًا[1] من قول كعب بن مالك الأنصاري الخَزْرَجي: [من الوافر]

قَـضَـيْـنـا مِـن تِـهـامَـةَ كُـلَّ وَتْـرٍ ... وخَـيْـبَـرَ ثـم أَغْـمَـدْنـا الـسُّـيُـوفـا[2]

نُـخَـيِّـرهـا ولَـوْ نَـطَـقَـتْ لَـقـالَـتْ ... قَـواطِـعُـهُـنَّ: دَوْسًـا أَوْ ثَـقِـيـفَـا[3]

فقالت دَوْسٌ: انْطَلِقوا فَخُذوا لأَنْفُسِكم لا يَنْزِلُ بِكُم ما نَزَل بثَقِيف.

ذكر وفد أَسْلَم

قالوا: قَدِم عُمَيْر بن أَفْصَى في عِصابة من أَسْلم، فقالوا: لقد آمنا بالله ورسوله، واتّبعنا مِنْهاجك، فاْجعلْ لنا عندك منزلة، تعرفُ العربُ فضيلَتنا، فإنّا إِخْوَةُ الأنصار، ولك علينا الوَفاءُ، والنَّصْر في الشّدّة والرّخاء، فقال رسول الله ﷺ: «أَسْلَم سالَمها الله، وغِفارٌ غفر الله لها». وكتب رسول الله ﷺ لأَسْلَم، ومَنْ أَسْلَمَ من قبائل العَرَب ممن يسْكُن السِّيفَ[4] والسَّهْل كتابًا؛ فيه ذكر الصدقة والفرائض في المواشي. وكتب الصّحيفة ثابت بن قيس، وشهد أبو عبيدة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم.

---

(١) الفرق: الفزع.
(٢) تهامة: ما انخفض من أرض الحجاز.
(٣) الضمير في «نخيرها» يعود إلى السيوف؛ والمراد لو نطقت السيوف لاختارت حرب دوس أو ثقيف.
(٤) السيف: بكسر السين وتشديدها: ساحل البحر.

ذكر وفْدِ جُذام

قالوا: قدِم رِفاعةُ بن زيد بن عُمَيْر بن مَعْبَد الجُذاميّ، ثم أحد بني الضُّبَيْب على رسول الله ﷺ في الهدنة قبل خيبر، وأهْدَى له عبدًا وأسلم، فكتب له رسول الله ﷺ كتابًا؛ فيه: «هذا كتاب من محمد رسول الله، لرفاعة بن زيد إلى قومه، ومن دخل معهم، يدعوهم إلى الله، فمن أقبل ففي حِزْب الله، ومن أبَى فله أمانُ شهرين» فأجابه قومُه وأسلموا. قال ابن إسحاق وغيره: وبعث فَرْوة بن عمرو بن النّافِرة الجُذّاميّ، ثم النُّفَاثيّ إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه، وأهدى له بَغْلة بيضاء، واسم رسوله مسعود بن سعد وهو من قومه، فقرأ رسول الله ﷺ كتابَه، وقبل هديتَه، وأجاز رسوله باثنتي عشرة أُوقيةً ونَش[١]، وكتب إلى فَرْوة جواب كتابه. وكان فَرْوة عاملاً للروم على من يليهم من العرب، وكان منزله مُعَان[٢] وما حولها من أرض الشام، فلما بلغ الروم إسلامه طلبوه فحبسوه عندهم؛ فقال: في مَحْبِسه ذلك: [من الكامل]

طَرَقَتْ سُلَيْمى مَوْهِنًا أصحابِي ... والرُّومُ بينَ البابِ والقِرْوانِ[٣]
صَدَّ الخيالُ وساءه ما قد رأى ... وهَمَمْتُ أن أُغْفِي وقد أبكانِي[٤]
لا تَكْحُلِنّ العينَ بعديَ إثمِدًا ... سَلْمَى ولا تَدْنِنَّ للإتيانِ[٥]
ولقد عَلِمتَ أبا كُبَيْشَةَ أنّني ... وَسْطَ الأعزَّةِ لا يُحَصُّ لسانِي[٦]
فلَئِنْ هَلَكْتُ لتَفقِدُنّ أخاكمُ ... ولئن بَقِيتُ لَتَعرِفُنَّ مكانِي
ولقد جَمَعتُ أجلَّ ما جَمَعَ الفتى ... من جَوْدةٍ وشَجاعةٍ وبيانِ

قال: فلما أجمعت الرُّومُ لصَلْبه على ماء لهم بفِلَسْطِين يقال له عَفْراء قال: [من الطويل]

ألا هل أتَى سَلْمَى بأنّ حَلِيلَها ... على ماء عَفْرَا فوق إحدى الرَّواحلِ[٧]
على ناقة لَمْ يَضربِ الفَحْلُ أمَّها ... مُشَذَّبة أطرافُها بالمَناجِلِ

---

(١) النشّ: نصف الأوقية.
(٢) معان: هي مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء... (معجم البلدان لياقوت).
(٣) الموهن: نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه.
(٤) أغفى: نام نومًا خفيفًا.
(٥) الإثمد: نوع من الكحل.
(٦) حصّ: قطع.
(٧) الرواحل: واحدتها الراحلة، وهي الناقة.

قال: ولما قدّموه ليضربوا عنقه قال: [من الكامل]

أبْلِغْ سَرَاةَ المؤمنين بأنَّني سَلْمٌ لِربِّي أعْظُمِي ومَقَامِي

فضربوا عنقه وصلبوه على ذلك الماء.

هذا ما تلخص لنا من أخبار مَن وَفَد بعد الهجرة وقبل الفتح، فلنذكر من وَفَد بعد الفتح.

ذكر من وفد على رسول الله ﷺ بعد فتح مكة شَرَّفها الله تعالى وعظّمها

ولنبدأ من ذلك بذكر وفد تَغْلَبَة؛ لأنه أوّل وفد كان بعد الفتح. ثم نذكر من وفد في سنة تسع من الهجرة وما بعدها، ونورده نحو ما أورده أبو عبد الله محمد بن سعد في طبقاته، إلا أنا نستثني منهم من قدّمنا ذكره بحكم سابقتهم، وتقدّم إسلامهم.

ذكر وفد تَغْلَبَة

قال أبو عبد الله محمد[1] بن سعد رحمه الله: لـمّا قدِم رسول الله ﷺ من الجِعْرانة[2]، في سنة ثمانٍ من الهجرة، قدِم عليه أربعة نَفَر، وقالوا: نحن رُسل مَن خَلْفنا من قومنا، ونحن وهم مُقِرّون بالإسلام، فأمر لهم رسول الله ﷺ بضيافةٍ، وأقاموا أيامًا ثم جاؤوا ليودّعوه فأمر بلالاً أن يُجِيزهم، كما يُجِيز الوفد، فجاء بنُقَرٍ[3] من فِضّة فأعطى كل رجل منهم خمسَ أواقٍ، وقال: «ليس عندنا دراهم» وانصرفوا إلى بلادهم.

ذكر وفد أسَد

قال محمد بن سعد: قدِم عشرة رَهْط من بني أسَد بن خُزَيمة على رسول الله ﷺ، في أوّل سنة تسع من الهجرة، فيهم حَضْرميّ بن عامر، وضِرار بن

---

(١) محمد بن سعد: هو ابن منيع الزهري مولاهم، البصري، كاتب الواقدي (أبو عبد الله) محدّث، حافظ. ولد بالبصرة، وسكن بغداد، وحدث وروى كتب الحديث والغريب والفقه، وتوفي في جمادى الآخرة سنة ٢٣٠ هجرية... (معجم المؤلفين ١٠: ٢١).

(٢) الجعرانة: موضع ما بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب.

(٣) النقر: السبيكة من الذهب أو الفضة.

الأزور، فقال حَضْرَميّ: يا رسول الله! أتيناك نَتَدرّع[١] الليلَ البهيم[٢]، في سنة شَهْباء[٣]، ولم تَبْعث إلينا بَعْثًا، فنزل فيهم قوله عزّ وجل: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧].

قال: وكان معهم قوم من بَنِي الزِّنْية وهم بنو مالك بن مالك بن ثَعْلبة بن دُودان بن أسَد، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أنتم بنو الرِّشْدة».

وقال أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبيّ رحمه الله: إنّ نفرًا من بني أسَد، ثم من بني الحلاف بن الحارث بن سعيد، قدِموا على رسول الله ﷺ المدينة في سنة جَدْبة، فأظهروا شهادة أن لا إله إلا الله، ولم يكونوا مؤمنين في السِّر، وأفسدوا طرق المدينة بالعَذِرات، وأغلَوا أسعارها، وكانوا يَغْدون ويَرُوحون على رسول الله ﷺ، ويقولون: أتتك العربُ بأنفسها، على ظهور رواحلها، وجئناك بالأثقال والعيال والذَّراريّ - يَمنُّون على رسول الله ﷺ - ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان. ويريدون الصَّدَقة، ويقولون: أعطِنا. فأنزل الله عزّ وجل فيهم: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] الآيات. وقيل: نزلت في الأعراب: مُزَيْنة، وجُهَيْنة، وأسْلَم، وأشْجَع، وغِفَار. وكانوا يقولون: آمنّا بالله؛ ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم، فلما استنفروا إلى الحُدَيْبية تخلّفوا، فأنزل الله فيهم: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ أي انقدنا واستسلمنا مخافة القتل والسَّبْي ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤] فأخبر تعالى أن حقيقة الإيمان التصديق بالقلب، وأن الإقرار باللسان، وإظهار شرائعه بالأبدان، لا يكون إيمانًا دون الإخلاص الذي مَحلّه القلب.

ذكر وفد تَمِيم

قال أبو عبد الله محمد بن سعد: كان رسول الله ﷺ قد بعث بِشْر بن سفيان. ويقال: النَّحّام العَدَويّ على صَدَقات بني كعب من خُزَاعة، فجاء وقد حَلَّ بنواحيهم بنو عمرو بن جُنْدب بن العنبر بن عمرو بن تميم، فجمعت خُزَاعة مواشيها للصدقة، فاستنكرت ذلك بنو تميم، وأبوا وابتدروا القِسِيّ، وشهروا السّيوف، فقدِم المُصدِّق[٤]

(١) تدرّع: وصل في الليل يسري.
(٢) البهيم: الأسود.
(٣) يقال: سنة شهباء: أي ذات قحط وجدب.
(٤) المصدق: عامل الزكاة يستوفيها من أربابها.

على رسول الله ﷺ فأخبره؛ فقال: «مَن لهؤلاء القوم»؟ فانتدب لهم عُيَيْنة بن حِصْن، فبعثه رسول الله ﷺ في خمسين فارسًا من العرب، ليس فيهم مهاجريّ ولا أنصاريّ فأغار عليهم، فأخذ منهم أحد عشر رجلًا، وإحدى عشرة امرأة، وثلاثين صبيًا، فجلبهم إلى المدينة، فقدم فيهم عِدّة من رؤساء بني تميم، منهم عُطَارد بن حاجب، والزِّبْرِقان بن بَدْر، وقيس بن عاصم، وقيس بن الحارث، ونعيم بن سعد، والأقرع بن حابس، ورياح بن الحارث، وعمرو بن الأهتم، وغيرهم كما ذكرنا ذلك في الغَزَوات في خبر سَرِيّة عُيَيْنة. قال: ويقال: كانوا تسعين أو ثمانين رجلًا.

قال ابن إسحاق: والحُتَات بن يزيد أحد بني دَارِم. قال: ومعهم عُيَينة بن حِصْن بن حُذَيفة بن بَدْر الفَزَارِيّ، قالوا: فدخلوا المسجد وقد أذَّن بلالٌ بالظهر؛ والناس ينتظرون خروج رسول الله ﷺ، فعجِلوا واستبطؤوه، فنادوا رسول الله ﷺ من وراء حُجُراته: يا محمد! اخرج إلينا. فخرج رسول الله ﷺ، وأقام[1] بلال، فصلّى رسول الله ﷺ الظهر، ثم أتوه؛ فقال الأقرع بن حابس: يا محمد، ائذن لي، فوالله إنّ حَمْدي لَزَينٌ، وإنّ ذَمِّي لشَيْنٌ. فقال له رسول الله ﷺ: «كَذبتَ، ذاكَ الله تبارك وتعالى». حكاه ابن سعد.

وحكى محمد بن إسحاق أنهم قالوا: يا محمد، جئناك لنفاخرك، فأْذن لشاعرنا وخطيبنا. قال: «قد أذِنتُ لخطيبكم فليقل»، فقام عُطَارد بن حاجب، فقال: الحمد لله الذي له علينا الفضلُ والمنُّ؛ وهو أهله الذي جعلنا ملوكًا، ووهب لنا أموالاً عِظامًا، نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزَّ أهلِ المشرق وأكثرَه عددًا، وأيسرَه عُدّة، فمَنْ مثلنا في الناس؟ ألسنا برؤوس الناس وأولي فضلِهم؟ فمن فاخرنا فليعدِّد مثل ما عَدَّدنا، وإنّا لو نشاء لأكثرنا الكلام، ولكنا نحيا[2] من الإكثار فيما أعطانا، وإنّا نُعرف بذلك. أقول هذا لأن تأتونا بمثل قولنا، وأمرٍ أفضل من أمرنا. ثم جلس.

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قَيْس بن الشَّمّاس أخي بني الحارث بن الخَزْرج: «قُم فأجب الرجل في خُطْبته». فقام ثابت فقال:

الحمد لله الذي السموات والأرضُ خَلْقُه، قضى فيهنّ أمرَه، ووَسِع كرسيُّه علمَه، ولم يك شيء قطّ إلا من فضله، وكان من قُدْرته أن جَعَلنا ملوكًا، واصطفى من خير خَلْقه رسولاً، أكرمه نَسبًا، وأصدقه حديثًا، وأفضله حَسبًا، فأنزل عليه كتابه، وائتمنه على خلقه فكان خِيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فآمن

(١) أي أقام الصلاة.
(٢) المراد بقوله «نحيا» نستحي.

برسول الله ﷺ المهاجرون من قومه وذوي رحِمه؛ أكرم الناس أحسابًا، وأحسن الناس وجوهًا، وخير الناس فِعالاً. ثم كان أوّلَ الخلق إجابة، وأستجاب لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن؛ فنحن أنصار الله، ووزراء رسول الله ﷺ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله مَنع مالَه ودمَه، ومن كَفَر جاهدناه في الله أبدًا، وكان قَتلُه علينا يسيرًا.

أقول هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات. والسلام عليكم.

فقام الزِّبْرِقان بن بَدْر، فقال: [من البسيط]

نحن الكرام فلا حيٌّ يعادلنا ... مِنّا الملوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ[1]

ويروى: «وفينا يُقْسَمُ الرُّبُعُ»[2]، بدل «تُنْصَب البِيَعُ».

وكَمْ قَسَرْنا من الأحياءِ كُلِّهمُ ... عند النِّهابِ وفَضْلُ الْعِزِّ يُتَّبَعُ

ونحن يُطْعِم عند القَحْطِ مُطْعِمُنا ... من الشِّوَاءِ إذا لم يُؤْنَس القَزَعُ[3]

بما تَرَى الناسَ تأتينا سَرَاتُهمُ ... من كلِّ أرضٍ هُوِيًّا ثم نَصْطَنِعُ[4]

ويروى:

* مِن كلِّ أرضٍ هَوَانًا ثم نُتَّبَعُ *

فَنَنْحَرُ الْكُومَ عُبْطًا في أرُومَتِنا ... للنّازِلين إذا ما أُنزِلوا شَبِعُوا[5]

فلا تَرانا إلى حَيٍّ نُفاخِرُهمْ ... إلاّ أستقادوا وكانوا الرأسَ يُقْتَطَعُ

فمَنْ يُفاخِرُنا في ذاكَ نَعْرِفُهُ ... فيرجعُ القومُ والأخبارُ تُسْتَمعُ

إنّا أبَيْنا ولم يَأبَ لنا أحدٌ ... إنّا كذلك عند الفخرِ نَرْتفِعُ

قال محمد بن إسحاق: وكان حسانُ بن ثابت غائبًا، فبعث إليه رسولُ الله ﷺ، فقال حسان: جاءني رسولُه فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم، فخرجت إلى رسول الله ﷺ وأنا أقول: [من الطويل]

مَنَعْنَا رسولَ اللّهِ إذ حَلَّ وَسْطَنا ... على أنْف راضٍ من مَعَدٍّ وراغم

مَنَعْناه لَمَّا حَلَّ بين بُيوتِنَا ... بأسيافِنا مِن كلِّ باغٍ وظالمِ

---

(١) البيع: واحدتها البيعة، وهي كنيسة النصارى، أو مكان العبادة.

(٢) الربع: ربع الغنيمة التي كان يأخذها الرئيس في الجاهلية.

(٣) القزع: قطع من السحاب رقاق. (٤) الهويّ: الإسراع في السير.

(٥) الكوم: جمع الكوماء، وهي الناقة العظيمة السنام. والعبط: التي تنحر لغير علّة.

بِـبـيـْـتِ حَـرِيـدٍ عِـزُّه وثَـرَاؤُهُ بجابيةِ الجَوْلانِ وَسْطَ الأعاجِم[١]
هل المجدُ إلاّ السُّودَدُ الْعَوْدُ والنَّدَى وجاهُ المُلوكِ واحتمالُ العَظَائمِ[٢]

قال: فلما أنتهيتُ إلى رسول الله ﷺ، وقام شاعرُ القوم فقال ما قال، عَرضتُ في قوله وقلتُ على نحو ما قال. قال: ولما فرغ الزِّبْرِقان من إنشاده، قال رسول الله ﷺ لحسّان بن ثابت: «قُمْ فأجب الرجلَ» فقام حسّان فقال: [من البسيط]

إنّ الذَّوائبَ من فِهْرٍ وإخوتهم قَدْ بَيَّنُوا سُنَّةً للناسِ تُتَّبَعُ[٣]
يَرْضَى بها كُلُّ من كانت سَرِيرَتُهُ تَقْوَى الإلهِ وكُلَّ الخيرِ يَصْطَنِعُ[٤]

ويروى:

يَرْضَى بها كُلُّ مَنْ كانت سَرِيرتُهُ تَقْوَى الإلهِ وبالأمر الذي شَرَعُوا[٥]
قَومٌ إذا حاربُوا ضَرُّوا عَدوَّهمُ أو حاولُوا النَّفْعَ في أشْياعِهِمْ نَفَعُوا[٦]
سَجِيَّةٌ تلكَ منهم غيرُ مُحْدَثةٍ إنَّ الخلائقَ فاْعلم شَرُّها البِدَعُ[٧]
إنْ كان في الناسِ سَبَّاقُون بَعْدَهُمُ فكُلُّ سبقٍ لأدنى سَبْقِهِمْ تَبَعُ
لا يَرْقَعُ النَّاسُ ما أوْهَتْ أكُفُّهُمُ عند الرِّقاعِ ولا يُوهُونَ ما رَقَعُوا[٨]
إنْ سابَقُوا الناسَ يومًا فاز سَبْقُهمُ أو وَازَنُوا أهلَ مَجْدٍ بالنَّدَى مَتَعُوا[٩]
أعِفَّةٌ ذُكِرَتْ في الْوَحْيِ عِفَّتُهمْ لا يَطْبَعُونَ ولا يُرْدِيهِمُ طَمَعُ[١٠]
لا يَبْخَلُون على جارٍ بفضلِهِمُ ولا يَمَسُّهُمُ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ[١١]
إذا نَصَبْنَا لِحيٍّ لا نَدِبُّ لَهُمْ كما يَدِبُّ إلى الوحْشِيَّةِ الذَّرَعُ[١٢]
نَسْمُو إذا الحربُ نالتنا مَخَالِبُها إذا الزَّعانِفُ من أظفارها خَشَعُوا[١٣]
لا يَفْخَرُون إذا نالوا عَدوَّهُمُ وإنْ أُصِيبوا فلا خُورٌ ولا هُلُعُ[١٤]

(١) البيت الحريد: المنفرد عن البيوت. (٢) السؤدد العود: القديم.
(٣) الذوائب: الأعالي. وذوائب القوم: ساداتهم.
(٤) السريرة: أي ما تسرّ وتخفيه. (٥) شرعوا بالأمر: بدأوا به.
(٦) الأشياع: الأتباع والأنصار.
(٧) البدع: جمع بدعة، والمراد بها هنا مستحدث الأخلاق.
(٨) أوهت: شقت وفتقت. (٩) متعوا: زادوا.
(١٠) يطبعون: يتدنسون. (١١) الطبع: العيب والدنس.
(١٢) الذرع: ولد البقرة الوحشية. (١٣) الزعانف من الناس: السفلة.
(١٤) الخور: الضعفاء.

كـأنَّهـمْ في الـوَغَـى والـموتُ مُكْتَنِعٌ ... أُسْدٌ بِـحَـلْـيَـةَ فـي أرْسَـاغـهـا فَـدَعُ[١]
خُذْ مِنْـهُـمْ ما أتَـى عَـفْـوًا إذا غَـضِـبُـوا ... ولا يَكُنْ هَمُّكَ الأمْرَ الذي مَنَعُوا[٢]
فـإنَّ فـي حَـرْبِـهـمْ فـاتـركْ عَـداوتَـهُـمْ ... شَـرًّا يُخَاضُ عليهِ السَّمُّ والسَّلَعُ[٣]
أكْـرِمْ بِـقـومٍ رسـولُ الـلّـهِ شِـيـعَـتـهُـمْ ... إذا تَـفَـاوَتَـتِ الأهْـواءُ والـشِّـيَـعُ
أهْـدَى لـهـم مِـدْحَـتِـي قَـلْـبٌ يُـؤازِرُهُ ... فـيـمـا أحِبُّ لِـسـانٌ حـائكٌ صَـنَعُ[٤]
فـإنّـهـم أفْـضَـلُ الأحـيـاءِ كـلِّـهـمُ ... إنْ جَدَّ بالناسِ جِدُّ القولِ أو شَمَعُوا[٥]

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام[٦] رحمه الله: حدّثني بعض أهل العلم بالشعر من بني تميم أن الزِّبْرقان بن بَدْرٍ لمّا قدِم على رسول الله ﷺ في وفدِ بني تميم، قام فقال: [من الطويل]

أتـيـنـاكَ كَـيْـمـا يَـعْـلـمَ الـنـاسُ فَضْـلَـنـا ... إذا ٱختلفوا عِند ٱحتِضارِ المواسِمِ
بِـأنّـا فـروعُ الـنـاسِ فـي كـلِّ مَـوْطِـنٍ ... وأنْ ليس في أرضِ الحجازِ كَدَارِمِ[٧]
وأنّـا نَـذُودُ الـمُـعْـلِـمـيـنَ إذا ٱنْـتَـخَـوْا ... ونَضرِبُ رأسَ الأصْيَدِ المتفاقِمِ[٨]
وأنَّ لـنـا الـمِـرْبـاعَ فـي كـلِّ غـارةٍ ... نُـغِـيـرُ بـنـجـدٍ أو بِـأرض الأعـاجِـمِ[٩]

فقام حسان بن ثابت فأجابه، فقال: [من الطويل]

هَلِ المَجْدُ إلاّ السُّودَدُ العَوْدُ والنَّدَى ... وجـاهُ الـمـلـوكِ وٱحـتـمـالُ الـعَـظـائِـمِ
نَـصَـرْنـا وآوَيْـنـا الـنَّـبـيَّ مـحـمـدًا ... عـلـى أنْـفِ راضٍ مـن مَـعَـدٍّ وراغِـمِ
بِـحَـيٍّ حَـرِيـدٍ أصـلُـه وثَـراؤهُ ... بِـجابِـيَـةِ الـجَـوْلانِ وَسْـطَ الأعـاجِـمِ
نَـصَـرْنـاه لَـمَّـا حَـلَّ وَسْـطَ دِيـارنـا ... بـأسـيـافِـنـا مِـن كـلِّ بـاغٍ وظـالـمِ

---

(١) الموت مكتنع: دان قريب. والفدع: عوج وميل في المفاصل.
(٢) عفوًا: أي من غير مشقة. (٣) السلع: شجر مرّ.
(٤) اللسان الصنع: يراد به الذي يحسن القول.
(٥) شمعوا: ضحكوا وهزلوا.
(٦) عبد الملك بن هشام: هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري. مشهور يحمل العلم، متقدم في علم النسب والنحو، وهو من مصر وأصله من البصرة، وله كتاب في أنساب حمير وملوكها، وكتاب في شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب. توفي في سنة ٢١٣هـ... (وفيات الأعيان ٣:٢٧٧).
(٧) دارم: حيّ من تميم.
(٨) المعلمون: الذين يتخذون لأنفسهم علامة في الحرب يعرفون بها.
(٩) والمراد بنجد: أرض العرب.

جَعَلْنَا بَنِينَا دُونَهُ وبَنَاتِنَا ... وطِبْنَا له نَفْسًا بِفَيْءِ المَغَانِم[(١)]
ونحن ضَرَبْنَا الناسَ حتّى تَتَابَعُوا ... على دِينِهِ بالمُرْهَفاتِ الصَّوارِمِ[(٢)]
ونحن وَلَدْنا من قريشٍ عظيمَها ... وَلَدْنا نبيَّ الخيرِ مِنْ آلِ هاشِمِ
بَنِي دارِمٍ لا تَفْخَرُوا إنّ فخرَكُمْ ... يَعودُ وَبالاً عند ذِكرِ المكارِمِ
هَبِلْتم، علينا تفخرون وأنتم ... لَنا خَوَلٌ من بَيْنِ ظِئْرٍ وخادِمِ[(٣)]
فإنْ كُنتُمُ جِئْتُمْ لِحَقْنِ دمائِكُمْ ... وأموالِكُمْ أن تُقْسَمُوا في المقاسِمِ
فلا تَجعلُوا للهِ نِدًّا وأسْلِمُوا ... ولا تَلْبَسُوا زِيًّا كَزِيّ الأعاجِمِ
وأفْضَلُ ما نِلْتُمْ مِن المجدِ والعُلاَ ... رِدافَتُنا عِند احْتضارِ المَوَاسِمِ[(٤)]

قالوا: فلما فرغ حسّان من قوله، قال الأقرع بن حابس: وأَبِي، إنّ هذا الرجلَ لَمُؤَتًّى له، لَخطيبُه أخطبُ من خطيبنا، ولَشاعِرُه أشعرُ من شاعرنا، ولَأصواتهم أعلى من أصواتنا، ولَهم أحلمُ مِنّا. ونزل في وفدِ بني تميم قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [الحجرات: ٤، ٥].

قال محمد بن سعد: وقال رسول الله ﷺ في قيس بن عاصم: «هذا سيّدُ أهلِ الوَبَرِ» وردّ عليهم الأسرى والسَّبْي، وأمر لهم بالجوائز كما كان يجيز الوفد؛ ثنتي عشرة أوقِية ونَشًّا، وهي خمسمائة درهم.

قال ابن إسحاق: وكان عَمرو بن الأهتم قد خَلَّفه القومُ في ظَهْرهم[(٥)]، وكان أصغرَهم سِنًّا، فقال قيس بن عاصم، وكان يبغض عمرو بن الأهتم: يا رسول الله! إنه قد كان رجل منّا في رِحالنا وهو غلام حَدَث، وأزرى به، فأعطاه رسولُ الله ﷺ مثل ما أعطى القوم، فبلغ عَمرو بن الأهتم ما قاله قيس فيه؛ فقال: [من البسيط]

ظَلِلْتَ مُفترِشَ الهَلْباءِ تَشْتُمنِي ... عِندَ النبيِّ فلَمْ تَصْدُقْ ولَمْ تُصِبِ[(٦)]
إنْ تَنْقُصونَا فإنَّ الرُّومَ أصْلُكُمُ ... والرُّومُ لا تَمْلِكُ البغضاءَ للعَرَبِ
وإنَّ سُودَدَنا عَوْدٌ وسُودَدكم ... مُؤَخَّرٌ عندَ أصْلِ العَجْبِ والذَّنَبِ[(٧)]

---

(١) الفيء: الغنيمة التي لا يلحق فيها مشقة.
(٢) الصوارم: السيوف التي تصرم الأعمار.
(٣) الخول: الرعاة والأتباع. والظئر: التي ترضع ولد غيرها.
(٤) ردافة القوم: الذين هم تبع لهم.
(٥) المراد بالظهر: الإبل.
(٦) الهلباء: يراد بها أسته.
(٧) العجب: أصل الذنب.

وروي أن الزِّبْرِقان فَخَر يومئذ فقال:

يا رسول الله، أنا سيّدُ تميم، والمطاعُ فيهم، والمجابُ منهم، آخذُ لهم بحقوقهم، وأمنعُهم من الظّلم، وهذا يعلم ذلك. وأشار إلى عَمرو بن الأهتم. فقال عَمرو: إنه شديدُ العارضة، مانعٌ لجانبه، مطاعٌ في أدَانِيه. فقال الزِّبْرِقان: والله لقد كَذَب يا رسول الله، وما منعه من أن يتكلم إلا الحسد.

فقال عَمرو: أنا أحسدك؟! فوالله إنّكَ لَئيمُ الخال، حديثُ المال، أحمقُ الولد، مُبغضٌ في العشيرة، واللّهِ ما كذبتُ في الأولى، ولقد صدقتُ في الثانية.

فقال رسول الله ﷺ: «إنّ من البيان لَسِحْرًا».

ذكر وفد فَزَارة
وٱستسقاء رسول الله ﷺ لهم

قال ٱبن سعد: لمّا رجع رسولُ الله ﷺ من تَبُوك، قدِم عليه وفدُ بني فَزَارة، بضعة عشر رجلًا؛ فيهم خارجةُ بن حِصْن، والحُرُ بن قيس بن حِصْن، وهو أصغرهم، على رِكابٍ عِجافٍ، فجاؤوا مُقِرّين بالإسلام. وسألهم رسول الله ﷺ عن بلادهم، فقالوا: يا رسول الله، أسْنَتتْ[1] بلادُنا، وهَلَكتْ مواشينا، وأجْدبَ جَنابُنا، وغَرِث[2] عِيالُنا، فادع لنا ربك. فصعد رسولُ الله ﷺ المِنبر ودعا، فقال: «اللّهمّ ٱسْقِ بلادَكَ وبهائمَكَ، وٱنشر رحمتَكَ، فأَحْيِ بلدَكَ الميت، اللهم ٱسقنا غيْثًا[3] مُغِيثًا، مَرِيئًا[4] مَرِيعًا[5]، مُطْبِقًا[6] واسعًا، عاجلًا غيرَ آجل، نافعًا غيرَ ضارّ. اللّهمَّ ٱسْقِنا سُقْيًا رَحمةٍ، لا سُقْيا عذابٍ ولا هَدْمٍ ولا غَرَقٍ ولا مَحْقٍ. اللّهمَّ ٱسْقِنا الغيثَ وٱنصرنا على الأعداء» فَمَطرت، فما رَأوا السماء سِتًّا، فصَعِد رسولُ الله ﷺ الْمِنبر، فدعا، فقال: «اللّهمَّ حَوَالَيْنا ولا عَلَيْنا، على الآكامِ والظِّرَابِ[7]، وبُطونِ الأودية، ومنَابتِ الشَّجَر». قال: فانجابت[8] السماءُ عن المدينة ٱنجياب الثوب.

وفي صحيح البخاريّ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أصابت الناسَ سَنَةٌ على عهد رسول الله ﷺ، فبينا رسولُ الله ﷺ يخطب على المِنبر يوم الجمعة، قام

---

(١) أسنتت: أجدبت.
(٢) غرثت العيال: جاعوا.
(٣) الغيث: المطر بقدر ما ينفع.
(٤) مريء: هنيء.
(٥) المريع: المخصب.
(٦) المطبق: العام.
(٧) الظراب: المرتفعات.
(٨) انجابت السماء: أي انكشفت.

أعرابي فقال: يا رسول الله، هَلَك المالُ، وجاع العيالُ، فاْدع الله لنا أنْ يَسْقينا، فرفع رسول الله ﷺ يديه، وما في السماء قَزَعةٌ[١] سحابٍ، قال: فثار سحابٌ أمثالُ الجبال، ثم لَمْ ينزل عن مِنبره حتى رأيتُ المطر يَتَحادر على لحيته، قال: فمُطِرنا يومَنا ذلك، ومن الغد، ومن بعد الغَد والذي يليه إلى الجمعة الأخرى. فقام ذلك الأعرابي ـ أو رجلٌ غيره ـ فقال: يا رسول الله، تَهدّمَ البناءُ، وغَرق المالُ، فاْدع الله لنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه، فقال: «اللّهمّ حَوالَيْنا ولا عَلَيْنا» قال: فما جعل يُشِير بيديه إلى ناحية من السماء إلاّ تَفرَّجت، حتى صارت المدينة في مثل الجَوْبة[٢]، حتى سال الوادي وادي[٣] قَناة شهرًا. قال: فلم يأت أحدٌ من جهة إلا حَدَّث بالجَوْد[٤].

ذكر وفد مُرَّة

قال: قدِم وفدُ بني مُرَّة على رسول الله ﷺ عند مَرْجِعه من تَبُوك في سنة تسع، وهم ثلاثة عشر رجلاً، رأسهم الحارث بن عوف؛ فقالوا: يا رسول الله، إنّا قومُك وعشيرتُك، ونحن قوم من لُؤيّ بن غالب. فتبسّم رسولُ الله ﷺ، ثم قال: «أين تركتَ أهلَك»؟ قال: بسَلاَح[٥] وما والاها. قال: «كيف تركتَ البلاد»؟ قال: واللّهِ إنّا لَمُسْنِتون[٦]، فاْدع الله لنا. فقال رسول الله ﷺ: «اللّهمّ اْسقِهم الغيثَ» وأمر بِلالاً أنْ يُجيزهم، فأجازهم بعشرة أواقٍ، عشرةِ أواقٍ فضّة، وفَضّل الحارثَ بن عوف، أعطاه ثنتي عشرة أوقيةً، فرجعوا إلى بلادهم فوجدوها قد مُطِرت في اليوم الذي دعا فيه رسول الله ﷺ.

ذكر وفد مُحَارب

قال: قَدِم وفد مُحَارب على رسول الله ﷺ في سنة عشر، في حجّة الوَداع، وهم عشرة نَفَر، منهم سَواء بن الحارث، واْبنه خُزَيمة بن سَواء، فأُنزلوا دارَ رَمْلةِ بنت الحارث، وكان بلال يأتيهم بغَداء وعَشَاء؛ فأسلموا وقالوا: نحن على مَن وراءنا، ولم يكن أحد في تلك المواسم أفظَّ ولا أغلظَ على رسول الله ﷺ من بني مُحَارب. قال: ومَسَح رسولُ الله ﷺ وجهَ خُزَيمة بن سَواء، فصارت له غُرّة بيضاء، وأجازهم كما يُجِيز الوفد، واْنصرفوا إلى أهليهم.

---

(١) القزعة: القطعة من الغيم. (٢) الجوبة: الحفرة المستديرة الواسعة.

(٣) وادي قناة: واد من أودية المدينة عليه حرث ومزارع.

(٤) الجود: المطر الكثير. (٥) سلاح: ماء لبني كلاب.

(٦) المسنتون: الذين أصابهم القحط والجدب.

ذكر وفد كِلاب

قال: قَدِم وفدُ كِلاب على رسول الله ﷺ في سنة تسع من الهجرة، وهم ثلاثة عشر رجلاً، فيهم لَبِيد بن ربيعة، وجَبَّار بن سَلْمى، فأنزلهم دارَ رَمْلة بنت الحارث، فقالوا: يا رسول الله، إنّ الضحاك بن سفيان سار فينا بكتاب الله، وبسنّتك التي أمرتَه، وإنّه دعانا إلى الله، فاستجبنا لله ولرسوله، وإنّه أخذ الصَّدَقة من أغنيائنا فردّها على فقرائنا.

ذكر وفد رُؤاس بن كلاب

رُوِي عن أبي نُفَيْع طارق بن عَلْقمة الرؤاسيّ أنه قال: قَدِم رجلٌ منّا يقال له عمرو بن مالك بن قيس الرُّؤاسيّ على النبي ﷺ فأسلم، ثم أتى قومه فدعاهم إلى الإسلام، فقالوا: حتى نُصِيب من بني عُقَيل بن كعب مثل ما أصابوا منّا، فخرجوا يريدونهم، وخرج معهم عمرو بن مالك فأصابوا فيهم، ثم خرجوا يسوقون النَّعَم[١]، فأدركهم فارسٌ من بني عُقَيل، يقال له ربيعة بن الْمُنْتَفِق بن عامر بن عُقَيل، وهو يقول:

أقْسَمْتُ لا أطْعَنُ إلاّ فارسَا إذا الكُمَاةُ لَبِسُوا القَوَانِسَا[٢]

قال أبو نُفَيع: فقلتُ نجوتُم يا معشر الرَّجَّالة سائرَ اليوم، فأدرك العُقَيْليُّ رجلاً من بني عبيد بن رُؤَاس: يقال له المُحَرِّش بن عبد الله بن عمرو بن عبيد بن رُؤَاس، فطعنه في عَضُده فأخبلها[٣]، فاعتنق المُحَرِّش فرسه، وقال: يا آل رؤاس! فقال ربيعة: رُؤاسٌ خيلٌ أو أُنَاس؟! فعَطَف على ربيعة عَمرو بن مالك فطعنه فقتله. قال: ثم خرجنا نسوق النَّعَم، وأقبل بنو عُقَيل في طلبنا حتى انتهينا إلى تُرَبَة[٤]، فقطع ما بيننا وبينهم وادي تُرَبَة، فجعل بنو عُقَيل ينظرون إلينا فلا يصلون إلى شيء فمضينا. قال عمرو بن مالك: فأسقط في يدي، وقلت: قَتلتُ رجلاً، وقد أسلمتُ وبايعتُ النبي ﷺ! فشددتُ يدي في غُلٍّ[٥] إلى عنقي، ثم خرجت أريد النبي ﷺ، وقد بلغه ذلك، فقال: «لئن أتاني لأضربنّ ما فوق الغُلّ من يده» قال: فأطلقت يدي، ثم أتيته

(١) النعم: الإبل.
(٢) القوانس: بيضات الحديد تلبس في الحرب.
(٣) الخبل: فساد الأعضاء.
(٤) تربة: واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها.
(٥) الغلّ: القيد.

فسلّمتُ عليه فأعرض عنّي فأتيته عن يمينه فأعرض عنّي، فأتيته عن يساره فأعرض عنّي، فأتيته من قبل وجهه، فقلت: يا رسول الله، إن الربّ ليُترضّى فيَرْضَى، فأرْضَ عنّي رضي الله عنك. قال: «قد رَضِيتُ عنك».

ذِكر وفدِ عُقيلِ بنِ كعبٍ

قال محمد بن السّائب: حدّثنا رجل من بني عُقَيل بن كعب، عن أشياخ قومه، قالوا: وَفَد منّا من بني عُقَيل بن كعب على رسول الله ﷺ ربيعُ بن معاوية بن خَفَاجة بن عمرو بن عُقَيل، ومُطَرِّف بن عبد الله، وأنس بن قيس بن المُنْتَفِق، فبايعوا وأسلموا، وبايعوه على مَن وراءهم من قومهم، فأعطاهم رسول الله ﷺ العَقِيق عَقِيق بني عُقَيل، وهي أرض فيها عيون ونخل وكتب لهم بذلك كتابًا في أديم[1] أحمر: «بسم الله الرحمٰن الرحيم. هذا ما أعطى محمد رسول الله رَبيعًا ومُطَرِّفًا وأَنَسًا؛ أعطاهم العَقِيق ما أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وسمعوا وأطاعوا». ولم يعطهم حقًّا لمسلم، وكان الكتاب في يد مُطَرِّف. ووفد عليه أيضًا لَقِيط بن عامر بن المُنْتَفِق بن عامر بن عُقَيل، فأعطاه ماء يقال له النَّظيم وبايعه على قومه.

قال: وقدِم عليه أبو حرب بن خُوَيلد بن عامر بن عُقَيل، فقرأ رسولُ الله ﷺ عليه القرآن، وعَرَض عليه الإسلام، فقال: أمَا وَايمُ اللّهِ لقد لَقِيتَ اللّهَ أو لقيتَ من لَقِيه، فإنّك لتَقولُ قولاً لا نُحْسن مثلَه، ولكن سوف أضرب بقِداحي هذه على ما تدعونني إليه، وعلى دِيني الذي أنا عليه، وضَرَب بالقِداح، فخرج على سهم الكفر، ثم أعاد فخرج عليه ثلاث مَرّات. فقال لرسول الله ﷺ: أبَى هذا إلاّ ما تَرَى، ثم رجع إلى أخيه عِقَال بن خُوَيلد، فقال له: قَلَّ خَيْسُكَ. أي قَلَّ خَيرُك. فقال: هل لك في محمد بن عبد الله؟ يدعو إلى دين الإسلام، ويقرأ القرآن، وقد أعطاني العَقِيق إن أنا أسلمتُ، فقال له عِقَال: أنا والله أَخُطُّك أكثرَ مما يَخُطُّك محمد، ثم ركب فرسه وجَرَّ رُمْحَه على أسفل العَقِيق، فأخذ أسفله وما فيه من عَيْن، ثم إنّ عِقَالاً قَدِم على رسول الله ﷺ، فعرض عليه الإسلام، وجعل يقول له: «أتشهد أن محمدًا رسول الله»؟ فيقول: أشهد أن هُبَيرة بن النُّفَاضة نِعم الفارسُ يوم قَرْني لَبَان[2]. ثم قال: «أتشهد أن محمدًا رسول الله»؟ قال: «أشهد أنّ الصَّرِيح[3] تَحتَ الرُّغوة»[4]، ثم قال له الثالثة: «أتشهد»؟ قال: فشهد وأسلم.

---

(١) الأديم: الجلد.

(٢) لبان: بلدة بأرض مهرة بأقصى اليمن.

(٣) الصريح من اللبن: المحض الخالص.

(٤) الرغوة: الزبد. والمراد أن الأمر مغطى عليك وسيبدو لك.

قال: ثم قَدِم على رسول الله ﷺ الحُصَين بن المُعَلَّى بن ربيعة بن عُقَيل، وذو الْجَوْشَن الضِّبَابيّ فأسلما.

ذكر وفدِ جَعْدة

قال محمد بن سعد: وَفَد على رسول الله ﷺ الرُّقَاد بن عمرو بن ربيعة بن جَعْدة بن كعب، فأعطاه ﷺ بالفَلَج[1] ضَيْعة، وكتب له كتابًا وهو عندهم.

ذكر وفدِ قُشَير بن كعبٍ

قال: وَفَد على رسول الله ﷺ نَفَرٌ من بني قُشَيْر، قبل حجة الوَداع وبعد حُنَين، فيهم ثَوْر بن عَزْرة بن عبد الله بن سَلَمة بن قُشَيْر فأسلم، فأقطعه رسولُ الله ﷺ قطيعة[2]، وكتب له بها كتابًا. وفيهم حَيْدة بن معاوية بن قُشَير، وفيهم قُرَّة بن هُبَيرة بن سَلَمة الخيرِ بن قُشَير فأسلم، فأعطاه رسول الله ﷺ، وكساه بُرْدًا، وأمره أن يَتصدّق على قومه؛ أي يَلِي الصدقة.

ذكر وفدِ بني البَكّاء

قال: وَفَد ثلاثة نَفَر من بني البَكّاء على رسول الله ﷺ في سنة تسع، فيهم معاوية بن ثَوْر بن عُبَادة بن البَكّاء، وهو يومئذ ابن مائة سنة، ومعه ٱبن له يقال له بِشْر، والفُجَيْع بن عبد الله، ومعهم عبد عمرو البَكّائي وهو الأصمّ، فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمٰن، وكتب له بمائه الذي أسلم عليه «ذِي القَصَّة»[3]. وكان عبد الرحمٰن من أصحاب الصُّفَّة[4]، فأنزلهم رسول الله ﷺ بمنزلٍ وضيافة، وأجازهم ورجعوا إلى قومهم.

وقال معاوية للنبي ﷺ: إني أتبرك بِمسِّك وقد كبرتُ، وٱبني هذا بَرٌّ بي فٱمسح وجهه، فمسح رسولُ الله ﷺ وجهَ بِشر بن معاوية، وأعطاه أَعْنُزًا عُفْرًا[5]، وبَرَّك

(١) الفلج: مدينة بأرض اليمامة.
(٢) القطيعة: الجزء من الأرض يملكه الحاكم لمن يريد من أتباعه منحة. جمع قطائع.
(٣) القصّة: الماء.
(٤) الصفّة: الظلة؛ وأصحاب الصفة: الفقراء منهم الذين كانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة.
(٥) العفراء: الخالصة البياض.

عليهنّ، وكانت السَّنة[١] تُصِيب بني البَكَّاء ولا تُصِيبهم، وفي ذلك يقول محمد بن بِشْر بن معاوية: [من الكامل]

وأبِي الذي مَسَحَ الرسولُ برأسه ... ودعا له بالخير والبركات
أعطاه أحمدُ إذ أتاه أعنُزًا ... عُفرًا نواجل لَسْنَ باللّجباتِ[٢]
يَملأنَ رِفْدَ الحيّ كلَّ عَشِيَّةٍ ... ويعودُ ذاكَ المَلْءُ بالغَدواتِ[٣]
بُوركْنَ مِنْ مَنْحٍ وبُورِكَ مانحًا ... وعليه مِنّي ما حَيِيتُ صَلاتِي

ذكر وفد كنانة وبني عبد بن عديّ

قالوا: وَفَد واثِلَةُ بن الأسْقَع الليثيّ على رسول الله ﷺ بالمدينة، ورسول الله ﷺ يتجهز إلى تَبُوك، فصلّى معه الصّبح، فقال: «مَن أنت؟ وما جاء بك؟ وما حاجتك»؟ فأخبره عن نَسَبه، وقال: أتيتك لأؤمن بالله ورسوله؛ فقال رسول الله: «فبايعْ على ما أحْببتَ وكرِهتَ». فبايعه ورجع إلى أهله فأخبرهم؛ فقال أبوه: واللّهِ لا أكلّمك كلمةً أبدًا، وسمعت أخته كلامَه فأسلمت وجَهَّزته، فخرج راجعًا إلى رسول الله ﷺ، فوجده قد سار إلى تَبُوك. فقال: مَنْ يَحملُني عُقْبةً[٤] وله سَهْمي؟ فحمله كَعْب بن عُجْرة حتى لحق برسول الله ﷺ، وشهد معه تَبُوك. وبعثه رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِر، فجاء بسهمه إلى كَعْب بن عُجْرة، فأبى أن يقبله وسَوَّغه إياه، وقال: إنما حملتك لله تعالى.

قال: وقَدِم على رسول الله ﷺ وَفْد بني عبد بن عَدِي، وفيهم الحارث بن أُهْبان، وعُوَيْمر بن الأخْرَم، وحبيب وربيعة آبنا مَلَّة، ومعهم رَهْط من قومهم؛ فقالوا: يا محمد، نحن أهل الحَرَم وساكنوه، وأعزّ من به، ونحن لا نريد قتالك، ولو قاتلتَ غير قريش قاتلنا معك، ولكنا لا نقاتل قريشًا. وإنا لنحبك ومَن أنت منه، فإن أصبت منّا أحدًا خطأ فعليك ديته، وإن أصبنا أحدًا من أصحابك فعلينا ديته. فقال: «نعم» فأسلموا.

---

(١) السنة: الجدب والقحط.
(٢) نواجل: كريمة النسب. واللجبات: واحدتها لجبة، وهي النعجة أو العنز التي قلّ لبنها.
(٣) الرفد: القدح الضخم.
(٤) العقبة: النوبة، وتعاقب المسافران على الدابة، إذا ركب كل منهما عقبة.

ذكر وفد باهِلة

قال: وقَدِم على رسول الله ﷺ مُطَرِّف بن الكاهِن الباهليّ بعد الفتح وافدًا لقومه، فأسلم وأخذ لقومه أمانًا، وكتب له رسول الله ﷺ كتابًا فيه فرائض الصّدقات.

ثم قدم نَهْشَل بن مالك الوائليّ من باهِلة على رسول الله ﷺ وافِدًا لقومه، فأسلم وكتب له رسول الله ﷺ، ولمن أسلم من قومه كتابًا فيه شرائع الإسلام. كتبه عثمان بن عفّان.

ذكر وفد هلال بن عامر

قالوا: قَدِم على رسول الله ﷺ نَفَرٌ من بني هلال، فيهم عبد عوف بن أصْرَم بن عمرو بن شُعَيْثة فأسلم؛ فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الله. وفيهم قُبَيصة بن المُخارق، فقال: يا رسول الله، إنّي حملت عن قومي حَمَالة[1] فأعِنّي فيها؛ قال: «هي لك في الصَّدَقات إذا جاءت».

قالوا: ووَفَد زياد بن عبد الله بن مالك، فلما دخل المدينة، توجه إلى منزل ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ، وكانت خالة زياد ـ أمّه عَزَّة بنت الحارث، وهو يومئذ شاب ـ فدخل النبيّ ﷺ وهو عندها، فلما رآه غضب ورجع، فقالت: يا رسول الله، هذا ٱبن أختي، فدخل إليها ثم خرج حتى أتى المسجد ومعه زياد، فصلّى الظهر، ثم أدنى زيادًا فدعا له، ووضع يده على رأسه، ثم حَدَرها[2] على طَرَف أنفه. فكانت بنو هلال تقول: ما زلنا نَتَعرَّف البركة في وجه زياد. قال الشاعر لعليّ بن زياد: [من الكامل]

يـاٱبـن الـذي مَـسَـح الـنـبـيُّ بـرأسِـهِ ... ودعـا لـه بـالـخـيـر عـنـدَ الـمـسـجـدِ
أَغْـنـي زيـادًا لا أريـدُ سـواءَهُ ... مـن غـائـرٍ أو مُـتْـهِـمٍ أو مُـنْـجِـدِ[3]
مـا زال ذاك الـنـورُ فـي عِـرْنِـيـنـهِ ... حـتـى تَـبـوَّأَ بـيـتَـهُ فـي الـمَـلْـحَـدِ[4]

---

(١) الحمالة: الكفالة.
(٢) حدرها: أنزلها.
(٣) يقال: غار الرجل: إذا سار في بلاد الغور، وأتهم: إذا أتى أرض تهامة، وأنجد: إذا أتى أرض نجد.
(٤) العرنين: أول كل شيء. أو ما صلب من عظم الأنف حيث يكون الشمم.

ذكر وفد عامر بن صَعْصَعة
وخبر عامر بن الطفيل وأَرْبَد بن قيس

قال محمد بن سعد: قدِم عامر بن الطُّفَيل بن مالك بن جعفر بن كلاب، وأرْبَد بن ربيعة بن مالك بن جعفر. قال ٱبن إسحاق: وأربَد بن قيس بن جَزْء بن خالد بن جعفر، وجَبَّار بن سَلْمَى بن مالك بن جعفر على رسول الله ﷺ. قال ٱبن سعد: فقال عامر بن الطُّفَيل: يا محمد، ما لي إنْ أسلمتُ؟ قال: «لك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم». قال: أتجعل لي الأمر من بعدك؟ قال: «ليس ذلك لك ولا لقومك» قال: أفتجعل لي الوَبَر[1] ولك المَدَر[2]؟ قال: «لا، ولكنّي أجعل لك أعِنّة الخيل، فإنك ٱمرؤ فارس» قال: أوَليست لي؟! لأملأنها عليك خَيْلاً ورَجْلاً. ثم وَلَّيا؛ فقال رسول الله ﷺ: «اللهمّ ٱكفنيهما، اللهمّ وٱهدِ بني عامر وأغنِ الإسلام عن عامر» ـ يعني ٱبن الطُّفَيل ـ.

وقال ٱبن إسحاق: قَدِم عامر بن الطُّفَيْل على رسول الله ﷺ، وهو يريد الغدر به، وقد قال له قومه: يا عامر، إن الناس قد أسلموا فأسلم، فقال: والله لقد كنت آلَيْتُ ألاّ أنتهيَ حتّى تتبعَ العربُ عَقِبي، وأنا أتبَع عَقِب هذا الفتى من قريش! ثم قال لأرْبَد بن قيس: إذا قدِمنا على الرجل فإني سأشغَل عنك وجهَه، فإذا فعلتُ ذلك فأعْلُه بالسيف. فلما قَدِموا على رسول الله ﷺ قال عامر بن الطُّفَيل. يا محمد، خالِّني[3]. قال: «لا والله حتى تؤمن بالله وحدَه»، فجعل يكرر هذا القول ورسول الله ﷺ يعيد عليه مقالته، وهو في ذلك ينتظر من أرْبَد ما أمره به، فلم يصنع أرْبَد شيئًا، وكان آخر ما قال لرسول الله ﷺ: أما والله لأملأنَّها عليك خَيْلاً ورَجْلاً، فلما وَلَّى قال رسول الله ﷺ: «اللهم ٱكفِني عامر بن الطُّفَيل» فلما خرجوا من عنده قال عامر لأرْبد: ويلك! أين ما كنت أمرتك به؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك، وايمُ اللّهِ لا أخافك بعد اليوم أبدًا. قال له أرْبَد: لا أبَا لكَ! لا تَعْجَل عليّ، والله ما هَمَمْتُ بالذي أمرتني به من أمره إلا دخلتَ بيني وبين الرجل، حتى لا أرى غيركَ! أفأضربك بالسيف! قال: وخرجوا راجعين إلى بلادهم، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، بعث الله على عامر بن الطُّفَيل الطاعون في

---

(١) الوبر: عنى بها أهل البوادي. (٢) المدر: المراد بها أهل المدن والقرى.

(٣) خاله: أي اتخذه خليلاً وصاحبًا.

عنقه، فمال إلى بيت امرأة من بني سَلُول، فجعل يقول: يا بني عامر، غُدَّة[١] كغُدَّة البِكْر[٢]، وموتٌ في بيت سَلُولِيّة! قال: ومات فواراه أصحابه، وخرجوا حتى قدِموا أرض بني عامر، فأتاهم قومُهم فقالوا: ما وراءك يا أَرْبَد؟ فقال: لا شيء، والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لودِدْتُ أنه عندي الآن فأرميه بالنَّبل حتى أقتله، فخرج بعد مقالته بيوْم أو يومين معه جمل له يبيعه، فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما.

وقال أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبيّ في هذه القصة، بسند يرفعه إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: أقبل عامر بن الطُّفَيل وأرْبَد بن ربيعة يريدان رسول الله ﷺ، وهو بالمسجد جالس في نفر من أصحابه، فدخلا المسجد فاستشرف[٣] الناسُ لجمال عامر، وكان أعور، وكان من أجمل الناس، فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله، هذا عامر بن الطُّفَيل قد أقبل نحوك، فقال: «دعه فإنْ يُردِ اللّهُ به خيرًا يَهْدِه» فأقبل حتى قام عليه. فقال: يا محمد، ما لي إن أسلمت؟ فقال: لك ما للمسلمين، وعليك ما على المسلمين». قال: تجعل لي الأمرَ بعدك؟ قال: «ليس ذلك إليّ، إنما ذلك إلى الله عزّ وجل، يجعله حيث يشاء». قال تجعلني على الوَبَر وأنت على المَدَر؟ قال: «لا» قال: فماذا تجعل لي؟ قال: «أجعل لك أعِنّة الخيل تغزو عليها» قال: أوليس ذلك لي اليوم؟! قُمْ معي أكلّمْك. فقام معه رسول الله ﷺ، وكان أوصى إلى أرْبَد بن ربيعة إذا رأيتَني أُكلِّمه فَدُرْ مِن خَلْفه فاضربه بالسيف؛ فجعل يخاصم رسول الله ﷺ ويراجعه، فدار أرْبَد خَلْف النبيّ ﷺ، فاخترط[٤] من سيفه شِبرًا، ثم حبسه الله عزّ وجلّ عنه فلم يقدِر على سَلّه، وجعل عامر يومىء إليه، فالتفت رسول الله ﷺ، فرأى أرْبَد وما يصنع بسيفه، فقال: «اللهم اكْفِنيهما بما شئت» فأرسل الله عزّ وجلّ على أرْبَد صاعقة في يوم صائف فأحرقته، ووَلَّى عامرٌ هاربًا، وقال: يا محمد، دعوتَ ربَّك فقتل أرْبَد، والله لأملأنّها عليك خيلًا جُرْدًا[٥]، وفتيانًا مُرْدًا[٦]؛ فقال رسول الله ﷺ: «يمنعك الله ذلك وأبناء قَيْلة» يعني الأوس والخزرج. فنزل عامر بيت امرأة سَلُولِيّة وأنشأ يقول: [من الطويل]

تَخَيَّرْ أبَيْتَ اللَّعْنَ إنْ شِئْتَ وُدَّنا　　وإنْ شِئْتَ حربًا ذاتَ بأسٍ ومَصْدَقِ

---

(١) الغدة: الطاعن من الإبل.　(٢) البكر: الفتى من الإبل.
(٣) يقال: استشرف الشيء: إذا رفع بصره إليه.
(٤) اخترط السيف: استله من غمده.
(٥) الجرد: واحدها الأجرد، وهو من الخيل القصير الشعر.
(٦) المرد: جمع أمرد، وهو الشاب الذي لم تبد لحيته.

وإنْ شِئتَ فِتيانًا بكفِّيَ أمرُهُمْ ... يَكبُّون كَبْشَ العارضِ المتألِّقِ[١]

فلما أصبح ضَمَّ عليه سلاحَه، قود تغيّر لونه، وهو يقول: [من الطويل]

لَعَمْري وما عَمْري عليّ بهيِّنٍ ... لقد شانَ حُرَّ الوجهِ طَعْنَةُ مُسْهرِ[٢]

وقد عَلِم المَزْنُوقُ أنّي أكُرُّهُ ... على جَمْعِهِمْ كَرَّ الْمَنِيحِ المُشهَّرِ[٣]

إذا ٱزْوَرَّ مِن وقعِ السِّنانِ زجرتُهُ ... وأخبرتُه أنّي ٱمرؤ غيرُ مُقْصِرِ[٤]

وأخبرتُه أنّ الفِرار خزايةٌ ... على المرء ما لم يُبْدِ عُذْرًا فيُعذرِ[٥]

لقد عَلِمت عُلْيا هَوازنَ أنّني ... أنا الفارس الحامِي حَقِيقةَ جعفرِ

فجعل يَركُض في الصحراء ويقول: ٱبرز يا ملك الموتِ! ثم أنشأ يقول: [من الطويل]

ألاَ قَرِّبَ ٱلمَزْنوقَ إذ جَدَّ ما أرَى ... لِتعريضِ يوم شرُّه غيرُ حامدِ

ألاَ قرِّباه إنّ غايةَ جَرْينا ... إذا قَرُبَ المَزْنوقُ بين الصَّفائدِ[٦]

بنو عامرٍ قومي إذا ما دعوتُهم ... أجابوا ولَبّي منهمُ كلُّ ماجِدِ[٧]

ويقول: واللّاتِ لئن أصْحَر[٨] إليّ وصاحبه - يعني مَلَك الموت - لأنفذتُهما برُمْحي.

قال: فلما رأى اللّهُ عزّ وجلّ ذلك منه، أرسل مَلَكًا فلَطَمه بجناحه، فأرْداه في التراب، وخرجت على ركبته غُدَّة عظيمة في الوقت، فعاد إلى بيت السَّلُوليّة وهو يقول: غُدَّة كغُدَّة البعير، وموتٌ في بيت سَلُولية. ثم دعا بفرسه فركبه. ثم أجْراه حتى مات على ظهره.

قال: فرثى لبيدُ بن ربيعة أخاه أرْبَدَ بجملة من المراثي؛ فمنها هذه الأبيات: [من الكامل]

قَضِّ اللُّبانةَ لا أبَا لكَ وٱذْهَب ... وٱلْحَقْ بِأسْرَتكَ الكرامِ الغُيَّبِ[٩]

---

(١) يقال: كبّ فلانًا: أي صرعه.

(٢) مسهر: هو ابن يزيد الحارثي الذي غدر بعامر بن الطفيل وطعنه بالرمح.

(٣) المزنوق: اسم فرس. والمنيح: يراد به القدح الذي يكثر به القداح..

(٤) ازورّ: عدل ومال إلى ناحية أخرى. (٥) خزاية: أي استحياء.

(٦) الصفائد: واحدها الصفاد، وهو الوثاق. (٧) الماجد: الشريف الخيّر.

(٨) أصحر: خرج إلى الصحراء.

(٩) اللبانة: بقية الحالة. الغيب: أي الغائبون عنه.

ذَهب الذين يُعاشُ في أكْنافِهمْ ... وبَقِيتُ في خَلَفٍ كَجِلْد الأجربِ[١]
يَتَلَذَّذُون مَلاذَةً ومَجانَةً ... ويُعابُ قائلُهمْ وإنْ لم يَشْعَبِ[٢]
فَتَعَدَّ عن هذا وقُلْ في غَيْرِهِ ... واذْكُرْ شَمائِلَ مِنْ أخٍ لك مُعْجِبِ[٣]
إنّ الرَّزِيَّةَ لا رَزِيَّةَ مِثْلُها ... فِقْدانُ كُلِّ أخٍ كضَوْءِ الكَوْكَبِ[٤]
مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آباؤُهُمْ ... والعِزُّ لا يأتِي بِغَيْرِ تَطَلُّبِ
يا أرْبدَ الخَيْرِ الكريمَ جُدُودُهُ ... أفردْتَنِي أمْشِي بِقَرْنٍ أعْضَبِ[٥]

وقال أيضًا فيه: [من المنسرح]

ما إنْ تُعَدِّي المَنُونُ مِنْ أحَدِ ... لا وَالِدٍ مُشْفِقٍ ولا وَلَدِ[٦]
أخْشَى على أرْبَد الحُتُوفَ ولا ... أرْهَبُ نَوْءَ السِّماكِ وَالأسَدِ[٧]
يا عينِ هَلاَّ بَكَيْتِ أرْبَدَ إذْ ... قُمْنا وقام الخُصُومُ في كَبِدِ[٨]
فَجَّعَنِي الرَّعْدُ والصَّواعِقُ بالْفا ... رِسِ يَوْمَ الكَرِيهةِ النَّجُدِ[٩]

قال: وأنزل الله عزّ وجلّ في هذه القِصّة: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [الرعد: ١٠، ١١] يعني رسول الله ﷺ ﴿يَحْفَظُونَهُۥ﴾ يعني تلك المعقبات ﴿مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾. ثم قال تعالى مشيرًا لهذين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١] أي ملجأ يلجؤون إليه. وقد قيل: ﴿وَالٍ﴾ يلي أمرهم، ويمنع العذاب عنهم. ثم قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد: ١٢] قال: ﴿خَوْفًا﴾ للمسافر يخاف أذاه ومشقته ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم يرجو بركته ومنفعته ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد: ١٣] قال الحسن: شديد الحقد.

---

(١) في أكنافهم: أي في رعايتهم. والخلف: البدل.
(٢) يراد بقوله: وإن لم يشعب: أي لم يفسد. والشعب: التفريق والصدع.
(٣) الشمائل: الطبائع. والمعجب: الذي يعجب من رآه وعاشره.
(٤) الرزية: المصيبة.
(٥) الأعضب: المكسور أحد قرنيه.
(٦) تعدّى: تترك.
(٧) النوء: المطر. والسماك: منزلة من منازل النجوم.
(٨) الكبد: المشقة.
(٩) فجّعه: أصابه فجيعة، وهي المصيبة. ويوم الكريهة: أي يوم الشدة.

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: شديد الأخْذِ. وقد روى الثعلبيّ أيضًا، عن إسحاق الحَنْظَليّ، عن رَيْحان بن سعيد الشامِي، عن عبَّاد بن منصور، قال: سألت الحسن عن قوله عزّ وجل: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ الآية.

قال: كان رجلٌ من طَواغِيت العرب، فبعث إليه النبيُّ ﷺ نَفرًا ليدعُوه إلى الله عزّ وجل ورسوله أن يؤمن، فقال لهم: أخبروني عن ربّ محمدٍ هذا الذي تدعوني إليه ما هو؟ ومِمَّ هو؟ مَن ذهب أم فِضّة أم حديد أم نُحاس؟ فاستعظم القومُ مقالَته، وانصرفوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا رجلًا أكفرَ قلبًا، ولا أعْتَى[1] على الله منه! فقال رسول الله ﷺ: «ارجعوا إليه» فرجعوا إليه فجعل لا يزيدهم على مِثل مقالتِه الأولى وأخبث، فقال رسول الله ﷺ: «ارجعوا إليه» فرجعوا، فبينا هم عنده ينازِعونه ويدعونه ويُعظمون عليه، وهو يقول هذه المقالة؛ إذ ارتفعت سحابةٌ فكانت فوق رؤوسهم، فرَعَدَت وبَرَقَت فرمت بصاعِقة فاحترق الكافرُ وهم جلوس، فجاؤوا يَسعَوْن ليخبروا النبيّ ﷺ فاستقبلهم قومٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا لهم: احترق صاحبكم. قالوا لهم: من أين علمتم؟ قالوا: أُوحِي إلى النبيّ ﷺ الساعةَ: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ١٣] الآية. والله أعلم في أيهما نزلت.

ولنرجع إلى تتمةِ خبرِ وفدِ عامر بن صَعْصَعَةَ.

قال محمد بن سعد في طبقاته: وكان في الوفد عبد الله بن الشِّخير، فقال: يا رسول الله، أنت سيدنا، وذو الطَّوْل علينا. قال: «السيِّد اللّهُ، لا يَستهوينّكم الشيطان».

قالوا: وقدِم على رسول الله ﷺ عَلْقَمَةُ بن عُلاثَةَ بن عَوْف، وهَوْذَة بن خالد بن ربيعة وابنه، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالسًا إلى جنبِ رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «أوسِع لعَلْقَمة» فأوْسَع له، فجلس إلى جنبِه، فقصّ عليه رسولُ الله ﷺ شرائعَ الإسلام، وقرأ عليه قرآنًا، فقال: يا محمد، إن ربّك لكريم، وقد آمنتُ بك، وبايعتُ على عِكْرِمَة بن خَصَفَة أخي قَيْس، وأسلم هَوْذَة وابنه وابن أخيه.

وروى ابن سعد عن عون بن أبي جُحَيْفَة السُّوَائيّ عن أبيه قال: قدِم وفد بني عامر وكنت معهم إلى النبي ﷺ، فوجدناه بالأبْطَح في قُبَّة حمراء، فسلّمنا عليه، فقال: «من أنتم»؟ قلنا: بنو عامر بن صَعْصَعة. قال: «مرحبًا بكم أنتم منّي وأنا منكم».

---

(١) العتوّ: الاستكبار وتجاوز الحد.

ذكر وفد ثَقِيفٍ وإسلامها وهدم اللّات

كان قدوم وفد ثِقِيفٍ على رسول الله ﷺ، وإسلامها في شهر رمضان سنة سبع من مُهَاجِره[١].

قال أبو عبد الله محمد بن إسحاق، وأبو محمد عبد الملك بن هشام، وأبو عبد الله محمد بن سعد رحمهم الله، دخل حديث بعضهم في حديث بعض: لمّا حاصر رسولُ الله ﷺ الطائفَ لم يَحضُر عُرْوَة بن مسعود، ولا غَيْلان بن سلَمة الحصَار، بل كانا بجُرَش[٢] يتعلّمان صنعة العَرَّاداتِ[٣] والمِنْجَنِيق والدَّبّابات[٤]، فقَدِما وقد أنصرف رسول الله ﷺ عن الطّائف، فنصبا المِنْجَنيق والعَرّادات والدبّابات وأعتدّا للقتال، ثم ألقى الله في قلب عُرْوة الإسلام، فخرج إلى رسول الله ﷺ يتبع أثره، حتى أدركه قبل أن يصل المدينة فأسلم، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فقال له رسول الله ﷺ: «إنهم قاتِلوك» فقال عُرْوة: يا رسول الله، أنا أحبُّ إليهم من أبكارهم. قال: فكرر عليّ رسول الله ﷺ ذلك ثلاثًا، فقال: «إن شئتَ فأخرج» فخرج، وكان فيهم كذلك محبّبًا مُطَاعًا، فسار إلى الطائف، فسار خَمْسًا فقدِم عِشاءً، فدخل منزله، فجاء قومُه يُحيّونه بتحيَّة الشِّرْك، فقال: عليكم بتحية أهل الجنة «السّلام» ودعاهم إلى الإسلام فخرجوا من عنده يأتَمِرون به، فلمّا طلع الفجر أوْفى على غُرْفة له فأذّن بالصلاة، فخرجت ثَقيفٌ من كل ناحية، فرماه رجل يقال له أوْسُ بن عَوْف أخو بني سالم بن مالك ـ وقيل: بل هو وَهْبُ بن جابر رجلٌ من الأحْلاف ـ بسهم فأصاب أكْحَلَه[٥] فلم يرقأ[٦] دمُه، فقام أشراف قومه؛ وهم: غَيْلان بن سَلَمَة، وكِنانَة بن عَبْد يَالِيل، والحَكَم بن عمرو بن وهب، ووجوه الأحْلاف، فلبِسوا السِّلاح وحَشَدوا، فلما رأى عُرْوة ذلك قال: قد تصدّقتُ بذمي على صاحبه؛ لأصلحَ بذلك بينكم، وهي كَرامَة أكرمني الله بها، وشَهادةٌ ساقها اللّهُ إليّ. وقال: أدفنوني مع الشهداء الذين قُتِلوا مع رسول الله ﷺ، ومات فدفنوه معهم، وبلغ رسول الله ﷺ خبرُه فقال فيه: «إنّ مَثَله في قومه لكَمثل صاحب «يس» دعا قومه إلى الله فقتلوه».

---

(١) المهاجرة: أي موضع هجرته والمراد هجرته إلى المدينة.

(٢) جرش: مخلاف باليمن منه الأديم والإبل.

(٣) العرادات: واحدتها عرادة، وهي شبه المنجنيق صغيرة.

(٤) الدبابات: مفردها الدبابة، وهي آلة تتخذ للحروب فتدفع في أصل الحصن فينقبونه وهم في جوفها..

(٥) الأكحل: عرق في وسط الذراع يكثر فصده.

(٦) يقال: رقأ الدمع والدم ونحوهما: أي سكن وجفّ وانقطع بعد جريانه.

قالوا: ولحق أبو الْمُلَيْح بن عُروة، وقارِبُ بن الأَسْوَد بن مسعود برسول الله ﷺ فأسلما، فقال لهم رسول الله ﷺ: «تَوَلَّيا من شئتما» فقالا: نَتَوَلَّى اللّهَ ورسولَه؛ فقال رسول الله ﷺ: «وخالكما أبا سُفْيان بن حَرْب» فقالا: وخالنا أبا سُفيان.

قال ٱبن إسحاق: ثم أقامت ثَقِيف بعدما قُتِل عُرْوة أشهرًا، ثم ائتمروا بينهم، ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب، وقد بايعوا وأسلموا. وكان مالك بن عَوْف قد أسلم كما قدّمنا في غزوة حُنَين، وجعل يُغِير على سَرْحِهم[١]. قال: وكان عمرو بن أمية أخا بني عِلاَج مُهاجِرًا[٢] لعبد يَالِيلَ بن عمرو، وكان من أدْهَى العرب، فمشى إلى عبد يَالِيل بن عمرو حتى دخل داره، ثم أرسل إليه أن اخرج إليّ، فٱستعظم عبدُ يَالِيل مشيَه إليه، وقال للرسول الذي جاءه: ويلك! أعمرو أرسلك إليّ؟ قال: نعم، وها هوذا واقفًا في دارك، فقال: إن هذا لشيء ما كنت أظنه، لَعَمْرو كان أمنَعَ في نفسه من ذلك، وخرج إليه، فلمّا رآه رَحَّب به، فقال عَمرو له: إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هِجرة، إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيتَ، وقد أسلمت العربُ كلها، وليست لكم بحربهم طاقة، فٱنظروا في أمركم. فعند ذلك ائتمرت ثَقِيف بينها، وقال بعضهم لبعض: ألا ترون أنه لا يأمن لكم سَرْبٌ[٣]، ولا يخرج منكم أحد إلا ٱقتطع. فأجمعوا رأيهم أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً منهم، كما أرسلوا عُرْوة بن مسعود، فعرضوا ذلك على عبد يالِيل بن عمرو بن عُمَير، فأبى أن يفعل، وخشي أن يُصنَع به إذا رجع كما صُنِع بعُرْوة، فقال: لست فاعلاً حتى يرسلوا معي رجالاً، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحْلاف، وثلاثة من بني مالك، فبعثوا معه الحكم بن عمرو بن وَهْب بن مُعَتِّب، وشَرَحْبِيل بن غَيْلان بن سَلَمَة بن مُعَتِّب، ومن بني مالك عثمان بن أبي العاص بن بِشْر أخا بني يَسَار، وأوْس بن عَوْف أخا بني سالم، ونُمَيْر بن خَرَشَة بن ربيعة أخا بني الحارث، فخرج بهم عبد يالِيل وهو نابُ[٤] القوم وصاحب أمرهم.

وقال ٱبن سعد: كانوا بضعة عشر رجلاً، وهو أثبت.

قال ٱبن إسحاق: فلما دَنَوْا من المدينة ونزلوا قَنَاةَ[٥]، ألْفَوْا بها المغيرة بن شُعْبَة يرعى في نَوْبَته رِكاب أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت رِعْيَتُها نُوَبًا على أصحابه، فلما رآهم ترك الرِّكاب عند الثَّقَفيين، وخرج يَشْتَدّ[٦] ليبشِّر رسول الله ﷺ بقدومهم عليه،

---

(١) السرح: السائمة ترعى بنفسها.
(٢) المهاجر: المقاطع.
(٣) السرب: الماشية كلها.
(٤) ناب القوم: سيدهم.
(٥) قناة: واد بالمدينة عليه حرث ومال.
(٦) يشتد: يعدو.

فلقيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه قبل أن يدخل على رسول الله ﷺ، فأخبره عن رَكْب ثَقِيف أن قد قَدِموا يريدون البَيْعة والإسلام، فقال أبو بكر للمغيرة: أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله ﷺ، حتى أكون أنا أُحدِّثه؛ ففعل المغيرة. فدخل أبو بكر على رسول الله ﷺ، فأخبره بقدومهم عليه، ثم خرج المغيرة إليهم فعلَّمهم كيف يُحيُّون رسولَ الله ﷺ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية.

قال: ولما قَدموا على رسول الله ﷺ، ضَرَب عليهم قُبَّة في ناحية مسجده ـ كما يزعمون ـ، وكان خالد بن سعيد بن العاص يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ، حتى كتبوا كتابهم، وكتبه خالد بيده، وهو:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم مِن محمد النبيّ رسول الله، إلى المؤمنين: إنّ عِضاه[1] وجٍّ[2] وصَيْدَه حرام لا يُعْضَد[3]، مَن وُجِد يفعل شيئًا من ذلك فإنه يُجلَد وتُنزَع ثيابُه، فإن تعدّى ذلك فإنه يُؤْخَذ فيُبلغُ به النبيَّ ـ محمدًا ﷺ ـ وأن هذا أمرُ النبيِّ محمدٍ رسول الله. وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله فلا يَتعدَّه أحدٌ فيظلم نفسه فيما أمرَ به محمدٌ رسولُ الله ﷺ».

قال ٱبن إسحاق: وكانوا لا يَطْعَمون طعامًا يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حتى يأكل منه خالد، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم.

قال: وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يَدَع لهم الطّاغِيَةَ وهي اللاّتُ؛ لا يَهْدِمها ثلاثَ سنين، فأبى رسولُ الله ﷺ ذلك عليهم، فما بَرحوا يسألونه حتى سألوه شهرًا واحدًا بعد مَقْدَمهم، فأبى عليهم أن يدعها شيئًا مُسَمًّى. وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يَسْلَموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم، ويَكْرهون أن يُرَوِّعوا قومَهم بهدمها حتى يدخلَهم الإسلامُ. فأبى رسولُ الله ﷺ إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شُعْبَة فهدماها. وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يُعفِيهم من الصلاة، وألاّ يَكْسِروا أوثانهم بأيديهم؛ فقال رسول الله ﷺ: «أمّا كَسْر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه، وأما الصّلاة فإنه لا خير في دِين لا صلاة فيه» فقالوا: يا محمد، فسنؤتيكها وإن كانت دناءة. فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم، أمّر عليهم عثمانَ بن أبي العاصِ، وكان من أحدثهم سِنًّا، وكان أحرصَهم على التَّفَقُّه في الإسلام وتعلّم القرآن، فقال أبو بكر الصدّيق ذلك لرسول الله ﷺ.

---

(١) العضاه: جمع عضه، وهي الشجرة العظيمة.
(٢) وجّ: موضع بناحية الطائف.
(٣) عضد الشجرة: قطعها.

روي عن عثمان بن أبي العاص قال: كان من آخر ما عَهِد إليّ رسول الله ﷺ حين بعثني على ثَقِيفٍ أن قال: «يا عثمان؛ تجاوز[1] في الصلاة واْقْدُر الناسَ بأضعفهم فإن فيهم الكبير والصّغير والضّعيف وذا الحاجة».

قال ابن إسحاق: ولما توجهوا إلى بلادهم بعث رسول الله ﷺ معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شُعْبة في هَدْم الطاغية، فخرجا مع القوم، حتى إذا قَدِموا الطائف أراد المغيرةُ أن يُقدِّم أبا سفيان فأبى ذلك عليه، وقال: ادخل أنت على قومك. وأقام أبو سفيان بمالِه بذي الهَدِم[2]، فلما دخل المغيرة بن شُعْبة عَلاَها يضربها بالمِعْوَل، وقام قومه بنو مُعَتِّب دونه خشية أن يُرْمَى أو يُصَاب كما أصيب عُرْوة بن مسعود، وخرج نِساء ثَقِيف حُسَّرًا[3] يبكين ويَقُلْن:

لَتُبْكَيَنَّ دُفَّاغ أَسْلَمَها الرُّضَّاغ[4]

* لَمْ يُحْسِنُوا المِصَاغ[5] *

قال: ويقول أبو سفيان بن حرب، والمغيرة يَضرِبها بالفأس: واهًا لكِ! أهْلاً لكِ! فلما هدمها المغيرةُ بن شُعْبة وأخذَ مالَها وحُلِيَّها، أرسل إلى أبي سفيان، وحُلِيُّها مجموعٌ، وما لها من الذّهب والجَزْع[6].

وقد كان أبو مُلَيْح بن عُرْوة سأل رسول الله ﷺ أن يقضي عن أبيه عُرْوة بن مسعود دَيْنًا كان عليه من مال الطاغية، فقال رسول الله ﷺ: «نَعَم» فقال له قارِب بن الأسوَد: وعن الأسود: يا رسول الله فاْقضِه، ـ وعُرْوة والأسْود أخوان لأبٍ وأمٍّ ـ فقال رسول الله ﷺ: «الأسود مات مشركًا»، فقال قارِب: يا رسولَ الله، لكن يَصِلُ مُسْلِمًا ذا قرابة ـ يعني نفسَه ـ إنّما الدَّين عليّ وأنا الذي أُطْلَب به. فأمر رسولُ الله ﷺ أبا سفيان أن يقضي دين عروة والأسود من مال الطّاغية؛ فلمّا جمع المغيرةُ مالَها قال لأبي سفيان: إنّ رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقضي عن عُرْوة والأسود دَينَهما. فقضى عنهما.

---

(١) تجاوز في الصلاة: تساهل بعد الإطالة فيها.

(٢) الهدم: ماء وراء وادي القرى.

(٣) الحسّر: مكشوفات الرؤوس.

(٤) الدفاع: اللات، لأنها في اعتقادهم تدفع عنهم الضير. والرضاع: اللئام، أو الذين رضعوا اللؤم من أثداء أمهاتهم.

(٥) المصاع: الضرب بالسيف.

(٦) الجزع: الخرز اليماني وهو الذي فيه بياض وسواد تشبه به الأعين.

قال المغيرة: فدخلت ثَقِيف في الإسلام، فلا أعلم قومًا من العرب بني أبٍ ولا قبيلة كانوا أصحَّ إسلامًا، ولا أبعدَ أن يوجد فيهم غِشٌّ لله ولكتابه منهم.

ذكر وفد عبد القيس

قال محمد بن سعد: كتب رسول الله ﷺ إلى أهل البحرين أن يَقدَم عليه منهم عشرون رجلًا، فقَدِموا؛ رأسهم عبد الله بن عَوْف الأشَجّ، وفيهم الجارود بن عمرو بن حَنَش، ومُنْقِذ بن حَبَّان وهو ابن أخت الأشجّ، وكان قدومهم عامَ الفَتْح، فقيل: يا رسول الله، هؤلاء وفد عبد القيس، فقال: «مَرْحبًا بهم نِعْم القومُ عبد القيس». قال: ونظر رسول الله ﷺ إلى الأفُق صبيحةَ ليلة قَدِموا، فقال: «ليأتينّ ركبٌ من المشرق لم يُكْرَهوا على الإسلام، قد أنْضوا الرِّكاب، وأفْنَوا الزاد، بصاحبهم علامة، اللّهمّ اْغفر لعبد القيس، أتَوْني لا يسألون مالاً، هم خيرُ أهل المشرق».

قال: فجاؤوا في ثيابهم، ورسول الله ﷺ في المسجد، فسلّموا عليه، فقال: «أيكم عبد الله الأشجّ»؟ فقال: أنا يا رسول الله. وكان رجلًا دَمِيمًا، فنظر إليه رسولُ الله ﷺ، فقال: «إنه لا يُسْتَقى في مُسُوك[1] الرجال، إنما يُحتَاج من الرَّجُل إلى أصغَرَيْه لسانِه وقلبِه». فقال رسول الله ﷺ: «فيك خَصْلَتان يُحبّهما الله تعالى» فقال عبد الله: وما هما؟ قال: «الحِلْم والأناة»[2]. قال: أشيء حَدَث أم جُبِلْتُ عليه؟ قال: «بل جُبِلتَ عليه» قال: وكان الجارود نصرانيًا، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام ورَغَّبه فيه.

قال اْبن إسحاق: فقال يا محمد، إنِّي قد كنت على دِين، وإني تاركٌ دِيني لدِينك: أفتضْمَن لي دِيني؟ فقال رسول الله ﷺ: «نَعَم، أنا ضامنٌ لك أن قد هداك الله إلى ما هو خيرٌ منه» فأسلم وأسلم أصحابه.

قال اْبن سعد: وأنزل رسول الله ﷺ وفد عبد القيس في دار رَمْلَة بنت الحارث، وأجرى عليهم ضيافة، وأقاموا عشرة أيام، وكان عبد الله الأشجّ يسائل رسول الله ﷺ عن الفقه والقرآن، وأمر لهم رسول الله ﷺ بجوائز، وفَضَّل عليهم عبد الله الأشجّ؛ فأعطاه اثنتي عشرة أوقية ونَشًا، ومَسَح ﷺ وجهَ مُنْقِذ بن حَبَّان.

---

(١) المسوك: الجلود.

(٢) الأناة: الوقار والتثبت في الأمور.

ذكر وفد بَكْر بن وائل

قال ابن سعد: قَدِم وفد بَكْر بن وائل على رسول الله ﷺ، وكان في الوفد بشير بن الخُصَاصِيّة، وعبد الله بن مَرْثَد، وحَسّان بن خَوْط؛ ولذلك يقول رجلٌ من ولد حسّان:

أنا ابنُ حسّانَ بن خَوْطٍ وأبي ... رسولُ بَكْرٍ كلِّها إلى النَّبي

قالوا: وقَدِم معهم عبد الله بن أسْوَد بن شِهاب بن عَوْف بن عمرو بن الحارث بن سَدُوس، وكان ينزل اليَمَامَة، فباع ما كان له من مال باليمامة، وهاجر وقَدِم على رسول الله ﷺ بجِراب من تَمْر، فدعا له رسول الله ﷺ بالبركة. وحيث ذكرنا وفد بكر بن وائل فلنذكر خبر الأعشى.

ذكر خبر أعْشَى بني قيس وامتداحه رسول الله ﷺ ورجوعه قبل لقائه

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: حدّثني خَلاد بن قُرّة بن خالد السَّدُوسيّ، وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم، أنّ أعشى بني قيس بن ثَعْلَبَة بن عُكَابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل، خرج إلى رسول الله ﷺ يريد الإسلام، فقال يمدح رسول الله ﷺ: [من الطويل]

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عيناكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا ... وبِتَّ كما باتَ السَّلِيمُ مُسَهَّدَا[1]

وما ذاكَ مِن عِشْقِ النِّساءِ وإنَّما ... تَناسَيْتُ قبلَ اليوم صُحْبَةَ مَهْدَدَا[2]

ولكِنْ أرَى الدَّهْرَ الّذي هو خائنٌ ... إذا أصْلَحَتْ كَفّايَ عاد فأفسَدَا

كُهُولاً وشُبّانًا فَقَدتُ وَثَرْوَةً ... فلِلّهِ هذا الدّهْرُ كيف تَرَدّدَا[3]

وما زِلْتُ أبْغِي المالَ مُذْ أنا يافِعٌ ... وَلِيدًا وكَهْلاً حِينَ شِبْتُ وأمْرَدَا[4]

وأبْتَذِلُ العِيسَ المَرَاقِيلَ تَغْتَلِي ... مسافَةَ ما بَيْنَ النُّجَيْرِ فَصَرْخَدَا[5]

---

(١) السليم: اللديغ. والمسهد: القليل النوم أرقًا.

(٢) مَهْدَدَ: اسم امرأة. (٣) تردد: رجع مرة بعد أخرى.

(٤) اليافع: الغلام الذي قارب الحلم. والوليد: الصبيّ. والأمرد: الذي لا شعر على وجهه.

(٥) العيس: الإبل. والمراقيل: المسرعة. والنجير: حصن قرب حضرموت. وصرخد: موضع بالشام.

ألاَ أيُّهَـذَا الـسَّـائِـلـي أيْـنَ يَـمَّـمَـتْ ... فـإنَّ لـهـا فِـي أهْـلِ يَـثْـرِبَ مَـوْعِـدَا[١]

فـإنْ تَـسْـألِـي عَـنِّـي فـيـا رُبَّ سـائِـلٍ ... حَفِيٍّ عنِ الأعْشَى بِهِ حَيْثُ أصْعَدَا[٢]

أجَـدَّتْ بِـرِجْـلَـيْـهـا الـنَّـجاءَ وراجَـعَـتْ ... يـداهـا خِـنَـافًـا لَـيِّـنًـا غَـيْـرَ أحْـرَدَا[٣]

وفِـيـهـا إذا مـا هَـجَّـرَتْ عَـجْـرَفِـيَّـةٌ ... إذا خِـلْـتَ حِـرْبَـاءَ الـظَّـهِـيـرَةِ أصْـيَـدَا[٤]

وأمّـا إذا مـا أدْلَـجَـتْ فـتَـرَى لـهـا ... رَقـيـبَـيْـنِ جَـدْيًـا مـا يَـغِـيـبُ وفَـرْقَـدَا[٥]

فـآلَـيْـتُ لا آوِي لـهـا مِـن كَـلالَـةٍ ... ولا مِنْ حَفًى حتّى تُلاقِي مُحَمَّدَا[٦]

مَتَى ما تُناخِي عِنْدَ بابِ ابْنِ هاشِمٍ ... تُـراحِـي وتَـلْـقَـى مِـنْ فَـواضِـلِـهِ نَـدَا[٧]

نَـبِـيٌّ يَـرَى مـا لا تَـرَوْنَ وذِكْـرُه ... أغـارَ لـعَـمْـري فـي الـبِـلادِ وأنْـجَـدَا[٨]

لـه صَـدَقـاتٌ مـا تُـغِـبُّ ونـائِـلٌ ... ولَـيْـسَ عَـطـاءُ الـيَـوْمِ مـانِـعَـهُ غَـدَا[٩]

أجِـدَّكَ لـم تَـسْـمَـعْ وَصـاةَ مـحـمـدٍ ... نبيُّ الإلهِ حَيْثُ أوْصَى وأشْهَدَا[١٠]

إذا أنـتَ لـم تَـرْحَـلْ بِـزادٍ مِـن الـتُّـقَـى ... ولاقَيْتَ بَعْدَ المَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا[١١]

نَـدِمْـتَ عـلـى ألاَّ تَـكـونَ كَـمِـثْـلِـهِ ... فَتُرْصِدَ لِلأمرِ الذِي كان أرْصَدَا[١٢]

فَـإيّـاكَ والـمَـيْـتَـاتِ لا تَـقْـرَبَـنَّـهَـا ... ولا تَأْخُذَنْ سَهْمًا حَدِيدًا لِتَفْصِدَا[١٣]

ولا الـنُّـصُـبَ الـمَـنْـصـوبَ لا تَـنْـسُـكَـنَّـهُ ... ولا تَـعْـبُـدِ الأوْثـانَ والـلّـهَ فـاعْـبُـدَا[١٤]

---

(١) يمم: قصد. ويثرب: المدينة المنورة.
(٢) الحفيّ: الذي يكثر السؤال في إلحاح.
(٣) أجدّت: سلكت. والنجاء: السرعة في السير. والخناف: لين في أرساغ البعير. والأمرد: الذي يخبط بيديه إذا سار.
(٤) العجرفية: التي لا تبالي في سيرها لنشاطها. والأصيد: الذي به الصيد، وهو داء يأخذ الإبل في رؤوسها فلا تزال رافعة رأسها منه.
(٥) أدلجت: سارت في الليل. والجدي والفرقد: نجمان.
(٦) آليت: أقسمت. والحفى: انسحاج القدم من كثرة المشي.
(٧) أناخ الجمل: برك. الفواضل: الأيادي الجسيمة أو الجميلة. والندى: الجود.
(٨) أغار: من الغور، وهو المنخفض من الأرض. وأنجد: من النجد، وهو ما ارتفع من الأرض.
(٩) تغب: تأتي مرة وتتخلف مرة. والنائل: العطاء الذي ينالك.
(١٠) الوصاة: الوصاية.
(١١) الزاد: المدخر الزائد على ما يحتاج إليه. والتزود: أخذ الزاد.
(١٢) أرصد: أعد للأمر عدته. والرصد: الاستعداد للترقب.
(١٣) الفصد: قطع عرق يشخب الدم.
(١٤) النصب: الأصنام. والنسك: الذبح للأصنام.

ولا تَـقْـرَبَـنَّ جـارَةً إنّ سِـرَّهـا عليكَ حَرامٌ فانْكِحَنْ أو تَأَبَّدَا[١]
وذا الرَّحِمِ القُرْبَى فلا تَقْطَعَنَّهُ لِعاقِبَةٍ وَلاَ الأسِيرَ المُقَيَّدَا
وسَبِّحْ على حِينِ العَشِيَّاتِ والضُّحَى ولا تَحْمَدِ الشَّيْطانَ واللَّهَ فاحْمَدَا
ولا تَسْخَرَنْ من بائِسٍ ذِي ضَرارةٍ ولا تَحْسَبَنَّ المالَ لِلْمَرْءِ مُخْلِدَا[٢]

فلما كان بمكة أو قريبًا منها، أعترضه بعض المشركين من قريش، فسأله عن أمره، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله ﷺ ليُسْلِم، فقال له: يا أبا بصير إنه يحرِّم الزِّنَى. فقال الأعشى له: والله إن ذلك لأمْرٌ ما لي فيه من أرَبٍ[٣]. فقال: يا أبا بصير فإنه يحرّم الخمر. فقال: أمّا هذه فوالله إنّ في النفس منها لَعُلاَلاَتٍ[٤]، ولكنّي منصرف فأترَوَّى منها عامِي هذا ثم آتيه فأسْلِم. فٱنصرف فمات من عامه ذلك، ولم يعد إلى رسول الله ﷺ.

ذكر وفد تَغْلِب

قال: وقَدِم على رسول الله ﷺ وفد بني تَغْلِب، وهم ستة عشر رجلاً مسلمين، ونصارى عليهم صُلُب الذَّهَب، فنزلوا دار رَمْلَة بنت الحارث، فصالح ﷺ النّصارى على أن يُقِرَّهم على ذِمَّتِهم، على ألاّ يَصْبُغوا أولادهم في النّصرانية، وأجاز المسلمين منهم بجوائزهم.

ذكر وفد حنيفة[٥]

قالوا: قَدِم وفد بني حنيفة على رسول الله ﷺ وهم بضعة عشر رجلاً، فيهم رَجّال بن عُنْفُوَةَ، وسَلْمَى بن حَنْظَلة، وطَلْق بن عليّ بن قيس، وحُمْران بن جابر، وعليّ بن سِنان، والأقْعَس بن مَسْلَمة، وزيد بن عمرو، ومُسَيْلِمَة بن حبيب، وهو الكَذّاب. وعلى الوفد سَلْمَى بن حَنْظلة، فأنزلوا دار رَمْلَة بنت الحارث، وأجْرِيت عليهم ضيافة. فأتَوْا رسول الله ﷺ في المسجد، فسلّموا عليه وشهدوا شهادة الحقّ،

---

(١) سرّها: وطأها. وتأيد: تعفف عن النساء.
(٢) الضرارة: الضرر، وهو سوء الحال في البدن أو النفس أو المال. والخلد: البقاء والدوام.
(٣) الأرب: الحاجة، أو الحاجة الشديدة.
(٤) العلالات: واحدتها: العلالة، وهي البقية.
(٥) بنو حنيفة: هي من بكر بن وائل، من العدنانية، كانت منازلهم اليمامة... منهم: مسيلمة الكذاب الذي خرج باليمامة زمن النبيّ ﷺ وادعى النبوة... (أنساب العرب للقلقشندي).

وخَلَّفوا مُسَيْلِمَة في رِحالهم. وأقاموا أيامًا يختلفون إلى رسول الله ﷺ. وكان رَجّال بن عُنْفُوَة يتعلّم القرآن من أبيّ بن كعب، فلما أرادوا الرجوع إلى بلادهم، أمر لهم رسول الله ﷺ بجوائزهم: خمسِ أواقٍ لكل رجل، فقالوا: يا رسول الله، خَلَّفنا صاحبًا لنا في رِحالنا يبصرها لنا، وفي رِكابنا يحفظها علينا، فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر لأصحابه. وقال: «ليس بشَرِّكم مكانًا لحفظه ركابكم ورحالكم»[١] فقيل ذلك لمُسَيْلمة فقال: عَرَف أنّ الأمر إليّ من بعده.

وأعطاهم رسول الله ﷺ إداوَةً[٢] من ماء فيها فَضْلُ طَهُوره، فقال: «إذا قَدِمتم بلدكم فاْكسروا بَيْعتكم[٣]، واْنضَحوا مكانها بهذا الماء، واْتخذوا مكانها مسجدًا» ففعلوا، وصارت الإدَاوَةُ عند الأقْعَس بن مَسْلَمَة، وصار المؤذِّن طَلْق بن عليّ، فأذّن فسمعه راهب البَيْعة، فقال: كلمةُ حقٍّ. وهرب فكان آخر العهد به.

ثم اْدّعى مُسَيْلِمَةُ الكذّابُ بعد ذلك النبوّةَ، وشهد له الرَّجّال أنّ رسول الله ﷺ أشركه في الأمر، فاْفْتَتَن الناسُ به، وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى في خلافة أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه.

ذكر وفد شَيْبان

قال: وقَدِم من بني شَيْبان حُرَيْث بن حسّان الشَّيْبانيّ، فبايع رسولَ الله ﷺ على الإسلام وعلى قومه، وصَحِبَه في مَسِيره إلى رسول الله ﷺ قَيْلةُ بنت مَخْرَمَة التَّمِيميَّة، وهي التي أرْعِدَت من الفَرَقِ[٤] لمّا أتت رسولَ الله ﷺ، فقال لها: «يا مِسكينة عليك السَّكِينة» فهدأت.

رُوِي عن قَيْلَة بنت مَخْرَمة أنها قالت: إنّ حُرَيْث بن حسّان قال: يا رسول الله، اكتب بيننا وبين بني تميم بالدَّهْناء[٥] لا يجاوزها إلينا منهم إلاّ مسافر أو مجاور. فقال رسول الله ﷺ: «يا غلام اْكتب له بالدَّهْناء»، قالت قَيْلةُ: فلما رأيته أمر له بأن يكتب له بها، قلت: يا رسول الله، إنه لم يسألك السويّة من الأرض إذ سألك، إنما هذه الدَّهْناء عندك؛ مُقَيَّد[٦] الجمَل، ومَرْعَى الغَنَم، ونساء تميم وأبناؤها وراء ذلك. فقال رسول الله: «أمْسِكْ يا غلام، صَدَقت المِسكينةُ، المسلمُ أخو المسلم يَسعُهما الماءُ

---

(١) الرحال: جمع الرحل، وهو ما يوضع على ظهر البعير للركوب. أو كل شيء يعدّ للرحيل من وعاء للمتاع وغيره.
(٢) الإداوة: إناء صغير يحمل فيه الماء.
(٣) البيعة: مكان العبادة عند النصارى، أو عند المشركين.
(٤) الفرق: الخوف. (٥) الدهناء: ديار بني تميم.
(٦) مقيد الجمل: أي أنها مخصبة ممرعة، والجمل يقيد فيها ويخلى لا يتعدى مرتعه.

والشجرُ، ويتعاونان على الفَتّان»[١]. فلما رأى حُرَيْث أن قد حِيل دون كتابه، ضرب بإحدى يديه على الأخرى، وقال: كنتُ أنا وأنتِ كما قيل: «حَتْفَها تَحمِلُ ضَأْنٌ بأظْلافها»[٢] فقلت: أمَا واللّهِ أن كنتَ لدليلاً في الظَّلْماء، جَوَادًا بذي الرَّحْل، عفيفًا عن الرَّفِيقَة، حتى قَدمتُ على رسول الله ﷺ، ولكن لا تلمني على حَظِّي إذ سألتَ حظَّكَ. فقال: وما حَظُّكِ في الدَّهْناء لا أبَا لكِ؟! قلت: مُقَيَّد جَمَلي تسأله لجمل آمرأتك! قال: لا جَرَم، إنِّي أُشهِد رسولَ الله ﷺ أنِّي لك أخٌ ما حييتُ إذ أثبت هذا عليّ عنده. فقلتُ؛ أمَا إذ بدأتَها فلن أضيعها. وحديثُ قَيْلَة فيه طُولٌ ليس هذا موضعه.

ذكر وفادات أهل اليمن

ذكر وفد طيِّيء وخبر زيد الْخَيْل وعَديّ بن حاتم

قالوا: وَفَد على رسول الله ﷺ وفد طيِّيء خمسة عشر رجلاً، رأسهم، وسيِّدهم زَيْد الخَيْل بن مُهَلْهل، من بني نَبْهان، وفيهم وَزَر بن جابر بن سَدُوس النَّبْهانيّ، وهو قاتل عَنْتَرَة، وقَبِيصَة بن الأسْوَد بن عامر من جَرْم طَيِّيء، ومالك بن عبد الله بن خَيْبَرَى من بني مَعْنٍ، وقُعَيْن بن خَلَف من جَدِيلة، ورجل من بني بَوْلان، فدخلوا المدينة ورسول الله ﷺ في المسجد، فعَقَلوا رواحلَهم بفِناء المسجد، ثم دخلوا فدَنَوا من رسول الله ﷺ، فعرض عليهم الإسلام، فأسلموا وأجازهم بخمس أواق فضة لكل رجل منهم، وأعطى زيد الخيل آثنتي عشرة أوقيةً ونَشًّا[٣]. وقال ﷺ: «ما ذُكِر لي رجلٌ من العرب إلا رأيتُه دون ما ذُكِر لي إلاّ ما كان من زيد الخيل، فإنه لم يَبْلغ كلّ ما كان فيه».

وسَمّاه رسولُ الله ﷺ «زيد الخير» وقَطَع له فَيْدَ[٤] وأرَضِين معه، وكتب له بذلك كتابًا، فخرج مع قومه راجعًا، فقال رسول الله ﷺ: «إنْ يُنْجَ زيدٌ من حُمَّى المدينة فإنَّهُ»، فلما آنتهى زيد من بلد نَجْد إلى ماء من مياهه يقال له قَرَدَة[٥] أصابته الحُمَّى فمات، فعمدت آمرأته إلى ما كان النبيّ ﷺ كتب له فحرقته بالنار.

هذا ما كان من خبر زيد الخيل.

---

(١) الفتان: الشيطان، لأنه يفتن الناس عن الدين.

(٢) هذا المثل يضرب لمن يوقع نفسه في هلكة.

(٣) النشّ: النصف.

(٤) فَيْد: منزل في نجد بطريق مكة من العراق.

(٥) قردة: بالفتح ثم السكون، ودال مهملة، تأنيث الفرد، وهو ما كان وحده. ورواه نصر بالقاف وفتح الراء، والله أعلم: وهو اسم جبل بالبادية سمي بذلك لانفراده عن الجبال. والقردة: ماء بالثلبوت لبني نعامة. . . (معجم البلدان لياقوت).

وأمّا عَدِيّ بن حاتم فكان من خبره أنّ رسول الله ﷺ بعث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الْفِلْس - صَنَمُ طيِّىء - ليهدمه ويَشُنّ الغارات، فخرج فأغار على حاضِر آل حاتم، وأصابوا ابنة حاتم، كما قدّمنا ذكر ذلك في الغزوات والسَّرايا[١]، فقُدِم بها على رسول الله ﷺ في سبَايا طيّىء. وقيل: إنما سَبَاها من خيل رسول الله ﷺ خيلٌ كان عليها خالد بن الوليد، وهرب عَدِيّ بن حاتم حتى لحق بالشام.

حكى محمد بن إسحاق رحمه الله قال: كان عَدِيّ بن حاتم يقول - فيما بلغني -: ما من رجل من العرب كان أشدّ كراهيةً لرسول الله ﷺ حين سمع به منّي، أمّا أنا فكنت آمرأ شريفًا، وكنت نصرانيًا، وكنت أسِيرُ في قومي بالْمِرْباع، أي آخذ منهم رُبْع مَغانمهم التي يغنمونها، وكنت في نفسي على دِين، وكنت مَلكًا في قومي لما كان يُصْنَع بي، فلما سمعتُ برسول الله ﷺ كرهتُه، فقلت لغلام كان لي عربيّ، وكان راعيًا لإبلي: لا أبَا لكَ! اعدد لي من إبلي جمالاً ذُلُلاً سِمَانًا فاْحتبسها قريبًا منّي، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذِنّي. ففَعَل، ثم إنه أتاني ذات غَدَاة فقال: يا عَدِيّ، ما كنت صانعًا إذا غشيتك خيلُ محمد فاْصنعه الآن، فإني رأيتُ راياتٍ فسألتُ عنها فقالوا: هذه جيوش محمد. فقلتُ: فقرِّبْ إليّ أجْمالي. فقَرَّبها فاحتملت بأهلي وولدي، ثم قلت: ألْحَقُ بأهل ديني من النّصارى بالشام، فسلكت الجُوشِيّة - ويقال الحُوشِيّة[٢] - وخلّفتُ بِنْتًا لحاتم في الحاضِر، فلمّا قدمتُ الشام أقمت بها، وتُخالِفني خيل لرسول الله ﷺ، فتصيب ابنة حاتم فيمن أصابت، فقُدِمَ بها على رسول الله ﷺ في سبايا طيّىء، وقد بلغ رسول الله ﷺ هَرَبي إلى الشام، قال: فجُعِلت اْبنة حاتم في حظيرة[٣] بباب المسجد كانت السَّبايا تُحبَس فيها، فمرّ بها رسول الله ﷺ، فقامت إليه، وكانت آمرأة جَزْلَة[٤]، فقالت: يا رسول الله، هَلَك الوالدُ، وغاب الوافدُ، فاْمنُنْ عليّ، مَنَّ الله عليك. قال: «ومَنْ وافدُك»؟ قالت: عَدِيّ بن حاتم. قال: «الفارّ من الله ورسوله»؟! قالت: ثم مضى وتركني، حتى إذا كان من الغد مَرّ بي فقلت له مثل ذلك، فقال مثل ما قال بالأمس، قالت: حتى إذا

(١) السرايا: واحدها السريّة، وهي قطعة من الجيش، ما بين خمسة أنفس إلى ثلاثمائة.

(٢) الحوشيّة: قرية من قرى حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق بين جبل لبنان وجبل سنير، فيها عيون تسقي أكثر ضياعها سيحًا، وهي كورة من كور حمص... وقال الحازمي: جوشيّة... وهي موضع بين نجد والشام، عليها سلك عديّ بن حاتم حين قصد الشام هاربًا من خيل رسول الله ﷺ... (معجم البلدان).

(٣) الحظيرة: ما أحيط بالشيء سواء أكان من خشب أو قصب.

(٤) الجزلة: التامة الخلق.

كان بعد الغَدِ مَرّ بي وقد يَئِسْتُ، فأشار إليّ رجلٌ من خلفه أنْ قُومِي فكلِّميه، قالت: فقمتُ إليه، فقلت: يا رسول الله، هَلَك الوالدُ، وغاب الوافدُ، فَامْنُنْ عليّ، منّ الله عليك. فقال: «قد فعلتُ فلا تَعْجَلي بخروجٍ حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذِنيني» فسألتُ عن الرجل الذي أشار إليّ أن كلِّميه، فقيل عليّ بن أبي طالب، قالت: فأقمت حتى قَدِم ركب من بَليٍّ أو قُضَاعة، قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام، فجئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، قد قدم رهْطٌ من قومي، لي فيهم ثقة وبَلاغ، قالت: فكَساني رسول الله ﷺ وحَملني وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام، قال عَدِيّ: فوالله إنّي لقاعد في أهلي إذ نظرت إلى ظَعِينَة[1] تَصُوب[2] إليّ تَؤمّنا، قال: قلت أبنة حاتم، فإذا هي هي، فلما وقفت عليّ أنْسَلَخَت تقول: القاطع الظّالم، احتملت بأهلك وولدك، وتركت بقيّة والديك عورتك! قال: قلت: أي أُخَيَّةُ! لا تقولي إلاّ خيرًا، فوالله ما لي من عذر، لقد صنعت ما ذكرتِ. قالت: ثم نزلت فأقامت عندي، فقلت لها وكانت امرأة حازمة: ماذا تَرَيْن في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن نلحق به سريعًا، فإن يكن الرّجلُ نبيًا فللسّابق إليه فضله، وإن يكن ملِكًا فلن تذِل في عِز اليمن، وأنت أنت. قال: قلت والله إن هذا الرَّأي. فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلت عليه وهو في مسجده، فسلمت عليه فقال: «مَنِ الرّجل»؟ فقلت: عدِي بن حاتم. فقام رسول الله ﷺ فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامِدٌ بي إليه إذ لقيته أمرأةٌ ضعيفة كبِيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها، فقلت في نفسي: والله ما هذا بملِك. قال: ثم مضى حتى إذا دخل بي بَيْته تناول وِسادة من أدم محشوّة لِيفًا فقذفها إليّ فقال: «اجلس على هذه» قلت: بل أنت فاجلس عليها، قال: «بل أنت» فجلست عليها، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض، فقلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملِك. ثم قال: «إيهِ يا عديّ بن حاتم ألم تك رَكُوسِيًا؟»[3] قلت: بَلَى، قال: «أو لم تك تسير في قومك بالمِرباع»؟ قلت: بلى؛ قال: «فإنّ ذلك لم يك يَحِلّ لك في دينك». قال: قلت أجَلْ واللّهِ، وعَرَفتُ أنه نبيّ مرسل يعلم ما يُجْهَل، ثم قال: «لعلّك يا عَدِيّ إنما يمنعك من دخولٍ في هذا الدِّين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشِكَنّ المالُ يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخولِ

---

(١) الظعينة: الراحلة يرتحل عليها، أو الهودج، أو الزوجة.

(٢) تصوب: تقصد.

(٣) الركوسية: دين بين النصارى والصابئين.

فيه ما ترى من كثرة عدوّهم، وقلّة عددهم، فوالله ليوشكن أن يسمع بالمرأة تخرج من القادِسِية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من دخولٍ فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وَايْمُ الله ليوشِكنّ أن يُسمع بالقصور البيض من أرض بابِل[1] قد فتِحت عليهم». قال عديّ: فأسلمت. فكان عدِيّ يقول: قد مضت ٱثنتان وبقيت الثالثة، واللّهِ لتكوننّ؛ قد رأيت القصور البيض من أرض بابِلَ قد فُتِحت عليهم، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، وأَيْمُ الله لتكونَنَّ الثالثة؛ ليفِيضَنّ المالُ حتى لا يوجد من يأخذه.

ذكر وفدِ تُجيب

قال ٱبن سعد: قدِم وفد تُجيب[2] على رسول الله ﷺ في سنة تسع من مُهاجَره، وهم ثلاثة عشر رجلاً، وساقوا صَدقاتِ أموالهم التي فرض الله عليهم، فسُرَّ رسول الله ﷺ بهم، وقال: «مَرْحبًا بكم» وأكرم منزلهم وحَيَّاهم، وأمر بِلالاً أن يُحسِن ضيافتهم وجوائزهم، وأعطاهم أكثر مما كان يُجِيز به الوفد، وقال: «هل بقي منكم أحد» قالوا: غلام خلفناه على رِحالنا وهو أحدثنا سِنًّا. قال: «أرسِلوه إلينا»، فأقبل الغلام إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني ٱمرؤ من بني أبناء الرَّهْط الذين أتوك آنِفًا، فقضيت حوائجهم فٱقضِ حاجتي، قال: «وما حاجتك»؟ قال: تسأل الله أن يغفِر لي ويرحمني ويجعل غِناي في قلبي. فقال: «اللهم ٱغفر له وارحمه وٱجعل غِناه في قلبه». ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه، فانطلقوا راجعين إلى أهليهم، ثم وافَوْا رسول الله ﷺ في الموسِم بِمنًى[3] في سنة عشرٍ، فسألهم رسول الله ﷺ عن الغلام، فقالوا: ما رأينا مثلَه أقنع مِنه بما رزقه الله.

---

(١) بابل: اسم ناحية منها الكوفة والحلة، ينسب إليها السحر والخمر. ويقال: إن أول من سكنها نوح عليه السلام، وهو أول من عمرها، وكان قد نزلها بعقب الطوفان، فسار هو ومن خرج معه من السفينة إليها لطلب الدفء، فأقاموا بها وتناسلوا فيها وكثروا من بعد نوح... (معجم البلدان لياقوت).

(٢) بنو تجيب: بضم التاء وكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحت ثم ياء موحدة: بطن من كندة، وأمهم هي تجيب بنت ثوبان بن سليم بن رهاء بن مذحج؛ ومن تجيب: بحرية بن حيوة، الذي قتل عثمان بن عفان، رضي الله عنه... (أنساب العرب للقلقشندي).

(٣) منى: قرية بين مكة وعرفات فيها رمي الجمرات والذبح في مناسك الحج والمبيت ليلة عرفة وهي ليلة الوقوف.

ذِكر وفدِ خَوْلان

قال: قَدِم وَفْدُ خَوْلان على رسول الله ﷺ، في شعبان سنة عشر، وهم عشرة نفر، فقالوا: يا رسول الله، نحن مؤمنون بالله مصدّقون برسوله، ونحن على من وراءنا مِن قومنا، وقد ضربنا إليك آباط[(١)] الإبل. فقال رسول الله ﷺ: «ما فَعَل عَمُّ أنسٍ» صَنَمٌ لهم؛ فقالوا: بشَرٌ وعَرٌ[(٢)]، أبدلنا الله به ما جئت به، ولو قد رجعنا إليه هدمناه. وسألوا رسول الله ﷺ عن أشياء من أمر دينهم، فجعل يخبرهم بها، وأمر من يُعلِّمهم القرآن والسُّنن، وأُنزِلوا في دار رَمْلة بنت الحارث، وأُجرِيت عليهم الضيافةُ، ثم جاؤوا بعد أيام يُودّعونه، فأمر لهم بجوائزِ ثنتي عشرة أوقية ونَشٍّ، ورجعوا إلى قومهم، فلم يَحُلُّوا عقدة حتى هدموا عَمَّ أنسٍ. وممن أسلم من خَوْلان أبو مسلم الخَوْلاَنيّ العابد، واسمه عبد الله بن ثُوَب، ولم يرَ رسول الله ﷺ، وإنما قدِم المدينة بعد وفاته، وله خبر عجيب مع الأسود العَنْسيّ، نذكره في أخباره في خلافة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه.

ذِكر وفد جُعْفِي

قال ابن سعد: وفد إلى رسول الله ﷺ رجلان من جُعْفِيّ، وهما قيس بن سلمة بن شَراحيل، وسَلَمة بن يزيد، وهما أخوان لأم، وأمهما مُلَيْكَة بنت الحلو بن مالك، فأسلما فقال لهما رسول الله ﷺ: «بلغني أنكم لا تأكلون القلب» وكانوا يُحرِّمون أكلَه، فقالا: نَعَم، قال: «فإنه لا يكمل إسلامكم إلا بأكله» ودعا بقلب فَشْوِي، ثم ناوله سَلمة فلما أخذه أُرعِدت يده فقال له: «كُلْه» فأكله، وقال: [من الوافر]

عَلى أنّي أكَلْتُ الْقَلْبَ كَرهًا   وتُرْعَدُ حِينَ مَسَّتْهُ بَنانِي[(٣)]

ثم قالا: يا رسول الله، إنّ أُمَّنا مُلَيكة بنت الحلو كانت تَفُكّ العاني[(٤)]، وتُطْعِم البائس، وترحم المسكين، وأنها ماتت وقد وَأَدَت[(٥)] بُنية لها صغيرة، فما حالها؟ قال: «الوائِدة والموؤودة في النار» فقاما مُغْضَبَيْن، فقال: «إليّ فأرجعا» فقال: «وأمّي

(١) آباط الإبل: جمع الإبط، وهو باطن المنكب والجناح.
(٢) العر: الجرب، وهو أبغض داء إلى نفوس العرب لذا عطفوه على الشر.
(٣) البنان: أطراف الأصابع.
(٤) العاني: الذليل الأسير.
(٥) الوأد: قتل الجارية دفنًا وهي حيّة.

مع أمّكما» فأبَيَا ومَضَيَا، وهما يقولان: والله إنّ رجلاً أطعمنا القلب، وزعم أنّ أمّنا في النار لأهل ألاّ يُتّبع، فلما كانا ببعض الطريق، لقيا رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، معه إبل من إبلِ الصّدقة، فأوثقاه وطردا الإبِل، فبلغ ذلك النبي ﷺ فلعنهما فيمن كان يلعن في قوله: «لعن الله رِعْلاً وذَكْوان وعُصَيَّة ولحيان وأبنا مُلَيْكَة».

قال محمد بن سعد: وقَدِم أبو سَبْرة وهو يزيد بن مالك بن عبد الله الجُعْفِيّ على النبي ﷺ ومعه أبناه سَبْرة وعزيز فأسلموا. وسمّى رسول الله ﷺ عَزِيزًا عبد الرحمٰن. وقال له أبو سَبْرة: يا رسول الله: إن بظهر كَفِّي سِلْعَةً[1] قد منعتني من خِطام[2] راحلتي، فدعا بقدح، وجعل يضرب به على السّلعة ويمسحها فذهبت، ودعا له رسول الله ﷺ ولأبنيه، فقال: يا رسول الله، أقْطِعني وادي قومي باليمن، وكان يقال له جُرْدان[3] ففعل، قال: وعبد الرحمٰن هذا هو أبو خَيْثَمة عبد الرحمٰن.

ذِكر وفد مُراد[4]

قالوا: قدم فَرْوَة بن مُسَيْكٍ المراديّ على رسول الله ﷺ مُفارقًا لملوك كِنْدة ومُباعدًا لهم، وقال في ذلك: [من الكامل]

لـمّـا رَأيْـتُ مُـلـوكَ كِـنْـدَةَ أعْـرَضَـتْ ... كالرِّجْلِ خانَ الرِّجْلَ عِرْقُ نَسَائِها[5]

قَـرَّبْـتُ راحِـلَـتـي أؤمُّ مـحـمـدًا ... أرجُو فَـواضِـلَـها وحُـسْـنَ ثَـرائِـهـا[6]

وبايع النبيّ ﷺ، ونزل على سعد بن عبادة، وكان يتعلم القرآن وفرائض الإسلام وشرائعه، فأجازه رسول الله ﷺ بأثنتي عشرة أوقية، وحمله على بعير وأعطاه حُلّة من نَسْج عُمان، وأستعمله على مُراد وزُبَيْد ومَذْحِج، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصّدَقات، وكتب له كتابًا فيه فرائض الصّدقة، فلم يزل على الصّدَقة حتى تُوفي رسول الله ﷺ.

---

(١) السلعة: خراج كهيئة الغدة تتحرك بالتحريك. وقيل: هي ورم غليظ غير ملتزق باللحم يتحرك عند تحريكه وله غلاف.

(٢) الخطام: ما وضع على خطم الراحلة لتقاد بها.

(٣) جردان: واد بين عمقين.

(٤) مراد: بطن من كهلان، من القحطانية. وجعل في العبر مرادًا بطنًا من مذحج؛ منهم الجراح بن الحصين، الذي قال له ابن الزبير: أكلت تمري وعصيت أمري... (أنساب العرب للقلقشندي).

(٥) النسا: عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخد.

(٦) أؤمّ: أقصد.

ذكر وفد زُبَيد[(١)]

قال ٱبن سعد: قَدِم وفد عمرو بن مَعْدِي كَرِبَ الزُّبيديّ على رسول الله ﷺ المدينة، في عشرة نفر من زُبيد، فنزل على سعد بن عُبادة فأكرمه سعد وراح به إلى رسول الله ﷺ فأسلم هو ومن معه، وأقام أيامًا، ثم أجازه رسول الله ﷺ، وٱنصرف إلى بلاده، فأقام مع قومه على الإسلام، وعليهم فَرْوَةُ بن مُسيك، فلما توفِّي رسول الله ﷺ ٱرْتَدّ، ثم رجع إلى الإسلام، وأَبْلَى يوم القادِسِية وغيرها.

قال محمد بن إسحاق: كان عمرو بن مَعْدِي كَرب قد قال لقَيْس بن مَكْشُوح المراديّ حين ٱنتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ: يا قيس، إنك سيد قومك، وقد ذكر لنا أنّ رجلًا من قريش يقال له محمد خرج بالحجاز، يقال إنه نبي، فانطلق بنا إليه حتى نَعْلم عِلْمه، فإن كان نبيًّا كما يقول فإنه لن يخفى عليك، إذا لقيناه ٱتبعناه، وإن كان غير ذلك عَلِمنا عِلْمه، فأبى عليه قيس، فركب عمرو بن مَعْدِي كَرِبَ حتى قدم على رسول الله ﷺ فأسلم، فلما بلغ ذلك قَيْس بن مَكْشُوح أوعد عمرًا وتَحَطَّم[(٢)] عليه، وقال: خالفني وترك رأيي، فقال عمرو في ذلك: [من مجزوء الوافر]

أَمَــرْتُــكَ يَــوْمَ ذِي صَــنــعــا ... ءِ أمــرًا بَــيِّــنًــا رشَــدُهْ[(٣)]

أَمَــرْتُــك بِــاتِّــقــاءِ الــلــ ... ــهِ تــأتــيــهِ وتَــتَّــعِــدُهْ[(٤)]

فــكُــنــت كَــذِي الــحُــمَــيِّــر غَــرْ ... رَه مِــمَّــا بِــهِ وَتِــدُهْ[(٥)]

تَــمَــنَّــانِــي عــلــى فَــرَسٍ ... عــلــيــه جــالــسًــا أَسَــدُهْ[(٦)]

عــلــيَّ مُــفــاضَــةٌ كــالــنِّــهْــ ... ـي أخْــلَــص مــاءَهُ حَــدَدُهْ[(٧)]

تــردُّ الــرُّمْــحَ مَــثْــنــيّ الــسِّــ ... ـنــانِ عَــوائِــرًا قِــصَــدُهْ[(٨)]

فَــلَــوْ لاقَــيْــتَــنــي لَــلــقِــيـ ... ـتَ لَــيْــثًــا فَــوْقَــه لِــبَــدُهْ[(٩)]

---

(١) بنو زبيد: بطن من زبيد الأكبر، من سعد العشيرة، من القحطانية... (أنساب العرب للقلقشندي).

(٢) تحطم عليه: تلظى غيظًا. (٣) ذي صنعا: اسم موضع.

(٤) تتعدّه: تلتزمه.

(٥) الوتد: ما ثبت في الأرض أو الحائط من الخشب.

(٦) تمنّاني: أرادني.

(٧) المفاضة: الدرع الواسعة. والنهي: الغدير من الماء. والحدد: المنع والحبس.

(٨) القصد، واحدتها القصدة، وهو ما تكسر من الرمح.

(٩) لبد: واحدتها لبدة، وهو ما على كتفي الأسد من الشعر.

تُـلاقـي ضَـيْـغَـمًـا شَـثْـنَ الْـ ـبَـراثِـنِ نَـاشِـزًا كَـتِـدُهْ؛[١]
يُـسـامـي الْـقِـرْنَ إنْ قِـرْنٌ تَـيَـمَّـمَـهُ فَـيَـعْـتَـضِـدُهْ؛[٢]
فَـيـأخُـذُه فَـيـرفَـعُـهُ فَـيَـخْـفِـضُـهُ فَـيَـقْـتَـصِـدُهْ؛[٣]
فَـيَـدْمَـغُـهُ فَـيَـخْـطِـمُـهُ فَـيَـخْـضِـمُـهُ فَـيَـزْدَرِدُهْ؛[٤]
ظَـلُـومُ الـشِّـرْكِ فـيـمـا أحْـ ـرَزَتْ أنْـيـابُـهُ ويَـدُهْ؛[٥]

ذكر وفد كِنْدَة

قالوا: قَدِم الأشعث بن قيس على رسول الله ﷺ في بضعة عشر راكبًا من كِنْدَة. قاله ابن سعد ـ وقال ابن إسحاق: في ثمانين راكبًا ـ فدخلوا على رسول الله ﷺ المسجد، وقد رَجَّلوا[٦] جُمَمهم وتَكَحَّلوا، عليهم جُبَب الحِبرة[٧] قد كَفَّفوها بالحرير، وعليهم الدِّيباج[٨] ظاهرٌ مُخَوَّص[٩] بالذَّهب، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ألم تُسلموا»؟ قالوا: بَلَى، قال: «فما بال هذا عليكم» قال: فَشقّوه وألقوه، ثم قال له الأشعث بن قيس: يا رسول الله، نحن بنو آكل المُرَار، وأنت ابن آكل المرار. فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: «نَاسِبُوا بهذا النَّسب العبّاسَ بن عبد المطلب ورَبِيعةَ بن الحارث» قال: وكانا تاجرين، وكانا إذا شاعا في بعض العرب، فسئلا ممن هما، قالا: نحن بنو آكل المُرَار: يَتعزَّزان بذلك. وآكِل المُرَار هو الحارث بن عمرو بن حُجْر بن عمرو بن معاوية، وقد تقدم خبره في وقائع العرب. قال: ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «لا، نحن بنو النَّضر بن كنانة، لا نَقفو[١٠] أُمَّنا ولا نَنْتفِي من أبِينا» فقال الأشعث بن قيس: يا مَعْشر كِنْدة، والله لا أسمع رجلًا يقولها إلا ضربته ثمانين.

قال محمد بن سعد: فلما أرادوا الرجوع إلى بلاَدهم أجازهم بعشرة أواقٍ، وأعطى الأشعث ثنتي عشرة أوقية.

---

(١) الضيغم: الأسد. والشثن: الغليظ الأصابع. والناشز: المرتفع. والكند: ما بين الكتفين.
(٢) اعتضده: احتضنه.
(٣) اقتصده: قتله.
(٤) يدمغه: يخرج دماغه. ويخطمه: يكسره. ويخضمه: يأكله.
(٥) الشرك: النصيب والحصة.
(٦) رجّل: سرّح.
(٧) الحبرة: ثوب يماني مخطط من قطن أو كتان.
(٨) الديباج: ضرب من الثياب سداه ولحمته حرير... (فارسي معرب).
(٩) مخوص: مزين بصفائح من الذهب على قدر خوص النخيل.
(١٠) نقفو: أي ننتسب إلى أمنا ونترك الانتساب إلى أبينا.

ذكر وفد الصَّدِف

قال ابن سعد: وَفَد وَفْدُ الصَّدِف على رسول الله ﷺ، وهم بضعة عشر رجلًا، على قَلائص[١] لهم، في أُزُر وأرْدية، فصادفوا رسول الله ﷺ فيما بين بيته وبين المِنْبر، فجلسوا ولم يُسَلِّموا فقال: «أمسلمون أنتم»؟ قالوا: نعم. قال: «فهلاً سَلَّمتم»، فقاموا فقالوا: السّلام عليك أيُّها النبيُّ ورحمة الله، فقال: «وعليكم السلام، ٱجلسوا» فجلسوا، وسألوا رسول الله ﷺ عن أوقات الصلوات فأخبرهم بها.

ذكر وفد سعد هُذَيْم[٢]

قال ٱبن سعد يرفعه إلى أبي النعمان عن أبيه قال: قدِمت على رسول الله ﷺ وافدًا في نَفَر من قومي، فنزلنا ناحية من المدينة، ثم خرجنا نَؤُم المسجد، فنَجِد رسول الله ﷺ يُصلِّي على جنازة في المسجد، فانصرف فقال: «من أنتم»؟ قلنا: من بني سعد هُذَيْم، فأسلمنا وبايعنا، ثم ٱنصرفنا إلى رِحالنا، فأمر بنا فأُنزلنا وضُيِّفنا فأقمنا ثلاثًا، ثم جئناه نودِّعه، فقال: «أمِّروا عليكم أحدَكم» وأمَرَ بِلالاً، فأجازَنا بأواقٍ من فضَّة، ورجعنا إلى قومنا فرزقهم الله الإسلام.

ذكر وفد بَلِيّ[٣]

روي عن رُوَيْفِع بن ثابت البَلَويّ قال: قَدِم وفدُ قومي في شهر ربيع الأول سنة تسع، فأنزلتهم عليَّ في منزلي ببني جَدِيلة، ثم خرجتُ بهم حتى ٱنتهيتُ إلى رسول الله ﷺ، وهو جالس مع أصحابه في بقية من الغَدَاة، فتقدم شيخ الوفد أبو الضُّبَيْب، فجلس بين يدي رسول الله ﷺ فتكلم وأسلم، وأسلم القوم، وسألوا رسول الله ﷺ عن الضِّيافة، وعن أشياء من أمر دينهم فأجابهم، ثم رجعت بهم إلى منزلي، فإذا رسول الله ﷺ يأتي منزلي يحمل تَمْرًا يقول: «ٱستعن بهذا التَّمْر» فكانوا يأكلون منه ومن غيره، فأقاموا ثلاثًا، ثم جاؤوا رسول الله ﷺ يُودِّعونه، فأمر لهم بجوائز كما كان يُجِيز الوفد، ثم رجعوا إلى بلادهم.

---

(١) القلائص: واحدتها قلوص، وهي الناقة الشابة.

(٢) بنو هذيم: بطن من قضاعة.. وهذيم: عبد حبشي حضنه سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة، فعرف به... (أنساب العرب للقلقشندي).

(٣) بنو بلي: بفتح الباء وكسر اللام وياء آخر الحروف: بطن من قضاعة، من القحطانية. النسبة إليهم بلوى. وهم بنو بلي بن عمرو بن الحافي بن قضاعة... (أنساب العرب للقلقشندي).

ذكر وفد بَهْراءَ[(١)]

قال ٱبن سعد: قَدِم وفدُ بهراءَ من اليمن، وهم ثلاثة عشر رجلًا، فأقبلوا يقودون رواحلهم، حتى ٱنتهوا إلى باب المِقْداد بن عمرو ببني جَدِيلة فخرج إليهم، فرحَّب بهم وأنزلهم، وأتَوا النبيّ ﷺ فأسلموا وتعلَّموا الفرائض وأقاموا أيامًا، ثم جاؤوا يُودِّعونه فأمر لهم بجوائزهم، وٱنصرفوا إلى أهلهم.

ذِكر وفد عُذْرة

قالوا: قَدِم على رسول الله ﷺ وفد عُذْرة، في صَفَرٍ سنة تسع من مُهَاجَره، وهم ٱثنا عشر رجلًا، فيهم حمزة بن النعمان العُذْرِيّ، وسليم وسعد ٱبنا مالك، ومالك بن أبي رِياح، فنزلوا دار رَمْلة بنت الحارث، ثم جاؤوا النبيّ ﷺ فسلَّموا بسلام الجاهلية، وقالوا: نحن إخوة قُصيّ لأمه، ونحن الذين أخرجوا خُزَاعة وبني بكرٍ عن مكة، ولنا قَرَابات وأرحام، فقال رسول الله ﷺ: «مَرْحبًا بكم وأهلًا، ما أعرفَني بكم، ما منعكم من تحية الإسلام»؟ قالوا: قدِمنا مرتادين[(٢)] لقومنا. وسألوا النبيّ ﷺ عن أشياء من أمر دينهم فأجابهم فيها، فأسلموا وأقاموا أيامًا، ثم ٱنصرفوا إلى أهليهم، وأمر لهم بجوائز كما كان يُجِيز الوفدَ، وكَسَا أحدهم بُرْدًا.

قال: ووَفَد زَمْل بن عمرو العُذْريّ على رسول الله ﷺ، وأنشأ يقول حين وَفَد: [من الطويل]

إليكَ رسولَ الله أعملتُ نَصَّها ... أُكَلِّفها حَزْنًا وقَوْزًا من الرَّملِ[(٣)]

لأنصرَ خيرَ النَّاسِ نَصْرًا مُؤزَّرًا ... وأعْقِدَ حَبْلًا من حِبالكَ في حَبْلي[(٤)]

وأشهدَ أنَّ اللّهَ لا شيءَ غيرُه ... أدِينُ له ما أثقلتْ قَدَمِي نَعْلي[(٥)]

قال: وأخبر رسول الله ﷺ بما سمع من صَنَمه، فقال: «ذلك مؤمن الجن» وعقد له رسول الله ﷺ لِواءً على قومه، فشهد به بعد ذلك صِفّين مع معاوية، ثم شَهِد به المَرْج[(٦)] فقُتِل.

---

(١) بنو بهراء: بفتح الباء وسكون الهاء وبالراء المهملة: بطن من قضاعة، من القحطانية. النسبة إليهم بهرائي.

(٢) المرتاد: الطالب للشيء.

(٣) نصّ الناقة: أي استخرج أقصى ما عندها من السير. والحزن: ما غلظ من الأرض. والقوز: المستدير من الرمل. والكثيب: المشرف.

(٤) المؤزر: الشديد. والحبل: العهد.

(٥) المراد بقوله: ما أثقلت قدمي نعلي، أي ما دمت حيًا.

(٦) المراد بالمرج، مرج راهط، وهو موضع في الغوطة من دمشق.

ذِكر وفدِ سَلاَمان[١]

قال ابن سعد: وفد سبعة من سَلاَمان على رسول الله ﷺ في شوّال سنة عشر، فصادفوه وهو خارج من المسجد إلى جنازة؛ فقالوا: السلام عليك يا رسول الله، قال: «وعليكم السلام من أنتم»؟ قالوا: نحن من سَلاَمان، قدِمنا لنبايعك على الإسلام، ونحن على مَنْ وراءَنا مِن قومنا. فأمَر ثَوْبان فأنزلهم حيث ينزل الوفد، فلمّا صلّى رسول الله ﷺ الظُّهر جلس بين بيتِه وبين المِنْبر، فقَدِموا إليه فسألوه عن أشياء من أمر الصّلاة وشرائع الإسلام، وعن الرُّقَى فأجابهم وأسلموا، وأجاز كلَّ رجلٍ منهم خمسَ أواقٍ، ورجعوا إلى بلادهم.

ذكر وفدِ كَلْبٍ

قال محمد بن سعد بسنده إلى عبد بن عمرو بن جَبَلة بن وائل بن الجُلاَح الكلبيّ، قال: شَخَصتُ[٢] أنا وعِصام - رجلٌ من بني رَقَاش من بني عامر - حتى أتينا النبيّ ﷺ، فعرض علينا الإسلام فأسلمنا.

وقال بسند آخر إلى ربيعة بن إبراهيم الدمشقي قال: وَفَد حارِثَةُ بن قَطَن بن زابِر بن حِصْن بن كَعْب بن عُلَيْم الكلبيّ، وحَمَل بن سَعْدانة بن حارثة بن مُغَفَّل بن كعب بن عُلَيْم إلى رسول الله ﷺ فأسلما، فعقد لحَمَل بن سَعْدانة لواء، فشهد به صِفِّين مع معاوية، وكتب لحارثة بن قَطَن كتابًا فيه:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ لأهل دُومَة الجَنْدل[٣] وما يليها من طوائف كَلْب مع حارثة بن قَطَن، لنا الضَّاحِيَة[٤] من البَعْل[٥]، ولكم الضَّامِنة[٦] من النَّخْل؛ على الجارِية العُشْر، وعلى الغائِرةِ[٧] نِصفُ العُشْر، لا يُجْمَع سارِحُكم[٨]، ولا تُعَدُّ فارِدَتكم[٩]، تُقِيمون الصلاةَ لوقتها، وتُؤْتون الزكاةَ

---

(١) بنو سلامان: بطن من قضاعة، من القحطانية. أو بطن من طيء، من القحطانية أيضًا.

(٢) يقال: شخص من بلده: أي خرج.

(٣) دومة الجندل: حصن مشهور حوله قرى.

(٤) الضاحية: الظاهرة البارزة من العمارة. (٥) البعل: النخل.

(٦) الضامنة من النخل: ما كان داخلًا في العمارة وتضمنته أمصارهم وقرارهم.

(٧) الجارية: التي تسقى بالماء الجاري. والغائرة: التي تسقى بالماء الغائر في الأرض كالآبار.

(٨) السارح: الماشية التي تسرح إلى الرعي.

(٩) الفاردة: الزائدة على الفريضة، أي لا تضم إلى غيرها فتعد معها وتحسب... (النهاية لابن الأثير).

بحقِّها، ولا يُحظَر عليكم النَّبَاتُ، ولا يُؤخَذ منكم عُشْر البَتَات[١]، لكم بذلك العهد والميثاق، ولنا عليكم النُّصْحُ والوفاء، وذِمّة الله ورسوله، شهد الله ومَنْ حضر من المسلمين».

ذِكر وفدِ جَرْم[٢]

قال ٱبن سعد: وَفَد على رسول الله ﷺ رجلان من جَرْم، يقال لأحدهما: الأسْقَع بن شُرَيْح بن صَرِيم بن عمرو بن رِيَاح بن عوف بن عمِيرة بن الْهُون بن أعْجَب بن قُدَامة بن جَرْم بن رَبّان بن حُلْوَان بن عِمْران بن الْحافِ بن قُضَاعة. والآخر: هَوْذَة بن عمرو بن يزيد بن عمرو بن رِيَاح، فأسلما وكتب لهما رسول الله ﷺ كتابًا.

وروي عن أبي يزيد ـ وقد قيل فيه بالباء الموحَّدة أبو بُرَيْد ـ عمرو بن سَلِمة الجَرْميّ أن أباه ونفرًا من قومه، وفدوا إلى النبي ﷺ حين أسلم الناس، وتعلّموا القرآن وقَضَوا حوائجهم، فقالوا: يا رسول الله من يُصلّي بنا؛ أوْ لَنا؟ فقال: «لِيصل بكم أكثرُكم جَمْعًا ـ أو أخْذًا ـ للقرآن» قال: فجاؤوا إلى قومهم فلم يجدوا فيهم أحدًا أكثر أخذًا، أو جَمَع من القرآن ما جمعتُ، أو أخَذْتُ، قال: وأنا يومئذ غلامٌ عليّ شَمْلةٌ[٣]، فقدّموني فصلّيتُ بهم، فما شهدتُ مَجْمعًا من جَرْم إلا وأنا إمامهم إلى يومي هذا.

وعن عمرو بن سَلِمة أيضًا قال: كنا بحضرة ماءٍ مَمَرُّ الناس عليه، وكنا نَسْألهم، ما هذا الأمر؟ فيقولون: رجلٌ يزعم أنه نبيٌّ، وأنّ الله أرسله، وأنّ الله أوحى إليه كذا وكذا، فجعلتُ يومئذ لا أسمع شيئًا من ذلك إلاّ حَفظته، كأنما يُغْرَى[٤] في صدري بِغِراء، حتى جمعتُ فيه قرآنًا كثيرًا، وكانت العرب تَلَوَّم[٥] بإسلامها الفتْحَ، يقولون: ٱنظروا فإن ظهر عليهم فهو صادق، وهو نبيٌّ. فلما جاءتنا وقْعَةُ الفَتْح بادر كل قوم بإسلامهم، فٱنطلق أبي بإسلام حِوائِنا[٦] ذلك، وأقام مع رسول الله ﷺ ما شاء الله أن

(١) البتات: المتاع الذي ليس عليه زكاة مما لا يكون للتجارة.

(٢) بنو جرم: بطن من قضاعة، من القحطانية. قال أبو عبيد: هم بنو جرم بن زبان بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة... (أنساب العرب للقلقشندي).

(٣) الشملة: كساء صغير يؤتزر به.

(٤) يغرى: يلصق به.

(٥) تلوّم: أي تنتظر.

(٦) الحواء: بيوت مجتمعة من الناس على ماء.

يُقيم، ثم أقبل فلمّا دَنا منّا تلقَّيْناه، فقال: جئتكم واللهِ من عند رسول الله ﷺ حَقًّا، ثم قال: إنه يأمركم بكذا وكذا، وينهاكم عن كذا وكذا، وأن تصلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلاة كذا في حين كذا، إذا حضرت الصلاة فليؤذِّن أحدُكم، وليؤمّكم[(١)] أكثركم قرآنًا. فنظر أهلُ حِوَائنا فما وجدوا أحدًا أكثر قرآنًا منّي للّذي كنت أحفظه من الرُّكبان[(٢)]، فقدّموني بين أيديهم، فكنتُ أصلّي بهم وأنا ٱبن سِتِّ سنين، وكان عليّ بُرْدَة كنتُ إذا سجدتُ تَقَلَّصَت[(٣)] عني، فقالت ٱمرأة من الحيِّ: ألا تغطون عنّا ٱسْتَ قارئكم؟ فكَسَوْني قميصًا من مُعَقَّد[(٤)] البَحْرَيْن، فما فَرِحتُ بشيء أشدَّ من فرحي بذلك القميص.

ومن رواية أخرى عنه: فعلّموني الركوعَ والسجودَ، فكنتُ أصلّي بهم.

ذِكر وفدِ الأزدِ وأهلِ جُرَش

قالوا: قدم صُرَد بن عبد الله الأزْديّ في بضعة عشر رجلاً من قومه، وَفْدًا إلى رسول الله ﷺ، فنزلوا على فَرْوَةَ بن عَمْرو، وأتوا رسول الله ﷺ فأسلموا، وأقاموا عشرة أيام، وكان صُرَد أفضلَهم، فأمَّره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، وأمرَه أن يجاهد بهم مَنْ يليه، من أهل الشِّرك من قبائل اليمن؛ فخرج حتى نزل جُرَشَ[(٥)] وهي مدينة حَصِينة مُغْلَقة، وبها قبائل من قبائل اليمن. وقد ضَوَت[(٦)] إليهم خَثْعَم؛ فدخلوا معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم، فحاصرهم صُرَد ومن معه فيها شهرًا، ثم رجع قَافِلاً، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شَكْر، ظَنّ أهلُ جُرَش أنه إنما وَلَّى عنهم منهزمًا، فخرجوا في طلبه حتى إذا أدركوه صَفَّ صُفوفَه، وحمل عليهم هو والمسلمون، ووَضَعوا سيوفهم فيهم حيث شاؤوا، وأخذوا من خيلهم عشرين فرسًا، فقاتلوهم عليها نهارًا طويلاً.

وكان أهل جُرَش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران، فبينما هما عند رسول الله ﷺ عَشِيةً بعد العصر؛ إذ قال رسول الله ﷺ: «بأيّ بلاد الله شَكْر»؟ فقام الجُرَشِيّان فقالا: يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له كَشْر، وكذلك نسمّيه أهلَ جُرَش، فقال: «إنه ليس بكَشْر ولكنه شَكْر»، قالا: فما شأنه يا

---

(١) يؤمكم: يصلّي بكم إمامًا.
(٢) الركبان: الراكبون، العشرة فما فوق.
(٣) تقلت: انزوت.
(٤) المعقّد: ضرب من برود هجر، وهي من قرى البحرين معروفة بهذه البرود.
(٥) جرش: مدينة ينسب إليها جلود ونوق.
(٦) يقال: ضوى إليه: إذا انضم ولجأ.

رسول الله؟ قال: «إنّ بُدْن اللّهِ لَتُنْحَر عنده الآن» قال: فجلس الرجلان إلى أبي بكر، أو إلى عثمان، فقال لهما: وَيْحَكُما! إن رسول الله ﷺ الآن ليَنْعَى لكما قومَكما، فقوما إلى رسول الله فَسَلاَه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما. فقاما إليه فسألاه ذلك. فقال: «اللهم ارفع عنهم» فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما قد أصيبوا من صُرَد في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال في تلك الساعة، فقصّا على قومهما القِصَّة، فخرج وفدهم.حتى قَدِموا على رسول الله ﷺ فأسلموا، فقال: «مرحبًا بكم، أحسن الناس وجوهًا، وأصدقه لقاءً، وأطيبه كلامًا، وأعظمه أمانةً، أنتم مني وأنا منكم» وجعل شعارهم مبرورًا، وحَمَى لهم حِمًى حول قريتهم، على أعْلاَم[1] معلومة للفرس والراحلة ولِلْمُثيرة ـ بقرة الحرث ـ فمن رعاه من الناس فمالُهُ سُحْتٌ[2].

ذكر وفد غسّان

قال محمد بن سعد بسنده إلى محمد بن بُكَير الغَسَّاني، عن قومه من غَسّان، قالوا: قَدِمنا على رسول الله ﷺ في شهر رمضان سنةَ عشر، المدينةَ ونحن ثلاثة نفرٍ، فنزلنا دار رَمْلَة بنت الحارث، ثم أتينا رسول الله ﷺ فأسلمنا وصَدَّقنا، فأجازهم رسول الله ﷺ بجوائز وأنصرفوا راجعين، فقَدِموا على قومهم فلم يستجيبوا لهم، فكتموا إسلامهم حتى مات منهم رجلان مسلمين، وأدرك الثالث عمر بن الخطاب عامَ اليَرْمُوك، فلقي أبا عبيدة فخبّره بإسلامه فأكرمه.

ذكر وفد الحارث بن كعب وما كتب به رسول الله ﷺ إليهم

قال أبن سعد: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في أربعمائة من المسلمين، في شهر ربيع الأوّل سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بنَجْرانَ[3]، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثًا قبل أن يقاتلهم ففعل، فاستجاب له مَن هناك مِن بَلْحارث بن كعب، ودخلوا في الإسلام، ونزل خالد بن الوليد بين[4] أظهرهم، فعلمهم الإسلام

(١) أعلام: جمع علم، وهو الفصل بين الأرضين.
(٢) ماله سحت: هدر.
(٣) نجران: موضع من ناحية مكة، وقد سميت بنجران بن زيد بن سبأ لأنه نزل بها.
(٤) بين أظهرهم: أي بينهم.

وشرائعه، وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ، فكتب رسول الله ﷺ إلى خالد: «أن بشِّرهم وأنذِرهم واقدُم ومعك وفدُهم»، فقدم خالد ومعه وفدهم؛ فيهم قيس بن الحُصَيْن، ويزيد بن عبد المَدَان، وعبد الله بن عبد المَدَان، ويزيد بن المُحَجَّل، وعبد الله بن قُرَادٍ، وشَدّاد بن عبد الله القَنَانِيّ، وعمرو بن عبد الله، وأنزلهم خالد عليه، ثم جاء بهم إلى رسول الله ﷺ فقال: «من هؤلاء الذين كأنهم رجال الهند»؟ فقيل: بنو الحارث بن كعب، فسلَّموا على رسول الله ﷺ، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فأجازهم بعشر أواق، وأجاز قيس بن الحُصَيْن بأثنتي عشرة أوقية ونَشٍّ، وأمَّره رسول الله ﷺ على بني الحارث، ثم انصرفوا إلى قومهم في بقية شوّال. هذا ما حكاه لابن سعد في طبقاته.

وقال ابن إسحاق: لما وقفوا على رسول الله ﷺ سلَّموا عليه، وقالوا: نشهد أنك لرسول الله، وأنه لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: «أنتم الذين إذا زُجِروا استقدموا»[1]؟ فسكتوا، فلم يراجعه منهم أحد، فأعادها عليهم الثانية والثالثة، فلما أعادها الرابعة قال يزيد بن عبد المدان: نعم يا رسول الله، نحن الذين إذا زُجِروا استقدموا، قالها أربعَ مِرار، فقال رسول الله ﷺ: «لو أنّ خالدًا لم يكتب إليّ أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم» فقال يزيد بن عبد المَدَان: أمَا والله ما حَمِدناك ولا حَمِدنا خالدًا، قال: «فمن حمِدتم»؟ قالوا: حمِدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله. قال: «صدقتم»، ثم قال رسول الله ﷺ: «بِمَ كنتم تغلِبون من قاتلكم في الجاهلية»؟ قالوا: لم نكن نغلب أحدًا. قال: «بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم» قالوا: كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله أنا كنا نجتمع ولا نتفرق، ولا نبدأ أحدًا بظلم، قال: «صدقتم». وأمَّر رسولُ الله ﷺ على بني الحارث قيسَ بن الحصين، وأجازهم بعشرِ أواقٍ عشرِ أواقٍ، وأجاز قيسَ بن الحُصَين باثنتي عشرة أوقيةً ونَشٍّ، ثم انصرفوا إلى قومهم في بقية شوّال، أو في صدر ذي القعدة، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله ﷺ.

قال: وقد كان رسول الله ﷺ بعث إليهم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حَزْم ليفقِّهَهم في الدِّين ويعلِّمهم السُّنة، ويعلّمهم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتِهم. وكتب له كتابًا وهو:

---

(١) المراد بقوله: إذا زجروا استقدموا، أي إذا حثوا وحملوا على القتال تنادوا وتجمعوا وتقدموا.

«بسم الله الرحمٰن الرحيم. هذا بيان من الله ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] عهد من محمد النبي رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن أمره بتقوى الله في أمره كله فـ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]، وأمره أن يأخذ الحق كما أمره الله، وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به، ويعلِّم الناس القرآن ويفقِّههم فيه، وينهى الناس، ولا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر، ويخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم، ويلين للناس في الحق، ويشتدّ عليهم في الظُّلم، فإنّ الله كره الظُّلم، ونهى عنه، فقال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، ويبشِّر الناس بالجنة وبعملها، ويُنْذر الناس النارَ وعملَها، ويَسْتأْلِف[(١)] الناس حتى يُفَقَّهوا في الدِّين، ويعلِّم الناس معالِم الحج وسنَّته وفريضتَه، وما أمر الله به، والحج الأكبر: الحج الأكبر، والحج الأصغر هو العُمرة، وينهى الناس أن يصلِّيَ أحدٌ في ثوب واحد صغير، إلا أن يكون ثوبًا يُثْنِي طرفَيْه على عاتقيه، وينهى أن يحتبى[(٢)] أحد في ثوب واحد يفضي بفرجه إلى السماء، وينهى أن يعْقِص[(٣)] أحد شعر رأسه في قَفاه، وينهى إذا كان بين الناس هَيْج[(٤)] عن الدعاء إلى القبائل والعشائر، وليكن دعواهم إلى الله وحده لا شريك له، فمن لم يدع إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فلْيُقْطَفوا[(٥)] بالسَّيْف، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء[(٦)] وجوههم وأيديهم إلى المرافق، وأرجلهم إلى الكعبين، ويَمْسحون برؤوسهم كما أمرهم الله، وأمر بالصلاة لوقتها، وإتمام الركوع والخشوع، يُغَلِّس[(٧)] بالصّبح، ويُهَجِّر[(٨)] بالهاجرة حين تَميل الشّمس، وصلاة العصر والشمس في الأرض مُدْبِرة، والمغرب حين يُقبِل الليل، لا تؤخَّر حتى تَبْدو النجومُ في السماء، والعِشاء أوّل الليل، وأمر بالسَّعي إلى الجمعة إذا نودي لها، والغُسْل عند الرَّواح[(٩)] إليها، وأمره أن يأخذ من المغانم خُمس اللّهِ، وما كتِب على المؤمنين في الصَّدقة من العَقَار[(١٠)] عُشر ما سقت العينُ وسقت السماء، وعلى ما سقى الغَرْب[(١١)] نصف

(١) يستألف الناس: يكتسب مودتهم وإلفتهم وإيناسهم.
(٢) الاحتباء: هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعها به مع ظهره ويشد عليها.
(٣) عقص شعره: أي ضفره. (٤) الهيج: الثورة.
(٥) القطف؛ القطع.
(٦) أسبغ وضوءه: أي وفي كل عضو حقه في الغسل.
(٧) الغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح. وأغلس: دخل في أملس.
(٨) هجّر: سار في الهاجرة. (٩) الرواح: أي الذهاب.
(١٠) العقار: الضيعة والنخل والأرض ونحو ذلك.
(١١) الغرب: الدلو العظيمة.

العشر، وفي كل عشر من الإبل شاتان، وفي كل عِشرين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع[١]: جَذَع أو جَذَعة، وفي كل أربعين من الغنم سائِمَة[٢] وحدها شاةٌ، فإنها فريضة الله التي أفترض على المؤمنين في الصَّدقة، فمن زاد خيرًا فهو خير له، وأنه من أسلم من يهوديّ أو نصرانيّ إسلامًا خالصًا من نفسه، ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين، له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم، ومن كان على نَصْرانيته أو يَهُوديته، فإنه لا يُردّ عنها، وعلى كل حالم[٣] ذكرٍ أو أنثى حُرٌّ أو عبدٍ دينارٌ وافٍ، أو عِوضه ثيابًا، فمن أدّى ذلك فإن له ذِمّة الله وذِمّة رسوله، ومَن مَنع ذلك فإنه عدوّ لله ولرسوله وللمؤمنين جميعًا، صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته».

ذكر وفدِ عَنْسٍ[٤]

قال محمد بن السّائب الكلبيّ: حدّثنا أبو زُفَرَ الكلبيّ عن رجل من عَنْس، قال: كان مِنّا رجل وَفَد على النبيّ ﷺ فأتاه وهو يتَعشّى، فدعا به إلى العَشَاء فجلس، فلما تَعشّى أقْبَل عليه رسول الله ﷺ فقال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله» فقال العَنْسيّ: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فقال: «أراغبًا جئتَ أم راهِبًا» فقال: أمّا الرَّغبة فوالله ما في يديك مالٌ، وأمّا الرَّهْبة فوالله إني لببلدٍ ما تبلغه جيوشك، ولكنّي خُوّفتُ فخِفتُ، وقيل لي: آمِنْ بالله فآمنتُ. فأقبل رسول الله ﷺ على القوم فقال: «رُبَّ خَطيبٍ من عَنْس» فمَكَث يختلف إلى رسول الله ﷺ، ثم جاء يُوَدّعه، فقال له رسول الله ﷺ: «أخرج» وبَتَّته[٥]، أي أعطاه شيئًا، وقال: «إن أحْسَسْتَ شيئًا فوَائِلْ[٦] إلى أدْنى قرية». فخرج فوُعِك[٧] في بعض الطريق، فوَأَلَ إلى أدْنى قرية فمات رحمه الله، وأسمه ربيعة.

---

(١) التبيع: ولد البقرة لسنة، وسمي تبيعًا لأنه يتبع أمه.

(٢) السائمة: التي تركت ترعى وحدها للنمو والزيادة.

(٣) الحالم: الذي بلغ الحلم.

(٤) بنو عنس: بسكون النون: بطن من كهلان، من القحطانية. وهم بنو عبس بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. وإليهم ينسب الأسود العنسي... (أنساب العرب للقلقشندي).

(٥) بتّته: أي أعطاه بتًّا، وهو كساءٌ غليظ مهلهل مربّع أخضر.

(٦) وائل: أي التجىء.

(٧) وعك: أي مرض.

ذِكر وفدِ الدارِيّين[١] وما كتب لهم بهِ رسول اللّهِ ﷺ وما ٱختصّ بهِ تميم الدارِيّ وإخوته

قال محمد بن سعد بسنده إلى عبيد الله بن عبد الله، ورَوْح بن زِنْباع الجُذاميّ عن أبيه قالا: قدِم وفد الدّارِيِّين على رسول الله ﷺ مُنصَرَفه من تَبُوكَ وهم عشرة نَفر؛ فيهم تَميم ونُعَيْم ٱبنا أوْس بن خارِجة بن سُود بن جُذَيمة بن ذراع بن عَديّ بن الدّار بن هانِىء بن حبيب بن نُمَارة بن لَخْم، ويزيد بن قيس بن خارجة، والفاكِه بن النُّعمان بن جَبَلة بن صَفَّارة بن ربيعة بن ذِراع بن عَديّ بن الدّار، وجَبَلَة بن مالك بن صَفَّارة، وأبو هِنْد والطَّيِّب ٱبنا ذَرٍّ - قال ٱبن إسحاق: بَرٌّ - وهو عبد الله بن ذَرّ بن عِمِّيت بن ربيعة بن ذِراع، وهانِىء بن حبيب، وعَزِيز ومُرّة ٱبنا مالك بن سَوَاد. قال ٱبن إسحاق: عَرْفة. وقال ٱبن هشام: عَزَّة. وقال ٱبن إسحاق في مُرّة: مَرْوان.

قال ٱبن سعد: فأسلموا وسَمَّى رسول الله ﷺ الطيب عبد الله، وسَمَّى عَزيزًا عبد الرحمٰن.

قال: وأهدى هانِىءُ بن حبيب لرسول الله ﷺ راوية[٢] خَمْر وأفْراسًا وقَبَاء[٣] مُخَوَّصًا[٤] بالذهب، فقبل الأفراس والقَبَاء وأعطاه العباس بن عبد المطلب، فقال: ما أصنع به؟ قال: «تنزع الذهب فتحليه نساءك، أو تَسْتَنْفقه، ثم تبيع الدِّيباج[٥] فتأخذ ثمنه»، فباعه العباس من رجل من يهود بثمانية آلاف درهم.

قال وقال تميم: لنا جِيرَةٌ من الرُّوم، لهم قريتان يقال لإحداهما حَبْرَى[٦] والأخرى بيت عَيْنُون[٧]، فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لي، قال: «فهما لك» فلما قام أبو بكر رضي الله عنه أعطاه ذلك، وكتب له به كتابًا، وأقام وفد الدّارِيِّين حتى تُوفِّي رسول الله ﷺ، وأوصى لهم رسول الله ﷺ بِجادِّ[٨] مائةِ وَسْقٍ من خَيْبر، هكذا حكى ٱبن سعد في طبقاته.

---

(١) الداريون: نسبة إلى جدهم الدار بن هانىء بن ثمارة بن لخم بن عديّ بن الحرث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبلر.

(٢) الراوية: المزادة فيها الماء. (٣) القباء: ضرب من الثياب.

(٤) المخوص: المطرز بالذهب.

(٥) الديباج: ضرب من الثياب سداه ولحمته حرير.

(٦) حبرى: هي مدينة الخليل إبراهيم عليه السلام وفيها قبره يزار.

(٧) عينون: قرية من قرى بيت المقدس (لفظ عبري).

(٨) يقال: أرض جاد مائة وسق: أي مخرج مائة وسق، إذا زرعت.

وشاهدتُ أنا عند ورثة الصاحب الوزير فخر الدين أبي حفص عمر، ابن القاضي المرحوم الرئيس مجد الدين عبد العزيز المعروف بابن الخليلي التميميّ رحمه الله، كتابًا يتوارثونه كابرًا عن كابر، يقولون: هو كتاب رسول الله ﷺ الذي كتبه لتميم الداريّ وإخوته، وهو في قِطْعة من أدَم مُربَّعة دون الشِّبْر قد غُلِّفت بالأطْلَس[1] الأبيض، يزعمون أن ذلك من خُفٍّ كان لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد بقي بهذه القِطْعة الأدَم آثارُ أحْرُف خافِية، لا تكاد تَبين إلا بعد إمعان التأمُّل، وتحقيق النظر، وعلى هذه القطعة الأدَم من الجَلالة ولها من الموقع في النفوس والمَهابة ما يقوِّي أنها صادرة عن المحل المُنِيف[2]، وقرين هذه القِطْعة الأدَم قِرْطاس أبيض قديم، يزعمون أن أسلافهم نقلوا ما فيه من الكتابة من كتاب رسول الله ﷺ، قبل أن تزول حروفه. وفيه تسعة أسطر بما في ذلك من البَسْملة، وقد رأينا أن نضع ذلك في هذا الكتاب على هيئته في العدد، وإن لم يوافق الخط، وهو:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هذا ما انْطَا[3] محمد رسول الله لتميم

الداريّ وإخوته حَبْرُون والمَرْطُوم[4]

وبيت عيْنون وبيت إبراهيم وما فيهن

نطِيه بَتٌّ بذِمتِهم ونفذت وسلمت ذلك

لهم ولأعقابهم فمن آذاهم آذاه

الله فمن آذاهم لعنه الله شهد عَتِيق

ابن أبو[5] قُحافَة وعُمر بن الخطاب وعثمان بن عَفّان

وكتب علي بن أبو[6] طالب وشهد.

هكذا شاهدت تلك الورقة التي هي قَرِين الكتاب، والكتاب بأيديهم إلى وقتنا هذا؛ وهو العشر الآخر من ذي القعْدة سنة ستّ عشرة وسبعمائة. وهذه الضِّيَاع الأربعة المذكورة بأيديهم إلى وقتنا هذا، لا يُنازَعُون فيها. وكان الصاحب الوزير

---

(١) الأطلس: الحرير.
(٢) المنيف: المرتفع المشرف.
(٣) أنطى: أي أعطى. . . (لغة أهل اليمن).
(٤) مرطوم، أو مرطهوم: اسم أرض.
(٥) كذا بالأصل، والصواب أبي قحافة.
(٦) كذا بالأصل، والصواب أبي طالب.

فخر الدين عمر بن الخليلي رحمه الله، إذا نابَتْه[1] نائبة، أو صُودِر أو أوذِي بوجه من وجوه الأذى، توَسّل إلى الله تعالى بكتاب نبيه ﷺ، وأظهره للملوك، فكفوا عن طلبه، وأفْرَجوا عنه. ولنرجعْ إلى أخبار الوفود.

ذكر وفد الرَّهاويِّين

والرَّهاويّون حَيّ من مَذْحِج، قال ٱبن سعد: وفد خمسة عشر رجلاً من مَذْحِج على رسول الله ﷺ سنة عشرٍ، فنزلوا دار رَمْلة بنت الحارث، فأتاهم رسول الله ﷺ، فتحدّث عندهم طويلاً. وأهدوا الرسول ﷺ هدايا؛ منها فرس يقال له المِرْواح، فأمر به فشُوِّر[2] بين يديه فأعجبه. فأسلموا وتعلّموا القرآن والفرائض. وأجازهم كما يجيز الوفد؛ أرفعهم ثنتي عشرة أوقيةً ونَشًا، وأخفضهم خمسَ أواقٍ. ثم رجعوا إلى بلادهم.

ثم قدم منهم نفر فحجّوا مع رسول الله ﷺ، فأوصى لهم بِجَادٍّ مائة وَسْقٍ من خَيْبر في الكَتِيبة جارية عليهم، وكتب لهم بها كتابًا، فباعوا ذلك في زمن معاوية.

ذكر وفد غامِد[3]

قال: قدم وفد غامِد على رسول الله ﷺ في شهر رمضان وهم عشرة، فنزلوا ببَقِيع[4] الغَرْقَد، ثم لبسوا من صالح ثيابهم، ثم ٱنطلقوا إلى رسول الله ﷺ، فسلّموا عليه وأقرّوا بالإسلام. وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابًا فيه شَرائعُ الإسلام، وأتَوا أُبَيَّ بن كعب فعلّمهم قرآنًا. وأجازهم رسول الله ﷺ كما كان يُجيز الوفد وٱنصرفوا.

ذكر وفد النَّخع[5]

قالوا: بعث النَّخَع رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ وافِدَيْن بإسلامهم، وهما أَرْطاة بن شَرَاحيل بن كعب، من بني حارثة بن سعد بن مالك بن النَّخَع، والجُهَيْش واسمه الأرْقَم، من بني بكر بن عَوْف من النَّخَع، فخرجا حتى قَدِما على

---

(١) نابته نائبة: أي أصابته مصيبة. (٢) شوّر: أجرى بين يديه ليعرف قوته.

(٣) غامد: بطن من الأزد باليمن، نسبة إلى جدهم غامد واسمه عبد الله.

(٤) بقيع الغرقد: مقبرة أهل المدينة.

(٥) بنو النخع: حيّ من كهلان، من القحطانية؛ غلب عليهم اسم أبيهم. قال أبو عبيدة: سمي النخع لأنه نخع عن قومه، أي بعد... (أنساب العرب للقلقشندي).

رسول الله ﷺ، فعرض عليهما الإسلام فقَبِلاه وبايَعا عن قومهما، فأعْجبَ رسولَ الله ﷺ شأنُهما، وحسْنُ هيْئَتهما؛ فقال: «هل خَلَّفتما وراءَكما من قومكما مثلَكما»؟ قالا: يا رسول الله، قد خَلَّفْنا وراءَنا من قومنا سبعين رجلًا كلهم أفضل منا، وكلهم يَقْطَع الأمر ويُنفِّذ الأشياء، ما يشارِكوننا في الأمر إذا كان، فدعا لهما رسول الله ﷺ ولقومهما بخير، وقال: «اللهمّ بارك في النَّخَع». وعَقَد لأرْطاة لِواءً على قومه، وكان في يده يوم الفتح، فشهد به القادِسيّة فقُتِل يومئذ، فأخذه أخوه دُرَيْد فقُتِل - رحمهما الله - فأخذه سيف بن الحارث من بني جُذَيمة، فدخل به الكوفة.

قال ٱبن سعد: أخبرنا محمد بن عمر الأسلميّ، قال: كان آخر من قدم من الوفد على رسول الله ﷺ وفد النَّخَع، وقَدِموا من اليمن للنِّصف من المحرم، سنة إحدى عشرة، وهم مائتا رجل، فنزلوا دار رَمْلة بنت الحارث، ثم جاؤوا رسول الله ﷺ مُقرِّين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل باليمن، وكان فيهم زُرارَةُ بن عمرو.

وحكى أبو عمر بن عبد البر في ترجمة زُرَارة بن عمرو، والد عمرو بن زُرَارة، قال: قدِم على رسول الله ﷺ في وفد النَّخَع، فقال: يا رسول الله، إني رأيت في طريقي رؤيا هالتني. قال: «وما هي»؟ قال: رأيتُ أتَانًا خلَّفْتها في أهلي ولَدَت جَدْيًا أسْفَعَ[1] أحْوَى[2]، ورأيتُ نارًا خرجت من الأرض فحالت بيني وبين ابنٍ لي - يقال له عمرو - وهي تقول: لَظَى لَظَى، بصيرٌ وأعْمَى. فقال النبيّ ﷺ: «أخلَّفتَ في أهلك أمَةً مُسِرّة ولدًا» قال: نَعَم. قال: «فإنها قد ولدت غلامًا وهو ٱبنك» قال: فما باله أسْفَع أحْوَى؟ قال: «ٱدن منّي، أبك بَرَص تكتمه»؟ قال: والذي بعثك بالحق، ما عَلِمه أحدٌ قبلك. قال: «فهو ذاك، وأما النار فإنها فتنة تكون بعدي» قال: وما الفتنة يا رسول الله؟ قال: يقتل الناسُ إمامَهم، يَشْتَجِرون ٱشْتِجار أطْباق[3] الرأس - وخالف بين أصابعه - دم المؤمن عند المؤمن أحلى من الماء، يحسب المسيء أنه محسن، إن مِتَّ أدركتْ ٱبنَك، وإن مات ٱبنك أدركتك» قال: فٱدع الله لي ألاّ تدركني. فدعا له. قال: وكان قدوم زُرارة بن عمرو هذا على رسول الله ﷺ في النِّصف من شهر رجب سنة تسع.

---

(١) الأسفع: الأسود المشرب بحمرة. (٢) الأحوى: الحمرة إلى سواد.

(٣) أطباق الرأس: عظامه.

وقال الطبري[١]: قَدِم على رسول الله ﷺ وفد النَّخع وهم مائتا رجل، وفيهم زُرارة بن قيس بن الحارث بن عَدِيّ بن الحارث بن عَوْف بن جُشَم بن كعب بن قيس بن مُنْقِذ بن مالك بن النَّخع فأسلموا.

ذكر وفد بَجِيلَة[٢]

قال ابن سعد: قدم جَرير بن عبد الله البَجَليّ سنةَ عَشْرِ المدينة، ومعه من قومه مائة وخمسون رجلاً، فقال رسول الله ﷺ: «يطلع عليكم من هذا الفَجّ[٣] من خَيْرِ ذِي يَمَن على وجهه مَسْحَةُ[٤] مُلْك» فطلع جَرير على راحلته ومعه قومه فأسلموا وبايعوا. قال جَرير: فبسط رسول الله ﷺ يده فبايعني، وقال: «على أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، ثم تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم شهر رمضان، وتنصح للمسلم، وتطيع الوالي وإن كان عبدًا حبشيًا» فقال: نَعَم، فبايعه.

وقدم قيس بن أبي غَرْزَة الأحْمَسِيّ - وقيل غَرْزة بن قيس البَجَليّ - في مائتين وخمسين رجلاً من أحْمَس، فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أنتم»؟ فقالوا: نحن أحْمَسُ[٥] الله. وكان يقال لهم ذاك في الجاهلية. فقال لهم: «وأنتم اليوم لله». وقال رسول الله ﷺ لبِلال: «أعطِ ركْب بَجِيلَةَ وابْدَأْ بالأحْمَسِيِّين» ففعل. وسأل رسول الله ﷺ جَرِيرَ بن عبد الله «ما فعل ذو الخَلَصَة»[٦]؟ قال: هو على حاله، قد بَقِيَ واللّهِ، يُزيحُ منه إن شاء الله، فبعثه رسول الله ﷺ إلى هَدْمِه، وعقَد له لِواءً فقال: إني لا أثبت على الخيل فمسح صدره، وقال: «اللهم اجعله هاديًا مَهْديًا» فخرج في قومه وهم زُهاء مائتين، فما أطال الغيبة حتى رجع؛ فقال له رسول الله ﷺ: «هَدَمْتَه»؟ قال: نَعَم، والذي بعثك بالحقّ، وأخذتُ ما عليه وأحرقته بالنار، فتركته كما يَسُوء مَنْ يَهْوى هَواه، وما صَدّنا عنه أحدٌ. قال فَبَرَكَ[٧] رسول الله ﷺ يومئذ على خيل أحْمَس ورجالها.

---

(١) الطبري: هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، الطبري، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إمامًا في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك. وله مصنفات في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله... (وفيات الأعيان ٤: ١٩١).

(٢) بجيلة: قبيلة من أنمار بن أراش، من كهلان، من القحطانية. قال أبو عبيد: وهم بنو عبقر، والغوث، وصهيبة، وحزيمة، بنو أنمار بن أراش... (القلقشندي).

(٣) الفجّ: الطريق الواسع البعيد. (٤) مسحة ملك: أي أثر ظاهر منه.

(٥) الحمس: قبائل من العرب سموا بذلك لأنهم تحمسوا في دينهم، أي تشددوا.

(٦) ذو الخلصة: صنم لدوس، وخثعم وبجيلة وغيرهم.

(٧) برّك: دعا له بالبركة.

ذكر وفدِ خَثْعَم(١)

قالوا: وفد عَثْعَثُ بن زَحْر، وأَنَس بن مُدْرِك، في رجال من خَثْعَم إلى رسول الله ﷺ بعدما هدم جَرِير بن عبد الله ذا الْخَلَصَة، وقتل من قتل من خَثْعَم، فقالوا: آمنا بالله ورسوله، وما جاء من عند الله، فاْكتب لنا كتابًا نتبع ما فيه؛ فكتب لهم كتابًا شهد فيه جَرِير بن عبد الله ومن حضر.

ذكر وفدِ حَضْرَمَوْت(٢)

قالوا: قَدِم وفد حَضْرَمَوْت مع وفد كِنْدة على رسول الله ﷺ وهم بنو وَلِيعَة ملوك حَضْرَمَوْت؛ جَمْد، ومِخْوَس، ومِشْرَح، وأَبْضَعَة، فأسلموا، وقال مِخْوَس: يا رسول الله، اْدع الله أن يذهب عني هذه الرُّتَّة(٣) من لساني. فدعا له، وأطعمه طُعْمَة من صدقة حَضْرَمَوْت.

وقدم وائِل بن حُجْر الحَضْرَميّ وافدًا على رسول الله ﷺ، وقال: جئت راغبًا في الإسلام والهِجرة، فدعا له ومسح رأسه ونُودِيَ: «الصلاة جامعة» سرورًا بقدوم وائِل بن حُجْر. وأمر رسول الله ﷺ معاوية بن أبي سفيان أن ينزله بالحَرّة(٤)، فمشى معه، ووائِلُ راكب، فقال له معاوية: أَلْق إليّ نعليك أتوَقّى بهما الرّمْضَاء(٥). قال: لا، إني لم أكن لألبسَهُما وقد لبِسْتهما. ومن رواية: لا يبلغ أهل اليمن أن سُوقة(٦) لَبِس نَعْل مَلِك. قال: فأَرْدِفْني، قال: لست من أرْداف الملوك، قال: إنّ الرمضاء قد أحرقت قدمي، قال: اْمش في ظِلّ ناقتي، كفاك به شرفًا.

ويقال: إن وائل بن حُجْر هذا وفد بعد ذلك إلى معاوية في خلافته فأكرمه معاوية.

---

(١) خثعم: بطن من أنمار، من أراش، من القحطانية. قال في العبر: وبلاد خثعم مع إخوتهم «بجيلة» بسودات اليمن والحجاز إلى تباله... (أنساب العرب).

(٢) حضرموت: ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وبها قبر هود عليه السلام، وبقربها بئر برهوت، ولها مدينتان يقال لإحداهما تريم وللأخرى شبام، وعندها قلاع وقرى... (معجم البلدان لياقوت).

(٣) الرتة: عقدة وحبسة في اللسان.

(٤) الحرّة: أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار. والمراد هنا موضع بعينه.

(٥) الرمض: شدة حر الشمس على الرمل وغيره.

(٦) السوقة: الرعيّة.

قال: ولما أراد وائل بن حُجْر الشُّخُوص إلى بلاده، كتب له رسول الله ﷺ كتابًا وهو:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبيّ لوائل بن حُجْر قَيْل[١] حَضْرَمَوْتَ، إنك أسلمتَ وجعلتُ لك ما في يدك من الأرضين والحصون، وأن يؤخذ منك من كل عشرة واحد. ينظر في ذلك ذَوُو عَدْل وجعلتُ لك ألا تُظْلَم فيها ما قام الدّين. والنبيّ ﷺ والمؤمنون عليه أنصار».

قال القاضي[٢] عياض بن موسى بن عيَاض رحمه الله وفيه:

«إلى الأقيال العبَاهِلة[٣]، والأرْواع[٤] المَشَابيب»[٥]. وفيه:

«وفي التِّيعَةِ[٦] شاةٌ لا مُقَوّرَةُ الألْياطِ[٧] ولا ضِنَاكٌ[٨]، وأنْطُوا الثَّبَجة[٩]، وفي السُّيُوب[١٠] الخُمْس ومن زَنَى مِنَ اَمْبِكْرٍ فاَصْقَعُوه مائةً واسْتَوْفِضُوه[١١] عامًا، ومن زَنَى من اَمْثَيِّب[١٢] فضَرِّجوه بالأضَامِيم[١٣]، ولا تَوْصِيم[١٤] في الدِّين، ولا غُمّة[١٥] في فرائض الله؛ وكل مُسْكِر حرام، ووائل بن حُجْر يَتَرَفَّل[١٦] على الأقْيال».

قال محمد بن سعد بسنده إلى أبي عُبَيدة من ولد عَمّار بن ياسِر قال: وَفَد مِخْوَس بن مَعْدِي كَرِبَ بن وَلِيعة فيمن معه على رسول الله ﷺ، ثم خرجوا من عنده

(١) الأقيال: الملوك الذين دون التبابعة.
(٢) عياض: هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم وصنف التصانيف المفيدة... (وفيات الأعيان ٣:٤٨٣).
(٣) العباهلة: الذين أقروا على ملكهم فلم يزالوا عنه.
(٤) الأرواع: الحسان الوجوه.
(٥) المشابيب: واحدها مشبوب، وهو من اسود رأسه وابيض وجهه.
(٦) يراد بقوله: التيعة شاة: أي أن الأربعين من الغنم فيها شاة زكاة.
(٧) مقورة الألياط: أي غير مسترخية الجلود لهزالها.
(٨) الضناك: السمينة.
(٩) الثبجة: الوسط في الصدقة.
(١٠) السيوب: عروق من الذهب توجد في باطن الأرض.
(١١) استوفضوه: غربوه وأنفوه.
(١٢) امثيب: أي الثيب، وذلك لأن أهل اليمن يبدلون لام التعريف ميمًا.
(١٣) الأضاميم: الحجارة، واحدتها إضمامة.
(١٤) المراد بقوله: لا توصيم في الدين: أي لا تفتروا في إقامة الحدود ولا تحابوا فيه.
(١٥) الغمّة: التستر والتخفي.
(١٦) يترفل: يراد بها يتسود ويترأس.

فأصاب مِخْوَسَ اللَّقْوَةُ[١] فرجع منهم نَفَر، فقالوا: يا رسول الله، سيّد العرب ضربته اللَّقْوَةُ، فأدللنا على دوائه، فقال رسول الله ﷺ: «خذوا مِخْيَطًا فأحموه في النار، ثم آقلبوا شُفْر عينيه، ففيها شفاؤه، وإليها مصيره، فالله أعلم ما قلتم حين خرجتم من عندي» فصنعوه به فبرىء.

ذكر وفدِ أَزْدِ عُمَان

قالوا: أسلم أهل عُمَان، فبعث إليهم رسولُ الله ﷺ العَلاَء بن الْحَضْرَميّ ليعلّمهم شرائع الإسلام، ويُصدِّق أموالهم، فخرج وفدُهم إلى رسول الله ﷺ، فيهم أسد بن بَيْرَح الطاحيّ، فلقُوا رسولَ الله ﷺ فسألوه أن يبعث معهم رجلًا يقيم أمرهم، فقال مَخْرَمة العبديّ وآسمه مُدْرِك بن خُوطٍ: آبعثني إليهم فإن لهم عليّ مِنَّةً؛ أَسَروني في يوم جَنُوب[٢] فمنُّوا عليّ. فوجّهه معهم إلى عُمَان، وقدِم بعدهم سَلَمَة بن عَبّادِ الأزديّ في ناس من قومه، فسأل رسول الله ﷺ عما يعبد وما يدعو إليه، فأخبره رسول الله ﷺ، فقال: آدع الله أن يجمع كلمتنا وأُلفتنا. فدعا لهم، وأسلم سَلَمَة ومن معه.

ذِكر وفدِ غافِقٍ[٣]

قالوا: وقدِم جُلَيْحَة بن شَجّار بن صُحَار الغافِقيّ، على رسول الله ﷺ في رجال من قومه، فقالوا: يا رسول الله، نحن الكَوَاهِل[٤] من قومنا، وقد أسلمنا وصَدَقاتُنا محبوسةٌ بأفنيتنا[٥]. فقال: «لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم» فقال عَوْذُ بن سُرَيْر الغافقيّ: آمنا بالله وآتبعنا رسول الله.

ذكر وفدِ بارِق[٦]

قالوا: قدِم وفدُ بارِقٍ، فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلموا وبايعوا، وكتب لهم رسول الله ﷺ:

---

(١) اللقوة: داء يكون في الوجه يعوج منه الشدق.

(٢) جنوب: اسم موضع، وبه سمي يوم من أيام العرب.

(٣) بنو غافق: بطن من عك، من القحطانية. قال أبو عبيد: كان منهم في الإسلام وزراء وأمراء.

(٤) الكواهل: الذين يعتمد عليهم في القيام بشؤون من خلفوهم وراءهم.

(٥) الأفنية: واحدتها الفناء، وهي الساحة في الدار أو بجانبها.

(٦) بنو بارق: بطن من خزاعة، من بني عمرو مزيقياء، من الأزد، من القحطانية. منهم أم الخير التي وردت على معاوية، بعدما كان منها في حقه يوم صفين، فأحسن جائزتها... (أنساب العرب للقلقشندي).

«هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ لبارِق ألا تُجَذّ ثمارُهم، ولا تُرْعى بلادُهم في مَرْبَع ولا مَصِيفٍ إلا بمسألة من بارِق. ومن مَرّ بهم من المسلمين في عرك[1] أو جَدْب فله ضيافة ثلاثة أيام. وإذا أَيْنَعَت ثمارُهم فلابن السّبيل اللّقاط[2] بِوُسْع بطنه من غير أن يَقِيَه». ثم شهد أبو عبيدة بن الجرّاح، وحُذَيفة بن اليمان، وكتب أُبَيُّ بن كعب.

ذكر وفد ثُمالَة[3] والحَدّانِ[4]

قالوا: قدم عبد الله بن غَلَس الثُّماليّ ومَسْلَمة بن هَارَان الحَدّانِي على رسول الله ﷺ في رَهْط من قومهما بعد فتح مكة، فأسلموا وبايعوا رسول الله ﷺ على قومهم، وكتب لهم كتابًا بما فرض عليهم من الصدقة في أموالهم، كتبه ثابِت بن قَيْس بن شَمّاس، وشهد فيه سعد بن عُبَادة ومحمد بن مَسْلَمة.

ذكر وفدِ مَهْرة[5]

قالوا: قدِم وفد مَهْرَة على رسول الله ﷺ، عليهم مَهْريّ بن الأبيض، فعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام فأسلموا، وكتب لهم:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم. هذا الكتاب من محمد رسول الله لمَهْريّ بن الأبيض على من آمن به من مَهْرَة ألاّ يُؤكَلوا[6] ولا يُعْرَكوا[7]. وعليهم إقامة شَعائر الإسلام، فمن بدّل فقد حارب، ومن آمن به فله ذمّة الله وذِمّةُ رسوله. اللُّقَطَة[8] مؤدّاة، والسّارِحَة مُنَدّاة، والتَّفَثُ[9] السَّيِّئة، والرَّفَثُ[10] الفُسُوق».

وكتب محمد بن مَسْلَمة الأنصاري.

---

(١) العرك: من عركتهم الحرب، أي دارت عليهم.

(٢) اللقاط: ما يوجد من الثمار ساقطًا فيلتقط.

(٣) بنو ثمالة: بضم الثاء، بطن من شنوءة، من الأزد، من القحطانية. منهم الحكم بن عمرو الثمالي، شهد بدرًا.

(٤) بنو حدان: بفتح الحاء وتشديد الدال: بطن من شنوءة، من الأزد. منهم صبرة بن شيبان، كان رأس الأزد يوم الجمل، وقتل يومئذ.

(٥) مهرة: حي من قضاعة، نسبة إلى مهرة بن حيدان.

(٦) يؤكل: يغار عليه.

(٧) يعرك: يؤكل نباته.

(٨) اللقطة: ما التقط من مال ضائع.

(٩) التفث: أي الدرن والوسخ.

(١٠) الرفث: الفحش في القول. والفسوق: العصيان.

قالوا: ووفد إلى رسول الله ﷺ رجل من مَهْرَة، يقال له زُهَير بن قِرْضِم بن الجُعَيْل من الشِّحْر[١]، فكان رسول الله ﷺ يُدْنيه لبعد مسافته، فلما أراد الانصراف بَتَّه، وحمله، وكتب له كتابًا.

ذِكر وفد حِمْيَر[٢]

قالوا: قدِم على رسول الله ﷺ مالك بن مُرَارة الرَّهاوي، رسول ملوك حِمْير بكتابهم وإسلامهم، وذلك في شهر رمضان سنة تِسع عند مَقْدَمه من تَبُوكَ، وهم: الحارث بن عَبْد كُلاَل، ونُعَيْم بن عَبْد كُلاَل، والنُّعْمان قيل ذِي رُعَيْن، ومَعَافِر، وهَمْدان.

قال ابن إسحاق: وبعث إليه زُرْعَةُ ذُو يَزَنٍ مالكَ بن مُرَّة الرَّهاويّ فكتب إليهم رسول الله ﷺ:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم. من محمد رسول الله إلى الحارث بن عَبْد كُلاَل وإلى نعَيْم بن عَبْد كُلاَل، وإلى النعمان قَيْل ذِي رُعَيْنٍ ومَعَافِر وهَمْدان ـ أما بعد ذلكم ـ فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو ـ أما بعد ـ فإنه قد وقَع بنا رسولكم مُنْقَلَبنا من أرض الروم، فلقِينَا بالمدينة، فبلّغ ما أرسلتم به، وخبَّر ما قِبلَكم، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين، وأنّ الله قد هداكم بهُداه إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من المغانم خُمُسَ الله، وسهمَ النبيّ وصَفِيّه، وما كُتب على المؤمنين من الصّدقة، من العَقَار عُشْر ما سقت العينُ وسقت السماءُ، وعلى ما سَقى الغَرْبُ نِصفُ العُشْر، وإن في الإبل الأربعين ابنةَ لَبُون، وفي ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر، وفي كل خمس من الإبل شاة، وفي كل عشر من الإبل شاتان، وفي كل أربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تَبِيع: جَذَع أو جذَعة، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدَها شاةٌ، وأنّها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصّدقة، فمن زاد خيرًا فهو خير له، ومن أدّى ذلك، وأشهد على

---

(١) الشحر: ناحية على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن.

(٢) حمير: بالكسر ثم السكون وياء مفتوحة، وراء؛ قال الهمذاني: هو حمير بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير بن سباء الأصغر بن لهيعة بن حمير بن سبأ بن يشجب، وهو حمير الأكبر، وحمير الغوث هو حمير الأدنى... (معجم البلدان لياقوت).

إسلامه، وظَاهَر[١] المؤمنين على المشركين، فهو من المؤمنين، له ما لهم، وعليه ما عليهم وله ذِمّة الله وذِمّة رسوله، وإنّه من أسلم من يهوديّ أو نصرانيّ فإنّه من المؤمنين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يُردّ عنها، وعليه الجِزْية على كل حالم ذكرٍ أو أنثى، حرٍّ أو عبدٍ دينارٌ وافٍ، من قيمة المَعَافر[٢] أو عِوَضه ثيابًا، فمن أدّى ذلك إلى رسول الله ﷺ فإن له ذِمّة الله وذِمّة رسوله، ومن منعه فإنه عدوّ لله ولرسوله ﷺ.

أما بعد ـ فإن رسولَ الله محمدًا النبيّ أرسل إلى زُرْعة ذي يَزَن أنْ إذا أتاكم رُسلي فأوصيكم بهم خيرًا: معاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد، ومالك بن عُبَادة، وعُقْبة بن نمر، ومالك بن مُرّة، وأصحابهم، وأن أجمعوا له ما عندكم من الصّدقة، والجِزْية من مخالفيكم، وأبلغوها رُسلي، وأنّ أميرهم معاذ بن جَبَل فلا يَنْقلِبنّ إلا راضيًا.

أما بعد ـ فإن محمدًا يشهد أن لا إله إلا الله وأنّه عبده ورسوله، ثم إن مالك بن مُرّة الرَّهاويّ قد حدّثني أنك أسلمتَ من أوّل حِمير وقتلتَ المشركين، فأبشر بخير، وآمرك بحمير خيرًا، ولا تَخونوا ولا تَخَاذلوا، فإنّ رسولَ الله ﷺ هو مَوْلى غَنِيّكم وفقيركم، وأنّ الصدقة لا تَحِل لمحمدٍ ولا لأهل بيته، إنما هي زكاة يُزكّى بها على فقراء المسلمين ولابن السبيل، وأن مالكًا قد بَلّغ الخبرَ، وحفِظ الغيبَ وآمركم به خيرًا، وأنّي أرسلت إليكم من صالحي أهلي وأُولي دِينهم وأُولي عِلْمهم، وآمركم بهم خيرًا، فإنهم مَنظور إليهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

ذكر وفد جَيْشَان[٣]

قال محمد بن سعد: قَدِم أبو وَهْب الجَيْشانيّ على رسول الله ﷺ في نَفَر من قومه، فسألوه عن أشربة تكون باليمن، فسَمُّوا له البِتْع[٤] من العَسَل، والمِزْر[٥] من الشَّعير، فقال رسول الله ﷺ: «هل تسكرون منهما» قالوا: إنْ أكثرنا سَكِرنا، قال: «فحرامٌ قليلُ ما أسكرَ كثيرُه»، وسألوه عن الرجل يتخذ الشراب فيسقيه عُمّالَه، فقال: «كُلُّ مُسكرٍ حرام».

---

(١) يقال: ظاهر فلانًا: أي عاونه وقوّاه. (٢) المعافر: ثياب من ثياب اليمن.

(٣) جيشان: مخلاف جيشان باليمن كان ينزلها جيشان بن غيدان بن حجر بن ذي رعين... (معجم البلدان).

(٤) البتع: نبيذ يتخذ من عسل. (٥) المزر: نبيذ الشعير.

ذكر وفد سَلُول[١]

قال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النَّمَريّ رحمه الله: قَدِم قَرَدة بن نُفَاثة السَّلُوليّ، من بني عمرو بن مُرّة بن صَعْصَعة بن معاوية بن بَكْر بن هَوَازن على رسول الله ﷺ في جماعة من بني سَلُولٍ، فأمّره عليهم بعدما أسلم وأسلموا؛ فأنشأ يقول: [من البسيط]

بَانَ الشَّبابُ فلم أحفِلْ به بالاَ ... وأقبَل الشَّيبُ والإسلامُ إقبالاَ
وقد أُرَوِّي نَدِيمي من مُشَعْشَعَة ... وقد أُقَلِّبُ أوْرَاكًا وأكْفَالاَ[٢]
الحمدُ لله إذ لم يأتِني أجَلِي ... حتى اكتسيتُ من الإسلامِ سِرْبالاَ

قال: وقد قيل: إن البيت الثالث للَبِيد، قال أبو عُبيدة[٣]: لم يقل لَبِيدُ في الإسلام غيره، وكان قد عُمِّر مائة وخمسين سنة.

قال أبو عمر: وقَرَدة هذا هو الذي يقول: [من البسيط]

أصبحتُ شيخًا أرى الشَّخصيْن أربعةً ... والشَّخصَ شخصين لَمّا مَسَّني الكِبَرُ
لا أسمعُ الصّوتَ حتى أسْتديرَ له ... وحَالَ بالسَّمْعِ دُونِي المنظَرُ القَصَرُ
وكنتُ أمشِي على السّاقَيْنِ مُعْتدِلاً ... فصِرتُ أمْشِي على ما تُنْبتُ الشَّجَر
إذا أقُومُ عَجَنْتُ الأرضَ مُتَّكَا ... على الْبَرَاجِمِ حتى يَذْهبَ النَّفَرُ[٤]

ذكر وفد نجران وسؤالهم رسول الله ﷺ، وما أنزل الله عزّ وجلّ فيهم من القرآن

قال محمد بن إسحاق: قدِم على رسول الله ﷺ وفدُ نصارى نَجْران سِتُّون راكبًا، فيهم أربعةَ عشرَ رجلاً من أشرافهم، وهم: العاقِبُ عبدُ المسيح، والسيّد وهو

---

(١) بنو سلول: بطن من هوازن، من العدنانية... وسلول أمهم عرفوا بها. وهي سلول بنت ذهل بن شيبان.

(٢) المشعشعة: الخمر.

(٣) أبو عبيدة: هو معمر بن المثنى التيمي بالولاء، تيم قريش، البصري النحوي العلامة. قال عنه ابن قتيبة: كان الغريب أغلب عليه، وأخبار العرب وأيامها، وكان مع معرفته ربما لم يقم البيت إذا أنشده حتى يكسره، وكان يخطىء إذا قرأ القرآن الكريم نظرًا، وكان يبغض العرب، وألّف في مثالبها كتبًا، وكان يرى رأي الخوارج... (وفيات الأعيان ٥: ٢٣٥).

(٤) عجن الأرض: اعتمد عليها بجمعه إذا أراد النهوض من الكبر. والبراجم: مفاصل الأصابع. والنفر: الجماعة من الناس.

الأيْهَم، وأبو حارثة بن عَلْقَمة، وأوْسُ، والحارثُ، وزيدُ، وقيسُ، ويَزيدُ، ونُبَيه، وخُوَيلد، وعمرو، وخالد، وعبد الله، ويُحنّس. ومن هؤلاء الأربعة عشر ثلاثةُ نفرٍ إليهم يؤول أمرُهم، وهم العاقِبُ أميرُ القوم وذو رأيهم، وصاحب مَشُورتهم، والذي لا يُصْدِرون إلا عن رأيه، واسمه عبدُ المسيح.

قال محمد بن سعد: هو رجل من كِندة والسيّد ثِمالهم[(١)]، وصاحبُ رَحلهم ومُجْتَمعهم، واسمه الأيْهَم، وأبو حارثة بن عَلْقَمة أحد بكر بن وائل أُسْقُفهم وحَبْرهم وإمامهم، وصاحب مِدْرَاسِهم[(٢)].

قال ابن سعد: وكان من الأربعة عشر كُوز وهو أخو الحارث بن عَلْقَمة، وأوْس أخو السيّد.

قال: فتقدمهم كُوز وهو يقول: [من الرّجز]

إلـيـكَ تَـعْـدُو قَـلِـقًـا وَضِـيـنُـهـا مُـعْـتَـرِضًـا في بطنِها جَنِينها[(٣)]

* مُـخـالِـفًـا دِيـنَ الـنَّـصـارَى دِيـنُـهـا *

وقدِم على النبيّ ﷺ، ثم قدِم الوفدُ بعده، فدخلوا عليه المسجد، عليهم ثياب الحِبَرَة[(٤)] وأرْدِيةٌ مَكْفوفة بالحرير، فقاموا يصلّون في المسجد نحو الشّرق، فقال رسول الله ﷺ: «دَعُوهم»، ثم أتوا النبيّ ﷺ، فأعرض عنهم ولم يكلّمهم، فقال لهم عثمان: ذلك من أجل زِيِّكم هذا، فانصرفوا يومَهم ذلك، ثم غَدَوا عليه، بزِيّ الرُّهْبان فسلَّموا عليه فردّ عليهم.

قال محمد بن إسحاق[(٥)]: وكان أبو حارثة قد شَرُف فيهم، ودَرَس كتبَهم، حتى حَسُن عِلْمُه في دينهم، فكانت ملوكُ الرّوم من أهل النّصرانية قد شَرَّفوه ومَوَّلوه وأخْدموه، وبَنَوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكَرَامات؛ لِمَا يَبلغهم عنه من عِلْمه واجتهاده في دينهم، فلما وَجَّهوا إلى رسول الله ﷺ من نَجْران، جلس أبو حارثة على بَغْلة له، وإلى جَنْبه أخوه كُوز ـ ويقال فيه كُرْز ـ فعثَرَت بغلةُ أبي حارثة، فقال كُوز:

---

(١) الثمال: الغياث الذي يفزع إليه. (٢) المدراس: بيت يدرس فيه الكتاب.

(٣) الوضين: الحزام. (٤) الحبرة: ضرب من برود اليمن.

(٥) محمد بن إسحاق: هو أبو بكر، وقيل أبو عبد الله، محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، المديني، صاحب المغازي والسير؛ كان جده مولى قيس بن مخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي، سباه خالد بن الوليد من عين التمر. وكان محمد بن إسحاق ثبتًا في الحديث عند أكثر العلماء، وأما في المغازي والسير فلا تجهل إمامته فيها. . . (وفيات الأعيان ٤:٢٧٦).

تَعِس الأبعدُ، يريد رسولَ الله ﷺ، فقال له أبو حارثة: بل أنت تَعِست. فقال: ولم يا أخي؟ قال: واللّهِ إنَّه للنبيُّ الذي كنا ننتظره. فقال له كُوز: فما يمنعك منه وأنت تعلم هذا؟ قال: ما صنع بنا هؤلاء القوم؛ شَرَّفونا ومَوَّلونا وأكرمونا، وقد أبَوْا إلاّ خِلاَفه، فلو فعلتُ نزعوا منا كل ما ترى. فأضمر عليها منه كُوز بن عَلْقَمة حتى أسلم بعد ذلك، فكان يحدِّث عنه هذا الحديث.

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: وبلغني أنّ رؤساء نَجْرانَ كانوا يتوارثون كُتبًا عندهم، فكلما مات رئيس منهم وأفضت الرياسة إلى غيره، خَتَم على تلك الكُتب خاتمًا مع الخَوَاتم التي قبله ولم يَكْسِرها، فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبي ﷺ يمشي فعَثَر، فقال ٱبنه: تَعِس الأبعد ـ يريد النبيَّ ﷺ ـ فقال له أبوه: لا تفعل فإنه نبيّ وٱسمه في الوضائِع ـ يعني الكتب ـ فلما مات لم يكن لأبنه هِمّة إلا أن كَسَر الخَوَاتم، فوجد في الكُتب ذِكْر النبيّ ﷺ، فأسلم وحَسُن إسلامه فحجّ، وهو الذي يقول:

* إلــيــكَ تَــغْــدُو قَــلِــقًــا وَضِــيــنُــهَــا *

قال ٱبن إسحاق: ولما قَدِموا صَلُّوا في المسجد نحو الشّرق، وكَلَّم رسولَ الله ﷺ منهم الثلاثةُ نَفَر: العاقِب، والسيّد، وأبو حارِثة، وهم من النصرانية على دين الملك، مع ٱختلاف من أمرهم، يقولون في المسيح: هو الله، ويقولون: هو ٱبن الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة، فهم يَحتجُّون في قولهم: هو الله بأنه كان يحيي الموتى، ويبرىء من الأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا، ويحتجون في قولهم إنه ٱبن الله بأنهم يقولون: لم يكن له أبٌ يُعلَم، وقد تكلم في المهد، وهذا شيء لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله. ويحتجون في قولهم إنه ثالث ثلاثة، بقول الله فَعَلْنا، وأمَرْنا، وخَلَقْنا، وقَضَيْنا، فيقولون: لو كان واحدًا ما قال إلا فَعلتُ وقَضيتُ وأمرتُ وخلَقتُ، ولكنه هو، وعيسى، ومريم.

قال: فلما كلّم رسولُ الله ﷺ الحبْران قال لهما: «أسْلِما»، قالا: قد أسلمنا قبلك. قال: «كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاكما لله وَلَدًا، وعبادتكما الصَّلِيب، وأكلكما الخِنزير» قالا: فمن أبوه يا محمد؟ فصَمتَ رسولُ الله ﷺ فلم يجبهما، فأنزل الله تعالى عليه في ٱختلاف أمرهم كلّه صَدْر سورة آل عمران، إلى بضع وثمانين آية منها.

فقال تعالى: ﴿الٓمٓ ۞ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۞﴾ [آل عمران: ١، ٢]. قال: أفتتح السورة بتنزيه نفسه عما قالوا وتوحيده، ليس معه شريك في أمره: «الْحَيُّ» أي الذي لا يموت، وقد مات عيسى وصُلِب في قولكم. «الْقَيُّوم» القائم على مكانه من سلطانه في خَلْقه لا يزول، وقد زال عيسى. ثم قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [آل عمران: ٢] أي بالصدق فيما أختلفوا فيه ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۞ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ﴾ [آل عمران: ٣، ٤] أي الفصل بين الحقّ والباطل فيما اختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۞﴾ [آل عمران: ٤] أي إنّ الله مُنتقم ممن كفر بآياته بعد علمه بها ومعرفته. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۞﴾ [آل عمران: ٥] أي قد علِم ما يريدون وما يكيدون وما يضاهون بقولهم في عيسى؛ إذ جعلوه إلهًا وعندهم من عِلْمه غيرُ ذلك. ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [آل عمران: ٦] أي قد كان عيسى ممن صُوِّر في الأرحام لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه، كما صُوِّر غيرُه من ولد آدم، فكيف يكون إلهًا وقد كان بذلك المنزل.

ثم قال تعالى تنزيهًا لنفسه وتوحيدًا لها: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦] أي «العزيز» في أنتصاره ممّن كفر به إذا شاء «الحكيم» في حجته وعذره إلى عباده. ثم قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧] أي فيهنّ حجة الربّ وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لهنّ تصريف ولا تحريف عما وُضِعن عليه. ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ [آل عمران: ٧] أي لهنّ تصريف وتأويل، أبتلى الله فيهنّ العباد، كما أبتلاهم في الحلال والحرام، ألا يُصْرَفْنَ إلى الباطل ولا يُحَرَّفْنَ عن الحق.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾ [آل عمرن: ٧] أي مَيْلٌ عن الهدى. ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: ٧] أي ما تصرّف منه؛ ليُصدِّقوا به ما أبتدعوا وأحدثوا لتكون لهم حُجّة وشبهة على ما قالوا. ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ [آل عمران: ٧] أي اللَّبس ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾ [آل عمران: ٧] أي تأويل ذلك على ما رَكِبوا من الضلالة في قولهم: خَلَقْنا وقضَيْنا. يقول تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران: ٧] فكيف يختلف وهو قولٌ واحدٌ، من ربٍّ واحد. يقول: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧] أي في مثل هذا. ثم قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۞﴾ [آل عمران: ٨]. ثم قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾

[آل عمران: ١٨] يشهدون بذلك. ﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] أي بالعدل ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٨، ١٩] أي ما أنت عليه يا محمد من التوحيد للربّ والتصديق للرسل. قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩] أي العلم الذي جاءك أنّ الله الواحد الذي ليس له شريك. ثم قال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩] يقول تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾ [آل عمران: ٢٠] أي فيما يأتون به من الباطل من قولهم: خَلَقْنا وفَعَلْنا وأمَرْنا، فإنما هي شُبهة باطلٍ قد عرفوا ما فيها من الحقّ ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ﴾ [آل عمران: ٢٠] أي الذين لا كتاب لهم ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠].

ثم جمعَ تعالى أهلَ الكتابين من اليهود والنصارى فيما أحدثوا وابتدعوا، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢١﴾ [آل عمران: ٢١] إلى قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ أي ربّ العباد والملك الذي لا يقضي فيهم غيره ﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] أي لا يَقدِرُ على هذا غيرُك بسلطانك وقُدرتك ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ﴾ [آل عمران: ٢٧] أي بتلك القدرة. ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٧] أي لا يَقدِر على ذلك غيرُك ولا يصنعه إلاّ أنت، أي إن كنتُ سلّطتُ عيسى على الأشياء التي بها يزعمون أنه إلهٌ، من إحياء الموتى، وإبراء الأسقام، والخَلْق من الطّين، والإخبار عن الغيوب؛ لأجعله به آيةً للناس، وتصديقًا له في نبوّته التي بعثته بها إلى قومه، فإن من سُلْطاني وقُدْرتي ما لم أعطه؛ من إيلاج الليل في النهار والنهار في الليل، وإخراج الحيّ من الميّت، وإخراجِ الميت من الحيّ؛ ورزق من شئتُ من برٍّ أو فاجرٍ بغير حساب، فكلّ ذلك لم أُسلّط عيسى عليه، ولم أُملّكه إياه، أفلم يكن لهم في ذلك عبرة وبينة! أن لو كان إلهًا كان ذلك كلّه إليه، وهو في قولهم يَهرُب من الملوك ويتنقل منهم في البلاد، من بلد إلى بلد.

ثم وعظ المؤمنين وحذّرهم فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ﴾ [آل عمران: ٣١] أي ما مضى من كفركم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٢﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢] يقول: أطيعوا الله والرسول فأنتم تعرفونه وتجدونه في كتابكم، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أي على كفرهم.

ثم أستقبل أمر عيسى عليه السلام، وكيف كان بدء ما أراد الله تعالى به فقال: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٣ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٣٤﴾ [آل عمران: ٣٤]. ثم ذكر أمر أمرأة عِمْران فقال: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: ٣٥] أي جعلته عَتيقًا يعبد الله عزّ وجل، لا ينتفع به لشيء من الدنيا ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ﴾ [آل عمران: ٣٦] أي ليس الذكر كالأنثى لما جعلتها مُحَرَّرًا لك نذيرة ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]. يقول الله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ﴾ [آل عمران: ٣٧] أي كفلها بعد أبيها وأمها؛ يذكرها باليتم، ثم قَصّ خبرها وخبر زكريا، وما دعا به وما أعطاه؛ إذ وهب له يحيى، ثم ذكر مريم، وقول الملائكة لها، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٢﴾ [آل عمران: ٤٢] قال الثعلبيّ: القائل من الملائكة جِبريلُ وحدَه، «ٱصطفاكِ» بولادة عيسى عليه السلام من غير أب، «وَطَهَّرَكِ» مِن مَسِيس الرجال. وقيل: كانت مريم عليها السلام لا تحِيض و«ٱصْطَفَاكِ» بالتحرير في المسجد «على نِساءِ الْعَالَمِينَ» قال: على عالمي زمانها، ولم تُحرَّر أنثى غيرها. ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ [آل عمران: ٤٣] قال الثعلبي: قوله «ٱقْنُتِي» أطيعي وأطيلي الصلاة لربك، قال: كلّمتها الملائكة شِفَاهًا. قال الأوزاعيّ: لما قالت لها الملائكة ذلك، قامت في الصلاة حتى وَرِمت قدماها وسالتا دمًا وقَيْحًا.

ثم قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤] قال أبن إسحاق: كفلها هاهنا جُرَيْج الراهب رجلٌ من بني إسرائيل نجّار، خرج السَّهْمُ عليه فحملَها، وكان زكريّا قد كفلها قبل ذلك، فأصابت بني إسرائيل أزمةٌ شديدة، فعجز زكريا عن حَمْلها، فٱستهموا عليها، فخرج السَّهْمُ على جُرَيج الراهب فكفلها. يقول تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤] أي ما كنت معهم إذ يختصمون في كفالتها، فخبّره تعالى بخفيّ ما كَتَموا منه من العلم عندهم؛ لتحقيق نبوّته، والحجة عليهم بما يأتيهم به مما أخفَوا منه.

ثم قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥] أي هكذا كان أمره، لا كما يقولون فيه. ﴿وَجِيهًا فِى

ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥] «وَجِيهًا» أي شريفًا ذا جاه وقَدْر «وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» عند الله ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران: ٤٦] يخبرهم بحالاته التي يتقلب فيها في عُمره؛ كتقلب بني آدم في أعمارهم صغارًا وكبارًا، إلاّ أنّ الله تعالى خصّه بالكلام في مَهْده آيةً لنبوّته وتنزيهًا لأمّه. وقوله: «وكَهْلًا» قال مقاتل: إذا ٱجتَمع[1] قبل أن يُرفَع إلى السماء. وقال الحسين بن الفضل: «كَهْلًا» بعد نزوله من السماء. وقال ٱبن كَيْسان: أخبرها أنه يبقى حتى يَكْتهِل. وقيل: يُكلِّم الناسَ في المهد صبيًا وكهْلاً؛ بَشَّرها بنبوّته، فلأمُه في المهد مُعْجِزة وفي الكهولة دَعْوة. وقال مجاهد: «وَكَهْلًا» أي حَلِيمًا.

قال تعالى إخبارًا عن مريم: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: ٤٧] ثم أخبرها بما يريد به فقال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ [آل عمران: ٤٨] قوله «الكتَابَ» أي الكتابة والخطّ. «والْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ» التي كانت فيهم من عهد موسى قبله «وَالْإِنْجِيلَ» كتابًا آخر أنزله الله إليه، لم يكن عندهم إلاّ ذكره أنه كائن. يقول تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩] أي يُحقّق بها نبوّتي أنّي رسول منه إليكم. ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩] قال الثعلبيّ: قراءة العامة بالجمع؛ لأنه خَلق طيرًا كثيرة، وقُرّاء أهل المدينة «طائِرًا» ذهبوا إلى أنه نوع واحد من الطَّيْر؛ لأنه لم يَخْلُق غير الخُفَّاش، قال: وإنما خَصّ الخُفَّاش لأنه أكمل الطير خَلْقًا؛ ليكون أبلغ في القدرة؛ لأن لها ثديًا وأسنانًا وهي تحيض وتطير، قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتًا ليتميز فعل الخَلْق من فِعل الله عزّ وجل؛ وليعلم أن الكمال لله. ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾ [آل عمران: ٤٩] «الأكمه» الذي يولد أعمى وجمعه كُمْه. وقيل: هو الأعمى وهو المعروف من كلام العرب؛ قال سُوَيْد بن أبي كاهِل[2]:

كَمِهَتْ عيناهُ حتّى ٱبيضّتا فهو يَلْحَى نفسَه حتى نَزَعْ[3]

---

(١) اجتمع الرجل: أي بلغ غاية شبابه.

(٢) هو سويد بن غطيف من بني يشكر، كان الحجاج قد تمثل بأبيات من قصيدة له... (طبقات الشعراء).

(٣) يقال: كمه الرجل: أي عمي، أو صار أعشى.

والأبرص الذي فيه وَضَحٌ، قال: وإنما خَصّ هذين؛ لأنهما عَيَاءانِ وكان الغالب على زمن عيسى عليه السلام الطِّبّ؛ فأراهم الله تعالى المعجزة من جنس ذلك.

قال وهب: ربما ٱجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفًا، من أطاق منهم أن يبلغه بلغه، ومن لم يُطق أتاه عيسى عليه السلام، وإنما كان يداويهم بالدعاء، على شرط الإيمان. ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩] قال الثعلبيّ: أحيا أربعةَ أنفسٍ العازَر وكان صدِيقًا له، فأرسلت أختُه إلى عيسى: إنّ أخاك العازَر يموت فأته، وكان بيْنَه وبَيْنَه مَسِيرةُ ثلاثة أيام، فأتاه هو وأصحابه، فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام، فقال لأخته: ٱنطلقي بنا إلى قبره. فٱنطلقت معهم إلى قبره وهو في صخرة مُطْبقة، فقال عيسى عليه السلام: «اللّهمّ ربّ السموات السّبع، إنك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك، وأخبرهم أني أحيي الموتى بإذنك، فأحْيِ العازَر»، قال: فقام عازَرُ ووَدَكُه[1] يَقْطُر، فخرج من قبره وبقي ووُلِد له. وأحيَا ٱبنَ العجُوز، مُرَّ به ميتًا على عيسى عليه السلام، وهو يُحمَل على سَرِير، فدعا الله تعالى عيسى، فجلس على سريره، ونزل عن أعناق الرجال، ولبس ثيابه، وحَمَل السَّرِير على عنقه، ورجع إلى أهله، فبقي ووُلِد له، وٱبنَة العاشِر[2] قيل له: أتحييها وقد ماتت بالأمس؟ فدعا الله عزّ وجلّ فعاشت وبقيت وولدت، وسامَ بن نوح عليهما السلام، ودعا عيسى بٱسم الله الأعظم، فخرج من قبره وقد شاب نصفُ رأسه، فقال: قد قامت القيامة؟ قال: لا، ولكنّي دعوتك بٱسم الله الأعظم، ثم قال له: مُتْ، قال: بشرط أن يُعِيذنِي اللّهُ من سكرات الموت، فدعا الله سبحانه ففعل.

قال الكلبيّ: كان يُحيي الأمواتَ بـ«يا حَيُّ يا قَيُّوم».

قال تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩] أي آية لكم أني رسولٌ من الله إليكم.

يقول تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [آل عمران: ٥٠] أي لما سبقني منها. ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠] أي أخبركم أنه كان عليكم حرامًا فتركتموه، ثم أحَلَّه لكم تخفيفًا عنكم، فتصيبون يُسْرَه وتخرجون من تباعَته.

يقول تعالى: ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٥٠ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٥١﴾ [آل عمران: ٥٠ و٥١] أي هذا الهدى قد

---

(١) الودك: شحم الألية والجنبين.
(٢) العاشر: الذي يأخذ العشور.

حملتكم عليه وجئتكم به. يقول تعالى: ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣] أي هكذا كان قولهم وإيمانهم، لا كما يقول هؤلاء الذين يحاجّونك، ثم ذكر تعالى رَفْعَه عيسى إليه حين اُجتمعوا لقتله، فقال: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران: ٥٤] قال أهل المعاني: المكر السَّعيُ بالفساد في سَتْر ومُدَاجاة. وقال الفرّاء: المكر من المخلوقين الخِبُّ والخديعة والحِيلة، وهو من الله اُستِدراجُه العِباد. ثم أخبرهم تعالى، وردّ عليهم فيما أقرّوا به لليهود من صَلْبه، وأنّ الله عَصَمه منهم، ورَفَعه إليه، فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾ [آل عمران: ٥٥ ـ ٥٨] قال الثعلبيّ: اُختلفوا في معنى التوفّي هاهنا؛ فقال كَعْب والحسن والكلبيّ ومَطَر الورّاق ومحمد بن جعفر بن الزبير واُبن جُرَيْج واُبن زيد: معناه إني قابضك ورافعك من الدنيا إليّ من غير موت. قال: وعلى هذا القول تأويلان:

أحدهما: إني رافعك إليّ وافيًا لم ينالوا منك شيئًا؛ من قولهم تَوفَّيتُ هذا، واُستوفيتُه أي أخذته تامًّا.

والآخر: إني مُسلِّمُكَ؛ من قولهم تَوفَّيتُ منه كذا أي تَسلَّمته. وقال الربيع بن أنس: معناه إني مُنِيمك ورافعك إليّ في نومك؛ ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠] أي يُنِيمكم؛ لأنّ النوم أخو الموت. وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢] الآية. وعن اُبن عباس رضي الله عنهما قال: إني مُميتك. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١] وقوله: ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ [يونس: ٤٦] قال: وله على هذا القول تأويلان:

أحدهما: ما قال وهب: تَوفَّى اللّهُ تعالى عيسى عليه السلام ثلاثَ ساعات من النهار ثم رفعه إليه. وقال اُبن إسحاق: النصارى يزعمون أنّ الله تعالى توفاه سبع ساعات من النهار، ثم أحياه وَرَفعه.

والآخر: ما قال الضحاك وجماعة من أهل المعاني: إنّ في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، معناه إنّي رافعك إليّ ومُطهِّرك من الذين كفروا، ومُتوفّيك بعد أنْ أنزلكَ من السماء. وقال أبو بكر بن محمد بن موسى الواسطيّ: معناه «إنّي مُتوفّيكَ» عن شهواتك وحظوظ نفسك. قال: وذلك أنه لمّا رُفِع إلى السماء صار حالُه حالَ الملائكة. وقوله: «وَرَافِعُكَ إِلَيَّ» قال البُنانيّ والشَّيْبانيّ: كان عيسى عليه السلام على طُورِ زيتًا فهبّت رِيحٌ، فهرْوَل عيسى، فرفعه الله عزّ وجلّ في هَرْوَلَته، وعليه مِدْرَعة[1] من شَعْر. وقيل: معناه ورافعك بالدرجة في الجنة، ومقرّبك إليّ بالإكرام.

وقوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥] أي مُخرِجُك من بينهم ومُنجيك منهم. وقوله: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥] قال قتادة والربيع والشَّعْبيّ ومقاتل والكلبيّ: هم أهل الإسلام الذين اتّبعوا دينه وسُنّته من أمّة محمد ﷺ، فوالله ما اتّبعه من دعاه ربًّا. ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ظاهرين قاهرين بالعِزّ والمنَعة والدليل والحُجّة. وقال الضحاك وعليّ ومحمد بن أبان: يعني الحواريين فوق الذين كفروا. وقيل: هم الرُّوم. وقال ابن زيد: وجاعل النصارى فوق اليهود، فليس بلد فيه أحد من النصارى إلا وهم فوق اليهود، واليهود مُستذَلُّون مقهورون. قال: وعلى هذين القولين يكون معنى الاتّباع: الادّعاء والمحبة لا اتّباع الدِّين والمِلّة. ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٥] أي في الآخرة. ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٥] أي من الدِّين وأمر عيسى.

قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ٥٦] بالقتل والسَّبْي والجِزية والذِّلّة. ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٦]. قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [آل عمران: ٥٧] الآية ظاهرة المعنى. قوله: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾ [آل عمران: ٥٨] أي هذا الذي ذكرته لك، قال النبيّ ﷺ: «هو القرآن». وقيل؛ هو اللَّوحُ المحفوظ، وهو مُعلَّق بالعَرْش، من دُرَّة بيضاء، و«الحكيم» هو المحكَم من الباطل؛ قاله مقاتل. وقال ابن إسحاق: أي القاطعُ الفاصلُ، الحقُّ الذي لا يخالطه الباطل، من الخبر عن عيسى، وعما اختلفوا فيه من أمره، فلا تقبلنّ خبرًا غيره. فقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [آل عمران: ٥٩، ٦٠] أي قد جاءك الحقّ فلا تمترينّ فيه، وإن قالوا

---

(١) المدرعة: ثوب من صوف؛ أو جبة مشقوقة المقدم.

خُلِق عيسى من غير ذَكر، فقد خلقت آدم من تُراب بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذَكَر؛ فكان لحمًا ودمًا وعظمًا وشعرًا وبشرًا، كما كان عيسى، فليس خلق عيسى من غير ذَكَر بأعجب من هذا.

ثم قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١] أي من بَعد ما قصصت عليك من خبره ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١] قوله: «نَبْتَهِل» أي نتضرع في الدعاء. وقيل: نخلص في الدعاء. وقيل: نجتهد ونبالغ فنقول لعن الله الكاذب منّا ومنكم. قال ابن إسحاق: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي جئت به من الخبر عن عيسى ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ من أمره ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ فَإِن تَوَلَّوْا﴾ [آل عمران: ٦٢، ٦٣] أي إن أعرضوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [آل عمران: ٦٣] أي الذين يعبدون غير الله تعالى، ويدعون الناس إلى عبادة غير الله.

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤] فدعاهم إلى النِّصف[1]، وقطع عنهم الحُجّة، قال: فلما أتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من الله عزّ وجلّ عن عيسى، والفَصْلُ من القضاء بينه وبينهم، وأمره بما أمره به من مُلاَعنتهم إن رَدُّوا ذلك عليه، دعاهم إلى ذلك؛ فقالوا: يا أبا القاسم، دعنا ننظر في أمرنا، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتَنا إليه، فانصرفوا عنه، ثم خَلَوْا بالعاقِب، فقالوا: يا عبد المسيح، ما ترى؟ فقال: واللّهِ يا مَعْشَر النَّصارَى لقد عرفتم أنّ محمدًا لنبيٌّ مُرْسَلٌ، لقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم ما لاَعَنَ قومٌ نبيًا قطّ فبقي كبيرُهم، ولا نَبتَ صغيرُهم، وأنه الاستئصال منكم إنْ فَعَلْتم، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلْفَ دِينكم، والإقامةَ على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادِعوا الرجلَ، ثم انصرفوا إلى بلادكم. فأتوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا ألاّ نلاعنَك، وأن نتركك على دينك، ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك، ترضاه لنا، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رِضًا. فقال رسول الله ﷺ: «ائتوني العَشِيَّةَ أبعثْ معكم القويَّ الأمين» فكان عمر بن الخطاب رضيَ الله عنه يقول: ما أحببتُ الإمارة قطّ حُبِّي إياها يومئذ رجاءَ أن أكون صاحبها، فخرجتُ إلى الظُّهر

---

(١) النصف: الإنصاف.

مُهَجِّرًا[١]، فلمّا صلّى بنا رسول الله ﷺ الظهر، سَلَّم ثم نظر عن يمينه ويساره، فجعلت أتطاول له ليراني، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عُبَيدة بن الجَرّاح فدعاه له، وذلك قبل الهجرة. فقال: «اُخرج فاقض بينهم بالحقّ فيما اَختلفوا فيه» قال عمر: فذهب بها أبو عبيدة. هذا ما رواه اَبن هشام عن اَبن إسحاق.

وقال محمد بن سعد في طبقاته: إن رسول الله ﷺ لما عَرَض عليهم المباهلة اَنصرفوا عنه، ثم أتاه عبد المسيح ورجلان من ذوي رأيهم، فقال: قد بَدَا لنا ألا نُبَاهِلَك، فاَحكم علينا بما أحببت نُعطِك ونصالحك. فصالحهم على ألفي حُلّة: ألف في شهر رجب، وألف في صفر، أو قيمة كل حُلّة من الأواقي، وعلى عارية ثلاثين دِرْعًا، وثلاثين رُمْحًا وثلاثين بعيرًا، وثلاثين فرسًا: إن كان باليمن كَيْد[٢] ولنَجْرانَ وحاشيتهم جوارُ الله وذمة محمد النبيّ رسول الله، على أنفسهم ومِلَّتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وبِيعهم، لا يُغيَّر أُسْقُفٌ من سِقِّيفاه، ولا راهب من رَهْبانيّته، ولا واقِفٌ[٣] من وَقْفانيّته، وفي بعض الروايات لا يُغيَّر وافِهٌ مِن وَفْهِيَّته، ولا قسيس من قِسّيسِيَّته. والوَافِهُ: قَيِّم الكَنيسة.

قال: وأشهد على ذلك شهودًا. منهم أبو سفيان بن حَرْب، والأقْرَع بن حابِس والمُغِيرة بن شُعْبة، ورجعوا إلى بلادهم، فلم يلبث السيّد والعاقِب إلاّ يسيرًا حتى رَجَعا إلى النبيّ ﷺ، فأسلما وأنزلهما في دار أبي أيوب الأنصاريّ، وأقام أهلُ نَجران على ما كتب لهم به رسول الله ﷺ حتى قَبَضه الله تعالى. ثم وُلِّي أبو بكر فكتب بالوَصَاة بهم عند وفاته، ثم أصابوا رِبًا فأخرجهم عمر بن الخطاب من أرضهم، وكتب لهم:

«هذا ما كتب عمرُ أميرُ المؤمنين لنَجْرانَ. من سار منهم إنه آمِنٌ بأمان الله، لا يَضرُّهم أحدٌ من المسلمين؛ وفاءً لهم بما كتب لهم رسولُ الله ﷺ وأبو بكر ـ أما بعد ـ فمن وقعوا[٤] به من أُمَراء الشام وأُمَراء العِراق فلْيُوسِعهم من جَرِيب[٥] الأرضِ، ما اَعْتَمَلُوا[٦] من ذلك فهو لهم صَدَقة، وعُقْبة لهم بمكان أرضهم، لا سبيل عليهم فيه لأحدٍ ولا مَغْرَم ـ أمّا بعد ـ فمن حضرهم من رجلٍ مسلم فلينصرهم على من ظلمهم،

---

(١) المهجّر: الذي يسير في الهاجرة. (٢) الكيد: الحرب.
(٣) الواقف: خادم البيعة، لأنه وقف على خدمتها.
(٤) وقعوا: نزلوا.
(٥) المراد بالجريب: القطعة المتميزة من الأرض.
(٦) اعتملوا الأرض: استعملوها في الزراعة.

فإنهم أقوام لهم الذِّمّة. وجزيتهم عنهم متروكة أربعةً وعشرين شهرًا بعد أن يَقْدموا، ولا يُكلَّفوا إلاّ مِن ضَيْعتهم، غير مظلومين ولا مَعْنُوف[١] عليهم. شَهِد عثمانُ بن عفان ومُعَيْقِيب بن أبي فاطمة.

قال: فوقَعَ ناسٌ منهم بالعِراق، فنزلوا النَّجرانيّة التي هي ناحية الكوفة.

وحيث ذكرنا وِفادات العرب، فلا بأس أن نصل هذا الفصل بما يناسبه من خبر الجنّ في إسلامها، ونلحق ذلك بما يتعلق به من إخبار الجنّ أصحابَهم بأمر رسول الله ﷺ، ومن أسلم بسبب ذلك، فإنا عند ذكرنا للمبشِّرات برسول الله ﷺ، ذكرنا من ذلك طَرَفًا، وأخَّرنا بقيته لنذكره في هذا الفصل، ونبهنا عليه هناك.

ذكر خبر إسلام الجنّ
ودعائهم قومهم إلى الإيمانِ عند سماعهم القرآن

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩ ـ ٣٢].

وكان من خبر الجنّ ما رُوي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: انْطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه، عامدين إلى سُوق عُكَاظ[٢] وقد حيل بين الشّياطين وبين خبر السماء، وأُرسِلت عليهم الشُّهُب[٣]، فرجعت الشياطينُ، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: قد حِيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشُّهُب، قالوا: ما حَالَ بينكم وبين خبر السماء إلا ما قد حَدَث، فاضرِبوا مَشارق الأرض ومَغارِبَها، فانظروا ما هذا الأمر الذي قد حَدث، فانطلقوا فضَرَبوا مَشارِقَ الأرض ومغارِبَها،

---

(١) لا معنوف عليهم: أي لا يشتد عليهم في المعاملة.

(٢) عكاظ: بضم أوله، وآخره ظاء معجمة... وقد سمي عكاظًا لأن العرب كانت تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضًا بالفخار أي يدعك. وعكاظ: اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية، وكانت قبائل العرب تجتمع بعكاظ في كل سنة ويتفاخرون فيها ويحضرها شعراؤهم ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقون... (معجم البلدان).

(٣) الشهب: واحدها الشهاب، وهو النجم المضيء الساطع، أو هو جرم سماوي يسبح في الفضاء فإذا دخل في جو الأرض اشتعل وصار رمادًا.

ينظرون ما هذا الأمر الذي حَالَ بينهم وبين خبر السماء، وانطلق الذين توَجَّهوا إلى نحو تِهامة إلى رسول الله ﷺ بنخْلة[1] وهو عامد إلى سُوق عُكَاظ، وهو يصلّي بأصحابه صلاة الفجر، فلمّا سمِعوا القرآن تَسمَّعوا له فقالوا: هذا الذي حَالَ بينكم وبين خبر السماء. فهنالك رجعوا إلى قومهم ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝﴾ [الجن: ١ و٢]. وأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١] وإنما أوحي إليه قولُ الجنّ، رواه البخاريّ في صحيحه عن موسى بن إسماعيل، عن أبي عَوَانة، عن أبي بِشْر عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس.

وذهب محمد بن سعد إلى أن استماع الجنّ كان بنخلة، عند عود رسول الله ﷺ من الطّائف، لما تَوجّه يدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا له، وذلك قبل الهجرة.

وقال الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين[2] البَيْهقيّ في كتابه المترجَم «بدلائل النبوّة، ومعرفة أحوال صاحب الشريعة» بعد أن ساق حديث البخاريّ قال: وهذا الذي حكاه عبد الله بن عباس إنما هو في أول ما سمعت الجنّ قراءة النبيّ ﷺ، وعَلِمت بحاله، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم كما حكاه، ثم أتاه داعي الجنّ مرّةً أخرى، فذهب معه، وقرأ عليهم القرآن، كما حكاه عبد الله بن مسعود.

وقد روى البَيْهقيّ بسنده إلى عبد الله بن مسعود خبر الجنّ في القِصَّتَيْن: أمّا الأولى فإنه قال: هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نَخْلَة، فلما سَمِعوه قالوا: أنصِتوا - قالوا صَهْ - وكانوا سبعة، أحدهم زَوْبَعة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٢]. وعن ابن مسعود أن النبيّ ﷺ آذنته بالجنّ شجرةٌ؛ رواه البخاريّ ومسلم في الصحيحين.

---

(١) نخلة: اسم موضع يعرف بنخلة اليمانية بواد يأخذ إلى قرن والطائف.

(٢) البيهقي: هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي الخسروجردي الفقيه الشافعي الحافظ الكبير المشهور، واحد زمانه وفرد أقرانه في الفنون، من كبار أصحاب الحاكم أبي عبد الله بن البيّع في الحديث... أخذ الفقه عن أبي الفتح ناصر بن محمد العمري المروزي، غلب عليه الحديث واشتهر به، ورحل في طلبه إلى العراق والجبال والحجاز... (وفيات الأعيان ١:٧٥).

وأما القصة الثانية، فرواها عن الشَّعْبِيّ عن عَلْقَمة قال: قلت لعبد الله بن مسعود هل صحِب رسولَ الله ﷺ ليلةَ الجنّ منكم أحدٌ؟ فقال: ما صحبه منّا أحدٌ، ولكنا فقدناه ذاتَ ليلة بمكةَ فقلنا: ٱغْتِيلَ؟ ٱسْتُطِيرَ؟ ما فَعَلَ؟ قال: فبِتْنَا بشَرِّ ليلةٍ بات بها قومٌ، فلما كان في وَجْه الصُّبْح أو قال في السَّحَر، إذا نحن به يجيء من قبل حِرَاء[1]، فقلنا: يا رسول الله، فذكروا الذي كانوا فيه، فقال: «إنه أتاني داعي الجنّ فأتيتُهم فقرأتُ عليهم» قال: فأنطلق فأرانا آثارَهم، وآثارَ نيرانهم، قال: وقال الشَّعْبيّ فسألوه الزَّادَ، وقال ٱبن أبي زائدة: قال عامر سألوه لَيْلتئِذٍ الزَّادَ، وكانوا من جِنّ الجزيرة، فقال: «كلُّ عَظْمٍ ذُكِرِ ٱسْمُ الله عليه يقع في أيديكم أَوْفرَ ما كان لحمًا، وكلُّ بَعْرةٍ أو رَوْثَةٍ عَلَفٌ لدوَابِّكُم - قال - فلا تَستَنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجنّ» رواه مسلم في صحيحه. وكان فيما قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾ [الرحمٰن: ١ و٢] السورة؛ ويدل على ذلك ما رواه محمد بن المُنْكَدِر، عن جابر بن عبد الله قال: لما قرأ رسولُ الله ﷺ «الرَّحْمَنُ» على الناس سكَتُوا فلم يقولوا شيئًا، فقال رسول الله ﷺ: «لَلْجِنُّ كانوا أحسنَ جوابًا منكم لمّا قرأتُ عليهم ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ [الرحمٰن: ١٣، ١٦، ١٨، . . .] قالوا لا ولا بشيء من آلاء ربِّنا نكذِّب». ومن رواية أخرى عنه: «قالوا لا ولا بشيء من نِعَمِكَ ربّنا نكذِّب فلك الحمد».

وعن أبي الْمُلَيْح الهُذَليّ أنه كتب إلى عُبَيدة بن عبد الله بن مسعود: أين قرأ رسول الله ﷺ على الجنّ؟ فكتب إليه: إنه قرأ عليهم بشِعْب يقال له الحَجُون[2]. وروي عن عبد الله بن مسعود عن النبيّ ﷺ «أنّ نفرًا من الجنّ خمسة عشر بني إخوةٍ وبني عمٍّ يأتونني الليلة فأقرأ عليهم القرآن». وقيل: كانوا أكثر من هذا. وقد جاء عنه: أنه ذهب إلى موضعهم، قال: فرأيتُ موضع مَبْرَكِ ستين بَعِيرًا. ولما رأى عبدُ الله بن مسعود رجالَ الزُّطِّ[3] قال: ما رأيتُ شبههم إلا الجنّ ليلة لاجنّ، وكانوا مُسَتَنْفرين يتبع بعضُهم بعضًا.

---

(١) حراء: بالكسر، والتخفيف، والمد: جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال، وهو معروف، وكان النبيّ ﷺ قبل أن يأتيه الوحي يتعبد في غار من هذا الجبل. . . (معجم البلدان).

(٢) الحجون: جبل بأعلى مكة، عنده مدافن أهلها. وقيل: هو مكان من البيت على ميل ونصف، وقيل: الحجون هو الجبل المشرف الذي بحزاء مسجد البيعة على شعب الجزارين. . . (معجم البلدان).

(٣) الزط: جنس من السودان والهنود.

ذكر إخبار الجنّ أصحابهم
بأمر رسول الله ﷺ وإسلامهم بسبب ذلك

روى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله في صحيحه، بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ما سمعتُ عمرَ رضي الله عنه لِشيءٍ قطُّ يقول، إني لأظنّه كذا إلا كان كما يَظنّ؛ بينا عمر جالس إذ مَرَّ رجلٌ جميل، فقال: لقد أخطأ ظني أو إنّ هذا على دينه في الجاهلية، ولقد كان كاهنَهم؛ عليّ الرجلَ، فدُعِي له، فقال له عمر: لقد أخطأ ظنّي أو إنّك على دينك في الجاهلية أو لقد كنتَ كاهنَهم، فقال: ما رأيت كاليوم ٱستقبِل به رجلٌ مُسلِم. قال: فإني أعْزِم[1] عليك إلا ما أخبرتَني. قال: كنتُ كاهنَهم في الجاهلية. قال: فما أعجَبُ ما جاءتك به جِنِّيّتُكَ؟ قال: بينا أنا يومًا في سوق جاءتني أعرِف فيها الفَزَع، قالت:

أَلَـمْ تَـرَ الـجِـنَّ وإِبْـلاَسَـهَـا ... ويـأسَـهـا بَـعْـدُ وإِبْـلاسَـهـا[2]
ولُـحُـوقَـهـا بـالـقِـلاَصِ وأحـلاَسِـهـا ... ويَـأْسَـهـا بَـعْـدُ مِـنْ أَنْـسَـاكِـهـا[3]

قال عمر: صَدَق، بينا أنا نائمٌ عند آلهتهم، إذ جاء رجل بعجل فذبحه، فصَرخَ منه صارخٌ لم أسمع صارخًا قَطُّ أشدَّ صوتًا منه يقول: يا جَلِيح[4]، أمرٌ نَجِيح[5]، رجلٌ يصِيح، يقول لا إله إلا اللّهُ، فوثَب القومُ، قلتُ: لا أبرحُ حتى أعْلَمَ ما وراء هذا، ثم نادى: يا جَلِيح، أمْرٌ نَجِيح، رجل يَصِيح، يقول لا إله إلا اللّهُ، فقلت لا أبرحُ حتى أعْلَم ما وراء هذا، ثم نادى: يا جَليح، أمرٌ نَجِيح، رجلٌ يَصِيح، يقول لا إله إلا اللّهُ. فقمتُ فما نَشِبْتُ أنْ قِيل هذا نبيّ.

قال الْبَيْهَقِيّ: ظاهر هذه الرواية يُوهِم أنّ عمر رضي الله عنه بنفسه سمع الصّارِخ يَصرُخ من العِجْل الذي ذُبح، وكذلك هو صريح في رواية ضعيفة عن عمر في إسلامه، وسائر الروايات تدل على أن الكاهن أخبر بذلك عن رؤيته وسماعه، والله تعالى أعلم.

ذكر خبرِ سَوَادِ بنِ قارِبٍ

روى الْبَيْهَقيّ رحمه الله تعالى بسنده عن البَرَاء، قال: بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب الناس على مِنبر النبيّ ﷺ؛ إذ قال: أيها الناس، أفيكم سَوَادُ بن

---

(١) أعزم عليك: أي ألزمك.
(٢) الإبلاس: التحير والدهشة.
(٣) أحلاس الناقة: أكسيتها.
(٤) الجليح: المكافح والمكاشف بالعداوة.
(٥) النجيح: الظفر بالبغية.

قارِب؟ قال: فلم يُجِبه أحدٌ تلك السَّنَة، فلما كانت السَّنَة المقبلة، قال: أيها الناس، أفيكم سَوَاد بن قارِب؟ قال فقلت: يا أمير المؤمنين، وما سَوَاد أبن قارب؟ فقال: إن سواد بن قارِب كان بدء إسلامه شيئًا عجيبًا! قال: فبينا نحن كذلك؛ إذ طلع سَوَادُ بن قارِب، فقال له عمر: يا سَوادُ، أخبرني ببَدْءِ إسلامك كيف كان؟ قال سَوَاد: فإنّي كنتُ نازلاً بالهِنْد وكان لي رَئِيٌّ من الجِنّ، قال: فبينا أنا ذات ليلة نائم؛ إذ جاءني في منامي ذلك، قال: قم فأفهم واْعقل إن كنت تَعقِل، قد بُعِث رسول من لُؤَيّ بن غالب، ثم أنشأ يقول: [من السريع]

عَجِبْتُ لِلْجِنّ وأنْجَاسِها ... وشَدِّها العِيسَ بِأحْلاسِها
تَهْوِي إلى مَكّةَ تَبْغِي الهُدَى ... ما مُؤْمِنُوها مِثْلُ أرْجاسِها
فأنْهَضْ إلى الصَّفْوَةِ مِن هَاشِم ... وأسْمُ بعَيْنَيْك إلى رَاسِها

ثم أنبهَني وأفزعني، وقال: يا سَواد بن قارِب، إنّ الله عزّ وجل بعث نبيًا فأنهض إليه تَهتدِ وتَرْشُد، فلما كان في الليلة الثانية أتاني فأنبهني، ثم أنشأ يقول كذلك: [من السّريع]

عَجِبْتُ لِلْجِنّ وتَطْلابِها ... وشَدِّها العِيسَ بِأقْتابِها[(١)]
تَهْوِي إلى مكةَ تَبْغِي الهُدَى ... لَيْسَ قُدَاماها كأذْنابِها
فانْهَضْ إلى الصَّفْوَةِ منْ هاشِم ... وأسْمُ بعَيْنَيكَ إلى نَابِها[(٢)]

فلما كان في الليلة الثالثة أتاني فأنبهني، ثم قال كذلك: [من السريع]

عَجِبْتُ لِلْجِنّ وتَخْبَارِها ... وشَدِّها العِيسَ بأكْوارِها[(٣)]
تَهْوي إلى مكةَ تَبْغي الهُدَى ... لَيسَ ذَوُو الشَّرِّ كأخْيَارِها
فأنْهَضْ إلى الصَّفْوَة من هاشم ... ما مُؤمِنُو الجِنِّ ككُفّارِها

قال: فلما سمعته يكرر ليلةً بعد ليلةٍ وقع في قلبي حُبّ الإسلام من أمر النبيّ ﷺ ما شاء الله، فانطلقتُ إلى رَحْلي فشددتُه على راحِلتي، فما حَلَلْتُ نِسْعَةً[(٤)] ولا عَقَدتُ أخرى حتى أتيت النبيّ ﷺ، فإذا هو بالمدينة والناس عليه كعُرف[(٥)]

---

(١) الأقتاب: الحبال. (٢) ناب القوم: سيدهم.
(٣) الأكوار: واحدها الكور، وهو الرّحل، أو الرحل بأداته.
(٤) النسعة: سير مضفور يجعل زمامًا للبعير وغيره، وتشدّ به الرحال.
(٥) عرف الفرس: منبت الشعر من العنق.

الفَرَس، فلما رآني قال: «مرحبًا بك يا سَواد بن قارِب، قد علمنا ما جاء بك» قال قلتُ: يا رسول الله قد قلتُ شِعرًا فأسمعه مني، قال سَوَاد فقلت: [من الطويل]

أتـانِـي رئـيٌّ بـعـد لَـيْـلٍ وهَـجْـعَـة ... ولـم يَكُ فِيما قد بَلَوْتُ بكاذِبِ[1]

ثَـلاثَ لـيـالٍ قَـوْلُـه كـلَّ لـيـلـةٍ ... أتـاكَ نـبـيٌّ مـن لُـؤيِّ بـنِ غـالِـبِ

فَشَمَّرْتُ عن ساقِي الإزارَ وَوَسَّطَتْ ... بِيَ الذِّعْلِب الوَجناءُ عِنْد السّباسِبِ[2]

فـأشْـهَـدُ أنّ الله لا شَـيءَ غَـيْـرُه ... وأنّـك مـأمُـونٌ عـلـى كُـلِّ غـائـبِ

وأنّـك أدْنَـى الـمُـرْسَـلـيـن شَـفـاعـةً ... إلـى الله يـابْـنَ الأكْـرَمِـيـن الأطـايِـبِ

فَمُرْنا بما يأتِيكَ يا خَيْرَ مَن مَشَى ... وإن كان فِيما جاء شَيْبُ الذَّوائِبِ[3]

فكُنْ لِي شَفيعًا يَوْمَ لا ذو شَفاعةٍ ... سِـواكَ بِـمُـغْـنٍ عـن سَـوادِ بـنِ قـارِبِ

قال: فضحك رسولُ الله ﷺ حتى بَدَتْ نَواجِذه[4]. وقال لي: «أفلحتَ يا سواد» فقال عمر: هل يأتيك رَئِيُّك الآن؟ فقال: مُنْذ قرأتُ القرآن لم يأتني، ونِعْم العِوض كتابُ الله عزّ وجلّ من الجِنّ.

قال البيهقيّ: ويشبه أن يكون هذا هو الكاهن، الذي لم يذكر اسمه في الحديث الصحيح، وهو الحديث الذي ذكرناه آنِفًا قبل خبر سَوَاد.

وقد روي أيضًا عن سَوَاد بن قارِب، من رواية سعيد بن جُبَيْر بنحو هذا، إلا أنه قال: كان سَواد في جبل من جبال الشَّرَاة[5]، وقال: أتيتُ رسول الله ﷺ وهو بمكة، وقد ظهر، فأخبرته الخبر، وبايعته.

قال البيهقيّ رحمه الله: وقوله أتيت مكة أقرب إلى الصِّحة مما رويناه في الروايتين الأوليين. والله تعالى أعلم.

ذِكر خبرِ خُفَافِ بن نَضْلَة الثَّقفيّ

رَوَى أبو بكر البيهقيّ رحمه الله بسنده إلى ذابِل بن طُفَيْل بن عمرو الدَّوْسِيّ، أن النبيّ ﷺ قعد في مسجده ذات يوم، فقدم عليه خُفافُ بن نَضْلَة بن عمرو بن بَهْدَلة الثَّقفيّ، فأنشد رسولَ الله ﷺ: [من الكامل]

---

(١) الرئيّ: التابع من الجن. والهجعة: الطائفة من الليل.

(٢) الذعلب: الناقة السريعة الغليظة الصلبة. والسباسب واحدتها السبسب، وهي الأرض القفر البعيدة.

(٣) الذوائب: واحدتها ذؤابة، وهي الضفيرة من الشعر إذا كانت مرسلة.

(٤) النواجذ: الأنياب؛ أو الأضراس كلها.

(٥) الشراة: جبل شامخ عن يسار عسفان، وبه سلسلة تذهب إلى ناحية الحجاز.

كَمْ قَدْ تَحَطَّمَتِ القَلُوصُ بيَ الدُّجى ... في مَهْمَهٍ قَفْرٍ من الفَلَواتِ[١]
فِلٍّ مِن التَّوْرِيسِ ليس بِقاعِهِ ... نَبْتٌ من الإسْناتِ والأزَمَاتِ[٢]
إنّي أتانِي في المنامِ مُساعِدٌ ... من جِنٍّ وَجْرَةَ كان لِي ومُوَاتِ[٣]
يَدْعُو إليكَ لياليًا ولياليًا ... ثُمّ احْزَأَلَّ وقال لَسْتُ بِآتِ[٤]
فرَكِبْتُ ناجِيَةً أضَرّ بِنَيِّها ... جَمْرٌ تَخُبّ به على الأكَمَاتِ[٥]
حتّى وَرَدْتُ إلى المدينةِ جاهِدًا ... كَيما أراكَ فتَفْرِجَ الكُرُباتِ

قال: فاستحسنها رسول الله ﷺ، وقال: «إنّ من البيان كالسِّحر، وإن من الشِّعْر كالحِكَم».

ومن ذلك ما روي عن عليّ بن حسين، قال: أول خبر قدم المدينة، أن امرأة من أهل يَثْرِب تُدعَى فاطمة، كان لها تابع من الجنّ فجاءها يومًا فوقع على جدارها، فقالت: ما لكَ لا تدخل؟ فقال: إنه قد بُعِث نَبيٌّ يحرِّم الزِّنَى، فحدثت بذلك المرأة عن تابعها من الجنّ، وكان أول خبر يُحدَّث به بالمدينة عن رسول الله ﷺ.

وعن جابر قال: أول خبر قدم المدينة عن النبي ﷺ، أن امرأة من أهل المدينة كان لها تابع، فجاء في صورة طائر حتى وقع على حائط دارهم، فقالت له المرأة: انزلْ نُخبِرْكَ وتُخْبِرْنا، قال: لا، إنه بُعِث بمكة نبيٌّ مَنَع منا القَرار، وحَرّم علينا الزِّنى.

ومنه ما رُوِي عن محمد بن عمر بن واقد، عن تَمِيم الدّاريّ أنه قال: سِرتُ إلى الشّام فأدْركني الليل، فأتيتُ واديًا فقلت: أنا في جِوارِ عظيم هذا الوادي اللّيلةَ، فلما أخذتُ مَضْجَعي إذا قائلٌ لا أراه يقول: عُذْ بالله الأحد، فإنّ الجنّ لا تُجِير على الله أحدًا، وأنه قد بعِث رسولُ الأمّيّين، وصَلَّينا خلفَه بالحَجُون، وأسلمنا واتبعناه، وآمنا به وصدّقناه، فأسْلِمْ تَسْلم. قال تميم: فلما أصبحتُ ذهبتُ إلى دَيْر أيوب[٦]، فسألت راهبه عما سمعتُ من الهاتف، فقال: صَدَق. وكان ذلك سبب إسلام تميم.

---

(١) القلوص: الناقة الفتية. والدحى: سواد الليل مع غيم. والفلاة: الصحراء الواسعة.
(٢) الفلّ: الخالية. والتوريس: صبغ أصفر.
(٣) وجرة: موضع بين مكة والبصرة موحش.
(٤) احزألّ: ارتفع.
(٥) الناجية: الناقة السريعة. نيّ الناقة: شحمها ولحمها. والجمر: السير السريع.
(٦) دير أيوب: قرية بحوران من نواحي دمشق، بها كان أيوب عليه السلام، وبها ابتلاه الله، وبها العين التي ركضها الله برجله والصخرة التي كانت عليها، وبها قبره... (معجم البلدان لياقوت).

ومنه ما روي عن أبي خُرَيْم فَاتِك أنه قال: خرجتُ في الجاهلية أطلب إبلاً أضللتها، فلما كنت بأبْرَق[١] العَزّاف، عَقلتُ ناقتي وتوَسّدتُ ذِراعها، وقلت: أعوذ بعظيم هذا المكان، فسمعت هاتفًا يقول: [من الرّجز]

تَـعَـوّذَنْ بِـالله ذِي الْـجَـلاَلِ ووَحِّـدِ الـلّـهَ وَلاَ تُـبَـالِـي

* مَـا هَـوّلَ الـجِـنُّ مِـنَ الأَهْـوَالِ *

قال فقلتُ: بَيِّنْ لي يَرْحمكَ الله، فقال: [من الرّجز]

هـذا رسـولُ الله ذُو الـخَـيـراتِ يَـدْعُـو إلـى الـجـنّـةِ والـنّـجـاةِ

* يـأمُـرُ بـالـصّـومِ وبِـالـصّـلاةِ *

قال: فوقع في قلبي الإسلام، فقلت: مَن أنت أيها الهاتِف؟ فقال: أنا مالك بن مالك، إنْ أردتَ الإسلامَ فأنا أكفيك طلب ضالّتك حتى أردّها إلى أهلك، قال: فركبتُ راحلتي وقصدتُ المدينة، فقدِمتها في يوم جمعة، فأتيتُ المسجد فإذا رسول الله ﷺ يخطب، فأنختُ بباب المسجد قلتُ ألبثُ حتى يفرغ من خطبته، وإذا أبو ذَرٍّ قد خرج فقال لي: إنّ رسول الله ﷺ أرسلني إليك وهو يقول لك: «مرحبًا قد بلغني إسلامك فأدخل فصلِّ مع الناس» قال: فتطهرتُ ودخلت فصلّيتُ، ثم دعاني رسول الله ﷺ، فبايعني وأخبرني بالخبر قبل أن أذكره له، وقال لي: «أمّا إبِلُكَ فقد بَلغَتْ أهلَكَ، وقد وَفَى لك صاحبك» فقلت: جزاه الله خيرًا ورَحمه، فقال رسول الله ﷺ: «آمين».

ومنه ما روي عن مالك بن نُفَيْع أنه قال: «ندَّ[٢] بعيرٌ لي، فركبتُ نَجِيبةً[٣] وطلبته، حتى ظَفِرتُ به، فأخذتُه وٱنكفأتُ راجعًا إلى أهلي، فأسريتُ ليلةً حتى كِدتُ أصبِح، فأنختُ النّجِيبةَ والجملَ وعَقَلْتُهما، وٱضطجعتُ في ذُرَى كَثِيب رملٍ، فلما كحلني الوسَنُ[٤] سمعت هاتفًا يقول: يا مالِك، يا مالِك، لو فحصتَ عن مَبْرَك العَوْد[٥] البارِك، لَسَرَّك ما هنالك، قال: فثُرْتُ وأثرتُ البعيرَ عن مَبْرَكه، وٱحتفرت[٦]،

---

(١) أبرق العزاف: ماء لبني أسد بن خزيمة سموه بذلك لأنهم يسمعون فيه عزيف الجن أي صوتهم..
(٢) ندّ البعير: أي نفر وشرد.
(٣) النجيبة: جمع النجائب، وهي من الإبل، خيارها.
(٤) الوسن: النعاس.
(٥) العود: الجمل الكبير المسن المدرب.
(٦) احتفر: أخرج التراب من الأرض.

وإذا صنم بصورة أمرأة، من صَفاةٍ صفراء كالوَرْسِ، مجلوة كالمرآة، فأستخرجتها ومسحتها بثوبي ونصبتها، فأستوت قائمة، فما تمالكتُ أن خررتُ ساجدًا لها، ثم قمتُ فنحرتُ البعير لها ورششتها بدمه، وسميتها غَلاَب، ثم حملتها على النَّجِيبة وأتيتُ بها أهلي، فحسدني كثير من قومي عليها، وسألوني نَصْبها لهم ليعبدوها معي، فأبيتُ عليهم، فانفردتُ بعبادتها، وجعلتُ لها على نفسي كل يوم عَتِيرة، وكانت لي ثَلَّة[1] من الضأن فأتيت على آخرها، وأصبحت يومًا وليس لي ما أعْتِره، وكرهتُ الإخلاف بنَذْري، فأتيتها فشكوتُ إليها ذلك، فإذا هاتفٌ من جوفها يقول: يا مالِ يا مالِ[2]، لا تأس على المال؛ سِرْ إلى طَوِيّ[3] الأرْقَم[4]، فخذ الكلب الأسْحَم[5]، الوالِغ في الدّم، ثم صِدْ به نَعَم. قال مالك: فخرجت من فوري إلى طَوِيّ الأرْقم، فإذا كلب أسحم هائل المنظر، قد وَثَب على قَرْهبٍ ـ يعني ثورًا وحشيًا ـ فَصَرعه وأنا أنظر إليه، ثم بَقَر بطنه، وجعل يَلِغ في دمه، قال: فتهيبته، ثم أقدمتُ عليه وهو مقبل على عَقِيرتِه لم يلتفت إليّ، فشددت في عنقه حبلاً، ثم جذبته فتبِعني، فأتيت راحِلتي فأثرتها، وقُدْتها إلى القَرْهَبِ، فأنختها وجررته وحملته عليها، ثم قُدْتُها قاصدًا إلى الحيّ، والكلب يلوذ بي فعَنَّت لي ظبيةٌ، فجعل الكلب يَثِب ويجاذِبني المَرَس[6]، فتردّدت في إرساله ثم أرسلته، فمرّ كالسهم حتى أختطفها، فأتيته فجاذبته إياها فأرسلها في يدي، فأستفزني السُّرور، وأتيتُ أهلي فعَتَرْت الظبيةَ لغَلاَب، ووزعت لحم القَرْهَبِ، وبِتُّ بخير ليلة، ثم باكرتُ به الصّيد، فلم يفته حمار، ولا ماطله ثور، ولا أعتصم منه وَعْل، ولا أعجزه ظبيٌ، فتضاعف سروري به، وبالغت في إكرامه، وسميته سُحَامًا، فلبث بذلك ما شاء الله، فإني لَذاتُ يوم أصِيد به، فبَصُرت بنعامة على أُدْحيِّها[7]، وهي قريبة مني، فأرسلته عليها، فأجفلت أمامه، وأتّبعتها على فرس جواد، فلما كاد الكلب يَثِب عليها، أنقضّت عليه عُقَاب من الجوّ فكرّ راجعًا نحوي فصِحتُ به فما كَذَّب[8]، وأمسكت الفرس فجاء سُحَام حتى دخل بين قوائمها، ونزلت العُقَاب أمامي على صخرة، وقالت: سُحَام، قال الكلب: لَبَّيْكِ، قالت: هَلَكت الأصنام، وظهر الإسلام، فأسْلِم تَنْجُ بسلام، وإلا فليست بدار مقام. ثم طارت العُقَاب، وتبَصَّرتُ سُحَامًا فلم أره، وكان آخر عهدي به.

---

(١) الثلة: جماعة الغنم.
(٢) يا مالِ: أي يا مالك.
(٣) الطويّ: البئر.
(٤) الأرقم: حي من أحياء العرب.
(٥) الأسحم: الشديد السواد.
(٦) المرس: الحبل.
(٧) الأدحيّ: الموضع الذي تبيض فيه النعامة وتفرخ.
(٨) فما كذّب: أي فما انثنى وما رجع.

ومنه مما يشبِه هذه القصة ما رُوِي عن قَتادة عن عبد الله بن أبي ذُباب عن أبيه، أنه قال: كنتُ مولَعًا بالصيد، وكان لنا صنم اسمه فَرَّاض، كنت كثيرًا ما أذبح له، ولم أكن أتخِذ جارِحًا للصيد إلاّ رُمِي بآفة، قلَّمَا أُدْخِلُ الحيَّ صيدًا حيًّا؛ لأني كنت لا أدركه إلا وقد أشفى على الهلاك، فلمّا طال بي ذلك أتيت فَرَّاضًا، فعَتَرتُ له عَتِيرة، ولطَّختُه من دمها، وقلت: [من الرّجز]

فَـرَّاض أشْـكـو نَـكَـدَ الـجـوارِح ... مِـنْ طـائِـرٍ ذي مِـخـلـبٍ ونَـابـحِ[١]
وأنـتَ لـلأمـر الـشَّـديـد الـفـادح ... فـأفـتـح فـقـد أسـهـلـت الـمـفـاتـح

فأجابني مُجيبٌ من الصّنم؛ فقال: [من الرّجز]

دُونـكَ كـلـبًـا جـارِحًـا مـبـاركَـا ... أعـدَّ لـلـوحـش سـلاحًـا شـابـكًـا[٢]
* يَـفْـرِ حُـزُون الأرض والـدَّكـادِكَـا[٣] *

قال: فأنقلبت إلى خِبائي، فوجدت به كلبًا خِلاسِيًا[٤] بهيمًا[٥] عظِيمًا؛ أهْرَتَ[٦] الشِّدقين، شابِك الأنيابِ، شَثْن[٧] البراثنِ، أشعر مَهُول المنظر، فصفرت به فأتاني، فلاذ بي وبَصْبَصَ[٨]، فسميته حياضًا، فأتخذت له مَرْبِطًا بإزاء فراشي وأكرمته، ثم خرجت به إلى الصيد، فإذا هو أبصر بالصَّيْد مِنّي، وكان لا يثبت له شيء من الوحش، فقلتُ فيه: [من البسيط]

حـيـاضُ إنّـكَ مـأمـولٌ مَـنـافـعُـهُ ... وقـد جَـعَـلْـتُـكَ مـوقـوفًـا لِـفَـرَّاضِ

وكنت أعْتز لِفَرّاض من صيده، وأقْرِي الضَّيْف، فلم أزل به من أوسع العرب رَحْلاً، وأكثرها ضَيْفًا، إلى أن ظهر رسول الله ﷺ، فنزل بي ضيفٌ كان زار رسول الله ﷺ، وسمع منه القرآن، فحدّثني عنه، ورأيت حياضًا كأنه يُنْصِت لحديثه، ثم إنّي غدوت أقتنص بحياض، فجعل يجاذبني ويأبى أن يتبعني فأجذبه وأمسحه، إلى أن عَنَّ لي تَوْلَب ـ يعني جحشًا من حِمير الوحش ـ قال: فأرسلته عليه فقصده، حتى إذا قلت قد أخذه حَادَ عنه، فساءني ذلك، ثم أرسلته على رَأْلٍ ـ يعني فرخ نعامة ـ

---

(١) النكد: الشؤم.
(٢) الشابك: الناشب.
(٣) حزون الأرض: ما غلظ منها. والدكدك من الرمل: ما تكبس بالأرض أو التبد بها.
(٤) الخلاسي: من كانت أمه سوداء وأبوه أبيض أو العكس.
(٥) البهيم: الأسود.
(٦) أهرت الشدقين: واسعهما.
(٧) شثن البراثن: غليظها.
(٨) بصبص الكلب: حرك ذنبه.

فصنع مثل ذلك، ثم أرسلته على بقرة، ثم على خِشْف[١]، كل ذلك لا يأتي بخير، فقلت: [من الطويل]

ألا ما لـحـيّـاضٍ يَـجِـيـدُ كـأنـمـا ... رَأَى الصَّيدَ ممنوعًا بزُرْق اللَّهَاذِمِ[٢]

قال: فأجابني هاتِف لا أراه: [من الطويل]

يَـجِـيـدُ لأمـرٍ لـو بـدا لـك عَـيـنُـه ... لـكـنـتَ صَـفُـوحًـا عـاذِلاً غـيـرَ لائِـم

قال: فأخذت الكلب وانكفأت راجعًا، فإذا شخص إنسانٍ عظيم الخلق، قد ركب حمارًا وحشيًا، فتربع على ظهره، وهو يساير شخصًا مثله راكبًا على قَرْهَب[٣]، وخلفهما عبد أسود يقود كلبًا عظيمًا بساجورٍ[٤]، فأشار أحد الراكبين إلى حياض وأنشد: [من الرّجز]

وَيْـلـكَ يـا حـيـاضُ لِـمْ تَـصِـيـدُ ... أَخنِسْ وجِدْ عمّا حَوَته البِيدُ[٥]
الله أعـلَـى ولـه الـتـوحـيـدُ ... وعـبـدُه مـحـمـدُ الـسَّـدِيـدُ
سُـحْـقًـا لَـفـرّاضٍ ومـا يَـكِـيـدُ ... قـد ظَـلَّ لا يُـبـدِي ولا يُـعِـيـدُ

قال: فملِئت رُعْبًا، وذَلَّ الكلبُ فما يرفع رأسًا، وأتيت أهلي مغمومًا كاسِف البال، فبِتُّ أتململ على فراشي، ثم خَفَتُّ من آخر الليل فإذا نَغْمة[٦]، ففتحت عيني فرأيت الكلب الذي كان الأسود يقوده، وإذا حياض يقول له: أحسِب صاحبي يقظان، قال: فتناومت، ثم قصدني فتأمّلني ورجع إليه، فقال: قد نام، فلا عينٌ ولا سمعٌ، قال: أرأيت العِفرِيتين؟ وسمعت ما قالا، قال حياض: نعم، قال: إنهما قد أسلما واتّبعا محمدًا، وقد سُلِّطا على شياطين الأوثان، فما يتركان لوثن شيطانًا، وقد عذّباني عذابًا شديدًا، وأخذا عليّ موثِقًا ألاّ أقرب وثني، وأنا خارج إلى جزائر الهند، فما رأيك لنفسك؟ قال حياض: ما أمرنا إلا واحد. وذهبا، فقمت أنظر فلا عين ولا أثر، فلما أصبحت أخبرتُ قومي بما رأيتُ وسمعتُ، وقلت لهم: تخيّروا من ينطلق معي إلى هذا النبيّ من حُلَمائكم وخُطبائكم؛ فقالوا لي: أترغب عن دين آبائك؟ فقلت لهم: إذا كرهتم شيئًا كرِهته، فما أنا إلا واحد منكم، ثم أنسللت منهم فكسرت

---

(١) الخشف: ولد الظبي أول ما يولد.
(٢) اللهاذم: واحدها اللهذم، وهو القاطع من الأسنة.
(٣) القرهب: الثور الوحشي.
(٤) الساجور: خشبة تعلق في عنق الكلب.
(٥) أَخْنَسَ: تأخر. والبيد: الصحراء.
(٦) النغمة: الكلام الخفيّ.

الصنم، ثم قصدت المدينة فأتيتها ورسول الله ﷺ يخطب، فجلست بإزاء مِنبره فعقَّب خطبته بأن قال: «بإزاء منبري رجلٌ من سعد العَشِيرة، قَدِم علينا راغبًا في الإسلام، ولم يرني ولم أره إلا ساعتي هذه، ولم أكلّمه ولم يكلّمني قَطُّ، وسيخبركم خبرًا عجيبًا» ونزل فصلّى، ثم قال: «أدنُ يا أخا سعد العشِيرة» فدنوت فقال: «أخبرنا عن حياض وفَرّاض وما رأيتَ وسمعتَ» قال: فقمتُ على قدميّ وقصصتُ القِصّة، والمسلمون يسمعون، فسرّ النبيّ ﷺ، ودعاني إلى الإسلام، وتلا عليّ القرآن فأسلمتُ، وقلتُ في ذلك: [من الطويل]

تَبِعتُ رسول الله إذ جاء بالهدى ... وخَلَّفتُ فَرّاضًا بِدار هَوَانِ
شَدَدْتُ عليه شَدَّةً فتركتُهُ ... كأن لم يكن والدَّهرُ ذو حَدَثانِ[1]
رأيتُ له كلبًا يقومُ بأمرِهِ ... فهَدَّدَ بالتَّنكيلِ والرَّجَفانِ
ولما رأيتُ اللّهَ أظهر دِينَهُ ... أجَبتُ رسولَ الله حِين دعانِي
وأصبحتُ للإسلام ما عِشتُ ناصرًا ... وألقيتُ فيه كَلْكَلِي وجِرَانِي[2]
فمَنْ مُبلِغٌ سعدَ العشِيرةِ أنني ... شَرَيْتُ الذي يَبقَى بما هو فانِي

وقد تقدم في خبر وفد سعد العشِيرة ذكر هذه الأبيات، وأنها لذُبابٍ، وأنه الذي كسر الصّنم، إلا أنه لم يذكر البيت الذي فيه ذكر الكلب، والله تعالى أعلم.

ومنه: ما رُوِي أن ربيعة بن أبي بَراءٍ، قال أخبرني خالي فقال: لما أظهرَ الله علينا رسوله ﷺ بحُنَيْن انشعبنا في كل مَشْعَب، لا يَلْوِي حَمِيم على حَمِيم، فبينا أنا في بعض الشِّعاب، رأيت ثعلبًا قد تَحَوَّى[3] عليه أرْقَم[4]، والثعلب يعدو عَدْوًا شديدًا، فانتحيت[5] له بحجر فما أخطأه، وانتهيت إليه، فإذا الثعلب قد سبقني بنفسه ـ أي هلك قبل أن أصل إليه ـ وإذا الأرقم قد تقَطَّع وهو يضطرب، فقمت لأنظر إليه، فهتف هاتفٌ ما سمعت أفظع من صوته يقول: تَعْسًا لك وبؤسًا، فقد قتلت رَئِيسًا، وورثت بئِيسًا[6]، ثم قال: يا داثِر يا داثِر، فأجابه مجيب من العدوة[7] الأخرى بلَبَّيْكَ لَبَّيكَ، فقال: بادِر بادِر، إلى بني العُذَافِر، وأخبرهم بما صنع الكافر، فناديت: إني لم

(١) حدثان الدهر: نوائبه وحوادثه.
(٢) الكلكل: الصدر. والجران: باطن العنق من البعير وغيره.
(٣) تحوّى: التف واستدار. (٤) الأرقم: ذكر الحيات أو أخبثها.
(٥) انتحيت له: عرضت له وقصدت. (٦) البئيس: الشجاع.
(٧) العدوة: شاطىء الوادي؛ أو المكان المرتفع.

أشعر، وأنا عائِذ بك فأجِرني. قال: كلاّ، والحرمِ الأمِين، لا أجير من قاتل المسلمين، وعَبَدَ غيرَ ربِّ العالمين. قال: فناديت؛ إنّي أُسْلِم، فقال: إن أسلمت سقط عنك القصاص، وألْبَثكَ الخلاصُ، وإلاّ فلا مَناص. قال فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدًا رسول الله، فقال: نَجوتَ وهُدِيت، لولا ذاك لرديت[١]، فارجع من حيث جِيت. قال: فرجعت أقفو أدراجي[٢]، فإذا هو يقول: أمتط السِّمْع[٣] الأزَلّ[٤]، يَعْلُ بك التَّلّ، فهناك أبو عامر يتبع الفَلّ. قال: فألتفت فإذا سِمْع كالأسد النَّهْد[٥]، فركبته ومَرَّ يَنْسِلُ[٦]، حتى أنتهى إلى تَلّ عظيم، فتَوقَّل[٧] فيه إلى أن تَسنَّمه، فأشرفت منه على خيل المسلمين، فنزلت عنه وصَوَّبت الحُدُور[٨] نحوهم، فلما دنوت منهم خرج إليّ فارس، كالفَالج[٩] الهائج، فقال: ألقِ سلاحك لا أُمَّ لك، فألقيت سلاحي. فقال: ما أنت؟ قلت: مُسلمٌ، قال: فسلام عليك ورحمة الله، قلت: وعليك السّلام والرحمة والبركة، مَن أبو عامر؟ قال: أنا هو، قلت: الحمد لله، قال: لا بأس عليك؛ هؤلاء إخوانك المسلمون، أمَا رأيتك بأعلى التَّل فارسًا فأين فرسُك؟ قال: فقصصت عليه القصّة، فأعجبه ما سمع مني: وسِرتُ مع القوم أقفو بهم آثار هَوَازن حتى بلغوا من ذلك ما أرادوه.

والأخبار في مثل ذلك كثيرة، وقد أتينا منها بما نكتفي به، فلنذكر خلاف ذلك من سيرة سيدنا رسول الله ﷺ.

ذكر رسلِ رسول الله ﷺ الذين بعثهم إلى الملوك وغيرهم، وما كتب به إليهم، وما أجابوا به

كانت رُسل رسول الله ﷺ، على ما أورده الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي رحمه الله، أحد عشر رجلاً؛ وهم: عمرو بن أمية الضَّمْريّ، ودِحية بن خليفة الكلبيّ، وعبد الله بن حُذافة السَّهميّ، وحاطب بن أبي بَلْتَعة اللخميّ، وعمرو بن العاص، وسَلِيط بن عمرو العامريّ، وشجاع بن وهب الأسديّ، والمهاجر بن أبي أمية المخزوميّ، والعَلاَء بن الحضرميّ، وأبو موسى الأشعريّ، ومعاذ بن جبل. هؤلاء الذين أثبتّهم.

---

(١) رديت: أهلكت.
(٢) الأدراج: الطرق.
(٣) السمع: سبع تلده الضبع وأبوه الذئب.
(٤) الأزل: الصغير العاجز.
(٥) النهد: العظيم الخلق.
(٦) ينسل: يمشي مسرعًا.
(٧) توقل: تصعد في الجبل.
(٨) الحدور: أي الانحدار.
(٩) الفالج: الجمل الضخم ذو السنامين.

وقد ورد أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عُمَيْر الأزدي إلى ملكِ بُصْرى بكتاب، فلما نزل مُؤْتة[١] قتله شُرَحْبِيل بن عمرو الغَسَّانيّ، وبسبب قتله بعث رسول الله ﷺ سَرِيّة مُؤْتة على ما قدمنا ذكره.

ولعل الشيخ رحمه الله، إنما أثبت من الرسل من بَلّغ الرسالة، وهذا لم يُمْهَل حتى يُبلِّغها، ولم يُقتَل لرسول الله ﷺ رسولٌ غيرُه. وقد ورد أن رسول الله ﷺ بعث غير هؤلاء، ممن نذكرهم إن شاء الله تعالى.

فكان أوّل ما بعث رسولُ الله ﷺ الرسل في المحرم، سنة سبع من مُهاجَره؛ أرسل ستّةً من هؤلاء الرسل إلى ستّة ملوك، وذلك أنه ﷺ لما رجع من الحُدَيْبِية في ذي الحجة سنة خمس جَهّز الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كُتبًا، فقيل له: يا رسول الله، إن الملوك لا يقرؤون كتابًا إلا مختومًا، فاتخذ رسول الله ﷺ يومئذ خاتمًا من فضّة فَصُّه منه، نقشه ثلاثة أسطر: «محمد» سطر «رسول» سطر «الله» سطر. وختم به الكتب، فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد وذلك في المحرم سنة سبع، وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه رسول الله ﷺ إليهم؛ حكاه محمد بن سعد في طبقاته بسنده.

وقال أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يَسَار: حدّثني يزيد بن أبي حبيب المصريّ أنه وجد كتابًا فيه ذكر من بعث رسول الله ﷺ إلى البُلْدان، وملوك العرب والعجم، وما قال لأصحابه حين بعثهم، قال: فبَعثتُ به إلى محمد بن شهاب الزُّهْريّ، فعرفه، وفيه: إن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه فقال لهم: «إن الله بعثني رحمةً وكافةً، فأدُّوا عنّي يرحمكم الله، ولا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم» قالوا: يا رسول الله، وكيف كان أختلافهم؟ قال: «دعاهم لمثل ما دعوتكم له، فأمّا من قَرَّبَ[٢] به فأحبَّ وسَلَّم، وأمّا من بَعَّدَ به فكَره وأبَى، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وُجِّه إليهم».

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: حدّثني من أثق به عن أبي بكر الهُذَليّ، قال: بلغني أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه. وساق نحو الحديث.

---

(١) مؤتة: بالضم ثم واو مهموزة ساكنة، وتاء مثناة من فوقها. قرية من قرى البلقاء في حدود الشام. وقيل: موتة من مشارف الشام وبها كانت تطبع السيوف وإليها تنسب المشرفية من السيوف... (معجم البلدان لياقوت).

(٢) قرّب به: بعثه بعثًا قريبًا.

ذكر إرسال عمرو بن أمية الضَّمْريّ[1] إلى النَّجاشي ملك الحبشة وإسلامه

بعثه رسول الله ﷺ إلى النجاشيّ، وكتب معه كتابين، يدعوه في أحدهما إلى الإسلام، ويتلو عليه القرآن، فأخذ النجاشيّ كتاب رسول الله ﷺ فوضعه على عينيه، ونزل عن سريره فجلس على الأرض، ثم أسلم وشَهِد شهادة الحقّ، وقال: لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته، وكتب إلى رسول الله ﷺ بإجابته، وتصديقه وإسلامه على يدي جعفر بن أبي طالب لله رب العالمين. وكان جعفر ممن هاجر إلى الحبشة كما قدّمنا ذكر ذلك. وفي الكتاب الثاني، يأمره أن يزوّجه أمّ حَبِيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت قد هاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش الأسديّ، فتنصر هناك ومات، وأمره رسول الله ﷺ أن يبعث إليه مَن قِبَله من أصحابه الذين هاجروا إلى الحبشة وأن يَحْمِلهم، ففعل، وزوّج رسول الله ﷺ أمّ حَبِيبة، وأصدقها أربعمائة دينار، وأمر بجهاز المسلمين وما يصلحهم، وحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية، وجعل كتابيَ رسول الله ﷺ في حُقٍّ من عاجٍ، وقال: لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرها.

ذكر إرسال دِحْية بن خلِيفة الكلبيّ إلى قيصر ملك الروم

بعثه رسول الله ﷺ إليه، وكتب إليه: «بسم الله الرحمٰن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى هِرَقْلَ عظيم الروم، سلامٌ على من اتّبع الهدى ـ أما بعد ـ فإنّي أدعوك بِدِعاية الإسلام، أَسْلِم تَسْلَم يُؤْتِك الله أجركَ مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الْيَرِيسِيين، و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

وبإسنادنا المتقدّم، إلى أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاريّ، قال: حدّثنا الحكم بن نافع أبو اليَمان، قال حدّثنا شعيب، عن الزهريّ، قال أخبرنا عُبَيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود، أن عبد الله بن عباس أخبره، أن أبا سفيان بن حرب أخبره، أنّ هِرَقْلَ أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجارًا بالشام، في

---

(١) نسبة إلى بني ضمرة، وهم بطن من كنانة من العدنانية.

المدّة[١] التي كان رسول الله ﷺ مادّ فيها أبا سفيان وكفّارَ قريش، فأتوه وهم بإيلِيا، فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بتَرْجُمانه فقال: أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبيّ؟ قال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نَسبًا، فقال: ادنوه مني، وقرّبوا أصحابه، فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لتَرْجُمانه: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذَبَني فكذِّبوه، فواللّهِ لولا الحياء من أن يأثِرُوا عليّ كذبًا لكَذَبتُ عنه. ثم كان أوّل ما سألني عنه أن قال: كيف نَسَبُه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نَسَبٍ، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قطّ قبلَه؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آبائه مَنْ ملَكَ؟ قلت: لا، قال: فأشراف الناس يَتَّبِعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتدّ أحد منهم سَخْطةً لدينه بعد أن يدخلَ فيه؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل يَغْدِر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدّة لا ندري ما هو فاعلٌ فيها، قال: ولم تمكنّي كلمة أدخل فيها شيئًا غير هذه الكلمة، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نَعَم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحربُ بيننا وبينه سِجال[٢]؛ ينال منا وننال منه، قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول اُعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئًا، واُتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصَّلاة، والصِّدق، والعفاف، والصِّلة، فقال لترْجُمانه: قال له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فكيم ذو نَسب، وكذلك الرسل تبعث في نَسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول، فذكرت أنْ لا، فقلتُ: لو كان أحد قال هذا القول قبله، لقلتُ رجلٌ يأتَسِي[٣] بقول قيل قبله، وسألتك هل كان من آبائه مَنْ مَلَكَ، فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من آبائه مَنْ مَلَكَ، قلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعْرِفُ أنه لم يكن ليَذَر الكذب على الناس، ويكذب على الله، وسألتك أأشراف الناس اتّبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أنّ ضعفاءَهم اتّبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يَتِمّ، وسألتك أيَرْتَدّ أحد منهم سَخْطَة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أنْ لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بَشاشَتُه القلوب، وسألتك هل يَغْدر، فذكرت أنْ لا، وكذلك الرسل لا تَغْدِر، وسألتك بِم يأمركم، فذكرت أنه يأمركم أن

---

(١) هي مدة صلح الحديبية على وضع الحرب عشر سنين.
(٢) سجال: نوب، أي نوبة عليه ونوبة علينا.
(٣) يأتسي: يقتدي.

تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصَّلاة والصِّدق والعفاف، فإن كان ما يقول حقًّا، فسيَمْلك موضع قدميّ هاتَيْن، وقد كنت أعلم أنه خارجٌ، فم أكن أظُنّ أنّه منكم، فلو أني أعلم أنّي أخْلُص إليه لتَجَشَّمْت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميْه. ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ، الذي بَعث به دِحْيَةَ إلى عظيم بُصْرى، فدفعه إلى هِرَقْل فقرأه، فإذا فيه «بسم الله الرحمٰن الرحيم» وذكره كما تقدّم.

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصَّخَب، وٱرتفعت الأصوات، وأُخرِجنا، فقلت لأصحابي حين أُخرِجنا: لقد أَمِرَ أَمْرُ ٱبن أبي كَبْشةَ[١]، إنه ليخافه مِلِك بني الأصفر[٢]، فما زلت موقنًا أنه سيظهر حتى أدخل الله عليَّ الإسلام.

قال: وكان ابن النَّاطُور صاحب إيلِياء وهِرَقْلَ أَسْقفًا على نصارى الشام يحدّث أن هِرقل حين قدم إيلياء أصبح يومًا خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد ٱستنكرنا هيئتك، فقال ٱبن الناطور، وكان هِرقل حَزّاءً[٣]: ينظر في النّجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيتُ الليلة حين نَظَرتُ في النجوم مَلِك الخِتان قد ظهر، فمن يَخْتَتِن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود، فلا يُهِمَّنْك شأنُهم، وٱكتب إلى مَدائن مُلكك فليقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمرهم، إذ أُتي هِرقل برجل، أرسل به مَلك غَسّان، يخبر عن خبر رسول الله ﷺ، فلما استخبره هرقل قال: ٱذهبوا فانظروا أمختتنٌ هو أم لا، فنظروا إليه، فحدّثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب، فقال: هم يختتنون، فقال هِرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر. ثم كتب هِرقل إلى صاحب له برُومِيَةَ[٤]، وكان نظيره في العلم، وسار هرَقْل إلى حِمْص، فلم يَرِمْ[٥] حِمْصَ حتى أتاه كتاب من صاحبه، يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ، وأنه نَبيٌّ، فأذن هرقل لعظماء الروم في دَسْكرة[٦] له بحِمْص، ثم أمر بأبوابها فغُلِّقت، ثم ٱطَّلعَ فقال: يا

---

(١) أبو كبشة: كنية أبي النبيّ ﷺ من الرضاع، واسمه الحارث بن عبد العزى.

(٢) بنو الأصفر: أي الروم.

(٣) الحزّاء: الكاهن؛ أو الذي ينظر في النجوم.

(٤) رومية: وهما روميتان: إحداهما بالروم والأخرى بالمدائن وسميت باسم ملك.

(٥) لم يرم: أي لم يبرح منها أو لم يصل إليها.

(٦) الدسكرة: بناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم فيها الشراب والملاهي، يكون للملوك؛ أو القرية العظيمة.

معشر الروم هل لكم في الفلاح والرُّشْد؟ وأن يثبت مُلْكُكم فَتُبايعُوا لهذا النبيّ، فحاصُوا حَيْصَة[١] حُمُر الوَحْش إلى الأبواب فوجدوها قد غُلِّقت، فلما رأى هِرقل نَفْرَتهم، وأيِسَ من الإيمان، قال: رُدّوهم عليّ، وقال: إني قلت مقالتي آنفًا أختبر بها شِدّتكم على دينكم فقد رأيت. فسجدوا له ورَضُوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هِرقل. رواه صالح بن كَيْسان ويونس ومَعْمَر عن الزُّهري.

وقد قدّمنا من خبر هِرقل في شأن رسول الله ﷺ، وتحقيق نبوءته عنده، في فصل مَنْ بَشّر برسول الله ﷺ ما تقِف عليه هناك.

ذكر إرسال عبد الله بن حُذَافَة السَّهمِيّ[٢] إلى كِسْرَى مَلِك الفُرْس

بعثه رسول الله ﷺ إليه، يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتابًا؛ قال عبد الله: فدفعت إليه كتاب رسول الله ﷺ، فَقُرِىء عليه ثم أخذه فمزّقه، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: «اللهم مَزِّقْ مُلْكه». وكتب كِسْرَى إلى بَاذَانَ عامِلِه على اليَمَن: أن ٱبعث من عندك رجلين جَلْدين إلى هذا الرجل الذي بالحجاز، فليأتيا بخبره. فبعث بَاذَانُ قَهْرَمانَه[٣]، ورجلاً آخر، وكتب معهما كتابًا، فقدما المدينة، فدفعا كتاب باذان إلى رسول الله ﷺ، فتبسّم رسول الله ﷺ ودعاهما إلى الإسلام، وفَرائصُهما تُرعَد، قال: «ٱرجعا عني يومكما هذا حتى تأتياني الغَدَ فأخبركما بما أريد» فجاءاه الغَدَ، فقال لهما: «أبلغا صاحبكما أن ربِّي قد قتل رَبَّه كِسْرَى في هذه الليلة لسبع ساعات مَضَتْ منها ـ وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جُمادى الأولى سنة سبع من الهجرة ـ وأن الله تعالى سَلّط عليه لابنه شِيرَوَيْه فقتله» فرجعا إلى بَاذَان بذلك، فأسلم هو والأَبْنَاء الذين باليمن.

ذكر إرسال حاطِب بن أبي بَلْتَعَة إلى المُقَوْقِس صاحب الإسْكَنْدَرِيّة عظِيم القِبْطِ، وٱسمه جُرَيْج بن مِينَا

بعثه رسول الله ﷺ إليه، يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتابًا فأتاه، وأوصل إليه كتاب رسول الله ﷺ فقرأه، وقال خيرًا، وجعل الكتاب في حُقّ من عاج، وختم

---

(١) حاصوا: نفروا.
(٢) نسبة إلى بني سهم، وهم بطن من باهلة من القحطانية.
(٣) القهرمان: خازن الملك ووكيله، والقائم بأموره.

عليه ودفعه إلى جاريته، وكتب إلى رسول الله ﷺ: قد علمت أن نبيًا قدْ بَقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وقد أهديت لك كسوة وبغلة تركبها.

ولم يزد على هذا، ولم يُسلم المُقَوْقِس، فقبل رسول الله ﷺ هَدِيَّته، وأخذ الجاريتين، وهما مارية أمّ إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وأختها شِيرِينُ، وبَغْلة بَيْضاء، لم يكن في العرب يومئذ غيرها، وهي دُلْدُلُ، وقال رسول الله ﷺ في المقوقس: «ضَنّ الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه». قال حاطِب: كان المقوقس مُكْرِمًا لي في الضِّيافة، وقِلّة اللُّبْث ببابه، وما أقمت عنده إلا خمسة أيام.

وقال أبو عمر بن عبد البر: إن المقوقس أهدى لرسول الله ﷺ خَصِيًّا ٱسمه مَأْبُورُ، وذكر ذلك في ترجمة مَارِية، ويقال: هو ٱبن عمّ مارِية، والله أعلم.

وقد ذكرنا في (الحُجّة البالِغَة، والأجْوِبَة الدّامِغَة) ما كان بينهما من المحاورات، وذلك في الباب الرابع عشر، من القسم الخامس، من الفنّ الثاني، في السِّفر الثّامن من هذه النسخة.

ذكر إرسال شُجاع بن وَهْب الأسَدِي إلى الحارث بن أبي شِمْر

قالوا: بعث رسول الله ﷺ شُجاع بن وَهْب الأسَدِي، إلى الحارث بن أبي شِمْر الغَسّاني، مَلك البَلْقاء من أرض الشام، يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتابًا، قال شجاع: فأتيته وهو بغُوطَة دِمَشْق، وهو مشغول بتَهْيِئَةِ الأنْزال[1] والألْطافِ[2] لقَيْصَر، وهو جاءٍ من حِمص إلى إيلِيَاء، فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة، فقلت لحاجبه: إني رسولُ رسولِ الله ﷺ إليه، فقال: لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا. وجعل حاجبه ـ وكان رُومِيًّا ٱسمه مُري ـ يسألني عن رسول الله ﷺ، فكنت أحدّثه عن صِفتِه، وما يدعو إليه، فيَرِقّ حتى يغلبه البُكاء، ويقول: إني قرأت الإنجِيل فأجد صِفَةَ هذا النبيِّ بعينه، فأنا أومِنُ به وأصدِّقه، وأخاف من الحارث أن يقتلني، وكان يكرمني ويحسن ضِيافتي، وخرج الحارث يومًا فجلس، ووضع التّاج على رَأْسِه، فأذِنَ لي عليه، فدفعت إليه كتاب رسول الله ﷺ، فقرأه ثم رمى به، وقال: من يَنْتَزِع منّي مُلكي؟ أنا سائر إليه،

---

(١) الأنزال: واحدها نزل، وهو مكان النزول.

(٢) الألطاف: وسائل الراحة.

ولو كان باليمن جئتُه، عليّ بالناس! فلم يزل يَفْرِضُ[١] حتى قام، وأمر بالخيول تُنْعَل، ثم قال: أخبِر صاحبك ما ترى. وكتب إلى قَيْصَر يخبره خَبَرِي وما عَزَم عليه، فكتب إليه قيصر: ألا تسير إليه، وآلْهَ عنه، ووافِنِي بإيلِيَاء. فلما جاءه جواب كتابه دعاني فقال لي: متى تريد أن تخرج إلى صاحبك؟ فقلت: غدًا، فأمر لي بمائة مثقال ذهب، ووصلني مُري، وأمر لي بنفقة وكُسْوَة، وقال: أَقْرَأ على رسول الله ﷺ مِنِّي السلام. فقدِمت على رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «بَادَ مُلْكه» وأقرأته من مُري السلام، وأخبرته بما قال، فقال ﷺ: «صَدَق» ومات الحارث بن أبي شِمْر عام الفتح.

ذكر إرسال سَلِيط بن عمْرو العامرِي إلى هَوْذَةَ بن عليّ الحَنَفي باليَمامة

بعثه رسول الله ﷺ إليه، يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتابًا، فقدِم عليه فأنزله وحَبَاه، وقرأ كتاب رسول الله ﷺ، وكتب إلى النبي ﷺ: ما أحسن ما تدعو إليه وأجْمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تَهاب مكاني، فاْجعل لي بعض الأمر أتَّبِعْك. وأجاز سَلِيطَ بن عمْرو بجائزة وكساه أثوابًا من نسج هَجَر[٢]، فقدم بذلك كله على رسول الله ﷺ، وأخبره عنه بما قال، فقرأ كتابه وقال: «لو سألني سَيَابَةً[٣] من الأرض ما فعلتُ، بَادَ وبَادَ ما في يديْه» فمات عام الفتح. فهؤلاء السِّتَّة الذين بعثهم رسول الله ﷺ في المحرم سنة سبع.

وبعث ﷺ العَلاء بن الحَضْرَمي إلى المُنْذِرِ بن سَاوَى العَبْدِيّ مَلك البَحْرَيْن.

قال محمد بن سعد: بعثه عند مُنْصَرفه من الجِعْرانَة[٤] إليه، يدعوه إلى الإسلام، وكتب إليه كتابًا. فكتب إلى رسول الله ﷺ بإسلامه وتصديقه، و«أني قرأت

---

(١) يفرض: يعطي الجند عطاءهم من المال ويأمرهم بالتأهب للحرب.

(٢) هجر: منها هجر البحرين، وهجر نجران، وهجر جازان وهجر حصنة من مخلاف مازن. وهجر: مدينة وهي قاعدة البحرين. وقيل: هجر ناحية البحرين كلها. وقيل: هجر بلاد قصبتها الصفا، بينها وبين اليمامة عشرة أيام... (معجم البلدان).

(٣) السيابة: قال الأصمعي: إذا تعقد الطلع حتى يصير بلحًا، فهو السياب، واحدته سيابة... وقال أبو سعيد: السيوب عروق من الذهب والفضة، تسيب في المعدن، أي تتكون فيه وتظهر، سميت سيوبًا لانسيابها في الأرض... (اللسان مادة سيب).

(٤) الجعرانة: هي ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب، نزلها النبيّ ﷺ لما قسم غنائم هوازن مرجعه من غزاة حنين وأحرم منها ﷺ، وله فيها مسجد، وبها بئار متقاربة... (معجم البلدان لياقوت).

كتابك على أهل هَجَر، فمنهم من أحَبَّ الإسلام، وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مَجُوسٌ ويَهُودٌ، فأحدِث إليّ في ذلك أمْرَك» فكتب إليه رسول الله ﷺ: «إنك مهما تُصْلِح فلن نَعْزِلَك عن عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجِزية، وبألا تُنكح نساؤهم ولا تُؤكل ذبائحهم».

وكان رسول الله ﷺ بعث أبا هُريرة مع العَلاء بن الحَضْرَمي، وأوصاه به خيرًا، وكتب رسول الله ﷺ إلى العلاء فرائض الإبل، والبقر والغنم، والثمار والأموال، فقرأ العلاء كتابه على الناس وأخذ صدقاتهم.

وبعث ﷺ عمرو بن العاصِ إلى مَلكَيْ عُمَان.

قال محمد بن سعد: بعثه رسول الله ﷺ في ذي القعدة، سنة ثمان من مُهاجَره، إلى جَيْفَر وعَبْدٍ ٱبني الجُلُندى، وهما من الأزْد، والملِك منهما جَيْفَر، يدعوهما إلى الإسلام، وكتب معه إليهما كتابًا، قال عمرو: لما قدمتُ عُمَان عمدتُ إلى عبدٍ، وكان أحْلَم الرجلين وأسهلهما خُلُقًا، فقلت: إني رسولُ رسولِ الله ﷺ إليك وإلى أخيك، فقال: أخي المقدّم عليّ بالسِّنّ والملك وأنا أوصلك إليه حتى تقرأ كتابك، فمكثت أيامًا ببابه، ثم دعاني فدخلت عليه فدفعت إليه الكتاب مَخْتُومًا، ففَضّ خاتَمه وقرأه حتى ٱنتهى إلى آخره، ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثل قراءته، إلا أنّي رأيت أخاه أرَقّ منه، فقال: دَعْني يومي هذا وٱرجع إليّ غدًا، فلما كان من الغد رجعت إليه، فقال: إني فَكّرت فيما دعوتني إليه، فإذا أنا أضْعَف العرب إن مَلَّكْتُ رجلًا ما في يدي، قلت: فإني خارج غدًا، فلما أيْقَن بمَخْرَجي أصبح فأرسل إليّ، فدخلت عليه فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعًا، وصدّقا بالنبيّ ﷺ، وخَلّيَا بيْني وبين الصّدقة، وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عونًا على من خالفني، فأخذت الصدقة من أغنيائهم، فرددتها في فقرائهم، ولم أزل مقيمًا بينهم حتى بلغنا وفاةُ رسول الله ﷺ.

وبعث ﷺ المُهاجِر بن أبي أمية المخزُومِي إلى الحارث الحِمْيَري، وهو الحارِث بن عبد كُلاَل ملِك اليَمَن.

وبعث ﷺ أبا موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل[١] إلى اليمن. وكانا جميعًا داعِيين إلى الإسلام، فأسلم عامّة أهل اليمن، ملوكهم وعامّتهم طوعًا. هؤلاء الرسل الذين ذكرهم الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خَلَف الدمياطي في مختَصَر السيرة.

---

(١) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عديّ بن كعب بن عمرو بن أديّ.

وقد ذكر محمد بن سعد بن مَنِيع في طبقاته الكبرى، أن رسول الله ﷺ بعث جَرير بن عبدِ اللّهِ البَجَلِي إلى ذِي الكُلاعِ بن ناكور بن حبيب بن مالك بن حَسّان بن تُبَّع، وإلى ذي عَمْرو يدعوهما إلى الإسلام، فأسلما وأسلمت ضريبة بنت أبْرَهَة بن الصَّبّاح. وتوفي رسول الله ﷺ وجرير عِندهم، فأخبره ذو عمرو بوفاة رسول الله ﷺ، فرجع جَرِير إلى المدينة.

ولم يذكر محمد بن سعد المُهَاجِر، وقال: إن رسول الله ﷺ بعث إلى اليمن مع معاذ بن جبل مالك بن مُرَارَة.

وذكر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمريّ[1]، في كتابه المتَرْجَم بالاستيعاب، في ترجمة ابن أبي أمية، أن رسول الله ﷺ بعثه إلى الحارث كما قدّمنا.

قال ابن سعد: وكتب رسول الله ﷺ إلى جَبَلَة بن الأيْهَم مَلك غَسّان يدعوه إلى الإسلام فأسلم، وكتب بإسلامه إلى رسول الله ﷺ، وأهدى له هدية، ولم يذكر اسم المرسل إليه، ثم كان من أمر جَبَلة بن الأيهم، وخبر ارتداده ما نذكره إن شاء الله تعالى، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقال محمد بن إسحاق رحمه الله: وكان رسول الله ﷺ قد بعث أُمَراءَه وعمّاله على الصّدقات، إلى كل ما أوْطَأ الإسلام من البلدان.

فبعث المهاجر بن أبي أميّة بن المُغِيرَة إلى صَنْعَاء، فخرج عليه العَنْسيّ وهو بها. وبعث زياد بن لبِيد، أخا بني بَيَاضَة الأنصاري، إلى حَضْرَمَوْت وعلى صدقاتها. وبعث عديّ بن حاتِم على طيِّيء وصدقاتها، وعلى بني أسد. وبعث مالك بن نُوَيْرَة اليَرْبُوعِي على صدقات بني حَنْظَلَة، وفرّق صدقات بني سَعْد على رجلين منهم؛ فبعث الزِّبْرِقان بن بَدْر على ناحية منها، وقَيْس بن عاصم على ناحية.

قال: وكان قد بعث العلاء بن الحضرميّ على البحرَيْن، وبعث عليّ بن أبي طالب إلى أهل نَجْران ليجمع صدقتهم، ويقدم عليه بِجزيتهم.

هذا ما وقفنا عليه من أخبار رسلِ رسول الله ﷺ، فلنذكر من أخباره ﷺ خلاف ذلك.

---

(١) هو إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما، روى بقرطبة عن أبي القاسم خلف بن القاسم الحافظ وعبد الوارث بن سفيان وسعيد نصر وغيرهم. وكتب إليه من أهل المشرق أبو القاسم السقطي المكي وعبد الغني بن سعيد الحافظ وأبو ذر الهروي وغيرهم... قيل إنه مات سنة ثمان وخمسين وأربعمائة... (وفيات الأعيان ٧:٦٦).

ذكر أزواج رسول الله ﷺ

وهنّ: خدِيجة بنت خُوَيْلد، وسَوْدَة بنت زَمْعَة، وعائِشة بنت أَبِي بكر الصِّدِّيق، وحَفْصَة بنت عمر بن الخطاب، وزَيْنَب بنت خُزَيمة بن الحارِث، وأُمُّ سَلَمَة هِنْد بنت أَبِي أمية، وزينب بنت جَحْشٍ، وجُوَيْرِيَة بنت الحارِث، ورَيْحانَة بنت زيدٍ، وأم حَبِيبَة رَمْلَة بنت أَبِي سُفْيان بن حَرْب، وصَفِيَّة بنت حُيَيِّ بن أَخْطَب، ومَيْمُونَة بنت الحارِث؛ هؤلاء المدخول بهنّ، وهنّ ثنتا عشرة ٱمرأة رضوان الله عليهنّ. وسنذكر إن شاء الله تعالى، بعد أن نذكر أخبار هؤلاء، مَن تزوّجهنّ ﷺ، ولم يدخل بهنّ، ومَن وهَبَت نفسها له، ومَن خَيَّرَها فٱختارت الدُّنيا، ومَن فارقها ﷺ، ولنذكر أخبارهنّ على حسب ٱتصالهنّ به ﷺ.

فأوّل ٱمرأة تزوّج رسول الله ﷺ:

خَدِيجة بنت خُوَيْلد

ٱبن أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ بنِ كلابٍ القُرَشِية، رضي الله عنها، وكانت تدعى في الجاهلية الطّاهِرة، وأُمُّها فاطِمَة بنت زَائِدَة بن الأَصَمّ، وٱسم الأَصَمّ جُنْدُب بن هَرِم بن رَوَاحَة بن حُجْرِ بن مَعِيص بن عامِر بن لُؤَيّ. وكانت خدِيجة عند أبي هالة بن زُرارَة بن نَبّاشِ بن عَدِيّ بن حبِيب بن صُرَدِ بن سَلامة بن جَرْوة بن أُسَيّد بن عَمْرو بن تَمِيم التّميمي. قال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النَّمَري: هكذا نسبه الزُّبَيْر، وأمّا الجُرْجانِيّ[1] النّسّابة فقال: كانت خَدِيجة قبلُ عند أبي هالة هِنْد بن النَّبّاش بن زُرارة بن وَقْدَان بن حبيب بن سلامة بن عدِي بن جَرْوَة بن أَسَيِّد بن عمرو بن تميم، فولدت له هِنْدًا، قال: ثم ٱتفقا فقالا: ثم خلف عليها بعد أبي هَالَةَ عُتَيقُ بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم، ثم خلف عليها بعد عُتَيق المخزومي رسول الله ﷺ.

وقال قتادة: كانت خَدِيجة تحت عُتَيق بن عابد المخزومي، ثم خلف عليها بعده أبو هالة هِنْد بن زُرارة، قال أبو عمر: والأوّل أصَحّ.

---

(١) الجرجاني: هو القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني الفقيه الشافعي؛ كان فقيهًا أديبًا شاعرًا... شعره كثير وطريقه فيه سهل، وله كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه أبان فيه عن فضل غزير واطلاع كثير ومادة متوفرة... مات بالريّ سنة ٣٩٢ هجرية... (وفيات الأعيان ٣:٢٧٨).

وقال أبو محمد عبد المؤمن[1] بن خَلَف: إنها ولدت لعُتَيق جارية تدعى هِنْدَ، ثم هلك عنها فخلف عليها أبو هالة فولدت له ٱبنًا وبنتًا. وقال ٱبن إسحاق: وولدت هِنْدَ بن أبي هالة، وزَيْنَبَ بنت أبي هَالَة، وولدت لعُتَيق عبدَ الله وجاريةً، قال: ثم هلك فتزوّجها رسول الله ﷺ، وقد قدّمنا ذكر زواجه ﷺ بها، فلا حاجة إلى إعادته. وولدت لرسول الله ﷺ جميع أولاده، إلا إبراهيم. وقال أبو عمر: لا يختلفون أن رسول الله ﷺ لم يتزوّج في الجاهلية غير خَدِيجَة، ولا تزوّج عليها أحدًا من نسائه حتى ماتت، وهي أوّل من آمن بالله عزّ وجلّ، وبرسوله ﷺ على الإطلاق.

قال ٱبن إسحاق رحمه الله: كان رسول الله ﷺ لا يسمع من المشركين شيئًا يكرهه، من ردٍّ عليه وتَكْذِيب له إلا فرّج الله عنه بخدِيجة، تثَبّته وتصَدِّقه وتخفِّف عنه وتهوِّن عليه ما يَلْقَى من قومه، وقد تقدّم من أخبارها في ٱبتداء الوحي وٱمتِحانها الأمر، وقولها لرسول الله ﷺ: إن الذي يأتيه مَلَك، وغير ذلك ما تقف عليه هناك، مما يستدل به على أنها رضي الله عنها أوّل من آمن بالله تعالى وبرسوله، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة المنتشرة، بفضل خديجة رضي الله عنها؛ فمن ذلك ما رُوي عن ٱبن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيِّدة نساء أهل الجنة بعد مَرْيَم بنت عمران فاطِمة وخدِيجة وآسِيَة امرأة فرعون». وعن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها قالت: ما غِرْت على ٱمرأة ما غِرْت على خديجة، وما بِي أن أكون أدركتها، ولكن ذلك لكثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها، وإن كان ليَذْبَح الشاة فيتتبع بذلك صدائق خديجة يُهديها لهنّ. وعنها رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ لا يَكاد يخرج من البيت حتى يذكر خَديجة فيحسن عليها الثناء، فذكرها يومًا من الأيام فأدركتني الغَيْرة فقلت: هل كانت إلا عجوزًا قد أبدلك الله خيرًا منها؟ فغضب حتى ٱهتز مُقَدّم شَعْره من الغضب، ثم قال: «لا والله ما أَبْدَلني اللّهُ خيرًا منها، آمنتْ بي إذْ كفر الناس، وصدّقتْني إذ كذَّبني الناس، وواستني في مالها إذ حَرَمني الناس، ورزقني الله منها أولادًا إذ حَرَمني أولاد النساء» قالت عائشة: فقلت في نفسي لا أذكرها بسيِّئة أبدًا.

---

(١) هو عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى الدمياطي، التوني (شرف الدين، أبو محمد، أبو أحمد)، فقيه، أصولي، محدث، حافظ، نسابة، إخباري، مقرىء، أديب، نحوي، لغوي، شاعر. ولد بتونة من أعمال دمياط بمصر، في آخر سنة ٦١٣ هجرية، ورحل إلى الحجاز ودمشق وحلب وحماة والجزيرة وبغداد وأخذ عن كثير من الشيوخ، وتوفي فجأة بالقاهرة في ١١ ذي القعدة سنة ٧٠٥ هجرية. له تصانيف كثيرة. . . (معجم المؤلفين).

وقد قدّمنا من فضلها وما بَشَّرها به جبريل عليه السلام، وذكر وفاتها عند ذكرنا لزواج رسول الله ﷺ لها ما يستغني عن إيراده في هذا الموضع، وهو في الجزء الرابع عشر من كتابنا هذا من هذه النسخة.

ولما ماتت خَدِيجَة تزوّج رسول الله ﷺ بعد وفاتها بأيام:

سَوْدَة بنت زَمْعَة بن قَيْس

ٱبن عبد شَمْس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَيّ، ويقال في حِسْل: حُسَيْل. وأمها الشَّمُوس بنت قَيْس بن زيد بن عمرو بن لَبِيد بن خِداش بن عامر بن غَنْم بن عدِيّ بن النَّجّار، تزوّجها رسول الله ﷺ بمكة، بعد موت خديجة، وقبل العقد على عائشة على المشهور، وكانت قبلُ عند ٱبن عمٍّ لها يقال له السَّكْران بن عمرو، وهو أخو سُهَيْل بن عمرو، من بني عامر بن لُؤَيّ. وأَسَنَّت سَوْدَة عند رسول الله ﷺ فهَمَّ بطلاقها، فقالت له: لا تطلقني وأنت في حِلٍّ من شأني، فإنما أريد أن أُحْشَر في أزواجك، وإنّي قد وَهَبْتُ يومي لعائشة، وإني ما أريد ما تريد النساء. فأمسكها رسول الله ﷺ وصار يقسم لبقية أزواجه دونها، ونَوْبتها لعائشة، فكانت كذلك حتى تُوفِّي عنها رسول الله ﷺ مع من تُوفِّي عنهن من أزواجه.

قال أبو عمر: وفي سَوْدَة نزل قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ﴾ [النساء: ١٢٨]. وقيل: نزلت في عَمْرَةَ، ويقال: خَوْلَةَ بنت محمد بن مَسْلَمَة، وفي زوجها سَعْد بن الرَّبيع. ويقال في غيرها. والله أعلم. وكانت وفاة سَوْدَة في آخر زمان عمر بن الخطاب، ثم تزوّج رسول الله ﷺ بعد سَوْدَة:

عَائشة بنت أبي بَكْر الصِّدّيق رضي الله عنهما

وأمها أمُّ رُومَان ٱبنة عامر بن عُوَيمر بن عبد شَمْس بن عَتّاب بن أُذَيْنَة بن سبيع بن دُهْمان بن الحارث بن غَنْم بن مالك بن كِنانة، تزوّجها رسول الله ﷺ بمكة، في شوّال سنة عشر من النبوّة، قبل الهجرة بثلاث سنين، وهي بنت سِتّ أو سبع، وبنى بها بالمدينة على رأس سبعة أشهر من الهجرة، وهي ٱبنة تسع سنين، وتوفي عنها رسول الله ﷺ، وهي بنت ثماني عشرة سنة، ولم يتزوّج ﷺ بِكْرًا غيرها، وكانت عائشة رضي الله عنها تذكر لجُبَيْر بن مُطْعِم بن عَدِيّ وتُسَمّي له، وكان رسول الله ﷺ

قد أُرِي عائشة في المنام في سَرَقَة[1] من حرير مُتَوَفَّى خَديجَةَ، فقال: «إن يكن هذا من عند الله يُمْضِهِ» فتزوّجها رسول الله ﷺ في شوّال وٱبْتَنَى بها في شوّال، فكانت تحبّ أن تدخل النساء من أهلها وأحِبّتها في شوّال على أزواجهنّ، وتقول: هل كان في نسائه عنده أحْظَى مِنّي، وقد نكحني وٱبتنى بي في شوّال.

قال أبو عمر: فكان مكثُها مع رسول الله ﷺ تِسع سنين، رُوي عنها أنها قالت: تزوّجني رسول الله ﷺ وأنا بنت سَبْع سنين، وبَنَى بي وأنا بنت تِسع، وقُبِض عَنّي وأنا بنت ثماني عشرة.

قال أبو عمر: وٱستأذنتْ رسولَ الله ﷺ في الكُنْيَة فقال لها: «ٱكْتَنِي بٱبنك عبد الله بن الزبير» يعني ٱبن أختها، وكان مَسْرُوق إذا حدّث عن عائشة يقول: حدّثتني الصّادقة ٱبنة الصِّدّيق، البريئة المبرّأة بكذا وكذا. ذكره الشَّعْبي عن مسروق. وقال أبو الضُّحَا عن مسروق: رأيت مَشْيَخَة أصحاب محمد ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض. وقال عطاء بن أبي رَبَاح: كانت عائشة أفْقَه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامّة. وقال هشام بن عُرْوَة عن أبيه: ما رأيت أحدًا أعلم بفِقهٍ ولا بِطِبّ ولا بشِعر من عائشة. وعن عبد الرحمٰن بن أبي الزِّناد عن أبيه، قال: ما رأيت أحدًا أرْوَى لشِعر من عُروة، فقيل له: ما أرواك يا أبا عبد الله! قال: وما روايتي في رواية عائشة، ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعرًا. قال الزهريّ: لو جمع علم عائشة إلى جميع علم أزواج رسول الله ﷺ، وعلم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل. وروي عن عمرو بن العاص قال: قلت لرسول الله ﷺ أيّ الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»، قلت: فمِن الرجال؟ قال: «أبوها». ومن حديث أبي موسى الأشعري، وأنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «فضل عائشة على النساء كفضل الثَّرِيد[2] على سائر الطعام». ومن فضل عائشة أن الله عزّ وجل أنزل في براءتها ما أنزل، وقد ذكرنا ذلك في حديث الإفْكِ، في حوادث سنة خمسٍ من الهجرة، وهو في الجزء الرابع عشر من كتابنا هذا، من هذه النسخة. ورُوي عن مالك بن أنس رحمه الله أنه قال: من سَبّ أبا بكر جُلِد، ومن سَبّ عائشة قُتِل، فقيل له: لِمَ؟ قال: من رماها فقد خالف القرآن؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧﴾ [النور: ١٧] فمن عاد لمثله فقد كفر. وعن القاضي أبي بكر بن الطيّب

(١) سرقة: جمع السّرق: شقق الحرير، أو أجوده.
(٢) الثريد: ما يثرد من الخبز. وثرد الخبز، أي فته ثم بله بمرق.

قال: إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسبه إليه المشركون سَبّح نفسَه لنفسِه؛ كقوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ﴾ [الأنبياء: ٢٦] في آي كثير. وذكر تعالى ما نسبه المنافقون إلى عائشة فقال: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ﴾ [النور: ١٦] سبح نفسه في تنزِيهها من السُّوءِ، كما سبّح نفسه في تنزيهه من السّوء. وفضائلها رضي الله عنها كثيرة مشهورة.

وسنذكر إن شاء الله تعالى، عند ذكرنا لوفاة سيدنا رسول الله ﷺ ما خصَّها به ﷺ، في مرضه الذي مات فيه، من تمريضه في بيتها، وأنه مات ﷺ في بيتها وفي نَوْبتها، وبيْن سَحْرِها[١] ونَحْرِها، وآخر ما دخل فمَه ريقُها، وناهِيك بها فضيلة وخُصُوصية. وكانت وفاة عائشة رضي الله عنها بالمدينة، في سنة سبع وخمسين، وقيل: في سنة ثمان وخمسين، ليلة الثلاثاء، لسبع عشرة خلت من شهر رمضان، وأمرت أن تُدْفن ليلاً، فدفِنت بعد الوتْر بالبَقِيع[٢]، وصلّى عليها أبو هريرة، ونزل في قبرها خمسة: عبد الله، وعُرْوَة ابنا الزّبير، والقاسِم بن محمد، وعبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر، والله أعلم.

وتزوّج رسول الله ﷺ بعد زواج عائشة:

حَفْصَة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها

وهي أخت عبد الله بن عمر لأبيه وأمه، وأمّها زَيْنب بنت مَظْعُون بن حبِيب بن وَهْب بن حُذافَة بن جُمَح، وكانت حَفْصَة من المهاجرات، وكانت قبل رسول الله ﷺ عند خُنَيْس بن حُذافة بن قَيْس بن عَدِيّ السَّهْميّ، وكان بَدْرِيًا، فلما مات عنها وتأيَّمَت، ذكرها عمر لأبي بكر وعَرَضها عليه، فلم يُرجِع إليه أبو بكر كلمة، فغضب من ذلك عمر، ثم عَرَضها على عثمان حين ماتت رُقَيّة بنت رسول الله ﷺ، فقال عثمان: ما أريد أن أتزوّج اليوم، فانطلق عمر إلى رسول الله ﷺ فشكا إليه عثمان، وأخبره بعرضه حفصة عليه، فقال له رسول الله ﷺ: «يتزوّج حَفْصَة من هو خير من عثمان، ويتزوّج عثمان من هي خير من حفصة» ثم خطبها رسول الله ﷺ إلى عمر فتزوّجها، فلقي أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب فقال: لا تَجِد[٣] عليّ في نفسِك، فإن رسول الله ﷺ كان ذكر حفصة، فلم أكن لأفشِي سِرّ رسول الله ﷺ، ولو تركها

---

(١) السّحر: الرئة. والنحر: أعلى الصدر.

(٢) البقيع: مقبرة أهل المدينة، وهي داخل المدينة.

(٣) لا تجد عليّ: أي لا تغضب.

لتزوّجتها. وتزوّجها رسول الله ﷺ على رأس ثلاثين شهرًا من مُهاجَره. قال أبو عمر: وطلقها رسول الله ﷺ تطليقة ثم ٱرْتَجَعها؛ وذلك أن جِبْرِيل عليه السلام قال له: «راجِع حفصة فإنها صوّامة قوّامة، وأنها زوجتك في الجنة». ورويِ عن عقبة بن عامر قال: طلّق رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر، فبلغ ذلك عمر فحثى على رأسه التراب، وقال: ما يَعْبَأ الله بعمر وٱبنته بعد هذا، فنزل جبرِيل من الغد على رسول الله ﷺ، وقال: «إنّ الله يأمرك أن تراجِع حفصة بنت عمر رحمة لعمر».

قال أبو عمر: وأوْصَى عمر بعد موته إلى حفصة، وأوصت حفصة إلى عبد الله بن عمر بما أوصى به إليها عمر، وبصدقة تصدّقت بها بمال وَقَفَتْه بالغابَة. وٱختلف في وفاتها، فقال الدُّولابيّ: عن أحمد بن محمد بن أيوب، توفيت في سنة سبع وعشرين، وقال أبو مَعْشَر: توفيت في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين، وقال غيره: توفيت في شعبان سنة خمس وأربعين بالمدينة، وصلّى عليها مَرْوان بن الحَكَم، وحمل سريرها، وهو إذ ذاك أمِير المدِينة لمعاوِية بن أبي سُفيان، وهذا الذي أشار إليه الشيخ أبو محمد الدمياطي في مختصر السيرة. قال: ثم تزوّج رسول الله ﷺ بعد زواج حفصة بنت عمر:

زينب بنت خُزيمَة بن الحارث

ٱبن عبد الله بن عمرو بن عبد مَناف بن هِلال بن عامر بن صَعْصَعَة بن معاوية بن بكر بن هَوَازِن القَيْسِيّة الهَوازِنية العامِرية الهلالية، وكانت تدعى في الجاهلية أمّ المساكين، وكانت قبل رسول الله ﷺ عند الطفيل بن الحارث بن المطلِب بن عبد مَناف فطلّقها، فخلف عليها أخوه عُبَيْدة بن الحارث فقتل عنها يوم بدر شهيدًا، فخلف عليها رسول الله ﷺ في شهر رمضان على رأس أحد وثلاثين شهرًا من مُهاجَره. وقيل: كانت تحت عبد الله بن جَحْش فقتل عنها يوم أحُدٍ، فتزوّجها رسول الله ﷺ. وعلى الأول ٱعتمد الشيخ أبو محمد، قال: ومكثت عنده ثمانية أشهر، وتوفيت في آخر شهر ربيع الآخر، وصلّى عليها رسول الله ﷺ، ودفنها بالبَقيع، وقد بلغت ثلاثين سنة أو نَحوها، ولم يمت من أزواجه في حياته غيرها، وغير خدِيجة، قال: وفي رَيْحَانَة[1] خلاف. وقال أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني النّسّابة: كانت زَيْنَب بنت خُزَيْمة أخت مَيْمُونة لأمها، قال أبو عمر: ولم أرَ ذلك لغيره، والله أعلم.

ثم تزوّج رسول الله ﷺ بعد زينب بنت خُزَيْمة:

---

(١) المراد بقوله: «وفي ريحانة خلاف»: أي وفي وفاة ريحانة خلاف، وريحانة: هي بنت شمعون إحدى زوجات النبيّ ﷺ.

أمّ سَلَمَة هِنْد بنت أبي أمية

حُذَيْفَة المعروف بزاد الرّاكب بن المغِيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم بن يَقَظَة بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَيّ القرشية المخزومية. وكان أبوها أحد أجْواد قريش المشهورين بالكرم. وأمها عاتِكة بنت عامر بن رَبِيعة بن مالك بن خُزَيْمة بن عَلْقَمَة بن فَرّاس. وكانت قبل رسول الله ﷺ عند أبي سَلَمَة عبد الله بن عبد الأسَد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم، وهو ٱبن بَرَّة بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ، وولدت له عمر وزينب، فكانا ربيبي رسول الله ﷺ، قال أبو عمر: وَلَدت له عمر وسلمة ودُرّة وزينب. قال: وكانت هي وزوجها أول من هاجر إلى أرض الحبشة، ويقال أيضًا: أمّ سَلَمة أول ظَعِينة دخلت المدينة مهاجرة، وقيل: بل لَيْلَى بنت أبي حَثْمَة زوج عامر بن ربيعة.

تزوج رسول الله ﷺ أمّ سلمة في ليالٍ بقين من شوّال سنة أربع من مُهاجرِه، وقال أبو عمر: تزوّجها في سنة ٱثنتين من الهجرة بعد وقعة بَدْر، عقد عليها في شَوّال، وٱبْتَنى بها في شَوّال، وقال لها: «إن شئت سبّعْت عندك، وسبعت لنسائي، وإن شئت ثَلّثت ودُرْت» فقالت: ثَلِّث. قال ٱبن هشام: زوجه إياها ٱبنها سَلَمَة بن أبي سَلَمَة، وأصْدَقها رسول الله ﷺ فِراشًا حشوُه لِيفٌ وقدحًا وصَحْفة[1] ومِجَشّة[2]. وقد ٱختلف في وفاتها؛ فقيل: توفيت في سنة ستين من الهجرة، وقيل: في شهر رمضان أو شوال سنة تسع وخمسين، وقال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن: توفيت في سنة ٱثنتين وستين. قال أبو عمر: وصلّى عليها أبو هريرة، وقيل: سعيد بن زيد بوصية منها، ودخل قبرها عمر وسَلَمَة ٱبنا أبي سَلَمَة، وعبيد الله بن عبد الله بن أبِي أُمية، وعبد الله بن وهب بن ربيعة، ودفنت بالبقِيع رحمها الله، وهي آخر أزواج رسول الله ﷺ موتًا، وقيل: بل مَيْمُونَة آخرهن. والله أعلم.

ثم تزوّج ﷺ بعدها:

زينب بِنت جَحْش بن رِئَاب

ٱبن يَعْمَر بن صَبْرَة بن مرّة بن كَبِير ـ بالباء الموحّدة ـ ٱبن غَنْم بن دُودَان بن أسَد بن خُزَيْمَة.

---

(١) الصحفة: إناء من آنية الطعام، جمع صحاف.

(٢) المجشة: الرحى.

وكان آسم زينب بَرَّة، فسماها رسول الله ﷺ زينب، وأمها أُمَيْمَة بنت عبد المطلب بن هاشم، عَمَّةُ رسول الله ﷺ؛ قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن: تزوجها رسول الله ﷺ لِهلال ذي القعْدة سنة أربع على الصّحيح، وهي يومئِذ بنت خمس وثلاثين سنة، وكانت قبل ذلك عند زيد بن حارثة مَوْلَى رسول الله ﷺ، ثم فارقها، فلما حَلَّت[1] زوّجه الله إياها، وهي التي قال الله تعالى فيها: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] ولما تزوجها رسول الله ﷺ تكلم في ذلك المنافقون، وقالوا حرّم محمد نِساء الوَلَد وقد تزوج أمرأة أبنه، فأنزل الله عزّ وجل: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥]، فدعي زيد يومئِذٍ زيد بن حارثة، وكان قبل ذلك يدعى زيد بن محمد. قالت عائشة رضي الله عنها: لم يكن أحد من نساء النبي ﷺ يُسَامِيني[2] في حسن المنزلة عنده غير زَيْنَب بنت جَحْش، وكانت تفْخَر على نساء النبيّ ﷺ؛ تقول: إن آباءكنّ أنكحوكنّ وأن الله أنكحني إياه من فوق سبع سموات. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لزيد بن حارثة: «آذكرها عليّ» قال زيد: فأنطلقت فقلت لها: يا زينب، أبشري، فإن رسول الله ﷺ أرسل يذكرك. فقالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أوَامِر[3] ربي؛ فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بِغير إذْن. وعن عبد الله بن شَدّاد أن رسول الله ﷺ قال لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: «إن زينب بنت جَحْش أوّاهَة» فقال رجل: يا رسول الله، ما الأوّاهُ؟ قال: «الخاشع المتضرع» و﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ۝٧٥﴾ [هود: ٧٥]. وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله ﷺ يومًا لنسائه: «أسرعكنّ لحَاقًا بي أطولكنّ يدًا»؛ قالت: فكنّ يتطاولن أيهنّ أطول يدًا، قالت: فكانت أطولنا يدًا زينب؛ لأنها كانت تعمل بيديها وتتصدق. وعن عائشة رضي الله عنها أيضًا، قالت: كانت زينب بنت جحش تسامِيني في المنزلة عند رسول الله ﷺ، وما رأيت آمرأة قطّ خيرًا في الدين من زينب، وأتقى لله وأصدق حديثًا؛ وأوصل للرحِم، وأعظم صدقة. ومن رواية أخرى عنها أنها ذكرت زينب فقالت: ولم تكن آمرأة خيرًا منها في الدين، وأتقى لله، وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد تبذلاً في نفسها في العمل الذي تتصدق به

---

(١) المراد بقوله: حلت؛ أي انقضت عدتها فحلت للزواج.

(٢) يساميني: يضاهيني ويفاخرني بالجمال والمكانة.

(٣) أوامر: أستخير.

وتتقرب إلى الله عزّ وجل. وكانت وفاة زينب بالمدينة في سنة عشرين من الهجرة، في خلافة عمر، وقيل: في سنة إحدى وعشرين، ودفِنت بالبقَيع رضي الله عنها.

ثم تزوّج رسول الله ﷺ بعد زينب:

جُوَيْرِية بنت الحارث

ٱبن أبي ضِرار بن حبيب بن عائِذ بن مالك بن جَذيمَة، وهو المصْطَلِق بن سعد بن كعب بن عمرو بن ربيعة، وهو لُحَيّ بن حارثة بن عمرو مُزَيْقِيَاء بن عامر ماء السّماء؛ الأزدية الخزاعية المصطلقية. سباها رسول الله ﷺ يوم المُرَيْسِيع[1] فوقعت جُوَيْرِيَة في سهم ثابت بن قَيْس بن شَمّاس، وكاتَبَها على تسع أواقٍ، فأدّى رسول الله ﷺ عنها كِتابتها وتزوّجها. وقيل: جاء أبوها فٱفتداها، ثم أنكحها رسولَ الله ﷺ في سنة ست من الهجرة. وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المُصْطَلِق، وقعت جُوَيْرِيَةُ بنت الحارث في السّهم لثابت بن قيس بن شَمّاس ـ أو لٱبن عم له ـ فكاتبته على نفسها، وكانت ٱمرأة حُلْوَةً مُلاَحَةً، فلا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، قالت عائشة: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها، وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت، فدخلت عليه، فقالت: يا رسول الله، أنا جُوَيْرِيَة بنت الحارث بن أبي ضِرَار سيِّد قومه وقد أصابني من البلاء ما لم يَخْفَ عليك، فوقعتُ في السّهم لثابت بن قيس بن شَمّاس ـ أو لٱبن عَمّ له ـ فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعينك على كتابتي، قال: «فهل لك في خير من ذلك»؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «اقض عنك كتابتك وأتزوجك»، قالت: نعم يا رسول الله، قال: «قد فعلت»؛ قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج بجويرية بنت الحارث فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ، فأرسلوا ما بأيديهم، فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيتٍ من بني المُصْطَلق، فما أعلم ٱمرأة كانت أعْظَمَ بَرَكَة على قومها منها.

قال أبو عمر: وكانت جويرية قبلُ تحت مُسَافِع بن صَفْوَان المصطلقي، قال: وكان ٱسمها برَّة، فغيّر رسول الله ﷺ ٱسمها وسماها جُوَيْرِيَة، وحفظت جويرية عن رسول الله ﷺ، وروت عنه، وتوفيت بالمدينة في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين، وصلّى عليها مَرْوَان بن الحَكَم وهو والي المدينة وقد بلغت سبعين سنة؛ لأنه ﷺ تزوجها وهي بنت عشرين سنة. وقيل: توفيت في سنة خمسين. والله أعلم.

---

(١) المريسيع: ماء لبني خزاعة من الأزد.

ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد جويرية:

رَيْحَانَة بنت زيد بن عمر بن خُنَافَة بن شَمْعُون

قال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النّمري رحمه الله: هي رَيْحَانَة بنت شَمْعُون بن زيد بن خُنَافَة من بني قُرَيْظَة، وقيل من بني النَّضِير. قال: الأكثر من بني قُرَيْظَة. قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خَلَف رحمه الله: وكانت متزوجة رجلاً من بني قريظة، يقال له الحَكَم، وكانت قد وقعت في السبي يوم بني قريظة، وذلك في ليال من ذي القعدة سنة خمس من الهجرة، فكانت صَفِيّ[1] رسول الله ﷺ فخيرها بين الإسلام ودينها فاختارت الإسلام فأعتقها وتزوجها، وأمهرها اثنتي عشرة أوقية ونَشًا، وأعرس بها في المحرّم سنة ستّ، في بيت أمّ المنذِر سلمى بنت قيسٍ من بني النجار، وضرب عليها الحِجاب، فغارت عليه غيْرة شديدة، فطلقها تطليقة، فأكثرت البكاء فراجعها، فكانت عنده حتى ماتت بعد رجعته من حَجّة الوَدَاع، فدفنها بالبقِيع. وقيل: إنه لم يتزوّجها وكان يطؤها بملك اليمين، وأنه خيَّرها بين العِتق والتزوج، أو تكون في ملكه، فقالت: أكون في ملكك أخف عليّ وعليك، فكانت في ملكه حتى توفّي عنها. قال: والأوّلُ أثبت.

ثم تزوّج ﷺ:

أمّ حبِيبة رَمْلَة بنت أبي سُفْيان

صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيّ القرشية الأموية، وأمها صَفِيَّة بنت أبي العاص بن أمية عمة عثمان بن عفان، هاجرت أمّ حبِيبة مع زوجها عُبيد الله بن جَحْش إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، فولدت له هناك حبِيبة فكنيت بها، وتَنصّر عبيد الله زوجها، وارْتَدّ عن الإسلام، ومات على ذلك، وثبتت أمّ حبيبة على دين الإسلام، فبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضّمريّ إلى النجاشيّ، كما قدّمنا ذكر ذلك فزوّجه إياها، وكان الذي عقد عليها خالد بن سعيد بن العاص بن أمية على الأصح، وأصدقها النجاشيّ عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار، وبعث بها مع شُرَحْبِيل ابن حَسَنَة وجهّزها إلى المدينة، وذلك في سنة سبع من الهجرة، وهذا هو المعروف المشهور. وقيل: إن الذي زوّجها عثمان بن عفان، وأن العقد كان بالمدينة بعد رجوعها من أرض الحبشة. والأوّل أثبت.

---

(١) صفيّ رسول الله: أي ما يختاره الرسول من الغنيمة.

وروى الزبير بن بَكّار[١] قال: حدّثني محمد بن حسن عن عبد الله بن عمرو بن زُهَيْر، عن إسماعيل بن عمرو أن أمّ حبِيبة قالت: ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشي جارية يقال لها أَبْرَهَة، كانت تقوم على ثيابه ودُهْنِه، فاستأذنت عليّ فأذنت لها، فقالت: إن الملك يقول لك إن رسول الله ﷺ قد كتب إليّ أن أزوِّجَكِه فقلت: بَشَّركِ الله بخير، وقالت: يقول لك الملك وَكِّلي من يزوّجك، فأرسلت إلى خالد بن سعيد فوكّلته، وأعطيت أَبْرَهَة سِوارَيْ فِضّة كانتا عليّ، وخَواتِم فضة كانت في أصابعي سُرورًا بما بَشَّرتْني، فلما كان العَشِيّ أمر النجاشيّ جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين يحضرون، وخطب النجاشي فقال: الحمد لله الملك القدّوس، السلام المؤمِن المهيمِن، العزيز الجبّار، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم ـ أمّا بعد ـ فإنّ رسول الله ﷺ كتب إليّ أن أزوجه أمّ حبيبة بنت أبي سفيان، فأجبتُ إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وقد أصدقتها أربعمائة دينار. ثم سَكَب الدنانير بين يدي القوم، فتكلم خالد بن سعيد، فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ـ أما بعد ـ فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وزوّجْتُه أمَّ حَبِيبَة بنت أبي سفيان، فبارك الله لرسوله. ودفع النجاشي الدّنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها؛ ثم أرادوا أن يقوموا، فقال النجاشي: اْجلسوا فإن سنة الأنبياء عليهم السلام إذا تزوّجوا أن يُؤكل طعامٌ على التزويج، فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرّقوا. وماتت أمّ حبيبة سنة أربع وأربعين. وروي عن عليّ بن حسين قال: قدمت منزلي في دار عليّ بن أبي طالب، فحفرنا في ناحية منه فأخرجنا منه حجرًا فإذا فيه مكتوب، هذا قبر رَمْلَة بنت صَخْر، فأعدناه مكانه، حكاه أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة أم حبيبة.

ثم تزوّج رسول الله ﷺ بعد أم حبيبة:

صَفِيَّة بنت حُيَيّ بن أَخْطَب

اْبن سَعْيَة بن ثَعْلَبَة بن عُبَيْد بن كعب بن الحارث بن أبي حَبيب بن النَّضِير بن النّحّام بن نَحُوم، من بني إسرائيل من سبط هارون بن عِمران عليه السلام.

---

(١) هو الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي، الأسدي، الزبيري (أبو عبد الله)، عالم، نسابة، أخباري، من أهل المدينة. ولي قضاء مكة، وقدم بغداد، وحدث بها وتوفي بمكة وهو قاض عليها لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٢٥٦هـ. من تصانيفه الكثيرة: أنساب قريش وأخبارها، أخبار العرب وأيامها، وفود النعمان على كسرى، الأوس والخزرج... (معجم المؤلفين).

كان أبوها سَيِّد بني النَّضِير، وأمّها بَرَّة بنت سَمَوْءَل، أخت رِفاعَة، وكانت صَفِيّة عند سَلاَم بن مِشْكَم القُرَظِيّ الشاعر، ففارقها فخلف عليها كِنانة بن الربِيع بن أبي الحُقَيْق النَّضَرِيّ الشاعر، فقتل يوم خَيْبر، ولم تلد لأحد منهما شيئًا، فأصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه فأعتقها وتَزوَّجَها وجعل عِتْقَها صداقها، ولم تبلغ يومئذ سبع عشرة سنة.

وحكى محمد بن إسحاق في مَغازيه، وأبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في دلائل النبوة، في غزاة خيبر: أن رسول الله ﷺ لما أفتتح القَمُوص: ـ حصن أبن أبي الحُقَيْق ـ أتى بصَفيّة بنت حُيَيّ بن أخْطَب، وبأخرى معها، فمر بهما بِلال على قتلى من قتلى يهود، فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصَكّت[1] وجهها وحثت التراب على رأسها، فلما رآها رسول الله ﷺ قال: «أغربوا[2] عني هذه الشيطانة» وأمر بصفية فحِيزت خلفه، وألقى عليها رداءه، فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد أصطفاها لنفسه، وكانت صفية قد رأت في المنام، وهي عروس بكِنانة بن الربيع، أن قمرًا وقع في حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها، فقال: ما هذا إلا أنكِ تَمَنَّين ملك الحجاز محمدًا: فلطم وجهها لَطْمَة خَضَر[3] عينها منها، فأُتِي بها رسول الله ﷺ وبها أثر منه، فسألها ما هو فأخبرته هذا الخبر.

وروي عن أنس بن مالك من رواية صُهَيْب، أن رسول الله ﷺ لما جمع سَبْيَ خَيْبَر جاءه دِحْيَة فقال: أعطني جارية من السّبْي، قال: «اذهب فخذ جارية» فأخذ صَفيّة بنت حُيَيّ، فقيل: يا رسول الله، إنها سيّدة قريظَة والنّضير، ما تصلح إلا لك، فقال له النبيّ ﷺ: «خذ جارية من السَّبْي غيرها». وقال أبن شهاب: كانت مما أفاء الله عليه، حَجَبها وأولَمَ عليها بتَمْر وسَوِيق، وقسم لها، وكانت إحدى أمهات المؤمنين، قال أبو عمر: روي أن رسول الله ﷺ دخل على صفية وهي تبكي، فقال لها: «ما يبكيك؟» قالت: بلغني أن عائشة وحَفْصَة تنالان مني، وتقولان نحن خير من صفية، نحن بنات عمّ رسول الله وأزواجه، قال: «ألا قلت لهنّ كيف تكنّ خيرًا منِّي وأبي هارون، وعمي موسى، وزوجي محمد ﷺ». وكانت صفية حليمة عاقلة فاضلة؛ روي أن جارية لها أتت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقالت: إن صفية تحب السَّبْت وتصل اليهود، فبعث إليها عمر يسألها، فقالت: أما السَّبْت فإني لم أُحِبَّه مُنْذ أبدلني الله به يوم الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحِمًا فأنا أصِلُها، ثم قالت للجارية: ما حملكِ على ما صنعتِ؟ قالت: الشيطان، قالت: فأذهبي فأنت حرة.

---

(١) صكّت: ضربت.
(٢) أغربوا: أي أبعدوا.
(٣) خضَر: أي ترك به أثرًا أسود.

وتُوفِّيت صفية في شهر رمضان سنة خمسين، وقيل: سنة ٱثنتين وخمسين. ودفنت بالبقِيع، وورثت مائة ألف دِرهم بقيمة أرض وعَرَض[١]، وأوْصَت لٱبن أختها بِثُلثِها، وكان يهوديًا.

ثم تزوج رسول الله ﷺ بعدها:

مَيْمُونَة بنت الحارِث

ابنُ حَزْن بن بُجَيْر بن هُزَم بن رُوَيْبَة بن عبد الله بن هِلال بن عامِر بن صَعْصَعَة بن معاوية بن بكر بن هَوازِن بن منصور بن عِكرِمة بن خَصَفَة بن قَيْس عَيْلان بن مُضَر.

وأمها هِنْد بنت عَوْف بن زُهَيْر بن الحارث بن حَمَاطَة بن حِمْيَر، وقيل: من كِنانة، وأن زهير بن الحارث بن كِنانة.

وأخوات مَيْمُونة لأبيها وأمها: أمُّ الفَضْل لُبابة الكُبْرى بنت الحارث، زوج العباس بن عبد المطلب. ولُبَابَة الصُّغرى زوج الوليد بن المغيرة، أمّ خالد بن الوليد. وعَصْماءُ بنت الحارث، كانت تحت أُبَيّ بن خَلَف الجُمحيّ، وعَزّة بنت الحارث، كانت عند زياد بن عبد الله بن مالك الهلالي.

وأخواتها لأمها: أَسْمَاء بنت عُمَيْس؛ كانت تحت جعفر بن أبي طالب، فولدت له عبد الله، وعَوْنًا ومحمدًا، ثم خَلَف عليها أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، فولدت له محمدًا، ثم خلف عليها علي بن أبي طالب، فولدت له يحيى، وقيل: إن أَسْمَاء كانت تحت حمزة بن عبد المطلب، فولدت له أَمَة الله بنت حمزة، ثم خَلَف عليها بعده شدّاد بن أُسَامة بن ٱلْهادِ اللّيْثيّ، فولدت له عبد الله، وعبد الرحمٰن. وسَلاَمَة بنت عُمَيْس أخت أسماء. وسَلْمَى بنت عُمَيْس كانت تحت عبد الله بن كعب بن مُنَبِّه الخَثْعَمِي[٢]. وَزَيْنب بنت خُزَيْمة أخت مَيْمُونة لأمِّها.

قال أبو عمر بسنده إلى ٱبن عباس رضي الله عنهما: كان اسم مَيْمُونة بَرّة، فسماها رسول الله ﷺ ميمونة، وقال: لما توجه رسول الله ﷺ إلى مكة معتمرًا في سنة سبع؛ وهي عمرة القَضاء، خطب جعفر بن أبي طالب عليه ميمونة بنت الحارث الهلاَلّية، وكانت أختها لأمها أسماء بنت عُمَيس عند جعفر، وسَلْمَى بنت عُمَيس عند حمزة، وأم الفضل عند العباس، فأجابت جعفر بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ، وجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب، فأنكحها النبيّ ﷺ وهو مُحْرِمٌ، فلما

(١) العرض: متاع الدنيا قلّ أو كثر.

(٢) نسبة إلى بني خثعم، وهم بطن من أنمار، من أراش، من القحطانية.

رجع بَنَى بها بسَرِفٍ[1] حلالاً، وكانت قبله عند أبي رُهْم بن عبد العُزّى بن أبي قَيْس بن عبد وُدٍّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤيّ، ويقال: بل كانت عند سَبْرَة بن أبي رُهْم. حكاه أبو عبيدة، وقال عبد الله بن محمد بن عَقيل: كانت ميمونة قبل النبي ﷺ عند حُوَيْطب بن عبد العُزّى، وقيل: كانت في الجاهلية عند مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي ففارقها، وخَلَف عليها أبو رُهْم أخو حُوَيْطب فتوفّي عنها، فتزوجها رسول الله ﷺ. قال ابن شهاب[2]: وهي التي وهَبَت نفسها للنبي ﷺ، وكذلك قال قتادة، قال: وفيها نزلت ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠] الآية، وقد قيل: إن الواهبة خَوْلَة وقيل: أمّ شريك. قال قتادة: وكانت ميمونة قبله عند فَرْوَة بن عبد العُزّى بن أسد بن غَنْم بن دُودَان، قال أبو عمر: هكذا قال قتادة وهو خطأ، والصواب ما تقدم. والله أعلم. قال الشيخ أبو محمد الدمياطي: وماتت ميمونة بسَرِف في سنة إحدى وخمسين على الأصح؛ وقد بلغت ثمانين سنة.

فهؤلاء نساؤه المدخول بهنّ، ومات ﷺ عن تسع منهنّ؛ وهُنّ: عائشة بنت أبي بكر الصّدّيق، وحَفْصَة بنت عُمَر، وسَوْدَة بنت زَمْعَة، وأمّ سَلَمَة بنت أبي أمية، وزَيْنَب بنت جَحْش، وجُوَيْرية بنت الحارث وأمّ حَبِيبَة بنت أبي سُفْيان؛ وصَفيَّة بنت حُيَيّ بن أخْطَب، ومَيْمُونَة بنت الحارث رضوان الله عليهم أجمعين.

ذكر من تزوجهنّ رسول الله ﷺ من النساء ولم يدخل بهنّ ومن دخل بهنّ وطَلّقهنّ ومن وَهَبَتْ نفسها له ﷺ

فاطِمة بنت الضَّحّاك

اْبن سفيان بن عَوْف بن كَعْب بن أبي بكر، وهو عُبَيْد بن كِلاب بن رَبيعة بن عامر الكلابية.

تزوجها رسول الله ﷺ في ذي القعدة، سنة ثمان من الهجرة مُنْصَرفَه من الجِعْرَانَة، فلما دنا منها قالت: أعوذ بالله منك، فقال: «لقد عُذت بعظيم

(١) سرف: موضع قرب التنعيم من ضواحي مكة.

(٢) ابن شهاب: هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة الزهري أحد الفقهاء والمحدثين، والأعلام التابعين بالمدينة، رأى عشرة من الصحابة رضوان الله عليهم، وروى عنه جماعة من الأئمة... كانت وفاته في سنة ١٢٤ هجرية وقيل سنة ١٢٥ ودفن في ضيعته أدامى... (وفيات الأعيان ٤:١٧٧).

الحقي بأهلك»[١] فكانت إذا استأذنت على أزواج النبي ﷺ تقول: أنا الشّقِيّة إنما خُدِعتُ. ودَلِهَت[٢] وذهب عقلها، وماتت سنة ستين. وروي عن ٱبن إسحاق أن رسول الله ﷺ تزوجها بعد وفاة ابنته زَيْنَب، وخَيّرها حين أنزلت آية التخيير فٱختارت الدنيا ففارقها، فكانت بعد تَلْقُط البعر، وتقول: أنا الشّقية ٱختَرْت الدنيا. قال أبو عمر بن عبد البرّ: وهذا عندي غير صحيح؛ لأن ٱبنِ شهاب يروي عن أبي سَلَمَة وعُرْوة عن عائشة: أن رسول الله ﷺ حين خَيّر أزواجه بدأ بها فاختارت الله ورسوله قالت وتتابع أزواج النبي ﷺ على ذلك، قال قتادة وعكرمة: كان عنده حين خيّرهن تِسْعُ نِسوة وهنّ اللواتي تُوفّي عنهن، قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن: وقيل إنما طلقها لبياض[٣] كان بها. وقيل: إنما فارقها لأنه كان إذا خرج طلعت إلى المسجد. وقيل: إن الضحّاك عَرَض ٱبنته فاطمة على رسول الله ﷺ وقال: إنها لم تُصَدّع[٤] قَطُّ، فقال: «لا حاجة لي بها». وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان في نساء رسول الله ﷺ سَنَاءُ بنت سُفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب. ومنهن:

عَمْرَةُ بنت يَزِيد بن الْجَوْن الكلابية

وقيل: عَمْرَة بنت يزيد بن عُبَيْد بن رُوَاس بن كِلاب الكلابية، وهو أصَحّ. وفي رواية قال أبو عمر: تزوجها رسول الله ﷺ، فبلغه أن بها بَرصًا فطلّقها، ولم يدخل بها. وقيل: إنها التي تعوذت منه حين أدخلت عليه. وقيل غيرها. ومنهن:

الْعَالِيَة بنت ظِبْيَان بن الْجَوْن

ٱبن عَوْف بن كعب بن أبي بكر بن عُبَيْد بنِ كلاب الكلابية. قال أبو عمر: تزوجها رسول الله ﷺ وكانت عنده ما شاء الله ثم طلّقها، قال: وقلّ من ذكرها. هؤلاء اللاتي ذُكرن من بني كِلاب بن ربيعة بن عامر. قال أبو محمد[٥]: ومن الناس من جعل التي تزوجها من بني عامر واحدة، ٱختلف في ٱسمها، وأنه لم يتزوج من بني عامر غيرها، قال: ومنهم من جعلهن جَمْعًا، وذكر لكل احدة منهن قِصّة، وهؤلاء اللاتي ذكرناهن، هن المشهورات من بني عامر.

---

(١) المراد بقوله الحقي بأهلك: أي طلقتك. (٢) دلهت: أي ذهب عقلها.

(٣) المراد بالبياض: البرص. (٤) لم تصدّع: أي لم يصبها صداع.

(٥) أبو محمد: هو عبد المؤمن بن خلف الدمياطي وقد تقدمت ترجمته.

وممن ذُكِرن في أزواجه ﷺ فاطمة بنت شُرَيح. ذكرها أبو عبيدة[1] في أزواج رسول الله ﷺ. ومنهن:

أَسْمَاء بنت النُّعْمان بن أبي الْجَوْن

ابن الأسود بن الحارث بن شَراحِيل بن الْجَوْن بن آكل المُرَار الكِنْدي، تزوج بها رسول الله ﷺ في سنة تسع من الهجرة، زوجه إياها أبوها حين قدم، على اثنتي عشرة أوقية ونَشّ، وبعث معه أبا أُسَيد؛ فحملها من نَجْد حتى نزل بها في أُطُم[2] بني ساعدة، فقالت عائشة: قد وضع يده في الغرائب يوشِك أن يصرِفن وجهه عنا، وكانت من أجمل النساء، فقالت حفصة لعائشة، أو عائشة لحفصة: اخضِبيها أنت وأنا أمشطها، ففعلتا، ثم قالت لها إحداهما: إنه يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول: أعوذ بالله منك؛ فلما دخلت عليه وأغلق الباب، وأرخى الستر، مدّ يده إليها، فقالت: أعوذ بالله منك، فقال: «لقد عُذتِ بمَعاذ الحقي بأهلك» وأمر أبا أُسَيد أن يردّها إلى أهلها؛ وقال: «مَتِّعْها برازِقِيتين»[3] يعني كِرْبَاسَيْن، فكانت تقول: ادعوني الشَّقِية، وإنما خُدِعت؛ لما رؤي من جمالها وهَيْئتها، وذكر لرسول الله ﷺ مَنْ حملَها على ما قالت، فقال: «إنهنّ صواحِب يوسف وكيدهنّ عظيم» قال: فلما طلع بها أبو أُسَيْد على أهلها تصايَحوا؛ وقالوا: إنكِ لغير مباركة، ما دَهَاك؟ فقالت: خُدِعت، وقيل لي كَيْتَ وكَيْتَ، فقالوا: لقد جعلتِنا في العرب شُهْرَة، فقالت: يا أبا أُسَيد قد كان ما كان فما الذي أصنع؟ قال: أقِيمي في بيتك واحتجِبي إلا من ذي رحِم، ولا يطمع فيك طامع بعد رسول الله ﷺ، فإنك من أمهات المؤمنين؛ فأقامت لا يطمع فيها طامع، ولا تُرى إلا لذي مَحْرم، حتى توفيت في خِلافة عثمان بن عفّان عند أهلها بنَجْد.

وقال أبو عمر: أجمعوا على أن رسول الله ﷺ تزوّجها، واختلفوا في قِصّة فِراقه لها، فقال بعضهمْ: لما دخلت عليه دعاها فقالت: تعالَ أنت، وأبت أن تجيء، هذا قول قتادة وأبي عبيدة. وزعم بعضهم أنها قالت: أعوذ بالله منك، فقال: «لقد عُذتِ

---

(١) أبو عبيدة: هو معمر بن المثنى التيمي بالولاء، تيم قريش، البصري النحوي العلامة؛ قال الجاحظ في حقه: لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه. وقال ابن قتيبة: كان الغريب أغلب عليه وأخبار العرب وأيامها. . . وكان لا يقبل شهادته أحد من الحكام لأنه كان يتهم بالميل إلى الغلمان. . . (وفيات الأعيان ٥: ٢٣٥).

(٢) الأطم: بناء مرتفع كالحصن.

(٣) الرازقية: ثوب كتان أبيض.

بمَعاذ، وقد أعاذكِ الله منّي» فطلقها، قال قتادة: وهذا باطل إنما قال هذا لأمرأة جميلة تزوّجها من بني سُلَيم. وقال أبو عُبَيدة: كِلتاهما عاذتا بالله عزّ وجل منه ﷺ. والله تعالى أعلم. وروى البخاريّ في صحيحه حديث أبي أُسَيد السّاعِديّ قال: تزوّج رسول الله ﷺ:

أُمَيْمَةَ بنت شَرَاحِيل

فلما دخلت عليه بسط يده إليها، فكأنها كرهت ذلك، فأمر أبا أُسَيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين، وفي لفظ آخر، قال أبو أُسَيد: أتى رسول الله ﷺ بالجَوْنِية[1]، فلما دخل عليها قال: «هبي لي نفسك» فقالت: وكيف تهب الملكة نفسها للسّوقة؟ فأهوى بيده إليها ليسكتها فقالت: أعوذ بالله منك، قال: «قد عُذتِ بمَعاذ» ثم خرج عليه السلام فقال: «يا أبا أُسَيد اكسها رازِقيتين وألحقها بأهلها». وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: خَلَف عليها المُهاجِر بن أبي أمَيّة بن المُغِيرَة؛ فأراد عمر أن يعاقبهما، فقالت: والله ما ضُرِب عليّ الحِجاب ولا سميت بأمّ المؤمنين، فكف عنهما، وقيل: تزوّجها عِكرِمة بن أبي جهل في الرِّدة، وقيل: خَلَف عليها بعد المُهاجر قَيْس بن مَكْشُوح المرادِي، وقال ابن أبْزَى: الجَوْنِيّة التي استعاذت من رسول الله ﷺ، ولم تستعِذ منه امرأة غيرها.

قال أبو عمر رحمه الله: الاختلاف في الكِنْدية كبير جدًا، منهم من يقول: هي أسْماء بنت النّعمان، ومنهم من يقول: أُمَيْمة بنت النّعمان، ومنهم من يقول: أُمَامة بنت النّعمان، قال: واختلافهم في سبب فراقها على ما رأيت، والاضطراب فيها وفي صواحباتها اللواتي لم يجتمع عليهنّ من أزواجه ﷺ عظيم. ومنهنّ:

قُتَيْلة بنت قَيْس

أخت الأشْعَث بن قَيْس بن مَعْدِيَكرِب بن معاوية الكِنْدية. رُوي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما استعاذت أسْماء بنت النعمان من النبي ﷺ خرج والغضب يُعْرَف في وجهه، فقال له الأشعث بن قيس: لا يسوؤك الله يا رسول الله، ألاَ أزوّجك من ليس دونها في الجمال والحسب؟ قال: «مَن»؟ قال: أختي قُتَيْلَة، قال: «قد تزوجتها» قال: فانصرف الأشْعَث إلى حَضْرَمَوْت، ثم حملها حتى إذا فَصَل

---

(١) الجونية: سيأتي تفسيرها للمؤلف.

من اليَمَن، بلغه وفاة رسول الله ﷺ فردّها إلى بلاده وارتدّ وٱرتدّت معه فيمن ارتد؛ فلذلك تزوجت؛ لفساد النكاح بالٱرتداد. قال الشيخ أبو محمد: وكان تزوجها قَيْس بن مَكْشُوح المُرادِيّ، وقيل: تزوجها عِكرمة بن أبي جهل، فوَجَد أبو بكر من ذلك وَجْدًا شديدًا، وقال: لقد هَمَمْت أن أحرق عليهما بيتهما. فقال له عمر: يا خليفة رسول الله، إنها والله ما هي من أزواجه، ما خَيّرها ولا حَجَبها، ولقد بَرّأها الله منه بالٱرتداد الذي ٱرتدت مع قومها. وكان تزوّجه إياها سنة عشر، وقيل: قبل موته بشهرين، وقيل: تزوّجها في مرضه. وقال قائلون: إنه ﷺ أوصى أن تُخيّر، فإن شاءت ضُرِب عليها الحِجابُ وتحرم على المؤمنين، وإن شاءت طلقها فلتنكح من شاءت، فٱختارت النكاح، فتزوجها عِكرمة بن أبي جهل. وكان عُرْوَة بن الزُّبَيْر ينكر ذلك، ويقول: لم يتزوج النبي ﷺ قُتَيْلة بنت قَيْس، ولا تزوج كِنْدية إلا أخت بني الجَوْن؛ مَلَكَها، وأُتي بها فلما نظر إليها طلّقها، ولم يَبْنِ بها ﷺ. ومنهنّ:

عَمْرَة بنت معاوية الكِنْدِية

تزوّجها رسول الله ﷺ، قال الشعبيّ: تزوّج ٱمرأة من كِندة، فجيء بها بعد وفاته ﷺ. ذكر ذلك أبو الفرج بن الجَوْزِيّ في التلقيح. ومنهن:

أسْماءُ بنت الصَّلْت

وقيل: سَناءُ بنت الصَّلْتِ، قال أبو عمر: وهو الصواب؛ قال: وقال عليّ بن عبد العزيز بن علي بن الحسن الجرجاني النسّابة: هي وَسْنَاءُ بنت الصَّلْت بن حبِيب بن حارِثة بن هِلال بن حَرام بن سِمَاك بن عَوْفِ بن ٱمرِىء القيس بن بُهْثَة بن سُلَيْم السُّلَمِية؛ تزوجها رسول الله ﷺ، فماتت قبل أن تصِل إليه. وقال غيره: فلما بُشِّرت بذلك ضَحِكت، وماتت من الفَرَح. وقال ٱبن إسحاق: سَنَاءُ بنت أسْماء بن الصَّلْت السُّلَمي، تزوّجها رسول الله ﷺ ثم طلقها. وقال أبو نصر ابن ماكولا[1]: سَنَاء بنت أسْماء ماتت قبل أن يدخل بها. وقيل: لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، قالت أسماء: لو كان نبيًا ما مات حبيبه، فخلّى سبيلها. وقال عبد الله بن عبيد بن عمير

---

(١) ابن ماكولا: هو الأمير سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر بن علكان بن محمد بن دلف بن أبي دلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير العجلي، المعروف بابن ماكولا. . . أصله من جرباذقان من نواحي أصبهان، ووزر أبوه أبو القاسم هبة الله للإمام القائم بأمر الله. . . (وفيات الأعيان ٣:٣٠٥).

الليثي: جاء رجل من بني سُلَيم إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي ٱبنة من جمالها وعقلها ما إني لأحسد الناس عليها غيرك، فهَمّ النبيّ ﷺ أن يتزوّجها، ثم قال: وأخرى يا رسول الله، لا والله ما أصابها عندي مَرضٌ قَطّ، فقال له النبي ﷺ: «لا حاجة لنا في ٱبنتك، تجيئنا نحمل خطاياها! لا خير في مال لا يُرْزَأ[1] منه، ولا جسم لا يُنال منه». وقال أبو عمر بن عبد البر: وفي سبب فِراقها ٱختلاف، ولا يثبت فيها شيء من جهة الإسناد. ومنهنّ:

مُلَيْكة بنت كَعْب الليثيّ

روى محمد بن عمر الواقدي، عن أبي مَعْشر، قال: تزوّج النبيّ ﷺ مُلَيْكة بنت كَعْب، وكانت تذكر بجمال بارع، فدخلت عليها عائشة فقالت: أما تستحيين أن تنكحي قاتل أبيك؟ فٱستعاذت من رسول الله ﷺ فطلقها، فجاء قومها إلى النبيّ ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنها صغيرة ولا ولِيّ لها، وأنها خُدِعت فٱرتجِعها، فأبى رسول الله ﷺ، فاستأذنوه أن يزوّجوها قريبًا لها من بني عُذْرة، فأذن لهم فتزوّجها العُذْريّ، وكان أبوه قُتل يوم فتح مكة، قَتله خالدُ بن الوليد بالخَنْدَمَة[2]. قال محمد بن عمر: مما يضعف هذا الحديث، ذكر عائشة أنها قالت: ألا تستحيين، وعائشة لم تكن مع النبيّ ﷺ عام الفتح، وعن عطاء بن يزيد الجُنْدُعي قال: تزوّج رسول الله ﷺ مُلَيْكة بنت كعب الليثي في شهر رمضان، سنة ثمان، ودخل بها فماتت عنده، قال محمد بن عمر: وأصحابنا ينكرون ذلك، ويقولون لم يتزوّج كنانية قطّ، وعن الزُّهْري مثل ذلك. ومنهنّ:

ٱبنة جُنْدب بن ضَمْرَة الجُنْدُعي

قال أبو محمد الدمياطي رحمه الله: روي أن رسول الله ﷺ تزوج ٱبنة جُنْدب بن ضَمْرة الجُنْدُعيّ، وأنكر ذلك الواقِدي، وقال: لم يتزوّج كِنانية قط. ومنهنّ:

---

(١) يقال: رزأه ماله: أي أصاب منه شيئًا فنقصه.

(٢) خندمة: بفتح أوله: جبل بمكة، كانت به وقعة يوم فتح مكة، وله يوم يعرف به، هزم فيه خالد ابن الوليد المشركين.. ومنها حجارة بنيان مكة ومنها شعب بن عامر، وجبال مكة الخندمة وجبال أبي قبيس.

الغِفَارِية

قال أبو محمد الدمياطي: قال بعضهم تزوّج النبي ﷺ آمرأة من غفار[١]، فأمرها فنزعت ثيابها، فرأى بها بياضًا، فقال: «الحقي بأهلك» ويقال: إنما رأى البياض بالكِلابية. ومنهن:

خَوْلَة بنت الهُذَيْل بن هُبَيْرة

آبن قُبَيْصَة بن الحارث بن حَبيب بن حُرَقَة بن ثَعْلَبة بن بَكْر بن حَبيب بن عمرو بن غَنْم بن ثَعْلَبة[٢].

وأمها خرنِق بنت خليفة بن فَرْوَة بن فَضَالة بن زيد بن آمرِىءِ القيس الكلبيّ، أخت دحْيَة بن خليفة. تزوجها رسول الله ﷺ، فهلكت في الطريق قبل وصولها إليه. حكاه أبو عمر بن عبد البر عن الجُرْجانيّ النسّابة. ومنهنّ:

شَرَافُ بنت خلِيفة بن فَرْوَة الكلبية، أخت دِحْيَة بن خلِيفة الكلبيّ

قال أبو محمد الدمياطي: قال ابن الكلبي حدّثنا الشَّرْقيّ بن القَطَامِي قال: لما هلكت خَوْلَة بنت الهُذَيْل، تزوج رسولُ الله ﷺ شَرَافَ بنت خليفة أخت دِحْيَة، ثم لم يدخل بها. وقال أبو عمر بن عبد البر: فهلكت قبل دخوله بها. وروي عن عبد الرحمٰن بن سابِط، قال: خطب رسول الله ﷺ أمرأة من كلب، فبعث عائشة تنظر إليها، فذهبت ثم رجعت، فقال لها: «ما رأيت»؟ فقالت: ما رأيت طائلاً. فقال ﷺ: «لقد رأيتِ خَالاً بِخدّها اقشعرت كل شعرة منك» فقالت: يا رسول الله، ما دونك سِرٌّ. ومنهنّ:

خَوْلَة بنت حَكِيم

آبن أُمَيّة بن حارِثة بن الأوْقَص بن مُرّة بن هِلال بن فالح بن ثَعْلَبة بن ذَكْوان بن آمرِىء القيس بن سُلَيْم. ويقال فيها: خُوَيْلَة بنت حكِيم، وأمها صَفِيّة بنت العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قُصَيّ. قال آبن الكلبيّ: كانت خولة بنت حكيم

---

(١) بنو غفار: بطن من جاسم، من العماليق. وهم بنو غفار بن جاسم بن عمليق.

(٢) بنو ثعلبة: بطن من تغلب بن وائل من العدنانية.

من اللائي وَهَبْن أنفسهنّ للنبيّ ﷺ فأرْجَأها وكانت تخدم النبيّ ﷺ، وكانت عند عثمان بن مَظْعُون فمات عنها. وعن عُرْوَة قال: خَوْلَة بنت حَكيم ممن وهبت نفسها للنبي ﷺ. وقال أبو عمر بن عبد البر: خولة تُكنى أمّ شريك، وهي التي وهبت نفسها للنبيّ، في قول بعضهم، وكانت آمرأة فاضِلة صالِحة، روى عنها سعد بن أبي وَقّاص، وسعِيد بن المسيّب، وهي التي قالت لرسول الله ﷺ: إن فتح الله عليك الطائِف فأعطني حُليّ بَادِيَة بنت غَيْلان، أو حُليّ الفَارِعَة بنت عُقَيْل كما تقدّم. ومنهنّ:

لَيلَى بنت الْخَطِيم بن عَدِيّ

آبن عمرو بن سَوَاد بن ظَفَر بن الحارث بن الخَزْرَج بن عمرو، وهو النَّبِيت بن مالك بن ألأوْسِ، وهي أخت قيس بن الخطِيم[١]، وآسم الخطِيم ثابِت، وآسم ظَفَر كعب.

قال محمد بن سعد: عن عاصِم بن عمر بن قَتادة قال: كانت ليلى بنت الخطِيم وهبت نفسها للنبيّ ﷺ فقَبِلها، وكانت تركب بُعُولَتها ركوبًا[٢] شديدًا، وكانت سيئة الخلق، فقالت: لا واللّهِ، لأجعلنّ محمدًا لا يتزوّج في هذا الحيّ من الأنصار، والله لآتينّه، ولأهبنّ نفسي له، فأتت النبي ﷺ وهو قائم مع رجل من أصحابه، فما راعه إلا بها واضِعة يديها عليه، فقال: «من هذا؟ أكله الأسد» فقالت: أنا لَيْلَى بنت سَيِّد قومها، قد وهبت نفسي لك، قال: «قد قَبِلتك؛ آرجِعِي حتى يأتيك أمري» فأتت قومها فقالوا: أنت آمرأة ليس لك صبر على الضّرائِر، وقد أحل الله لرسوله أن ينكح ما شاء، فرجعت فقالت: إنّ الله أحل لك النّساء، وأنا آمرأة طويلة اللسان لا صبر لي على الضّرائر، وآستقالته فقال: «قد أقلتكِ».

وروي عن آبن عباس رضي الله عنهما قال: أقبلت لَيْلَى بنت الخَطِيم إلى النبي ﷺ، وهو مُولٍّ ظهره إلى الشمس، فضربت على مَنْكِبيه، فقال: «من هذا؟ أكله الأسد» وكان كثيرًا ما يقولها، فقالت: أنا بِنت مُطعِم الطّيْر ومُبارِي الريح، أنا ليلى

---

(١) هو قيس بن الخطيم بن عديّ بن عمرو بن سواد... كان شاعر الأوس، وبينه وبين حسان بن ثابت منافسات، وذكر أصحاب المغازي أنه قدم مكة فدعاه النبيّ ﷺ وتلا عليه القرآن فقال: إني لأسمع كلامًا عجيبًا فدعني أنظر في أمري هذه السنة ثم أعود إليك؛ فمات قبل الحول... (الأغاني ٢: ١٥٤).

(٢) المراد بقوله: تركب بعولتها: أي أنها شديدة التسلط على أزواجها.

بنت الخطِيم، جئتك لأعرض عليك نفسي، تزوّجني، قال: «قد فعلت» فرجعت إلى قومها، فقالت: قد تزوّجني النبي ﷺ، فقالوا: بئس ما صنعت، أنتِ ٱمرأة غَيْرَى، والنبيّ ﷺ صاحب نِساء، تغارِين عليه فيدعو الله عليك، فاستقِيليه نفسك، فرجعت فقالت: يا رسول الله، أقِلْنِي، قال: «قد أقلتك» قال: فتزوّجها مسعود بن أوْس بن سَوَاد بن ظَفَر، فولدت له، فبينا هي في حائط من حيطان المدينة تغتسل، إذ وثَب عليها ذِئب فأكل بعضها، وأدركت فماتت. ومنهنّ:

لَيْلى بنت حَكِيم الأنصارِية

الأوْسِية، التي وهبت نفسها للنبيّ ﷺ، قال أبو عمر بن عبد البر: ذكرها أحمد بن صالح المصري في أزواج النبي ﷺ؛ ولم يذكرها غيره فيما علمت. والله تعالى أعلم. ومنهنّ:

أمّ شريك وٱسمها غُزَيّة

بنت دُودَان بن عوف بن عمرو بن عامر بن رَوَاحة بن مُنْقِذ بن عُمَيْر بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَيّ. وقال أبو عمر: غُزَيْلة الأنصارية من بني النجّار.

قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن رحمه الله: ٱختلِف فيها، فكان محمد بن عمر يقول: هي من بني مَعِيص بن عامر بن لُؤَيّ، وكان غيره يقول: هي دَوْسِيّة من الأزد، وقيل: هي أنصارِية. وروى ٱبن سعد، عن محمد بن عمر، عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبيه قال: كانت أمّ شريك ٱمرأة من بني عامر بن لؤيّ، مَعِيصية وهبت نفسها لرسول الله ﷺ فلم يقبلها، فلم تتزوّج حتى ماتت. وروي عن وَكِيع عن زَكريًا عن عامر في قوله عزّ وجل: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥١]؛ قال: كل نساء وهبن أنفسهن للنبيّ ﷺ، فدخل ببعضهنّ وأرجأ بعضًا فلم ينكحن بعده، منهنّ: أمّ شريك. وعن الشّعْبي قال: المرأة التي عَزَل[1] رسول الله ﷺ أمّ شريك الأنصارية. وعن علي بن الحسين: أن النبيّ ﷺ تزوّج أمّ شريك الدّوسِية، ومثله عن عِكرمة. وروى محمد بن سعد عن محمد بن عمر قال: حدّثني الولِيد بن مسلم، عن مُنِير بن عبد الله الدّوْسيّ قال: أسلم زوج أمّ شريك ـ وهي غُزَيّة بنت جابر بن حَكِيم الدّوْسية من الأزْد ـ وهو أبو العَكر، فهاجر إلى النبيّ ﷺ مع أبي هريرة، ومع دَوْس حين هاجروا، قالت أمّ شريك: فجاءني أهل أبي العَكَر فقالوا: لعلكِ على دينه، قلت: إي

(١) عزل: فارق.

والله، إني لعلى دينه، قالوا: لا جَرَم، والله لنعذبنكِ عذابًا شديدًا، فأرتحلوا بنا من دارنا، ونحن كنا بذِي الخَلَصَة[١]، فساروا يريدون منزلاً، وحملوني على جمل ثَفَال[٢]، شرّ رِكابهم وأغلظه، يطعموني الخبز بالعسل، ولا يسقوني قطرة من ماء، حتى إذا أنتصف النهار وسخنت الشمس، ونحن قائِظون، فنزلوا فضربوا أخبيتهم وتركوني في الشمس حتى ذهب عقلي وسمعي وبصري، ففعلوا بي ذلك ثلاثة أيام، فقالوا لي في اليوم الثالث: أتركي ما أنت عليه، قالت: فما دَرَيْت ما يقولون إلا الكلمة بعد الكلمة، فأشير بإصبعي إلى السماء بالتوحِيد، قالت: فوالله إني لعلى ذلك، وقد بلغني الجَهْد، إذْ وجدت بَرْد دَلْوِ على صدري، فأخذته فشربت منه نَفَسًا[٣] واحدًا، ثم أنتُزِع منّي، فذهبت أنظر فإذا هو معلّق بين السماء والأرض، فلم أقدر عليه، ثم دُلِّيَ الثانية فشربت منه نَفَسًا، ثم رفع، فذهبت أنظر، فإذا هو بين السماء والأرض، ثم دُلّي الثالثة فشربت منه حتى رَوِيت، فأهرقت على رأسي ووجهي وثِيابي، قالت: فخرجوا فنظروا، فقالوا: من أين لك هذا يا عدوّة الله؟ قالت فقلت لهم: إنّ عدوّ الله غيري؛ مَنْ خالف دِينَه، فأما قولكم من أين هذا فمن عند الله رزقًا رزقنيه الله، قالت: فأنطلقوا سِراعًا إلى قِربِهم فوجدوها مُوكَأة لم تُحَلْ، فقالوا: نشهد أن ربك هو ربنا، فإن الذي رزقك ما رزقك في هذا الموضع بعد أن فعلنا بِك ما فعلنا، هو الذي شرع الإسلام، فأسلموا وهاجروا جميعًا إلى النبيّ ﷺ، وكانوا يعرفون فَضْلِي عليهم، وما صنع الله إليّ، قال: وهي التي وهبت نفسها للنبيّ ﷺ، وكانت جَمِيلة وقد أسَنّت، فقالت: إني وهبت نفسي لك، وأتصدّق بها عليك، فقبلها النبيّ ﷺ، فقالت عائشة: ما في أمرأةٍ حين تهب نفسها لرجل خيرٌ، قالت أمّ شريك: فأنا تلك؛ فسماها الله مؤمِنة، فقال تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠]. فلما نزلت هذه الآية قالت عائشة: إنّ الله ليسرع لك في هَوَاكَ يا رسول الله. ومنهنّ:

الشَّنْبَاء

ذكرها الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خَلَف الدّمياطي رحمه الله، في أزواج النبيّ ﷺ، ولم يذكر لها ترجمة. فلنذكر من خطبهنّ ﷺ.

---

(١) ذو الخلصة: بفتح أوله وثانيه، ويروى بضم أوله وثانيه، والأول أصح: وهو بيت أصنام كان لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة، وهو صنم لهم فأحرقه جرير بن عبد الله البجلي حين بعثه النبيّ ﷺ... (معجم البلدان لياقوت).

(٢) جمل ثفال: أي بطيء. (٣) النفس: الجرعة.

ذِكر من خَطَبَهُنّ رسول الله ﷺ من النساء ولم يَتّفِق تَزْوِيجُهنّ

منهنّ:

أمّ هانِيء بنت أبي طالب

ابن عبد المطلِب بن هاشم، وأسمها فَاخِتَة، وقال أبن الكلبي: اسمها هِنْد، وهي أخت علي بن أبي طالب، وعَقِيل وجعفر وطالب، شقِيقتهم، وأمهم فاطِمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف. روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، قال: خطب النبيّ ﷺ إلى أبي طالب أبنته أمّ هانِيء في الجاهلية، وخطبها هُبيرة بن أبي وَهْب بن عمرو بن عائِذ بن عِمران بن مخزوم، فزوجها هُبَيرة، فقال النبي ﷺ: «يا عم، زوّجتَ هُبيرة وتركتني»! فقال: يأبن أخي إنا قد صاهرنا إليهم، والكريم يكافِيءُ الكريم. ثم أسلمتْ ففرّق الإسلام بينها وبين هُبَيرة فخطبها رسول الله ﷺ إلى نفسها فقالت: والله إن كنت لأحِبك في الجاهلية، فكيف في الإسلام، ولكني أمرأة مُصْبِيَة[1] وأكره أن يؤذوك. فقال رسول الله ﷺ: «خيرِ نساء ركِبن المطايا نِساء قريش، أحْنَاه[2] على وَلَدٍ في صِغره، وأرعاه[3] على زوج في ذات يده». ومنهنّ:

ضُبَاعَة بِنت عامِر بن قُرْط

أبن سَلَمة بن قُشَيْر بن كَعْب بن رَبِيعَة بن عامر بن صَعْصَعَة.

روى هشام بن محمد الكلبي، عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كانت ضُبَاعَة بنت عامر عند هَوْذَة بن علي الحَنَفي، فهلك عنها فوَرّثها مالاً كثيرًا، فتزوجها عبد الله بن جُدْعان التَّيْميّ، وكان لا يولد له فسألته الطلاق فطلقها، فتزوجها هِشام بن المغيرة فولدت له سَلَمة، وكان من خِيار المسلمين، فتوفي عنها هِشام، وكانت إذا جلست أخذت من الأرض شيئًا كثيرًا، وكانت تغطي جسدها بشعرها، فذُكِر جَمالُها عند النبي ﷺ، فخطبها إلى أبنها سَلَمَة بن هِشام بن المغِيرة، فقال: حتى أستأمِرها، وقيل للنبي ﷺ: إنها قد كبِرت فأتاها أبنها فقالت: ما قلتَ له؟ قال: قلت حتى أستأمرها، فقالت: وفي النبي ﷺ يُسْتأمَر! أرجع فزوِّجه، فرجع إلى النبي ﷺ فسكت عنه. ومنهنّ:

---

(١) مصبية: أي كثيرة الصبية.
(٢) أحناه: أشفقه.
(٣) أرعاه: أحفظه.

صَفِيّة بنت بَشَامَة بن نَضْلَة العَنبريّ

قال أبو محمد: كان أصابها سَبَاءٌ، فخَيّرها رسول الله ﷺ، فقال: «إن شئتِ أنا، وإن شئت زَوْجكِ» فقالت: بل زوجي، فأرسلها فلَعَنَتْها بنو تميم. ومنهنّ:

جَمْرَة بنت الحارِث بن عَوْفِ المُزَنِيّ

خطبها رسول الله ﷺ، فقال أبوها: إن بها سُوءًا ولم يكن بها، فرجع إليها أبوها وقد بَرِصَت، وهي أمّ شَبِيب بن البَرْصَاء الشاعر. ومنهنّ:

سَوْدَةُ القُرَشِيَة

خطبها رسول الله ﷺ، وكانت مُصْبِية فقالت: أكره أن تَضْغُوَ[١] صِبْيَتِي عند رأسِك، فحمِدها ودعا لها، ذكرها والتي قبلها ٱبن الجَوْزِيّ في التّلقِيح. وروي عن مجاهد قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب فَرُدّ لم يعد، فخطب ٱمرأة، فقالت: حتى أستأمِر أبي، فلقيت أباها فأذِن لها، فلقيت رسول الله ﷺ فقالت له، فقال: «قد ٱلتحفنا لِحافًا غيركِ» ولم يسم مجاهد ٱسم هذه المرأة.

وعُرِض على رسول الله ﷺ:

أُمَامَة بِنت عَمِّه حَمْزَة

ٱبن عبد المطلب، وقيل: ٱسمها عِمَارة، فأتاها رسول الله ﷺ، وقال: «تلك ٱبنة أخي من الرضاعة». وعُرِضت عليه أمّ حبيبة أختها.

فجميع من ذكِر من أزواج النبي ﷺ المدخول بهنّ، وغير المدخول بهنّ، ومن وهبت نفسها له، أو خطبها ولم يتفق تزويجها، أو عُرِضت عليه فأباها، نحوُ أربعين ٱمرأة على ما ذكرناه من الٱختلاف، ومن أهل العلم من ينكر بعضهنّ، ويقول: إنما تزوج رسول الله ﷺ أربع عشرة ٱمرأة، سِت منهنّ قرشِيات لا شك فيهنّ، وهنّ: خَدِيجة، وعائِشة، وسَوْدَة، وأم سَلَمَة، وأم حَبِيبة، وحَفْصَة.

ومن العرب: زينب بنت جَحْشٍ، ومَيمُونة بنت الحارث، وجُوَيْرِية بنت الحارث، وأسْمَاء بنت النُّعمان، وفَاطِمة بنت الضَّحّاك، وزينب بنت خُزَيْمَة.

---

(١) تضغو الصبية: أي يصيحون ويبكون ويضجون.

ومِن غيرهم: رَيْحَانَة بنت زيد من بني النَّضِير، وصَفِيّة بنت حُيَيّ بن أَخْطَب.

وعن محمد بن يحيى بن حِبّان قال: تزوج رسول الله ﷺ خمس عشرة آمرأة، فسمى هؤلاء، وزاد مُلَيْكَة بنت كَعْب اللّيْثية. وقال أبو عبيدة: تزوج رسول الله ﷺ ثماني عشرة آمرأة.

وقال محمد بن عمر الواقِديّ: المجمع عليه أن رسول الله ﷺ تزوج أربع عشرة آمرأة، وهنّ اللائي سُمّين، وفارق منهن الجَوْنِيّة والكِلابية، ومات عنده خدِيجة، وزينب بنت خُزَيمة، ورَيْحانة بنت زيد، وقُبِض عن تِسع، وهنّ المذكورات اللاتي قدمنا ذكرهنّ.

وقال أبو سعيد في شرف النبوّة: إن جملة أزواج النبي ﷺ إحدى وعشرين آمرأة، طَلّق منهنّ سِتًّا، ومات عنده خمسٌ، وتُوفّي عن عَشْر؛ واحدة لم يدخل بها، وكان صَدَاقه لِنِسائه لكل واحدة خمسمائة دِرهم، إلا صَفيّة فإنه جعل عِتْقَها صَداقَها، وأمّ حبِيبة أَصْدَقها عنه النجاشِيّ.

ذكر سَرَارِي رسول الله ﷺ

وهنّ:

مارِية بنت شَمْعون القِبطِية

وهي أم ولده إبراهيم، وكانت من جَفْن من كورة أنْصِنَا[1] من صعِيد مصر، أهداها له المُقَوْقِس جُرَيْج بن مِينَا، ولما ولدت مارِية لرسول الله ﷺ ابنه إبراهيم قال: «أعتقها ولدها». وتوفيت مارية في المحرم سنة ست عشرة، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان عمر يحشر الناس بنفسه لشهود جنازتها، وصلّى عليها عمر، ودُفِنت بالبقِيع.

ورَيْحَانَة بنت زَيْد النَّضْرِية، وقد تقدّم خبرها في الزوجات. وقال أبو عبيدة: كان له أربع؛ وهنّ مارِية وريحانة، وأخرى جَمِيلة أصابها في السَّبْي، وجارِية وهبتها له زينب بنت جَحْش. وقال قَتادة: كان للنبي ﷺ وَلِيدَتَان مارِية وريحانة، وبعضهم يقول: رُبَيْحَة القُرَظِية.

(١) أنصنا: بالفتح ثم السكون، وكسر الصاد المهملة، والنون مقصور: مدينة أزلية من نواحي الصعيد على شرقي النيل وفيها برابي وآثار كثيرة... ولا ينبت اللنج إلا بأنصنا، وهو عود تنشر منه الألواح للسفن... (معجم ياقوت).

ذكر أولادِ رسول الله ﷺ

روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كان أول من وُلِد لرسول الله ﷺ بمكة قبل النبوّة القاسِم وبه كان يكنى، ثم ولدت له زينب، ثم رُقيّة، ثم فَاطِمة، ثم أمّ كُلثُوم، ثم ولد له في الإسلام عبد الله فسمي الطّيّب والطّاهِر، وأمهم كلهم خَدِيجَة رضي الله عنها. وكان أول من مات من ولده القاسِم، ثم عبد الله ماتا بمكة، فقال العاصِي بن وائِل السَّهْمِيّ: قد ٱنقطع ولده فهو أبتر؛ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ٣] وقيل: الطّيّب والطّاهِر اثنان سوى عبد الله. وقيل: كان له الطّاهِر والمطَهّر ولدا في بطن. وقيل: كان له الطّيّب والمطَيَّب وُلدا أيضًا في بطن. وقيل: إنهم كلهم ماتوا قبل النبوّة، وكان بين كل ولدين لها سنة، وكانت تسترضِع لهم. وأمّا البنات فكلهن أدركن الإسلام، وأسلمن وهاجَرْن، وسنذكر إن شاء الله تعالى أخبارهنّ ومَن تزوجهنّ، وما ولدن على ما تقِف عليه، وهؤلاء كلهم أولاد خدِيجة وُلِدوا بمكة، ثم ولدت له مارِية القِبطِية:

إبراهِيم ابن رسول الله ﷺ

ولِد في ذي الحِجة، سنة ثمان من الهِجرة؛ قال أبو عمر بن عبد البر: ذكر الزُّبَيْر عن أشياخه، أن أمّ إبراهيم مارِية ولدته بالعالية[١]، في المال الذي يقال له اليوم (مَشْرَبَةُ إبراهيم) بالقُفّ[٢]، وكانت قابلتها سَلْمَى مولاة النبيّ ﷺ، ٱمرأة أبي رافِع، فبَشَّر به أبو رافِع النبيّ ﷺ، فوهب له عبدًا، فلما كان يوم سابِعِه عَقّ[٣] عنه بكَبْش وحلق رأسه؛ حلقه أبو هِنْد، وسماه يومئذٍ، وتصدق بوزن شعره وَرِقًا على المساكين، وأخذوا شعره فدفنوه في الأرض. وعن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «ولِد لي الليلة غلام فسميته بٱسم أبي إبراهيم» هذا يدل على أنه سَمّاه في وقت وِلادته، قال الزبير: ثم دفعه إلى أمّ سَيْف ٱمرأة قَيْنٍ[٤] بالمدينة، يقال له: أبو سَيف، قال الزبير: وتنافست الأنصار فيمن يُرْضِعه، فجاءت أمّ بُرْدَة بنت المنذِر بن زيد الأنصاريّ، زوجة البَرَاء بن أوْسٍ، فكلمت رسول الله ﷺ في أن تُرضِعه، فكانت تُرضعه بلبن ابنها في بني

(١) العالية: موضع على ثلاثة أميال من المدينة المنورة.
(٢) القفّ: واد بالمدينة.
(٣) عقّ: ذبح عقيقة، وهي الشاة التي تذبح يوم أسبوع الولد.
(٤) القين: الحداد.

مازِن بن النجار، وترجع به إلى أُمِّهِ، وأعطى رسول الله ﷺ أمّ بُرْدَة قِطعة من نَخْل، فناقلت بها إلى مال عبد الله بن زَمْعَة. وتوفي إبراهيم في شهر ربيع الأول سنة عشر، وقد بلغ سِتة عشر شهرًا؛ مات في بني مازِنٍ عند ظِئرِه[1] أمّ بُرْدَة، وهي خَوْلَة بنت المنذِر بن لَبِيد، وغَسَّلته ودُفِن بالبقِيع. وقال رسول الله ﷺ: «لو عاش لوضعت الجزية عن كل قبطيّ». وقال أيضًا: «لو عاش إبراهيم ما رَقّ له خالٌ». وفي حديث أنس بن مالك تصريح أن إبراهيم إنما مات عند ظئره أمّ سَيْف؛ فإنه يقول: فانطلق رسول الله ﷺ وانطلقت معه، فصادَفْنا أبا سَيْف ينفخ في كِيرِه، وقد امتلأ البيت دُخَانًا، فأسرعتُ في المشي بين يدي رسول الله ﷺ، حتى انتهيت إلى أبي سَيْف فقلت: يا أبا سَيف، أمسكْ، جاء رسول الله ﷺ، فأمسك، فدعا رسول الله ﷺ بالصَّبي فضمه إليه وقال ما شاء الله أن يقول، قال: فلقد رأيته يَكِيدُ[2] بنَفْسه، فدمعت عينا رسول الله ﷺ، فقال: «تدمع العين ويحزَن القلب ولا نقول إلا ما يُرضي الربّ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون» وقال أبو عمر بن عبد البر: ثبت أن رسول الله ﷺ بكى على ابنه إبراهيم من غير رفع صوت، وقال: «تدمَع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يُرضي الربّ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون». وعن عطاء، عن جابر قال: أخذ النبي ﷺ بيد عبد الرحمٰن بن عوف، فأتى به النخل[3]، فإذا ابنه إبراهيم في حجر أُمِّه وهو يَجُود بنَفْسه، فأخذه رسول الله ﷺ فوضعه في حِجْره، ثم قال: «يا إبراهيم إنا لا نغني عنك من الله شيئًا»؛ ثم ذَرَفَتْ عيناه، ثم قال: «يا إبراهيم لولا أنه أمرٌ حَقٌّ ووَعْد صِدْقٌ، وأن آخرنا سيلحق أوّلنا لحزنا عليك حزنًا هو أشد من هذا، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون، تبكي العين ويحزَن القلب ولا نقول ما يسخط الربّ».

قالوا: ووافق موت إبراهيم كُسُوف الشمس، فقال قوم: إن الشمس انكسفت لموته، فخطبهم رسول الله ﷺ فقال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يَخْسِفان لموت أحد ولا لحياته؛ فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله وإلى الصلاة». وقال ﷺ حين تُوفِّي إبراهيم: «إن له مُرْضِعًا في الجنة تُتم رضاعه». وصلّى عليه رسول الله ﷺ، وكَبَّر أربعًا، قال ابن عبد البر: هذا قول جمهور العلماء، وهو الصحيح، قال: وقد قيل إن الفضل بن عباس غَسّل إبراهيم، ونزل في قبره مع أُسَامَة بن زيد،

---

(١) الظئر: المرضع.

(٢) يكيد بنفسه: أي يجود بها.

(٣) النخل: بالفتح ثم السكون: منزل من منازل بني ثعلبة من المدينة على مرحلتين، وقيل: موضع بنجد من أرض غطفان مذكورة في غزاة ذات الرقاع، وهو موضع في طريق الشام من ناحية مصر... (معجم البلدان لياقوت).

ورسول الله ﷺ جالس على شَفِير القبر، قال الزبير[١]: ورُشّ قبره، وأُعْلِم فيه بعلامة، وهو أول قبر رُشّ عليه.

فلنذكر بنات رسول الله ﷺ، ومن تزوجهنّ، وما ولدن ووفاتهنّ، وهنّ أربع:

زينب بنت رسول الله ﷺ

هي أَسَنّ بناته رضي الله عنهنّ. قال أبو عمر بن عبد البر: وُلِدت زينب بنت رسول الله ﷺ في سنة ثلاثين من مولد النبيّ ﷺ، حكاه عن محمد بن إسحاق السّرّاج عن عبيد الله بن محمد بن سليمان الهاشمي، وتزوج زينب أبو العاص بن ربيع بن عبد العُزّى بن عبد شمس، وهو ٱبن خالتها ـ أمه هالة بنت خُوَيْلد ـ قبل أن يُنَزَّل[٢] على رسول الله ﷺ، وفَرّق بينهما الإسلام.

وقد ذكرنا من خبر ٱبن العاص وأَسْره في غزوة بَدْر وإطلاقه، وسقنا ذلك كله هناك، وخبر إسلامه، وأنّ رسول الله ﷺ ردّ زينب عليه بغير مهر جديد، ولا نكاح جديد. وقيل: بل بمهر جديد ونكاح جديد ـ والله تعالى أعلم ـ وولدت له عليًّا مات صغيرًا، وأُمَامَة وهي التي حملها رسول الله ﷺ في الصلاة، وعاشت أُمَامَة حتى تزوجها علي بن أبي طالب بعد موت فاطمة، فكانت عنده حتى أُصِيب، فخلف عليها المغيرة بن يزيد بن الحارث بن عبد المطلب، فتوفيت عنده، وماتت زينب في سنة ثمان من الهجرة.

قال أبو عمر: وكان سبب موتها أنها لما خرجت من مكة إلى رسول الله ﷺ، عَمِد لها هَبّار بن الأَسْوَد ورجل آخر فدفعها أحدهما فيما ذكروا، فسقطت على صخرة فَأَسْقَطَت وأَهْرَاقت الدماءَ، فلم يزل بها مرضها ذلك حتى ماتت رضي الله عنها.

ورُقَيّة بنت رسول الله ﷺ

قال أبو عمر بن عبد البر[٣]: ذكر أبو العباس محمد بن إسحاق السرّاج، قال:

---

(١) المراد الزبير بن بكار وقد تقدّمت ترجمته.

(٢) أي قبل أن ينزل القرآن على النبيّ ﷺ بتحريم المسلمات على الكفار... (سورة الممتحنة آية ١٠).

(٣) أبو عمر: هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، الأندلسي، القرطبي، المالكي، (أبو عمر) محدث، حافظ، مؤرخ، عارف بالرجال والأنساب، مقرىء، فقيه، نحوي. ولد بقرطبة في رجب سنة ٣٦٨هـ. وروى عن خلف بن القاسم وسعيد بن نصر وعبد الله بن أسد وغيرهم... من تصانيفه: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، والاكتفاء في قراءة نافع وأبي عمرو. كانت وفاته في سنة ٤٦٣ هجرية... (معجم المؤلفين ١٣: ٣١٥).

سمعت عبيد الله بن محمد بن سليمان بن جعفر بن سليمان الهاشمي يقول: ولدت رُقَية بنت رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ ٱبن ثلاث وثلاثين سنة، وكانت رقية عند عُتْبَة بن أبي لَهَب، وأختها أمّ كُلْثُوم عند عُتَيْبَة بن أبي لهب؛ فلما أنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝﴾ ـ السورة ـ قال لهما أبوهما أبو لهب وأمهما أُمّ جَمِيل بنت حَرْب بن أمية، حَمّالة الحطب: فارقا ٱبْنَتَيْ محمد، وقال أبو لهب: رأسي من رَأْسَيْكما حرام إن لم تفارقا ٱبنتي محمد، ففارقاهما، فتزوّج عثمان بن عَفّان رقية بمكة، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة، وولدت له هناك ٱبنًا فسماه عبد الله وبه كان يُكنى، فبلغ الغلام ستّ سنين، فنقر عينَه دِيكٌ وتَوَرّمَ وجهه فمرض ومات. وماتت رقية رضي الله عنها في شهر رمضان، على رأس تسعة عشر شهرًا من مُهاجَر رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ في غزوة بَدْر، ودفنت عند وصول زيد بن حارثة بالبشارة بوقعة بدر، وكانت قد أصابتها الحَصْبَة، وتخلّف عثمان بن عَفّان رضي الله عنه عن غزوة بَدْر بسبب مرضها، بأمر رسول الله ﷺ.

وفاطمة بنت رسول الله ﷺ

قال أبو عمر بن عبد البر: كانت فاطمة هي وأختها أمّ كُلْثُوم أصغر بنات رسول الله ﷺ، وٱختلف في الصُّغرى منهما. وقال ٱبن السَّراج: سمعت عبيد الله الهاشمي يقول: ولدت فاطمة رضي الله عنها في سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ، وزَوَّجها رسولُ الله ﷺ من عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بعد وقعة أُحُد. وقيل: إنه تزوجها بعد أن ٱبتنى رسول الله ﷺ بعائشة رضي الله عنها، بأربعة أشهر ونصف، وبنى بها بعد تزويجه إياها بتسعة أشهر ونصف، وكانت سِنّها يوم تزوجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف. قال أبو عمر: وٱختلف في مَهْرِه إياها، فروى أنه مَهَرَها دِرْعه، وأنه لم يكن له ذلك الوقت صفراء ولا بيضاء، وقيل: تزوجها على أربعمائة وثمانين درهمًا فأمر رسول الله ﷺ أن يجعل ثلثها في الطِّيب، قال: وزعم أصحابنا أن الدِّرْع قدَّمها عليٌّ من أجل الدخول، بأمر رسول الله ﷺ إياه بذلك، فولدت رضي الله عنها له حَسَنًا وحُسَيْنًا ومُحْسِنًا فذهب مُحْسِن صغيرًا. وروى أبو عمر بن عبد البر بسنده إلى عليّ رضي الله عنه قال: لما وُلِد الحسن جاء رسول الله ﷺ فقال: «أروني ٱبني ما سمّيتموه»؟ قلت: سميته حَرْبًا، قال: «بل هو حسن» فلما وُلِد الحسين قال: «أروني ٱبني ما سمّيتموه»؟ قلت: سميته حربًا، قال: «بل هو حُسَيْن» فلما وُلِد الثالث جاء النبي ﷺ فقال: «أروني ٱبني ما سميتموه»؟ قلت سميته حربًا، قال: «بل مُحْسِن»، ثم قال: «إني سميتهم بأسماء ولد هارون شَبَّر

وشُبَيْر ومُشَبِّر». وولدت له رُقَيَّة وزينب وأمّ كُلْثوم، فهلكت رُقَيّة، ولم تبلغ، وتزوج زينب عبد الله بن جعفر فماتت عنده، وولدت له علي بن عبد الله بن جعفر، وتزوج أمّ كُلْثُوم عمر بن الخطاب فولدت له زيد بن عمر، ثم خلف عليها بعده عون بن جعفر فلم تلد له حتى مات، وخلف عليها بعده محمد بن جعفر فولدت له حارثة ومات عنها. فخلف عليها عبد الله بن جعفر فلم تلد له شيئًا وماتت عنده، وقيل: بل تُوفّي عنها، وماتت فاطمة رضي الله عنها بعد وفاة أبيها رسول الله ﷺ بثلاثة أشهر، وقيل: بستة أشهر، وقيل: بثمانية.

وأُمّ كُلْثوم بنت رسول الله ﷺ

قد ذكرنا الاختلاف في أيهما أصغر سِنًا هي أو فاطمة، وكانت عند عُتَيْبة بن أبي لَهَب، فلما قال له أبواه ولأخيه ما قالا طَلّقا بنتي رسول الله ﷺ ولم يبنيا بهما، وجاء عُتَيْبَة حين فارق أمّ كُلْثُوم إلى النبيّ ﷺ وقال: كفرت بدينك وفارقت ٱبنتك وسطا عليه، فقال رسول الله ﷺ: «أَمَا إني أسأل الله أن يسلط عليك كلبًا من كلابه» وكان خارجًا إلى الشام تاجرًا مع نَفَر من قريش، حتى نزلوا مكانًا من الشام يقال له الزَّرْقاء ليلًا، فأطَافَ بهم[1] الأسد تلك الليلة، فجعل عُتَيْبَة يقول: يا ويل أُمّه، هو والله آكله بدعوة محمد، قاتلي ٱبن أبي كَبْشَة وهو بمكة وأنا بالشام. وقال أبو لهب: يا معشر قريش، أعينونا هذه الليلة، فإني أخاف دعوة محمد، فجمعوا أحمالهم وفرشوا لعُتَيْبَة في أعلاها وناموا حَوْلَه، فقيل: إن الأسد ٱنصرف عنهم حتى ناموا وعتيبة في وسطهم، ثم أقبل يتخطّاهم ويتَشَمَّمهم حتى أخذ برأس عُتَيْبة ففَدَغه[2]. قال أبو عمر: ولما ماتت رقية تزوج عثمان بن عَفّان بأمّ كُلْثوم في شهر ربيع الأول من السنة الثالثة من الهجرة، وبنى عليها في جمادى الآخرة من السنة، وتوفيت أمّ كُلْثوم رضي الله عنها في السنة التاسعة من الهجرة، ولم تلد لعثمان شيئًا، وكانت وفاتها في شعبان، وقال رسول الله ﷺ لعثمان: «لو كانت عندنا ثالثة زوّجناكها يا عثمان» وصلّى عليها رسول الله ﷺ ونزل في حفرتها علي بن أبي طالب، والفضل بن العباس وأسامة بن زيد. وقد رُوي أن أبا طلحة الأنصاري ٱستأذن رسول الله ﷺ أن ينزل معهم في قبرها فأذن له. وغَسّلتها أسماء بنت عُمَيْس وصَفِيَّة بنت عبد المطلب، وهي التي شهدت أمّ عَطِيّة غُسْلها، وحكت قول رسول الله ﷺ: «ٱغسلنها وترًا ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر من ذلك» الحديث. قال: وجلس رسول الله ﷺ على قبر أم كُلْثُوم.

---

(١) أطاف بهم: أحاط بهم.

(٢) فدغه: شدخه وكسره.

ذكر أعمام رسول الله ﷺ

كان لرسول الله ﷺ من العمومة أحد عشر، أولاد عبد المطلب بن هاشم، وهم:

الحارث

وبه كان يُكنى؛ لأنه أكبر ولده، ومن ولد الحارث وولد ولده جماعة لهم صحبة من النبيّ ﷺ، منهم أبو سفيان بن الحارث، أسلم عام الفتح كما ذكرنا في غزوة الفتح وشهد حُنَيْنًا، ونَوْفَل بن الحارث هاجر وأسلم أيام الخَنْدَق، وعبد شمس وسماه رسول الله ﷺ عبد الله.

قُثَم بن عبد المطلب

وهو أخو الحارث لأبويه؛ مات صغيرًا.

الزبير بن عبد المطلب

وكان من أشراف قريش. وٱبنه عبد الله بن الزبير شهد حُنَيْنًا وثبت يومئذ واسْتُشْهِد بأجْنَادِين[1]، وضُبَاعة بنت الزبير، لها صحبة، وأمّ الحكم بنت الزبير، روت عن النبيّ ﷺ.

حمزة بن عبد المطلب

كان يقال له: أسد الله وأسد رسوله، ويكنى أبا عمارة وأبا يَعْلى. وهو أخو رسول الله ﷺ من الرّضاع. وقد قدّمنا في أنباء هذه السيرة خبر إسلامه ومقتله في غزوة أُحُد. ولم يكن له إلا ٱبنةٌ واحدة. وقيل: ٱبنتان. وقد ذكرناهما فيمن عُرض على رسول الله ﷺ من النساء فأباهنّ.

---

(١) أجنادين: بالفتح ثم السكون، ونون وألف، وتفتح الدال فتكسر معها النون، فيصير بلفظ التثنية، وتكسر الدال وتفتح النون بلفظ الجمع: موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين. . . وقيل: إن أجنادين من الرملة من كورة بيت جبرين، كانت به وقعة، بين المسلمين والروم مشهورة. . . (معجم البلدان).

العبّاس بن عبد المُطّلِب

كان يكنى أبا الفضل بأبنه الفضل بن العبّاس، وكان العباس أسَنّ من رسول الله ﷺ بسنتين، وقيل: بثلاث سنين، وأمُه نَتْلة، ويقال: نُتَيْلَة بنت جَنَاب بن كُلَيْب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مَنَاة بن عامر وهو الضَّحْيَان بن سعد بن الخَزْرَج بن تَيْم الله بن النَّمِر بن قاسِط. وهي أوّل عربية كَسَت البيت الحرام الحريرَ والدِّيباج[١] وأصناف الكُسْوَة. وذلك أن العباس ضَلّ وهو صَبيٌّ، فنذرتْ إن وَجدَتْه أن تكسو البيت الحرام، فوجدته ففعلت.

وقد تقدّم من خَبَر العباس في غزوة بَدْر عند أسره، وقوله لرسول الله ﷺ: إنّي كنتُ مُسْلمًا، وإن القوم استكرهوني على الخروج.

وقال أبو عمر بن عبد البر: أسلم العباس قبل خَيْبَر وكان يكتم إسلامه. قال: ويقال إنه أسلم قبل بَدْر، وكان يكتب إلى رسول الله ﷺ بأخبار المشركين، وكان يُحِبّ أن يَقْدم على رسول الله ﷺ، فكتب إليه رسول الله ﷺ: «إن مُقامَك بمكة خيرٌ» فلذلك قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «من لقي منكم العباس فلا يقتله فإنه أُخرج كرهًا». وكان العباس أنْصَر الناس لرسول الله ﷺ بعد أبي طالب، ووَلِي السِّقايَة بعد أبي طالب وقام بها، وكان رسول الله ﷺ يُكْرم العباس بعد إسلامه ويُعَظِّمه ويُجِلّه، ويقول: «هذا عمي وصِنْو أبي». وكان العباس جَوَادًا مُطعِمًا، وَصُولاً للرَّحِم، ذا رَأْي حسن، ودَعْوَة مَرْجُوّة.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس في سنة سبع عشرة وذلك عام الرَّمَادَة[٢]، وكانت الأرض أجْدَبَت إجدابًا شديدًا. فقال كَعْب لعمر: يا أمير المؤمنين، إن بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعُصْبَة الأنبياء. فقال عمر رضي الله عنه: هذا عَمُّ النبيّ ﷺ وصِنْوُ أبيه، وسَيِّد بني هاشم. فمشى إليه عمر فشكا إليه ما فيه الناس. ثم قال: اللهم إنا قد تَوَجَّهْنا إليك بعَمِّ نبينا وصِنْو أبيه، فاسقنا الغيث، ولا تجعلنا من القانِطين. ثم قال: يا أبا الفَضْل قم فأدْعُ. فقام العباس فقال بعد حمد الله والثناء عليه: اللهم إن عندك سَحابًا وعندك ماء، فأنْشُر السحاب، ثم أنزل الماء منه علينا، فأشْدُد به الأصل، وأطِل به الفَرْع، اللهم إنك لم تنزل بَلاء إلا بذنب، ولم تكْشِفه إلا بتَوْبَة، وقد توَجَّه القوم بي إليك فأسقنا الغَيْث، اللهم شفِّعنا

---

(١) الديباج: ضرب من الثياب سداه ولحمته حرير (فارسي معرب).

(٢) عام الرمادة: سمي عام الرمادة لتتابع الجدب حتى صير الأرض والشجر مثل لون الرماد.

في أنفسنا وأهلينا، اللهم إنا شُفَعاء عمن لا يَنْطق من بَهائمنا وأنعامنا، اللهم ٱسقنا سقيًا وَادِعًا، نافِعًا طَبَقًا[١] سَحًّا[٢] عامًّا. اللهم لا نرجو إلا إيّاك، ولا ندعو غيرك، ولا نرْغَب إلا إليك. اللهم إليك نشكو جُوع كل جائع، وعُرْيَ كل عارٍ، وخوف كل خائف، وضَعْف كل ضعيف. في دعاء كثير.

قال ٱبن عبد البر: وهذه الألفاظ كلها لم تجيء في حديث واحد، ولكن جاءت في أحاديث جمعتها وٱختصرتها ولم أخالف شيئًا منها، وفي بعضها: فسقوا والحمد لله. وفي بعضها قال: فأَرْخَتِ السماء عَزَالِيَها[٣] فجاءت بأمثال الجبال، حتى استَوَت الجُفَرُ[٤] بالآكَام، وأخْصَبَت الأرض، وعاش الناس. فقال عمر: هذا والله الوَسِيلَة إلى الله والمكان منه. وقال حَسّان بن ثابت في ذلك: [من الكامل]

سَأَل الإمامُ وقَدْ تَتَابع جَدْبُنا فسقى الغمامُ بغُرَّة العَبّاسِ
عَمُّ النبي وصِنْو والده الذي وَرِثَ النَّبِيّ بذاك دُون النّاسِ
أحْيَا الإلهُ به البلاد فأصْبَحَت مُخْضَرَّة الأجْنابِ بعد اليَاسِ

وقال الفضل بن عباس بن عُتْبَة بن أبي لَهَب: [من الطويل]

بعمّي سقى الله الحِجازَ وأهلَه عَشِيّة يَسْتَسْقِي بشَيْبَتِه عُمَرْ
تَوجّه بالعباس في الجَدْبِ راغبًا فما كَرَّ حتّى جاء بالدِّيمَة المَطَرْ[٥]

وتُوفي العباس رضي الله عنه بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رَجَب. وقيل: من شهر رَمَضان سنة ٱثنتين وثلاثين في خلافة عُثْمان بن عَفّان وصلّى عليه عثمان، ودفن بالبَقِيع وهو ٱبن ثمان وثمانين سنة. وقيل: تسع وثمانين سنة. وقال خَلِيفَة بن خَيّاط: كانت وفاة العباس سنة ثلاث وثلاثين، ودخل قبره ٱبنه عبد الله. وكان للعباس من الولد: الفَضْل وهو أكبر أولاده وبه كُنّي، وعبد الله، وعُبَيْد الله، وقُثَم. ولهم صحبةٌ. وعبد الرحمٰن ومَعْبَد وُلِدا على عهد رسول الله ﷺ استشهدا بإفْرِيقِيّة في خلافة عُثْمان بن عَفّان، وأمّ حبيب، كلهم من أمّ الفَضْل لُبَابَة بنت الحارث بن حَزْن الهلالية، وهي أخت مَيْمُونَة زوج النبيّ ﷺ، يقال: إنها أول ٱمرأة أسلمت بعد خديجة، وكانت من المُنْجِبَات، وفيها يقول عبد الله بن يزيد الهلالي: [من الرّجز]

---

(١) طبقًا: أي مالئًا للأرض مغطيًا لها. (٢) سحا: أي شديد الانصباب.
(٣) العزالى: واحدتها عزلاء، وهي فم المزادة الأسفل.
(٤) الجفر: واحدتها جفرة، وهي الحفرة الواسعة المستديرة.
(٥) الديمة: المطر يطول زمانه في سكون. جمع ديم.

مـا وَلَـدَتْ نَـجِـيـبَـةٌ مـن فَـحْـلِ ... بـجَـبَـلٍ نَـعْـلَـمُـه وسَـهْـلِ
كَـسِـتَّـةٍ مـن بَـطْـن أمِّ الـفَـضْـلِ ... أكْـرِم بـهـا مـن كَـهْـلَـةٍ وكَـهْـلِ
عَـمِّ الـنبي الـمصطفى ذي الْفَضْلِ ... وخـاتـم الـرُّسْـل وخَـيْـر الـرُّسْـلِ

وكان له من غير أمّ الفضل أربعة ذكور، وهم: عَوْن، والحارث أمّه من هذيل. وكَثِير وتَمّام أمهما أمُّ وَلَدٍ، وكان أصغر أولاد العباس فكان العباس يحمله ويقول: [من الرّجز]

تَـمّـوا بـتَـمّـام فـصـاروا عَـشَـرَهْ ... يـا رَبِّ فـاْجْـعَـلْـهُـم كِـرَامًـا بَـرَرَهْ
* واْجـعَـل لـهـم ذِكْـرًا وأنْـمِ الـثَّـمَـرَهْ *

ويقال: ما رؤيت قبورٌ أشد تباعدًا بعضها من بعض من قبور بني العباس، ولدتهم أمهم أمّ الفضل في دار واحدة، استشهد الفَضْل بأجْنَادين، ومات مَعْبَد وعبد الرحمٰن بإفريقية، وتوفّي عبد الله بالطائف، وعبيد الله باليمن، وقُثَم بسَمَرْقَنْدَ وكَثِير بيَنْبُع[1]. وتُوفّي العباس بعد أن كفَّ بصرُه. ولم يُسلم من أعمام رسول الله ﷺ إلا حَمْزَة والعباس رضي الله عنهما.

والسادس من عمومته ﷺ:

أبو طالب

واْسمه عبد مناف وهو أخو عبد الله أبي النبيّ ﷺ لأبويه. وعاتِكَةُ صاحبة الرُّؤْيَا في شأن بَدْر، أمهم فاطِمة بنت عَمْرو بن عائِذ بن عِمْران بن مَخْزُوم. وقد تقدّم من أخباره ونصرته لرسول الله ﷺ ما نستغني عن إعادته في هذا الموضع. وكان له من الولد طالبٌ مات كافرًا، وعَقِيل وجَعْفَر وعليّ وأمّ هانىء لهم صحبة، وجُمَانَةُ. وحكى أبو عمر بن عبد البر: كان عليّ بن أبي طالب أصغر من أخيه جعفر بعشر سنين، وكان جعفر أصغر من عَقِيل بعشر سنين، وكان عَقيل أصغر من طالب بعشر سنين.

---

(١) ينبع: هي عن يمين رضوى لمن كان منحدرًا من المدينة إلى البحر على ليلة من رضوى من المدينة على سبع مراحل، وهي لبني حسن بن عليّ وكان يسكنها الأنصار وجهينة وليث، وفيها عيون عذاب غزيرة، وواديها يليل، وبها منبر، وهي قرية غناء وواديها يصب في غيقه... (معجم البلدان).

والسابع من عمومة رسول الله ﷺ:

أبو لهب

واسمه عبد العزى كنّاه أبوه بذلك لحسن وجهه، ومن أولاده عُتْبَة، ومُعَتِّب ثبتا مع رسول الله ﷺ يوم حُنَين، وعُتَيْبَة قتله الأسد بالزَّرْقَاء كما تقدّم.

الثامِن:

عبد الكعبة

وقيل: هو المقوّم، ومنهم من جعل المقوّم غير عبد الكعبة فجعل عمومته اثني عشر.

والتاسِع:

حَجْل

واسمه المُغِيرة.

والعاشر:

ضِرَار

وهو أخو العباس لأبَوَيْه.

والحادي عشر:

الغَيْدَاق

سمي بذلك لأنه كان أكرم قريش، وأكثرهم إطعامًا. ومنهم من جعل الغَيْداق حَجْلًا وعدّهم عشرة. حكاه ابن عبد البر. وقد عدّ الزبير بن بَكّار أولاد عبد المطلب ثلاثة عشر، وعدّ المقوّم غير عبد الكعبة، وجعله شقيق حمزة وحَجْل وصَفيّة. والله أعلم بالصواب.

ذِكر عمّات رسول الله ﷺ

كان له من العمّات ﷺ سِتٌّ: الأولى:

صَفيّة بنت عبد المطلب

وأمّها هَالَة بنت وُهَيْب بن عبد مَنَاف ابن زُهْرَة، وهي شقيقة حمزة والمقَوّم وحَجْل، كانت صفية في الجاهلية تحت الحارث بن حَرْب بن أمية بن عبد شَمْس، ثم

هلك عنها وتزوّجها العَوّام بن خُوَيْلد بن أسد فولدت له الزُّبَير والسّائِب وعبد الكعبة. وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب سنة عشرين من الهجرة ولها ثلاث وسبعون سنة. ودفنت بالبَقِيع بفِناء دار المغيرة بن شُعْبَة، ولها هجْرة.

وعاتِكَةُ بنت عبد الْمُطّلِب

ٱختلف في إسلامها، وهي صاحبة الرؤيا، وكانت عند أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، فولدت له عبد الله أسلم وله صحبة، وزُهَيْرًا، وقُرَيْبَة الكبرى.

وأرْوَى بنت عبد المطلب

وقد ٱختلف أيضًا في إسلامها، وكانت عند عُمَيْر بن وَهْب بن عبد الدّار بن قصيّ، فولدت له طُلَيْب بن عُمَيْر، وكان من المهاجرين الأوّلين، شهد بدرًا وقتل بأجنَادَين شهيدًا.

وأُمَيْمة بنت عبد المطلب

كانت عند جَحْش بن رِيَاب، ولدت له عبد الله بن جَحْش قتل بأُحد شهيدًا، وأبا أحمد الأعمى الشاعر وٱسمه عبد، وزينب زوج النبيّ ﷺ، وأمّ حبيبة وحَمنَة، كلهم له صحبة، وعُبَيْد الله بن جَحْش، أسلم ثمّ تَنَصّر ومات بالحبشة كافرًا.

وبَرّة بنت عبد المطلب

وكانت عند عبد الأسَد بن هِلال بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزُوم، فولدت له أبا سَلَمَة وٱسمه عبد الله، وكان زوج أمّ سلمة قبل رسول الله ﷺ.

وأُمّ حَكِيم البَيْضَاء بنت عبد المطلب

وكانت عند كُرَيْز بن رَبيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، فولدت له أرْوَى بنت كُرَيْز، وهي أمّ عثمان بن عفان.

هؤلاء أعمامه ﷺ وعمّاته؛ أسلم منهم حمزة والعباس وصفية بلا ٱختلاف، وٱختلف في عاتِكة وأرْوَى، وبقيتهم ماتوا على شركهم. قال أبو عمر بن عبد البر: كان عبد الله أبو رسول الله ﷺ وأبو طالب والزُّبَير وعبد الكعبة وأمّ حكيم وأُمَيْمة وأرْوَى وعاتِكة، أمهم كلهم فاطِمَة بنت عمرو بن عَائِذ بن عمران بن مخزوم، وكان حمزة والمقَوّم وحَجْل وصَفِية أمهم هَالة بنت وُهَيب، وكان العباس وضِرَار وقُثَم أمّهم

نُتَيْلَة، وأمّ الحارث سَمْرَاء بنت جُنَيْدب بن جُنْدُب بن حُرْثَان بن سُوَاءَة بن عامر بن صَعْصَعَة، وقيل: صفية بنت جُنْدب بن حُجَيْر بن رِيَاب بن حبيب بن سُوَاءَةَ، وأمّ أبي لهب لُبْنَى بنت هاجَر بن خُزَاعَة. والله تعالى أعلم.

فلنذكر خدمه ﷺ:

ذكر خدم رسول الله ﷺ الأحرار

وهم أحد عشر رجلاً:

أَنَسُ بن مالك بن النَّضْر

ابن ضَمْضَم بن زيد الأنصاري النجّاري، كان يكنى أبا حمزة، وأمّه أمّ سليم بنت مِلْحَان الأنصارية. خدم رسول الله ﷺ وهو ٱبن عشر سنين، عند مقدم رسول الله ﷺ إلى المدينة للهجرة، وٱختلف في وقت وفاته فقيل: مات في سنة إحدى وتسعين، وقيل: سنة ٱثنتين وتسعين، وقيل: سنة ثلاث وتسعين. قال خليفة بن خياط: مات أنس وله مائة وثلاث سنين، وقيل: كانت سنه إذ مات مائة وعشر سنين، وقيل: غير ذلك. وأقل ما قيل فيه مائة سنة إلا سنة، حكى هذه الأقوال أبو عُمر بن عبد البرّ؛ قال: ويقال إنه آخر من مات بالبصرة من أصحاب رسول الله ﷺ، ويقال: إنه قدّم من صُلْبه وولد ولده نحوًا من مائة قبل موته، وذلك أن رسول الله ﷺ دعا له فقال: «اللهم ٱرزقه مالاً وولدًا وبارك له» قال أنس: فإني لمن أكثر الأنصار مالاً. ويقال: إنه ولد لِأَنَس ثمانون ولدًا منهم ثمانية وسبعون ذكرًا وأنثيان.

هِنْد وأَسْماءُ ٱبنا حارثة

ٱبن هند الأسْلَمِيان؛ شهدا بيعة الرضوان في إخوة لهما ستةٍ، وهم: هِنْد وأسْماء وخَراش وذُؤَيْب وفَضَالة وسَلَمَة ومالِك وحُمْرَان، ولم يشهدها أخوةٌ في عددهم غيرهم، ولَزِم منهم النبيّ ﷺ هِنْد وأسْماء، وكانا من أهل الصُّفَّة، ومات هِنْد بالمدينة في خلافة معاوية، وتوفي أسْماء في سنة ست وستين. بالبصرة وهو ٱبن ثمانين سنة.

رَبيعَة بن كَعْب الأسْلَمي

وهو ربيعة بن كعب بن مالك بن يَعْمَر الأسلميّ أبو فِرَاس، وكان من أهل الصُّفَّة، وكان يلزم رسول الله ﷺ في السفر والحضر، وصحبه قديمًا، ومات في سنة ثلاث وستين بعد الحرّة.

عبد الله بن مسعود

ٱبن غافِل بن حبِيب بن شَمْخ بن فارِ بن مخزوم بن صاهِلَة بن كاهِل بن الحارث بن تَميم الهُذَليّ، وكنيته أبو عبد الرحمٰن، وهو حليف بني زُهْرَة، وأمه: أمّ عَبْد بنت عبد وَدّ بن سواء بن قويم بن صاهلة بن كاهل بن هُذَيل. أسلم عبد الله في أوّل الإسلام، وكان سبب إسلامه أنّ رسول الله ﷺ مرّ به وهو يرعى غنمًا لعُقْبَة بن أبي مُعَيْط، فأخذ شاة حائلاً من تلك الغنم فدَرّت عليه لبنًا غزيرًا فأسلم، ثم ضَمّه رسول الله ﷺ إليه، وكان يلبسه نعلَيْه إذا قام، وإذا جلس جعلهما في دُرّاعته[1] حتى يقوم رسول الله ﷺ، وكان يمشي أمام رسول الله ﷺ إذا مشى، ويستره إذا ٱغتسل، ويوقِظه إذا نام، وقال له رسول الله ﷺ: «إذنُك عليّ أن يُرفَع الحِجابُ وأن تسمع سِوادِي[2] حتى أنهاك». وكان يعرف في الصحابة بصاحب السِّوَاد والسِّواكِ، وهو أحد من شهِد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، ومات ٱبن مسعود بالمدينة في سنة ٱثنتين وثلاثين، وصلّى عليه عثمان بن عفان، وقيل: عَمَّار، وقيل: الزبير بن العوّام ودفنه بالبقِيع ليلاً بإيصائه إليه بذلك، ولم يعلم عثمان فعاتب الزبير، وكان يوم تُوفي ٱبن بِضع وسِتين سنة.

عُقْبَة بن عامر بن عَبْس

الجُهَني من جُهَيْنَة بن زيد بن سَوْد بن أسْلَم بن عمرو بن الحافِ بن قُضَاعة، وكان يكنى أبا حَمّاد، وقيل: أبا أسد، وقيل: أبا عمرو، وقيل: أبا سُعاد، وقيل: أبا الأسود، وقيل: أبا عمّار، وأبا عامر. وكان عقبة بن عامر صاحب بغلة رسول الله ﷺ، يقودها به في الأسفار. قال أبو عمر: سكن عقبة بن عامر مصر، وكان واليًا عليها، وٱبتنى بها دارًا، وتوفّي في آخر خِلافة معاوية.

بِلال بن رَبَاح المؤذِّن

مولى أبي بكر الصدّيق رضي الله عنهما، وكان يكنى أبا عبد الله، ويقال: أبا عبد الكريم، وقيل: أبا عبد الرحمٰن، وقيل: أبا عمرو، وقد تقدّم خبره في أوّل السيرة. وأمه حَمَامَة، وكان خازنًا لرسول الله ﷺ، وآخى بينه وبين عُبَيْدة بن

---

(١) الدراعة: ثوب من صوف، أو جبة مشقوقة المقدم.

(٢) يقال: ساودت الرجل: إذا ساررته.

الحارث بن عبد المطلب، وكان بلال رضي الله عنه صادق الإسلام طاهر القلب، وكان من مُوَلَّدِي السَّرَاة[١]. مات بدِمَشْق سنة عشرين، وهو أبن ثلاث وستين سنة، ودفن بمقبرتها عند الباب الصغير، وقيل: مات سنة إحدى وعشرين وهو ابن سبعين سنة.

سَعْد مَوْلى أبي بكر الصدّيق

رضي الله عنهما، خدم رسول الله ﷺ، وروى عنه الحسن البصريّ، ويعدّ في أهل البصرة.

ذو مِخْمَر ابن أخي النّجَاشي

ويقال: أبن أخته، ويقال فيه: ذو مِخْبَر، خدم رسول الله ﷺ، قال أبن عبد البر: وقد عدّه بعضهم في موالي رسول الله ﷺ، له أحاديث خرّجها أهل الشام وهو معدود فيهم.

بُكَيْر بن شَدّاخ اللَّيْثي

وقيل فيه: بَكْر، عدّه الشيخ أبو محمد الدمياطي في خدم رسول الله ﷺ.

أبو ذَرٍّ الغِفَارِيّ

ويقال: أبو الذرّ، والأوّل أشهر. واختلف في أسمه أختلافًا كثيرًا، فقيل: جُنْدُب بن جُنَادَة، وهو أصحّ ما قيل فيه إن شاء الله. وذكر أبو عمر بن عبد البر الأختلاف في أسمِه، وترجم عليه بعد ذلك: جُنْدب بن جُنادة بن سفيان بن عبيد بن الواقِفَة بن حَرَام بن غِفَار بن مُلَيْل بن ضَمْرة بن كِنَانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة بن إلْيَاس بن مُضَر بن نِزار الغِفاريّ، وأمّه رَمْلَة بنت الوَقِيعَة، من بني غِفارَ، تقدّم خبر إسلامه في وفد غِفار في أوّل هذا السِّفر، وأقام أبو ذرّ عند قومه بعد إسلامه حتى مضت بَدْرٌ وأُحُدٌ والخَنْدَقُ، ثم قدم على رسول الله ﷺ فصحبه إلى أن مات. وقد ذكرنا قِصة أبي ذرّ في غزوة تَبُوكَ، وقول رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا ذرّ يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده» وكان من خبره أنه خرج بعد وفاة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه إلى الشام، فلم يزل به حتى كانت خلافة عثمان بن عفان، فأستقدمه عثمان لشكوى

---

(١) السراة: موضع بين مكة واليمن كما سيأتي للمؤلف.

معاوية، وأسكنه الرَّبَذَة[1]، فمات بها وصلّى عليه عبد الله بن مسعود، وكان قد أقبل من الكوفة فدعي إلى الصلاة عليه، فقال: من هذا؟ فقيل: أبو ذرّ، فبكى طويلاً وقال: أخي وخليلي عاش وحده، ومات وحده، ويبعث وحده، طُوبَى له. وذلك في سنة ست وثلاثين من الهجرة. روى عن أبي ذرّ جماعة من الصحابة، وكان من أوْعِية العلم المُبرِّزين في الزهد والورع والقول بالحق؛ سئل عليّ رضي الله عنه عن أبي ذر فقال: ذاك رجل وَعَى علمًا عجز عنه الناس، ثم أوْكأ[2] عليه ولم يخرج شيئًا منه. وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما أظَلّت الخَضْرَاءُ[3] ولا أقَلّت[4] الغَبْرَاءُ من ذِي لَهْجَة أصدقَ من أبي ذرّ» و«من سرّه أن ينظر إلى تواضع عيسى ابن مريم فلينظر إلى تواضع أبي ذرّ». وفضائله كثيرة رضي الله عنه.

وذكر أبو عمر بن عبد البر في خدَم رسول الله ﷺ «أسْلَع بن شَرِيك» الأعوَجي التميمي خادم رسول الله ﷺ، وصاحب راحلته، وأبو سَلام الهاشمي، خادم رسول الله ﷺ ومولاه.

ذكر موالي رسول الله ﷺ

قال الشيخ أبو محمد الدمياطي رحمه الله تعالى: ومواليه من الرجال أحد وثلاثون، وهم:

زيد بن حارثة بن شَرَاحيل الكلبي

وكان لخديجة فاستوهبه رسول الله ﷺ منها وأعتقه، وقد تقدّمت أخباره ومقتله في مُؤْتَة.

أُسَامة بن زيد بن حارثة

وأمه أمّ أيْمَن، بَرَكة مولاة رسول الله ﷺ، ومات أسامة في خلافة معاوية، في سنة ثمان وخمسين، وقيل: سنة تسع، وقيل: سنة أربع وخمسين، وصححه أبو عمر. وكان عمره يوم مات رسول الله ﷺ تسع عشرة سنة، وقيل: عشرين، وقيل:

---

(١) الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة... (معجم البلدان).

(٢) أوكأ: شدّ عليه بوكأ، وهو الحبل الذي يشد به فم القربة.

(٣) الخضراء: أي السماء. (٤) أقلت: حملت.

ثماني عشرة، وسكن بعد رسول الله ﷺ وادي الْقُرى[1]، ثم رجع إلى المدينة فمات بالجُرْف.

ثَوْبَان بن بُجْدُد

وكنيته أبو عبد الله على الأصح، وهو من أهل السّرَاة، والسراة موضع بين مكة واليمن، وقيل: من حِمْير، وقيل: إنه من حَكَم بن سَعْد العَشِيرة، أصابه سِبَاء فاشتراه رسول الله ﷺ فأعتقه، ولم يزل معه في السفر والحضر إلى أن توفي رسول الله ﷺ، فخرج إلى الشام فنزل الرَّمْلَة، ثم ٱنتقل إلى حِمْص فٱبتنى بها دارًا: وتوفي بها سنة أربع وخمسين، وكان ممن حفظ عن رسول الله ﷺ وأدّى ما وَعَى. روى عنه جماعة من التابعين.

أبو كَبْشَةَ سُلَيْم

شهد بدرًا والمشاهد كلها، قيل: هو من فارس، وقيل: من موَلَّدي أرض دوس، وقيل: من مولَّدي مكة، ٱبتاعه رسول الله ﷺ وأعتقه، وتوفي في سنة ثلاث عشرة، في اليوم الذي ٱستخلف فيه عمر بن الخطاب، وقيل: توفي في سنة ثلاث وعشرين، في اليوم الذي ولد فيه عُرْوَة بن الزبير. والله تعالى أعلم.

أَنَسَة

ويكنى أبا مِسْرَح، ويقال أبو مَسْرُوح ـ وكان من مولَّدي السّرَاة ـ ٱشتراه رسول الله ﷺ وأعتقه. ذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدرًا، وقال ٱبن إسحاق: كان يأْذَن على النبيّ ﷺ إذا جلس فيما حكاه مصعب الزبيري، ومات في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

شُقْرَان

وٱسمه صالح، وكان حبشيًا، قيل: ورثه رسول الله ﷺ من أبيه وأعتقه بعد بَدْر، قيل: ٱشتراه من عبد الرحمٰن بن عوف وأعتقه، وقيل وهبه له فأعتقه وأوصى به رسول الله ﷺ عند موته.

---

(١) وادي القرى: واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى، والنسبة إليه واديّ... فتحها النبيّ ﷺ سنة سبع عنوة ثم صولحوا على الجزية... (معجم البلدان).

رَبَاحُ

وكان أسود نُوبِيًّا[1] اشتراه من وفد عبد القيس وأعتقه، قال أبو عمر: وربما أذِن على النبيّ ﷺ أحيانًا؛ إذا انفرد رسول الله ﷺ كان يأخذ عليه الإذْن.

يَسَارُ

وكان نُوبِيًّا أصابه رسول الله ﷺ في بعض غزواته، وهو الذي قتله العُرَنِيّون كما تقدّم.

أبو رافع

واسمه أسْلَم، وقيل: إبراهيم، وكان عبدًا للعباس، فوهبه للنبيّ ﷺ، فلما أسلم العباس بَشّر أبو رافع رسول الله ﷺ بإسلامه، فأعتقه وزوّجه سَلْمَى مولاته، فولدت له عبيد الله، وكان عبيد الله كاتبًا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في خلافته كلها، قيل: وخازنًا أيضًا. ومات أبو رافع في آخر خلافة عثمان بالمدينة، وقيل: في خلافة عليّ، قيل: وكان أبو رافع قِبْطِيًّا.

أبو مُوَيْهِبَة

وكان من مُوَلَّدي مُزَيْنَة، اشتراه رسول الله ﷺ وأعتقه.

رافع

قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن رحمه الله: كان مولًى لسعيد بن العاص، فورثه ولده، فأعتقه بعضهم وتمسّك بعضهم، فجاء رسول الله ﷺ يستعينه فوهب له، فكان يقول: أنا مولى رسول الله ﷺ. وقد حكى أبو عمر ذلك في أحد القولين عن أبي رافع المقدّم ذكره. والله أعلم.

---

(١) نسبة إلى النوبة، وهي بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر وهم نصارى أهل شدة في العيش، أول بلادهم بعد أسوان يجلبون إلى مصر فيباعون بها... ومدينة النوبة اسمها دمقلة وهي منزل الملك على ساحل النيل... (معجم البلدان).

فُضَالَة

وهو مذكور في موالي رسول الله ﷺ؛ قال ٱبن عبد البر: لا أعرفه بغير ذلك، قيل: إنه مات بالشام.

مِدْعَم

أسْوَد، وهبه لرسول الله ﷺ رِفَاعَة بن زيد الجُذامي، وهو الذي قتل بوادي القُرى، وقال فيه رسول الله ﷺ: «إن الشَّمْلَة التي غَلَّها[١] تُشْعَل عليه نارًا».

كَرْكَرَة

وكان على بغلة النبيّ ﷺ وكان نُوبِيًا أهداه له هَوْذَة بن علي فأعتقه.

زيد

وهو جد بِلال بن يَسَار بن زيد.

عُبَيْد وطَهْمَان

موليا رسول الله ﷺ، واختلف في طَهْمَان، فقيل: طَهْمان، وقيل: طَهْوَان، وقيل: ذَكْوَان، وأما عبيد فروى عنه سليمان التَّيمي.

مَابُور

أهداه إليه المُقَوْقِس، وقيل: كان خصيًا.

واقِد، وأبو وَاقِد، وهِشام

وهو الذي قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إن ٱمرأتي لا تمنع يد لامِس[٢]، قال: «طلقها» قال: إنها تعجبني. قال: «فٱستمتع بها».

---

(١) الغلّ: أخذ شيء من الغنيمة قبل القسمة.
(٢) المراد بقوله: لا ترد يد لامس: أي أنها تعطي من ماله من يطلب منها.

أبو ضُمَيْرة

قيل: اسمه سَعْد الحِمْيَرِيّ، قال البخاري: وقيل في ٱسمه غير ذلك. وكان مما أفاء الله على رسول الله ﷺ، وهو جد حسين بن عبد الله بن ضُمَيْرَة، وقيل: وكان من العرب فأعتقه رسول الله ﷺ، وكتب له كتابًا يوصي به فهو بيد ولده، قال أبو عمر: وقدم حسين بن عبد الله بن ضُمَيْرة على المهدي بكتاب رسول الله ﷺ بالإيصاء بأبي ضُمَيْرة وولده، فوضعه المهدي على عيْنَيْه، ووصله بثلثمائة دينار.

حُنَيْن

قال أبو عمر بن عبد البر: كان عبدًا وخادمًا للنبيّ ﷺ، فوهبه لعمه العباس فأعتقه العباس قال: وقد قيل إنه مولى علي بن أبي طالب، وعدّه الشيخ أبو محمد في موالي رسول الله ﷺ.

أبو عَسِيب

وٱسمه أحْمَر.

أبو عبَيْدة سَفِينَة

فكان عبدًا لأمّ سَلَمَة زوج النبيّ ﷺ فأعتقته، واشترطت عليه أن يخدم رسول الله ﷺ مدّة حياته، فقال: لو لم تشترِطي عليّ ذلك ما فارقته، وكان ٱسمه رَبَاح، وقيل: عُمَيْر، وقيل: رُومَان. وقيل: مِهْرَان. قال الواقدي: وقال أبو عمر: مِهْران مولى رسول الله ﷺ غير سَفِينَةَ.

سمّى رسول الله ﷺ سَفينَةَ بهذا الٱسم؛ لأنه كان معه في سفر؛ فكان كل من أعيا ألقى عليه متاعه سيفًا أو تُرْسًا، فمرّ النبيّ ﷺ به فقال: «أنت سفينة» وكان أسود من مُوَلَّدي الأعْراب.

أبو هِنْد

وهو الذي قال رسول الله ﷺ في حقه زوجوا أبا هند وتزوجوا إليه، قال أبو محمد: ابتاعه رسول الله ﷺ مُنْصَرفه من الحُدَيْبية وأعتقه.

أَنْجَشَة

وكان حادِيًا للجِمال، وهو الذي قال رسول الله ﷺ له «يا أَنْجَشَةُ رِفْقًا بالقَوَارير»[١].

أُنَيْسَة

وكان حبشيًا فصيحًا شهد بدرًا، وأعتقه رسول الله ﷺ بالمدينة.

أبو لُبَابَة

كان لبعض عَمّات رسول الله ﷺ فأعتقه، وهو معدود في موالي رسول الله ﷺ.

رويفع

سباه رسول الله ﷺ من هَوَازن[٢] فأعتقه.

سَعْد

وهو الذي روى عنه أبو عثمان النهدي. ذكره أبو عمر بن عبد البر.

هؤلاء المشهورون من موالي رسول الله ﷺ، قال أبو محمد عبد المؤمن رحمه الله: وقد قيل إنهم أربعون، وزاد يوسف بن الجوزي: أبا كِنْدير، وسَلْمَان الفارسي، وسالمًا، وسابقًا ـ ذكره أبو عمر ـ خادم رسول الله ﷺ، وزيد بن رصولا، وعُبَيْد الله بن أسْلَم، ونُبَيْه: وقيل فيه: النَّبِيهُ، وقيل النُّبَيْه، بضم النون وفتحها، ووَرْدَان.

وذكر أبو عمر بن عبد البر في موالي رسول الله ﷺ جماعة أُخَر، منهم أبو الحَمْراء واسمه هلال بن الحارث، ويقال: هلال بن ظَفَر، وأَفْلَح، وذَكْوَان، وفي اسمه خلاف، وأبو عُبَيْد، له رِواية، وأبو لَقِيط، وأبو السَّمْح أيَادِ، وقيل: خادم رسول الله ﷺ، وضُمَيْرة بن أبي ضُمَيْرة، قال أبو عمر: مرّ رسول الله ﷺ بأمّ ضُمَيْرة وهي تبكي فقال: «ما يبكيك أجائعة أنت أم عارية»؟ فقالت: يا رسول الله، فرق بيني وبين ابني، فقال رسول الله ﷺ: «لا يفرق بين والدة وولدها» ثم أرسل إلى الذي عنده ضُمَيْرة فابتاعه منه.

---

(١) القارورة: إناء من زجاج. جمع قوارير، شبهت بها النساء لأنه يسرع إليها الكسر.

(٢) بنو هوازن: بطن من خزاعة من بني مزيقياء، من الأزد، من القحطانية. منهم: عبد الله بن أبي أوفى، صاحب رسول الله ﷺ.

وكَيْسَان، أو مِهْرَان: وٱسمه هُرْمُز يكنى أبا كَيْسَان، ٱختلف فيه على عطاء ابن السائب، فقيل: كيسان، وقيل: طَهْمَان، وقيل: ذَكْوَان، وأبو بَكْرة نُفَيْع بن مَسْرُوح، وهو ٱبن سُمَيّة جارية الحارث بن كَلَدَة الثَّقفي، معدود في مَوَالي رسول الله ﷺ؛ وذلك أن رسول الله ﷺ أعتقه لما نزل إليه من حِصْن الطّائف، وأسلم فكان يقول: أنا مولى رسول الله ﷺ فإن أبى الناس إلا أن يَنْسبُوني فأنا نُفَيْع بن مَسْرُوح، وكنّاه رسول الله أبا بَكْرة؛ لأنه تدلّى إليه من بَكْرة[1] من الحِصْن.

وأبو سَلْمَى: راعي رسول الله ﷺ، قيل: ٱسمه حارث، فهؤلاء عشرة أُخَر لتكملة خمسين. والله أعلم.

ومن النساء: أمّ عياش، وأُميْمة، وأمّ رافع سلمى، وبَرَكة أمّ أيْمَن، ومارية، ورَيْحانَة، ورُبَيحة، ومَيْمُونة بنت أبي عَسيب، وخَضْرة، ورَضْوَى، وأمّ ضُمَيْرة. وذكر أبو عمر بن عبد البر أُمَيْمة لها رواية، ومَيْمُونة بنت أبي عَنْبسة غير ميمونة المذكورة آنِفًا، والله أعلم.

ذكر حُرّاس رسول الله ﷺ

في غزواته، وهم ثمانية: سعد بن معاذ حرسه يوم بدر حين نام بالعريش[2]، وذَكْوان بن عبد الله بن قَيْس، ومحمد بن مَسْلَمَة الأنصاري حرسه بأُحُد، والزُّبَير بن العوّام حرسه يوم الخندَق، وعبَّاد بن بِشْر، وسَعْد بن أبي وقّاص، وأبو أيُّوب الأنصاريّ حرسه بخيبر ليلة بَنَى بِصفيّة، وبِلال حرسه بوادي القُرَى. ولما أنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] ترك عند ذلك الحرس.

ذكر كُتّاب رسول الله ﷺ

وهم: أبو بكر الصِّدّيق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعامر بن فُهَيْرة، وعبد الله بن الأرْقَم، وأُبَيّ بن كَعْب، وثابت بن قيس بن شَمّاس، وخالد بن سعيد بن العاص، وحَنْظَلة بن الربيع الأسدي، وزيد بن ثابت،

---

(١) البكرة: خشبة مستديرة في جوفها محور تدور عليه.

(٢) العريش: بفتح أوله، وكسر ثانيه ثم شين معجمة بعد الياء المثناة من تحت، وهو ما يستظل به، والعريش للكرم الذي ترسل عليه قضبانه، والعريش شبه الهودج يتخذ للمرأة تقعد فيه على بعيرها: وهي مدينة كانت أول عمل مصر من ناحية الشام... (معجم البلدان لياقوت).

ومعاوية بن أبي سُفيان، وشُرَحبيل بن حَسَنَة، وكان معاوية وزيد يكتبان الوَحْي. قال الشيخ الإمام الفاضل محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي ثم القرطبي رحمه الله تعالى في كتاب الأعلام له: والعَلاء بن الحَضْرمِي، قال: وكان المداويم على الكتابة زيد ومعاوية، قال: ويقال إن معاوية لم يكتب له من الوحي شيئًا، وإنما كان يكتب إلى الأطراف، وكتب له عبد الله بن سرح ثم ارتدّ، فلما كان يوم الفتح أسلم وحسن إسلامه، وذكر القضاعي: وكان الزبير بن العوّام وجَهْم بن سعد يكتبان أموال الصدقة، وكان حُذيفة بن اليَمان يكتب خَرْص[1] النخل، وكان المغيرة بن شعبة والحُصَيْن بن نُمَيْر يكتبان المداينات والمعاملات. وذكر الحافظ أبو الخطاب بن دِحْيَة: أن كتابه عليه السلام ينتهون إلى ستة وعشرين، والله أعلم.

قال: وقد قدّمنا ذكر رسله ﷺ.

ذكر رُفَقاءِ رسول الله ﷺ

النُّجَبَاء وهم أثنا عشر: أبو بكر، وعُمر، وحَمزة، وعليّ، وجعفر، وأبو ذَرٍّ، والمِقْداد، وسَلْمان، وحُذيفة، وابن مَسعود، وعمّار بن ياسر، وبِلال بن رَبَاح.

وكان علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ومحمد بن مَسْلَمَة وعاصِم بن أبي الأقْلَح والمِقْداد، رضوان الله عليهم أجمعين يضربون الأعناق بين يديه ﷺ، وحيث ذكرنا من سيرته ﷺ ما ذكرنا، فلنأخذ الآن في ذكر صفاته الذاتية والمعنوية وأحواله ﷺ.

ذكر صفة رسول الله ﷺ الذاتية

قد وردت الأخبار الصحيحة والمشهورة من حديث عليّ بن أبي طالب وأنس بن مالك وأبي هُرَيرة والبَرَاء بن عازِب وعائشة أمّ المؤمنين وابن أبي هَالة وأبي جُحَيْفَة وجابر بن سَمُرَة وأمّ مَعْبَد وابن عباس، ومُعَرِّض بن مُعَيْقيب وأبي الطُّفَيل، والعدّاء بن خالد وخُرَيْم بن فاتِك وحَكيم بن حِزام، وغيرهم رضوان الله عليهم: أنه كان ﷺ رَبْعَة[2] من القوم: لا بَائنٌ[3] من طُول، ولا تَقْتَحِمه[4] عين من قِصر، غُصْن بين

(١) يقال: خرص النخل: أي حزر ما عليه من الرطب تمرًا.
(٢) ربعة: أي معتدل.
(٣) المراد بالبائن: المفرط في الطول.
(٤) لا تقتحمه: أي لا تتجاوزه ازدراء له.

غُصْنَين، بعيد ما بين المنكِبين، أبيض اللون، مُشرب حُمْرة، وفي رواية أزهر اللون، ليس بالأبيض الأمْهَق[١]، ولا بالأدَم[٢]، له شعر رَجِل[٣]، يبلغ شَحْمَة أذنَيْه إذا طال، وإذا قصر إلى أنصافهما، لم يبلغ شَيْبُه في رأسه ولحيته عشرين شعرة، كأن عنقه جِيد دُمْيَة[٤]، في صَفاء الفِضّة، وظاهر الوَضَاءة[٥] مُبْلَج[٦] الوجه، يتلألأ وجهُه تلألؤ القمر ليلة البدر، حسن الخَلق معتدلُه، لم تَعِبه ثُجْلة[٧] ولم تُزْر به صَعْلَة[٨]، وَسِيمًا قَسِيمًا[٩]، في عينَيْه دَعَج[١٠]، وفي بياضهما عُروق رِقاق حُمْر، وفي أشفاره غَطَف[١١]، وفي صوته صَهَل[١٢]، وروي صَحَل[١٣]، وفي عنقه سَطَع[١٤]، وفي لحيته كثاثة[١٥]، إذا صَمَت فعليه الوَقَار، وإن تكلم سَما وعلاه البَهاء، أجمل الناس وأبْهَاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حُلْو المَنْطق فَصْل[١٦]: لا نَزْر[١٧] ولا هَذْر كأنّ منطقه خَرَزات نَظْم يَنْحَدِرْن، واسِع الجَبِين، أزجّ[١٨] الحواجب في غير قَرْن، بينهما عِرْق يُدِرّه الغضب، أقْنى[١٩] العِرْنين[٢٠]، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشَم[٢١]، سهل[٢٢] الخدّين، ضليع[٢٣] الفم، أشْنَب[٢٤]، مُفَلّج[٢٥] الأسنان، دقيق المَسْرُبَة[٢٦]، من لَبّتِه[٢٧] إلى سُرّته شعر يجري كالقَضِيب، ليس في بطنه ولا

---

(١) الأمهق: الكريه البياض كلون الجص.
(٢) الأدم: الذي اشتدت سمرته.
(٣) الرّجل: بين شدة الجعودة وشدة السبوطة.
(٤) الدمية: الصورة المنحوتة من رخام أو عاج.
(٥) الوضاءة: الحسن.
(٦) المبلج: المشرق المضيء.
(٧) الثجلة: عظم البطن.
(٨) الصعلة: صغر الرأس.
(٩) القسيم: جميل الوجه كله.
(١٠) الدعج: شدة سواد العين في شدة بياضها.
(١١) الغطف: أي أن يطول شعر الأجفان.
(١٢) صهل: حدة وصلابة.
(١٣) الصحل: بحة في الصوت وعدم حدته.
(١٤) السطع: طول العنق.
(١٥) الكثاثة: كثافة الشعر في غير دقة ولا طول.
(١٦) المنطق الفصل: البين الظاهر الذي يفصل بين الحق والباطل.
(١٧) النزر: القليل. والهذر: الهذيان.
(١٨) الزجج: تقوس في الحاجب مع طول في طرفه وامتداد.
(١٩) القنى في الأنف: طوله ورقة أرنبته مع حدب في وسطه.
(٢٠) العرنين: الأنف.
(٢١) الشمم: ارتفاع قصبة الأنف واستواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلاً.
(٢٢) سهل الخدين: سائل الخدين غير مرتفع الوجنتين.
(٢٣) ضليع الفم: أي عظيمه.
(٢٤) الشنب: البياض والبريق في الأسنان.
(٢٥) الفلج: فرجة بين الثنايا والرباعيات.
(٢٦) المسربة: ما دق من شعر الصدر سائلاً إلى الجوف.
(٢٧) اللبة: الهزمة التي فوق الصدر وتحت العنق.

صدره شعر غيره، أشْعَر الذراعين والمنكبين، بَادِن[١] متماسك[٢]، سَوَاء الصدر والبطن، سَبِيح[٣] الصدر، ضَخْم الكَرَاديس[٤]، أنْوَر المتَجَرَّد[٥] عريض الصدر، طويل الزَّندين، رَحْب الراحة، شَثْن[٦] الكَفَّين والقدمين، سائل الأطراف، سَبْط القَصَب،[٧] خُمْصان[٨] الأخْمَصَيْن[٩]؛ مَسِيح القدمين، يَنْبو عنهما الماء، إذا زال زال قَلِعا، وفي رواية: إذا مشى يَقْلَع - كناية عن قوّة الخَطْوِ كالذي يمشي في طين - ويخطو تكفِّيًا[١٠] ويمشي هَوْنًا، ذَرِيع[١١] المِشْيَة، إذا مشى كأنما ينحطّ من صَبَب[١٢]، وإذا التفت التفت جميعًا، بين كتفيه خاتم النبوّة كأنه زرّ حَجَلَة[١٣] أو بيضة حمامة، لونه كلون جسده عليه خِيلاَن[١٤]، كأن عرقه اللُّؤلؤ، ولَرِيح عرقه أطيب من ريح المِسْك الأذْفَر[١٥]، يقول ناعته: لم أرَ قبله ولا بعده مثله ﷺ، قال البَرَاء: ما رأيت من ذي لِمَّة[١٦] في حُلَّة حمراء أحسن من رسول الله ﷺ، وقال أبو هريرة: ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله ﷺ كأنَّ الشمس تجري في وجهه، وإذا ضحك يتلألأ في الجُدُر[١٧]، وقال جابر بن سَمُرَة، وقد قال له رجل كأنّ وجهه ﷺ مثلُ السيف، فقال: لا، بل مثلُ الشمس والقمر. وكان مستديرًا، وكان عمر بن الخطاب ينشد قول زُهَيْر بن أبي سُلْمى في هَرِم بن سِنان: [من الكامل الأحذّ]

لـو كـنـتَ مِـن شـيءٍ سِـوَى بَـشَـرٍ   كـنـتَ الـمُـضِـيءَ لِـلَـيْـلـة الْـبَـدْرِ

ثم يقول عمر وجلساؤه: كذلك كان رسول الله ﷺ، ولم يكن كذلك غيره.
وفيه عليه السلام يقول عمه العباس رضي الله عنه وأرضاه: [من الطويل]

وَأبْيَض يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوَجْهِه   رَبيعُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأرَامِلِ[١٨]

---

(١) البادن: الضخم.
(٢) المتماسك: الذي يمسك بعض أعضائه بعضًا.
(٣) سبيح الصدر: عريضه.
(٤) الكراديس: رؤوس العظام.
(٥) المتجرد: ما كشف من جسده.
(٦) شثن الكفين والقدمين: أي أنهما يميلان إلى الغلظ والقصر.
(٧) القصب: الساعدان والساقان.
(٨) خمصان: أي مرتفع الأخمصين.
(٩) الأخمصان: أسفل القدمين.
(١٠) تكفيا: تمايلا إلى قدام.
(١١) ذريع المشي: سريعه.
(١٢) ينحط من صبب: من موضع منحدر.
(١٣) الحجلة: بيت كالقبة يستر بالكلل وتكون له أزرار.
(١٤) خيلان: جمع خال، وهو الشامة في الجسد.
(١٥) الأذفر: طيب الريح.
(١٦) اللمة من شعر الرأس دون الجمة.
(١٧) الجذر: أصول الأسنان.
(١٨) العصمة: المانع من الضياع والحاجة.

تُطِيفُ بِه الهلاَّكُ مِن آل هاشم فهم عنده في نِعْمَة وفَضائل[١]
وميزانُ حقٍّ لا يَخِيسُ شَعيرَةً ووَزّان عَدْلٍ وزْنُه غيرُ عائِل[٢]

ذكر صفة خاتم النبوّة
الذي كان بين كتفي النبيّ ﷺ

رُوي عن جابر بن سَمُرَة. وقد وصف النبيّ ﷺ، فقال: ورأيت خاتمه عند كتفيه مثل بيضة الحمامة يُشْبِهُ جِسمه، وعن أبي رِمْثَة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا رِمْثة ٱدْنُ منّي ٱمسخ ظهري» فدنوت منه فمسحت ظهره، ثم وضعت أصابعي على الخاتم فغمزتها[٣]، فقيل له: وما الخاتم؟ فقال: شعر مجتمع عند كتفيه. وعنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فالتفت فإذا خَلْف كتفيه مثل النُفّاخة[٤]، قلت: يا رسول الله، إني أُداوِي فدَعْني حتى أَبُطَّها[٥] أداويها، قال: «طَبّبَها الذي خلقها». وعنه من طريق آخر قلت: يا رسول الله إني طبيب من أهل بيت أطِبّاء، وكان أبي طبيبًا في الجاهلية، معروفًا ذلك لنا فأْذَن لي في التي بين كتفيك، فإن كانت سِلْعَة[٦] بَطَطتُها فشفا الله نبيه؛ فقال: «لا طبيب لها إلا الله» وهي مثلُ بيضة الحمامة.

ذكر صفة شعر رسول الله ﷺ وطوله

روي عن أبي إسحاق قال: سمعت البَرَاء يصف شعر رسول الله ﷺ فقال: كان شعره إلى شحمة أذنيه. وعنه قال: سمعت البَرَاء يقول: مَا رأيت أحدًا من خلق الله أحسنَ في حُلّة حَمْراء من رسول الله ﷺ، إن جُمّته[٧] لتضربُ قريبًا من مَنْكِبيْه، وفي لفظ، من عاتقيْه. وعن قَتادة قال: قلت لأنس بن مالك كيف كان شعر رسول الله ﷺ؟ قال: كان شعرًا رَجِلًا ليس بالسَّبْط ولا بالجَعْد بين أُذُنَيْه وعاتقه. وعن أنس: كان لا يجاوز شعره أذنيه، وعنه: كان إلى أنصاف أذنيه. وعن عليّ رضي الله عنه قال: كان شعر رسول الله ﷺ فوق الوَفْرَة[٨] ودون الجُمّة. وعن أمّ هانِىء قالت: رأيت في

---

(١) الهلاك: واحدها: الهالك، وهو الذي ينتاب الناس ابتغاء معروفهم.
(٢) العائل: الجائر.
(٣) الغمز: العصر والكبس باليد.
(٤) النفاخة: هنة تكون في بطن السمكة.
(٥) البط: شق الدمل والخراج.
(٦) السلعة: غدة تظهر بين الجلد واللحم إذا غمزت باليد تحركت.
(٧) الجمة: مجتمع شعر الناصية.
(٨) الوفرة: شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن.

رأس رسول الله ﷺ ضَفَائر أربعًا. وعنها قالت: رأيت رسول الله ﷺ قدم مكة وله أربع غَدَائر. وعن جابر بن سَمُرة قال: كان رسول الله ﷺ كثير شعر اللحية. وعن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله ﷺ يسجد على قِصَاص[١] شعره.

ذكر عدد شَيْبِ رسول الله ﷺ ومن قال إنه خَضَب

روي عن حُمَيْد الطويل قال: سُئل أنس بن مالك هل خَضَب رسول الله ﷺ؟ قال: ما شانه[٢] الله بالشّيْب، وما كان فيه من الشَّيْب ما يُخْضَب، إنما كانت شَعَرات في مقدّم لحيته، ولم يبلغ الشَّيْب الذي كان به عشرين شعرة. وفي رواية عن أنس أيضًا: ما كان في رأسه ولحيته إلا سبع عشرة أو ثمان عشرة. وعن جابر بن سَمُرة، وقد سُئل عن شيب رسول الله ﷺ فقال: كان إذا دَهَن رأسه لم يتبيّن، وإذا لم يدهنه تَبَيّن. وعن محمد بن واسع؛ قيل: يا رسول الله، لقد أسرع إليك الشَّيْب، فقال: «شيبتني ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود: ١] وأخواتها». وعن أبي سلَمَة؛ قيل: يا رسول الله، نرى في رأسك شيبًا، قال: «ما لي لا أشيب وأنا أقرأ هُودًا و﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [التكوير: ١] وفي رواية «وما فُعل بالأمم قبلي». وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر: أراك قد شبت يا رسول الله، قال: «شيبتني هُودٌ والوَاقِعَة والمُرْسَلاَتُ وعَمّ يَتَسَاءَلُونَ وإذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» ومن رواية «وأخواتها ٱقْتَرَبَت السّاعَةُ، والمرْسَلاَتُ وإذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» وفي رواية أخرى عن أنس قال: قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: بأبي وأمي يا رسول الله، وما أخواتها؟ قال: «الواقعةُ والقارعةُ وسأل سائلٌ وإذا الشّمسُ كُوِّرتْ» هذا ما رأيناه مما ورد في شيبه وسببه.

وأما من قال إنه خضب ﷺ

فقد روي عن عبد الله بن مَوْهَبَة قال: دخلنا على أمّ سَلَمة رضي الله عنها، فأخرجت إلينا صُرَّة فيها شعر من شعر رسول الله ﷺ مخْضُوبًا بالحِنّاء والكَتَم[٣]. وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن قال: رأيت شعرًا من شعره ـ يعني النبيّ ﷺ ـ فإذا هو أحمر، فسألت عنه فقيل لي: أحْمَر من الطِّيب. وعن أبي جعفر قال: شمِطَ[٤] عارضا رسول الله ﷺ فخضبه بحِنّاء وكَتَم.

---

(١) قصاص الشعر: منتهى شعر الرأس حيث يؤخذ بالمقص.

(٢) شانه: عابه، أو شوّهه.

(٣) الكتم: دهن من أدهان العرب أحمر يجعل فيه الزعفران.

(٤) شمط: شاب.

وعن أبي رِمْثَة أنه وصف رسول الله ﷺ فقال: ذو وَفْرَة وبها رَدْعٌ[١] من حِنّاء، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يُصَفِّر لحيته بالخَلوق[٢]، ويحدّث أن رسول الله ﷺ كان يُصَفِّر، وعن عبد الرحمٰن الثُّمَالي قال: كان رسول الله ﷺ يُغيِّر لحيته بماء السِّدْر، ويأمر بتغيير الشَّعر مخالفة للأعاجم.

هذا ما أمكن إيراده من صفاته الذاتية، وسنذكر إن شاء الله بعد ذكر صفاته المعنوية، حديث هِند بن أبي هَالَة؛ لجمعه بين صفاته الذاتية والمعنوية.

ذكر صفات رسول الله ﷺ المعنوية

وما ورد في أكله وشربه، ونومه وضحكه وعبادته ونكاحه، وخُلُقه وحِلمه واَحتماله، وعفوه وصبره على ما يكره، وجُوده وكرمه، وسخائه وسماحته، وشجاعته ونجدته، وحيائه وإغضائه، وحسن عشرته وأدبه، وبسط خُلقه، وشفقته ورأفته ورحمته، ووفائه وحسن عهده، وصلته للرحم، وتواضعه وعدله وأمانته وعِفّته، وصدق لَهْجته، ووَقاره وصَمته وتؤدته[٣]، ومروءته، وحسن هَدْيه وزهده وخوفه ربه تعالى، وطاعته له وشدة عبادته ﷺ تسليمًا كثيرًا.

فأما ما ورد في أكله وشربه ونومه وضحكه وعبادته

فكان رسول الله ﷺ قد أخذ من الأكل والشرب بالأقل، واَعتمد من ذلك على ما يُمْسك الرَّمَق ويَسُدّ الخَلّة[٤]، وقد جاءت الأخبار الصحيحة بذلك، ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما؛ لأن كثرة الأكل والشرب دليل على النَّهَم والحِرْص والشَّرَه، وقلة ذلك دليل على القناعة وملك النفس وقَمْع الشهوة. وقد روينا بإسناد متصل عن المِقدام بن مَعْدِي كَرِب أن رسول الله ﷺ قال: «ما ملأ اَبن آدم وِعاءً شرًا من بطنه بحسب اَبن آدم أكلات يُقِمْن صُلْبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنَفَسه». ولأن كثرة النوم من كثرة الأكل والشرب. وقد

---

(١) ردعٌ: لطخٌ لم يعمّه كلّه.

(٢) الخلوق: طيبٌ معروف مركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب وتغلب عليه الحمرة والصفرة، وقد ورد تارة بإباحته، وأخرى بالنهي عنه، والنهي أكثر وأثبت، لأنه من طيب النساء، وهن أكثر استعمالاً له.

(٣) التؤدة: التأني والتمهُّل والرزانة.

(٤) الخلة: الحاجة والفقر.

روي عنه عليه السلام أنه كان أحب الطعام إليه ما كان على ضَفَف[١]؛ أي كثرة الأيدي. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يمتلىء جوف النبيّ ﷺ شبعًا قط، وإنه كان في أهله ولا يسألهم طعامًا ولا يتشهاه، إن أطعموه أكَل، وما أطعموه قَبِل، وما سَقَوه شرب. قال أهل العلم: ولا يُعترض على هذا بحديث بَرِيرَة، وقوله ﷺ: «ألَمْ أرَ الْبُرْمة فيها لحم»؟ إذ لعل سبب سؤاله ظنُّه ٱعتقادهم أنه لا يحل له، فأراد بيان سننه، إذ رآهم لم يقدِّموا إليه مع علمه أنهم لا يستأثرون به عليه، فصدق عليهم ظنه، وبيّن لهم ما جهلوه من أمره، بقوله: «هو لها صدقة ولنا هدية». وكان جلوسه ﷺ للأكل جلوس المسْتَوْفِز، مُقْعِيًا[٢]، ويقول: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد». وفي حديث صحيح قوله ﷺ: «أما أنا فلا آكل متكئًا» وليس معنى الاتّكاء عند المحققين الميل على شِقّ، وإنما الاتّكاء هو التمكن للأكل، والتقَعْدُد في الجلوس له، كالمتربِّع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته، والجالس على هذه الْهَيْئَة يستدعي الأكل ويستكثر منه، وكان ﷺ بخلاف ذلك. وكان ﷺ إذا رُفِع الطّعام من بَيْن يديْه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين». وفي رواية يقول: «الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه غير مُوَدَّع[٣] ولا مستغنىً عنه ربَّنا». وكان لا يأكل على خِوَان، ولا يمتنع من مباح، ولا يتأنّق في مأكل، يأكل ما وجد، إن وجد تمرًا أكله، أو خبزًا أكله أو شِواء أكله، وإن وجد لبنًا ٱكتفى به، ولم يأكل خبزًا مرققًا[٤]، وأكل ﷺ الخبز بالخل وقال: «نعم الإدام الخل» وأكل لحم الدجاج ولحم الحُبَارَى[٥]. وكان يحب الدُّبّاء[٦] ويأكله، ويعجبه الذِّراع من الشاة، وقال: «إن أطيب اللحم لحم الظَّهر» وقال: «كلوا الزيت وٱدَّهنوا به فإنه من شجرة مباركة» وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهنّ، وأكل ﷺ خبز الشعير بالتمر، وقال: «هذا أُدْم هذا» وأكل البطيخ بالرُّطَب والقُثّاء بالرُّطَب والتَّمر بالزُّبد، وكان يحب الحلواء والعسل، وكان يشرب قاعدًا، وربما شرب قائمًا، ويتنفس ثلاثًا وإذا فَضَلت منه فَضْلة وأراد أن يسقيها بدأ بمن عن يمينه، وشرب ﷺ لبنًا،

---

(١) الضفف: الأكل دون الشبع.

(٢) مقعيًا: أي أنه كان يجلس على وركيه مستوفزًا غير متمكن.

(٣) غير مودع: أي غير متروك الطاعة.

(٤) الخبز المرقق: الأرغفة الواسعة الرقيقة.

(٥) الحبارى: طائر طويل العنق رماديّ اللون على شكل الأوزة، في منقاره طول، الذكر والأنثى والجمع فيه سواء.

(٦) الدباء: القرع.

وقال: «من أطعمه الله طعامًا فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرًا منه، ومن سقاه الله لبنًا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه» وقال: «ليس شيء يجزي مكان الطعام والشراب غير اللبن».

وأما نومه ﷺ

فكان قليلًا، جاءت بذلك الآثار الصحيحة، وقال ﷺ: «إن عينيّ تنامان ولا ينام قلبي» وكان نومه على جانبه الأيمن ٱستظهارًا على قِلة النوم لأن النوم على الجانب الأيسر أهنأ؛ لهدوّ القلب وما يتعلق به من الأعضاء الباطنة؛ لميلها إلى الجانب الأيسر، فيستدعي ذلك الٱستثقال فيه والطول، وإذا نام النائم على الجانب الأيمن تعلق القلب وقلق، فأسرع الإفاقة ولم يغمره الٱستغراق. وكان ﷺ ينام أول الليل ثم يقوم من السَّحَر، ثم يوتر ثم يأتي فراشه، فإذا سمع الأذان وثب، وكان إذا نام نفخ، ولا يَغطُّ غَطِيطًا، وإذا رأى في منامه ما يروعه قال: «هو الله لا شريك له» وإذا أخذ مضجعه وضع كفّه اليمنى تحت خدِّه، وقال: «رَبِّ قِني عذابك يوم تَبعث عبادَك» وكان يقول: «اللهم بٱسمك أموت وأحيا» وإذا ٱستيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النُّشور».

وأما ضحكه ﷺ

فكان جُلّه التَّبَسُّم، وربما ضحِك من شيء معجِب حتى تبدو نواجِذه من غير قهقهة ﷺ، وأما عبارته ﷺ فكان أفصح الناس، يخاطب كل أمة بلسانها، ويحاورها بلغتها، يباريها في منزع بلاغتها، وقد تقدم من كلامه في كتبه إلى ملوك اليمن وغيرها ما يدل على ذلك، وإن كان ذلك لا يحتاج فيه إلى إقامة دليل بعد أن أنزل القرآن بلغته. وكان ﷺ إذا تكلم بَيّن كلامه حتى يحفظه من جلس إليه، ويعيد الكلمة ثلاثًا لتُعقَل عنه، ويخزن لسانه لا يتكلم في غير حاجة، ويتكلم بجوامع الكلم، فَصْلٌ لا فُضول ولا تقصير، وكان يتمثّل بشيء من الشِّعر ويتمثّل بقوله[1]:

* ويأتيك بالأخبار مَن لم تُزَوِّدِ *

وبغير ذلك، ﷺ.

---

(١) البيت من معلقة طرفة بن العبد، وأوله:
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلًا

وأما النكاح وما يتعلق به

فهو مما يكثر التمدّح بكثرته وذلك لأنه دليل الكمال وصحة الذكورية، ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة، والتمادح به سيرة ماضية وسنة مأثورة، قال ٱبن عباس رضي الله عنهما: أفضل هذه الأمة أكثرها نساءً. مشيرًا إلى رسول الله ﷺ، وقال ﷺ: «تناكحوا فإني مباهٍ بكم الأمم» وكان رسول الله ﷺ ممن أقدره الله تعالى على ذلك وحبّبه له، فكان ﷺ يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار، وهنّ إحدى عشرة، رواه أنس، قال: وكنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين، خرّجه النسَائي. وعن طاوس: أعطي رسول الله ﷺ قوة أربعين رجلًا في الجماع، ومثله عن صفوان بن سُلَيم. وقالت سلمى مولاته: طاف النبيّ ﷺ ليلة على نسائه التسع، ويطّهر من كل واحدة قبل أن يأتي الأخرى. وقال: «هذا أطهر وأطيب».

وأما خلقه ﷺ

فقد قال الله عزّ وجل فيه مخاطبًا له ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤] قالت عائشة رضي الله عنها: كان خُلُقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه، وقال ﷺ: «بعثتُ لأتَمِّم مكارمَ الأخلاق» قال عليّ وأنس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ أحسنَ الناس خُلُقًا. وكان ﷺ ـ فيما ذكره المحققون ـ مجبولاً على ذلك في أصلِ خلقته وأوّل فِطْرته، لم يحصل ذلك له بٱكتساب ولا رياضة، إلا بجود إلهي وخصوصيّة ربانيّة، ومن طالع سيرته مُنْذُ صِباه وإلى آخر عمره، حَقّق ذلك وكذلك سائر الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه.

وأما حِلمه وٱحتماله وعفوه

مع القدرة والصبر على ما يكره، فقد جعلوا بين هذه الألقاب فَرْقًا، فقالوا: الحِلْمُ حالة تَوْقير وثبات عند الأسباب المُحَرِّكات، والاحتمالُ حبسُ النفس عند الآلام والمؤذيات، ومثله الصبر، ومعانيها متقاربة، وأما العفو فهو ترك المؤاخذة، وهذا كله مما أدَّب الله تعالى به نبيه ﷺ فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩] رُوِي أن رسول الله ﷺ لما نزلت عليه هذه الآية سأل جبريل عن تأويلها فقال له: حتى أسأل العالم، ثم ذهب فأتاه فقال: «يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي مَن حرمك وتعفو عمن ظلمك». وقال تعالى مخاطبًا له ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧] وقال: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ

﴿أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. وقد روي في حلمه وأحتماله وعفوه وصبره أحاديث كثيرة وقصص مشهورة، قد تقدم منها في أخباره، في أثناء هذه السيرة جملة كافية، ونحن نشير الآن في هذا الموضع إليها، وننبّه في هذه الترجمة عليها، منها قصة أُحُدٍ حين ناله من أذى كفار قريش ما ناله مما قدمنا ذكره، فشقّ ذلك على أصحابه، وقالوا: يا رسول الله، لو دعوت عليهم، فقال: «إني لم أبعث لَعَّانًا ولكنّي بعثتُ داعيًا ورحمةً اللهم أهْدِ قومي فإنهم لا يعلمون» روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قال في بعض كلامه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد دعا نوح على قومه فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا، فلقد وُطِىءَ ظهرك وأُدْمِي وجهك وكُسِرت رَباعيتك، فأبيتَ أن تقول إلا خيرًا، فقلتَ: «اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». ومنها قصتا غَوْرَث بن الحارث، ودُعْثُور بن الحارث حين أرادا أن يَفْتِكا به، وأظفره الله بهما، وأمكنه منهما فعفا عنهما، كما تقدم ذكر ذلك في غزوتي غَطَفَان وذات الرقاع، ومنها عفوه عن الذين هبطوا عليه في عُمْرة الحُدَيْبِية، وأرادوا قتله فأخذوا فأعتقهم ﷺ، ومنها صفحه عن قريش حين أمكنه الله منهم يوم الفتح، وهم لا يشكون في أستئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم؛ لما تقدم من أذاهم له، فما زاد على أن عفا وصفح، وقال: «ما تقولون إني فاعل بكم» قالوا: خيرًا؛ أخٌ كريمٌ وأبن أخ كريم، فقال: «أقول كما قال أخي يوسف ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]. ومما لم نذكره فيما أتينا عليه من سيرته ﷺ، ما ورد في الحديث الصحيح من قول الرجل له: أعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله. فلم يزده ﷺ في جوابه إلا أن بيَّن له ما جهله، ووعظ نفسه وذكَّرها بما قال له، فقال: «ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خِبتُ وخسرتُ إن لم أعدل» ونهى من أراد قتله من أصحابه. ومنه ما روي عن أنس رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ وعليه بُرْد غليظ الحاشية، فجبَذَه أعرابيّ بردائه جَبْذة شديدة حتى أثَّرت حاشيةُ البُرْد في صفحة عاتقه. ثم قال: يا محمد، أحمل لي على بعيريّ هذين من مال الله الذي عندك، فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك، فسكت النبيّ ﷺ ثم قال: «المال مال الله وأنا عبده» ثم قال: «ويقاد[1] منك يا أعرابي ما فعلت بي»؟ قال: لا، قال «لِمَ»؟ قال: لأنك لا تكافىء بالسَّيئة السَّيئة، فضحك النبي ﷺ، ثم أمر أن يحمل له على بعير شعيرٌ وعلى الآخر تَمرٌ.

---

(١) يقاد منك: يقتص؛ والقود: القصاص.

ومنه خبر زيد بن سَعْنة حين أتى رسول الله ﷺ قبل إسلامه، وكان من أحبار يهود، فجاءه يتقاضاه دَيْنًا عليه، فجبذ(١) ثوبه عن مَنْكِبه، وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له، ثم قال: إنكم يا بني عبد المطلب مُطُلٌ فانتهره عمر بن الخطاب رضي الله عنه وشَدّد له في القول، والنبي ﷺ يتبَسّم، فقال رسول الله ﷺ: «أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر، تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي» ثم قال: «لقد بقي من أجله ثلاث» وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعًا لِما رَوَّعَه، فكان سبب إسلامه؛ وذلك أنه كان يقول: ما بقي من علامات النبوّة شيء إلا وقد عرفتها في محمد إلا ٱثنتين؟ لَمْ أخبرهما؛ يسبق حِلْمُه جهلَه(٢)، ولا يزيده شدةُ الجهل إلا حِلْمًا؛ فٱختبرته بهذا فوجدته كما وُصِف. والحديث عن حلمه وصبره وعفوه كثير؛ روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مُنْتصرًا من مَظْلمة ظُلِمهَا قَطُّ ما لم تكن حُرمةٌ من محارم الله، وما ضرب بيده شيئًا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما ضرب خادمًا ولا ٱمرأة. وجيء إليه برجل فقيل: هذا أراد أن يقتلك، فقال له رسول الله ﷺ: «لن تُرَاع(٣) لن تُراعَ ولو أردت ذلك لم تُسَلَّط عليّ» ﷺ.

وأما جوده وكرمه وسخاؤه وسماحته ﷺ

ومعانيها متقاربة، وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم: الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه - وسموه أيضًا حُرِّية - وهو ضدّ النَّذَالة. والسَّماحة: التّجَافي عما يستحقه المرء عند غيره بطِيب نفس، وهو ضد النَّكَاسة. والسّخاء: سهولة الإنفاق وتجنُّب ٱكتساب ما لا يُحْمَد، وهو الجُودُ، وهو ضد التَّقْتير؛ فكان رسول الله ﷺ من ذلك بالمحل الأرفع، بهذا جاءت الأحاديث الصحيحة، منها ما رويناه في صحيح البخاريّ عن ٱبن المنْكَدِر قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: ما سئل النبيّ ﷺ شيئًا فقال لا. وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كان النبيّ ﷺ أجْوَد الناس بالخيْر؛ وأجْوَد ما كان في شهر رمضان، وكان إذا لقيه جبريل عليهما السلام أجْوَدَ بالخير من الرِّيح المُرْسَلة. وعن أنس أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ فأعطاه غَنَمًا بين جَبَلَيْن، فرجع إلى بلده وقال: أسلموا فإن محمدًا يُعطِي عطاءَ من لا يخشى فاقة. وقد ذكرنا ما أعطاه ﷺ من غنائم هَوازِن. وأخباره ﷺ في ذلك كثيرة، وعطاياه فاشِيَة، لو استقصيناها لطال بها التأليف، وكان لا يَبيت في بَيْته دينارٌ ولا

---

(١) جبذ الشيء: جذبه.

(٢) المراد بالجهل: الغضب.

(٣) لن تراع: أي لا خوف ولا فزع.

درهم. فإن فَضَل ولم يجد مَن يعطيه وفَجِئه الليلُ لم يأوِ إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذ مما آتاه الله إلا قُوت أهله عامًا فقط، من أيسر ما يجد من التمر والشّعير، ويضع سائر ذلك في سبيل الله، ثم يُؤْثِر[١] من قُوت أهله حتى يحتاج قبل انقضاء العام؛ صلّى الله عليه وسلّم تسليمًا كثيرًا دائمًا إلى يوم الدين.

وأما شجاعته ونَجْدته ﷺ

فقد قالوا: الشّجاعة فضيلة قوة الغضب، وانقيادها للعقل، والنّجْدة: ثِقَة النفس عند استرسالها إلى الموت حيث يُحمد فعلها دون خَوْف؛ فكان النبيّ ﷺ منهما بالمكان الذي لا يُجهَل، قد شهد المواقف الصَّعْبة، وفرّ الكُماة[٢] والأبطال عنه، وهو ثابت لا يَبْرح، ومُقْبِل لا يُدْبِر، وقد قدّمنا من أخباره وثباته وحملاته في يومي أُحد وحُنين ما تقف عليه هناك. وقد روينا بإسناد مُتّصل عن البَراء، وقد سأله رجل: أفررتم يوم حُنَيْن عن رسول الله ﷺ؟ قال: لكن رسول الله ﷺ لم يَفِرَّ، ثم قال: لقد رأيته على بَغْلته البَيْضاء وأبو سُفْيَان آخذ بلِجَامِها، والنبيّ ﷺ يقول: «أنا النبيُّ لا كَذِب» وزاد غيره «أنا ابن عبد المطلب» قيل: فما رئي يومئذ أحدٌ كان أشد منه. وقال غيره: نزل النبيّ ﷺ عن بغلته. وذكر مسلم عن العباس قال: فلما التقى المسلمون والكفار وَلّى المسلمون مُدْبرين فطَفِقَ رسول الله ﷺ يَرْكُض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكُفُّها إرادَةَ ألاّ تُسْرع وأبو سُفْيَان آخذ بركابه، ثم نادى يا للمسلمين. الحديث. وقال ابن عمر: ما رأيت أشْجَع ولا أنْجَد ولا أجْوَد ولا أرْضَى من رسول الله ﷺ. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنا كنا إذا حَمِيَ البَأس - ويروى اشتدّ البَأسُ - واحمرت الحَدَق، اتّقَيْنا برسول الله ﷺ فما يكون أحدٌ أقربَ إلى العدوّ منه، ولقد رأيتُني يوم بَدْر، ونحن نَلُوذُ بالنبي ﷺ، وهو أقْرَبُنا إلى العدوّ، وكان من أشد الناس يومئذ بأسًا. وقيل: كان الشجاع الذي يقرب منه ﷺ إذا دَنَا العدوُّ لقربه منه. وعن أنس قال: كان النبيّ ﷺ أحسنَ الناس وأجودَ الناس وأشجعَ الناس؛ لقد فَزِع أهل المدينة ليلةً فانطلق ناسٌ قِبَلَ الصّوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا قد سبقهم إلى الصوت واستبْرَاء[٣] الخبر، على فرس لأبي طَلْحَة عُرْي، والسّيف في عُنقه، وهو يقول: «لن تُرَاعُوا». وقال عِمْران بن حُصَيْن: ما لَقِيَ رسول الله ﷺ كَتِيبَة إلاّ كان أول من يضرب.

---

(١) يؤثر: يعطي.

(٢) الكماة: واحدها الكميّ، وهو الفارس الشجاع المقدام الجريء.

(٣) استبراء الخبر: كشفه والوقوف عليه.

وأما حياؤه وإغضاؤه ﷺ

والحَيَاء: رِقَّة تَعْتَري وجه الإنسان عند فعل ما يُتَوَقَّع كراهتُه أو ما يكون تركه خيرًا من فعله. والإغْضَاء: التغافل عما يكره الإنسان بطبيعته، وكان النبيّ ﷺ أشدّ الناس حَيَاءً، وأكثرهم عن العَوْرات إغْضَاءً، وقد أخبر الله تعالى بحيائه فقال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وعن أبي سعيد الخُدْريّ: كان رسول الله ﷺ أشدَّ حَياء من العَذْرَاء في خِدْرِها، وكان إذا كره شيئًا عرفناه في وجهه. وكان ﷺ لا يُشَافِهُ أحدًا بما يكره حياءً وكرم نفس. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا بَلَغه عن أحدٍ ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا، ولكن يقول: «ما بالُ أقوام يصنعون ـ أو يقولون ـ كذا» ينهى عنه ولا يسمِّي فاعلَه. وروى أنس رضي الله عنه أنه دخل عليه رجل به أثَرُ صُفْرَة، فلم يقل له شيئًا ـ وكان لا يُوَاجِه أحدًا بما يكره ـ فلما خرج قال: «لو قلتم له يغسل هذا» ويروى «ينزعها». وروي عنه ﷺ أنه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد، وأنه كان يكني عما ٱضطره الكلام إليه مما يكره، ﷺ.

وأما حُسْن عِشْرَته وأدَبه وبَسْط خُلُقِه ﷺ

فكان رسول الله ﷺ أكرم الناس عِشْرَة، وأكثرهم أدبًا، وأبسطهم خُلُقًا مع أصناف الخلق، ٱنتشرت بذلك الأخبار الصحيحة، منها ما رويناه بسند متصل عن قيس بن سعد قال: زارنا رسول الله ﷺ وذكر قصة في آخرها، فلما أراد الانصراف قرب له سَعْدٌ حمارًا ووطَّأ عليه بقَطِيفَة[1]، فركب رسول الله ﷺ، ثم قال سعد: يا قيس، ٱصحب رسول الله ﷺ، قال قيس: فقال لي رسول الله ﷺ «ٱركب» فأبَيْتُ، فقال: «إما أن تركب وإما أن تنصرف» فٱنصرفت، وفي رواية أخرى: «ٱركب أمامي فصاحب الدابة أولى بمُقَدَّمها». وكان ﷺ لا يدع أحدًا يمشي معه وهو راكب حتى يحمله، فإن أبى قال: «تقدَّمْني إلى المكان الذي تريد» وركب ﷺ حِمارًا عُرْيًا إلى قُبَاء، وأبو هريرة معه، فقال: «يا أبا هريرة أحملك»؟ فقال: ما شئت يا رسول الله، فقال: «ٱركب» وكان في أبي هريرة ثِقَلٌ، فوَثَب ليركب فلم يقدر، فٱستمسك برسول الله ﷺ فوقعا جميعًا، ثم ركب ﷺ فقال: «يا أبا هريرة أحملك»؟ فقال: ما شئت يا رسول الله، فقال: «ٱركب» فلم يقدر على ذلك، فتعلق برسول الله ﷺ فوقعا جميعًا، ثم قال: «يا أبا هريرة أحملك»؟ فقال: لا، والذي بعثك بالحق لا صَرَعْتُكَ

---

(١) القطيفة: كساء له أهداب. أو نسيج من الحرير أو القطن صفيق أوبر، تتخذ منه ثياب وفرش.

ثالثًا. وكان لا يدع أحدًا يمشي خلفه ويقول: «خلوا ظهري للملائكة». وكان رسول الله ﷺ يُؤَلِّف أصحابه ولا ينفرهم، ويُكرِم كَريم كلِّ قوم ويوَلِّيه عليهم، ويَحْذَر الناسَ ويحترس منهم، من غير أن يَطْوِي عن أحد منهم بِشْرَه ولا خُلُقَه، يتفَقّد أصحابه، ويعطي كلّ جلسائه نصيبه، لا يحسب جليسُه أنّ أحدًا أكرم عليه منه، مَنْ جالسه أو قاربه لحاجة صابَره حتى يكون هو المنصرِف عنه، ومن سأله حاجة لم يَردّه إلا بها، أو بمَيْسُور من القول، قد وَسِع الناسَ بَسْطُه وخُلُقُه فصار لهم أبًا وصاروا عنده في الحق سواء، هكذا وصفه ابن أبي هَالَة، قال: وكان دائمَ البِشْر سَهْلَ الخُلُق لَيِّن الجانب، ليس بفظّ ولا غليظ، ولا سَخّاب[1] ولا فَحّاش، ولا عَيّاب ولا مَدّاح، يتغافل عما لا يُشتهى ولا يُؤْنَس منه. وكان ﷺ يجيب من دعاه، ويقبل الهدية، ولو كانت كُراعًا[2]، ويُكافِيء عليها، قال أنس: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أُفّ قَطّ، وما قال لشيءٍ صنعتُه لِم صَنعتَه، ولا لشيء تركتُه لِمَ تركتَه، ومن رواية أخرى عنه قال: خدمته نحوًا من عشر سنين فوالله ما صحبته في سفر ولا حضر لأخدمه إلا وكانت خدمته لي أكثر من خدمتي له، وما قال لي أُفٍّ قطّ، ولا قال لشيء فعلتُه لِمَ فعلتَ كذا، ولا لشيء لم أفعله ألاَّ فعلتَ كذا؟ وكان ﷺ في بعض أسفاره فأمر بإصلاح شاة فقال رجل: يا رسول الله، عليّ ذَبْحُها، وقال آخر: عليّ سَلْخُها، وقال آخر: عليّ طبخُها، فقال رسول الله ﷺ: «وعليّ جَمْعُ الحطب» قالوا: يا رسول الله، نحن نكفيك، فقال: «علمت أنكم تكفوني ولكني أكره أن أتميز عليكم فإن الله يكره من عبده أن يراه مميزًا بين أصحابه» وقام فجمع الحَطَب. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان أحد أحسنَ خُلُقًا من رسول الله ﷺ ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال: «لبيك» وكان يُمازِح أصحابه ويُخالطُهم ويُحادثهم ويُداعِب صِبيانهم ويُجلسهم في حِجْره، ويجيب دعوة الحُرِّ والعبد والأمة والمِسكين، ويَعُود المرضى في أقصى المدينة، ويقبل عذر المعتذر، قال أنس: ما التَقَم[3] أحد أذن رسول الله ﷺ فينحِّي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحّي رأسه، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ، ولم يُر مقدِّمًا ركبتيه بين يدي جليس له، وكان يبدأ من لقيه بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمصافحة، لم ير قط مادًّا رجليه بين أصحابه حتى يُضيِّق بهما على أحد، يكرم من يدخل عليه، وربما بسَط له ثوبَه، ويؤثره بالوِسادة التي تحته، ويعزِم عليه في الجلوس عليها إن أبى، ويُكنِّي أصحابه،

---

(١) السخب: الصياح.

(٢) الكراع: مستدق الساق العاري من اللحم.

(٣) المراد بقوله: التقم: جعل فمه يحاذي أُذن رسول الله ﷺ.

ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم، ولا يقطع على أحد حديثَه حتى يَتَجوَّز فيقطعه بنهي أو قيام، ويروى: بانتهاء أو قيام، ويروى: أنه كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلّي إلا خَفّف صلاته وسأله عن حاجته، فإذا فرغ عاد، إلى صلاته، وكان أكثر الناس تَبَسُّمًا، وأطيبهم نفسًا، ما لم ينزل عليه قرآن أو يَعِظ أو يَخْطُب.

وأما شفقته ورأفته ورحمته ﷺ لجميع الخلق

فقد أخبر الله تعالى بذلك ووصفه بهذه الأوصاف؛ فقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فكان من شفقته على أمته ﷺ تخفيفه وتسهيله عليهم، وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم؛ كقوله ﷺ: «لولا أن أشقّ على أمتي لأمرتهم بالسُّواك[١] مع كل وُضوء» وخبر صلاة الليل، ونهيهم عن الوِصَال[٢]، وكراهيته دخول الكعبة لئلا يُعْنِت أمّته، ورغبته لربه أن يجعل سَبّه ولعنه لهم رحمة، وأنه كان يسمع بكاء الصَّبي فيتجَوَّز[٣] في صلاته. ومن شفقته ﷺ أن دعا ربه وعاهده فقال: «أيُّما رجلٍ سببتُه أو لعنتُه فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة[٤] وطَهُورًا وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة». ومن ذلك أنه لما كذّبه قومُه أتاه جبريل عليه السلام فقال له: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، وقد أمر مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداه مَلَك الجبال وسلّم عليه، فقال: مرني بما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخْشَبَيْن[٥]، قال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا». وروى ابن المنكدر: أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: إن الله أمر السماء والأرض والجبال أن تُطيعك، فقال: «أُؤَخِّر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم». ومن ذلك ما روي أنه ﷺ قال: «لا يُبلِغْني أحدٌ منكم عن أحد من أصحابي شيئًا، فإني أحبّ أن أخرج إليكم وأنا سَليم الصَّدْر». وقال ابن مسعود: كان رسول الله ﷺ يَتَخوّلنا[٦] بالموعظة مخافة السّآمَة علينا، ﷺ تسليمًا كثيرًا.

---

(١) السواك: دلك الأسنان بالسّواك لتنظيفها، والسواك: عود يتخذ من شجر الأراك يستاك به.
(٢) الوصال: أي الوصال في الصوم: ألا يفطر يومين أو أيامًا.
(٣) يتجوز: يخفف. (٤) الصلاة: الدعاء.
(٥) الأخشبان: جبلان مطبقان بمكة، وهما أبو قيس والأحمر.
(٦) يتخولنا: يتعهدنا.

وأما وفاؤه وحسن عهده وصلته للرحم ﷺ

فكان ﷺ قد بلغ من ذلك الغاية التي لا يُدرك شأْوُها، ولا يُبلَغ مدَاها، ولا يطمع طامعٍ سواه بالاتّصاف بها، جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة والأخبار الصريحة، منْ ذلك ما رويناه بإسناد مُتّصل عن عبد الله بن أبي الحَمْسَاء قال: بايعت النبي ﷺ ببيع قبل أن يبعث، وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت، ثم ذكرت بعد ثلاث، فجئت فإذا هو في مكانه، فقال: «يا فتى لقد شققت عليّ أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك». وعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أُتِي بهدية قال: «اْذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة، إنها كانت تحبّ خديجة». وعن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها قالت: ما غِرتُ على اْمرأة ما غِرتُ على خديجة؛ لِمَا كنتُ أسمعه يذكرها، وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها[١]، واْستأذنت عليه أختها فارتاح إليها، ودخلت عليه اْمرأة فهَشّ لها، وأحسن السؤال عنها، فلما خرجت قال: «إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإنّ حُسْن العَهْد من الإيمان». وقال رسول الله ﷺ: «إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء غير أن لهم رَحِمًا سأبُلُّها بِبِلالها»[٢]. وعن أبي قتادة قال: وَفَد وَفْدٌ للنجاشي، فقام النبيّ ﷺ يخدمهم، فقال له أصحابه: نكفيك، فقال: «إنهم لأصحابنا مُكْرِمين وإني أحبّ أن أكافئهم». ولما جيء بالشّيْمَاء أخته من الرضاعة في سبايا هَوَازن وتعرفت له، بسط لها رِدَاءه، وقال لها: «إن أحببت أقمت عندي مكرّمة مُحبّة أو مَتَّعْتك ورجعت إلى قومك» فاْختارت قومها فمتعها. وقال أبو الطُفَيل: رأيت النبي ﷺ وأنا غُلامٌ، إذْ أقبلت اْمرأةٌ حتى دَنَت منه، فبسط لها رِدَاءَه فجلست عليه، فقلت من هذه؟ قالوا: أمه التي أرضعته. وعن عمرو بن السائب أن رسول الله ﷺ كان جالسًا يومًا فأقبل أبوه من الرّضاعة، فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه، ثم أقبلت أمّه فوضع لها شِقّ ثوْبه من جانبه الآخر فجلست عليه، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله ﷺ فأجلسه بين يَدَيْه. وكان يبعث إلى ثُوْيبة مولاة أبي لهب مُرْضعته بصِلَة وكُسْوة، فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها فقيل: لا أحد. وفي حديث خديجة رضي الله عنها أنها قالت له ﷺ في اْبتداء النبوّة: أبشر فوالله لا يُخْزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرَّحم، وتَحْمِل الكَلّ[٣]، وتُكْسِب المعْدومَ، وتَقْرِي الضّيْف، وتُعِين على نوائب الحقّ.

---

(١) خلائلها: صواحباتها.

(٢) البلال: كل ما بل الحلق من ماء أو لبن أو غيره.

(٣) الكل: العيال.

وأما تَواضعه ﷺ مع علوِّ منصبه ورِفْعة مرتبته

فكان ﷺ أشدّ الناس تواضعًا، وأقلهم كِبْرًا، وقد جاء أنه خُيِّر بين أن يكون نَبيًّا مَلِكًا، أو نَبيًّا عبدًا، فاْختار أن يكون نَبيًّا عبدًا، فقال له إسْرَافيل عند ذلك: فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيِّد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشَقّ الأرض عنه، وأول شافع. ومما رويناه بسند مُتّصل عن أبي أُمَامة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متوَكِّئًا على عَصًا، فقمنا له فقال: «لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يُعظِّم بعضُها بعضًا». وقال: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد» وكان يركب الحمار، ويُرْدِف خلفه، ويعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس بين أصحابه مختلطًا بهم، حيث ما اْنتهى به المجلس جلس. وعن أنس: أن اْمرأة كان في عقلها شيءٌ جاءته فقالت: إن لي إليك حاجة، قال: «اْجلسي يا أمَّ فلان في أي طُرُق المدينة شئت أجلس إليك حتى أقضي حاجتك» قال: فجلست فجلس النبيّ ﷺ إليها حتى فرغت من حاجتها. قال أنس: حَجّ رسول الله ﷺ على رَحْل[1] رَثٌ وعليه قَطِيفة ما تساوي أربعة دراهم، فقال: «اللهم اْجعله حَجًّا لا رِيَاء فيه ولا سُمْعة». هذا وقد أهدى في حجه ذلك مائة بَدَنة[2]، ولما فتحت عليه مكة دخلها وقد طَأْطَأَ رأسه على رَحْله حتى كاد يمسّ قادِمَتَه تواضعًا لله تعالى.

ومن تواضعه ﷺ أنه لما دخل مكة جاءه أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه بأبيه ليُسْلِم فقال: «لِمَ عَنَّيْت[3] الشيخَ يا أبا بكر ألا تركته حتى أكون أنا آتيه في منزله» وقد تقدّم ذكر ذلك في الفتح. وعن عائشة والحسن وأبي سعيد وغيرهم رضي الله عنهم، في صفته ﷺ، وبعضهم يزيد على بعض، أنه كان ﷺ في بيته في مَهْنَة[4] أهله، يَفْلِي ثوبَه، ويحلب شاتَه، ويرقِّع ثوبه، ويَخْصِف[5] نعله، ويخدم نفسه، ويَقُمّ[6] البيتَ، ويَعْقِل البعير، ويَعْلِف ناضِحه[7]، ويأكل مع الخادم، ويعجن معها ويحمل بِضَاعَته من السُّوق. وعن أنس: أن كانت الأَمَة من إمَاء المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها. ودخل عليه رجل فأصابته من هيبته رعدة فقال له: «هوّن عليك فإني لست بمَلِك إنما أنا اْبن اْمرأة من قريش تأكل القَدِيد». وعن

---

(١) الرحل: ما يوضع على ظهر البعير للركوب.
(٢) البدنة: الناقة أو البقرة، تنحر بمكة قربانًا، وكانوا يسمنونها لذلك.
(٣) عنيته: كلفته ما يشق عليه.
(٤) المهنة: الخدمة.
(٥) يخصف: يرقع النعل.
(٦) يقمّ: يكنس.
(٧) الناضح: الجمل.

أبي هريرة قال: دخلت السُّوق مع النبيّ ﷺ فٱشترى سَرَاوِيل، وقال للوزّان «زِنْ وأرْجِحْ» وذكر القصّة، قال: فوثب إلى يد النبيّ ﷺ يقبّلها فجذَب يده، وقال: «هذا يفعله الأعاجم بملوكها ولست بمَلك إنما أنا رجل منكم» ثم أخذ السّراويل فذهبت لأحمله فقال: «صاحبُ الشيء أحق بشَيْئه أن يحمله». وقد ذكر الأمين العاصميّ بعض ذلك في قصيدة له فقال: [من مجزوء الكامل]

يا جاعلاً سنن النبي ... شِعاره ودِثارَهُ[١]
مُتمسِّكًا بحديثه ... متتبّعًا أخبارَهُ
سُننَ الشّريعة خُذْ بها ... متوَسِّمًا آثارَهُ
وكذا الطريقة فٱقتبسْ ... في سُبْلها أنوارَهُ
قد كان يَقْري ضيْفَه ... كرمًا ويحفظ جارَهُ
ويجالس المسكين يؤ ... ثِرُ قربَه وجوارَهُ
الفقر كان رِدَاءَه ... والجوع كان شِعارَهُ
يَلْقى بغُرّة ضاحكٍ ... مستبشرًا زوّارَهُ
بَسَط الرّداء كرامةً ... لكريم قَوْم زارَهُ
ما كان مُختالاً ولا ... مَرِحًا يَجُرّ إزارَهُ[٢]
قد كان يركب بالرَّدِيـ ... ـفِ من الخُضُوع حِمارَهُ
في مَهْنَة هو أوْ صَلا ... ةِ ليلَه ونهارَهُ
فتراه يَحْلِبُ شاة منـ ... ـزِله ويوقِد نارَهُ
ما زال كَهْفَ مُهاجريـ ... ـه ومُكرِمًا أنصارَهُ
بَرًّا بمُحسنهم مُقِيـ ... ـلاً لِلْمُسِيء عِثارَهُ
يَهَبُ الذي تَحْوي يدَا ... هُ لطالبٍ إيثَارَهُ
زَكّى عن الدنيا الدَّنِـ ... ـيَّة ربُّه مِقدارَهُ
جعل الإله صلاته ... أبدًا عليه نُثَارَهُ[٣]
فٱختَرْ من الأخلاق ما ... كان الرسولُ ٱختارَهُ
لِتُعَدّ سُنِّيًا وتو ... شِك أن تَبوّأ دارَهُ

(١) الدثار: الثوب فوق الشعار.
(٢) المرح: الأشر والبطر والتبختر والاختيال.
(٣) النثار: ما يلقى متفرقًا.

وأما عدله وأمانته وعِفَّته وصِدق لَهْجَته ﷺ

فكان ﷺ أعدل الناس، وآمن الناس، وأعَفّ الناس، وأصدق الناس لَهْجَة منذ كان، وكان يسمى قبل نبوّته الأمين، وقد قال ﷺ: «والله إني لأمينٌ في السماء أمينٌ في الأرض» وقد صدّقه عِداه في مواطن كثيرة تقدّم ذكرها، وقد قدّمنا قوله ﷺ للرجل: «ويحك إن لم أعدل فمن يعدل خِبتُ وخَسِرتُ إن لم أعدل». وقال ابن خالويه: جَزَّأ رسول الله ﷺ نهاره ثلاثة أجزاء: جزءًا لله، وجزءًا لأهله، وجزءًا لنفسه، ثم جَزَّأ جُزْأه بينه وبين الناس، فكان يستعين بالخاصة على العامّة، ويقول: «أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع أمّنه الله يوم الفَزَع الأكبر». وعن الحسن قال: كان رسول الله ﷺ «لا يأخذ أحدًا بقَرْف[1] أحَدٍ ولا يُصدِّق أحدًا على أحد» ﷺ، ولم تمس يده امرأة قطّ لا يَمْلِك رِقَّها أو نكاحها أو تكون ذات محرم».

وأما وَقاره وصَمْته وتُؤَدَته ومُرُوءَته وحسنُ هَدْيِه ﷺ

فقد روينا بإسناد مُتّصل عن خارجة بن زيد قال: كان رسول الله ﷺ أوْقَر الناس في مجلسه لا يكاد يُخرج شيئًا من أطْرَافه. وروى أبو سعيد الخُدْرِيّ رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا جلس في المجلس احتبى بيديه، وكذلك كان أكثر جلوسه مُحْتَبيًا[2]. وعن جابر بن سَمُرَة: أنه تَربّع، وربما جلس القُرْفُصَاء، وكان كثير السُّكوت، لا يتكلم في غير حاجة، يُعرِض عمن تكلم بغير جميل، وكان ضحكه تبَسُّمًا وكلامه فَصْلًا لا فُضول ولا تَقْصِير، وكان ضحك أصحابه عنده التّبَسُّم توقيرًا له واقتداء به، مجلسه مجلس حِلْم وحَيَاء وخَيْر وأمَانَة، لا تُرفع فيه الأصوات، ولا تُؤْبَنُ[3] فيه الحُرَم، إذا تكلّم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطّيْر. وفي صفته: يَخْطُو تَكَفُّؤًا[4] ويمشي هَوْنًا كأنما يَنْحَطّ من صَبَب[5]. وفي الحديث الآخر: «إذا مشى مشى مجتمعًا، يعرف في مَشْيَته أنه غير غرِضٍ ولا وَكِل»؛ أي غير ضَجِر ولا

(١) القرف: التهمة.
(٢) محتبيًا: أي معتمدًا على ساقيه ويديه.
(٣) تؤبن: أي يصان مجلسه من رفث القول ولا تذكر فيه الحرم بقبيح.
(٤) تكفأ: تمايل إلى قدام.
(٥) الصبب: الموضع المنحدر.

كسلان. وقال عبد الله بن مسعود: إنّ أحسن الهَدْي هَدْيُ محمد ﷺ. وعن جابر بن عبد الله: كان في كلام رسول الله ﷺ تَرْتِيل[١] أو تَرْسِيل، قال ٱبن أبي هَالَة: كان سكوته على أربع: على الحلم، والحَذَر، والتَّقْدير، والتفكر. وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يحدّث حديثًا لو عَدّه العادُّ لأحصاه. وكان ﷺ يحب الطِّيب والرائحة الحسنة ويحض عليها ويقول: «حُبِّب إلي من دنياكم النِّساءُ، والطِّيْب وجُعلت قُرَّة عَيْني في الصلاة». ومن مُروءته ﷺ نهيه عن النفخ في الطعام والشراب، والأمر بالأكل مما يلي، والأمر بالسِّواك، وإنْقَاء البَرَاجِم[٢] والرَّواجِب[٣]، وٱستعمال خِصال الفِطرة[٤]. صلّى الله عليه وسلّم تسليمًا كثيرًا أبدًا دائمًا إلى يوم الدين، آمين.

وأما زُهْده في الدنيا ﷺ

فحسبك من ذلك أنه ﷺ تُوفّي ودِرْعُه مرهونة عند يهوديّ في نفقة عياله، بعد أن فتح الله عليه من الفتوحات ما ذكرناه، وآتاه من الأخماس والصفايا ما قدمناه، فآثر[٥] بذلك كله، وكان يقول: «اللهم ٱجعل رزق آل محمد قوتًا» وسنذكر إن شاء الله تعالى في أحواله ما ناله من شِدّة العَيْش والجوع ما تقف عليه هناك. قالت عائشة رضي الله عنها: لقد مات رسول الله ﷺ وما في بيتي شيء يأكله ذو كَبِد إلا شَطْر شعير في رَفّ لي، وقال لي: «إنّي عُرِض عليّ أن تُجْعَل لي بَطْحاء مكة ذهبًا، فقلت لا يا ربّ أجوعُ يومًا وأشبعُ يومًا، فأمّا اليوم الذي أجوع فيه فأتضَرّع إليك وأدعوك، وأما اليوم الذي أشبع فأحمدك وأثني عليك». وفي حديث آخر: «إن جبريل عليه السلام نزل عليه فقال له: إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبًا، وتكون معك حيثما كنت؟» فأطرق ساعة ثم قال: «يا جبريل، إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له» فقال له جبريل: ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت. ﷺ.

---

(١) الترتيل: التأني والتمهل.

(٢) البراجم: رؤوس السلاميات من ظاهر الكف إذا قبض القابض كفه نشزت.

(٣) الرواجب: بطون السلاميات.

(٤) المراد بالفطرة هنا: سنة الأنبياء عليهم السلام.

(٥) آثر بذلك: فضل وقدم.

وأما خوفه رَبَّه، وطاعتُه له، وشدّة عبادته ﷺ

فكان ذلك على قدر علمه بربه تبارك وتعالى؛ ولذلك قال فيما رويناه بسنَد متصل عن سعيد بن المسيّب: إن أبا هريرة كان يقول: قال رسول الله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا». ومن رواية عن أبي عيسى الترمذيّ عن أبي ذَرٍّ: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطّتِ[١] السماء وحُقّ لها أن تَئِطّ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيها مَلَك ساجد لله واضع جبهته، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا وما تلذّذتم بالنساء على الفُرُش، ولخرجتم إلى الصُّعُدَات تَجْأرون[٢] إلى الله، لوددت أني شجرة تُعْضَد»[٣]. روي هذا الكلام: «وددت أني شجرة تُعضَد» من قول أبي ذر نفسه وهو أصح. وفي حديث آخر: صلّى رسول الله ﷺ حتى ٱنتفخت قدماه. وفي رواية: كان يصلي حتى تَرِم قدماه، فقيل له أتكلفُ هذا وقد غُفِر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا». وقالت عائشة رضي الله عنها: كان عمل رسول الله ﷺ دِيمَةً[٤]، وأيُّكم يُطيق ما كان يُطيق. وقالت: كان يصوم حتى نقول لا يُفْطِر، ويُفْطِر حتى نقول لا يصوم. وكان ﷺ يصوم الاثنين والخميس، وثلاثة أيام من كل شهر، ويومَ عاشوراء، وقلّ ما كان يُفطِر يوم الجمعة، وأكثر صيامه في شعبان. وقال عوف بن مالك: كنت مع رسول الله ﷺ ليلة فٱستاك ثم توضأ ثم قام فصلّى فقمت معه، فبدأ فٱستفتح البقرة، فلا يمرُّ بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوّذ، ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة» ثم سجد، وقال مثل ذلك، ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك. وعن حُذيفَة مثله، وقال: سجد نحوًا من قيامه، وجلس بين السجدتين نحوًا منه، وقال: حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قام رسول الله ﷺ بآية من القرآن ليلة. وعن عبد الله بن الشِّخّير قال: أتيت رسول الله ﷺ ولجَوْفه أزيزٌ[٥] كأزيز المِرْجل. قال ٱبن أبي هالة: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة. وقال ﷺ: إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة، وروي سبعين مرة. وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن

---

(١) الأطيط: صوت الأقتاب.
(٢) تجأرون: ترفعون.
(٣) تعضد: تقطع.
(٤) الديمة: المطر الدائم في سكون.
(٥) الأزيز: صوت الغليان.

سنته فقال: «المعرفةُ رأسُ مالي، والعقلُ أصل ديني، والحُبُّ أساسي، والشوقُ مَرْكبي، وذكرُ الله أَنِيسي، والثقة كَنْزِي، والحُزْن رَفيقي، والعلم سِلاحي، والصّبر زادي، والرِّضا غَنِيمَتي، والعجزُ فخري، والزهدُ حِرْفتي، واليقينُ قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حَسْبي[1]، والجهاد خُلُقي، وقُرَّة عَيْني في الصلاة». وفي حديث آخر: «وثمرة فؤادي في ذكره، وغَمِّي لأجل أمتي، وشوقي إلى ربي». ولنصِل هذه الفصول التي شرحناها في صفاته المعنوية ﷺ بما وَرَد من طِيب رِيحه، وعَرَقه، وما يجري هذا المجرى.

ذكر نبذة مما ورد في نظافة جسمه، وطيب ريحه، وعرقه ونزاهته عن الأقذار وعَوْرات الجسد ﷺ

كان رسول الله ﷺ قد خصّه الله عزّ وجل من ذلك بخصائص لم توجد في غيره، ومَنَحه مِنَحًا لم تكن في سِوَاه؛ من ذلك ما رويناه عن مسلم بن الحجاج بإسناده، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما شَمَمْت عَنبرًا قطّ ولا مِسْكًا ولا شيئًا أطيب من ريح رسول الله ﷺ. وعن جابر بن سَمُرة أنه ﷺ مسح خدّه، قال: فوجدت لِيَدِه بَرْدًا وريحًا كأنّما أخرجها من جُونَة[2] عطّار. قال غيره: مَسّها بطيب أو لم يمسّها، يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها، ويضع يده على رأس الصبيّ فيعرف من بين الصبيان بريحها. وروي أن رسول الله ﷺ نام في دار أَنَس فعرِق، فجاءت أمُّ أنس بقارورة تجمع فيها عَرَقه، فسألها رسول الله ﷺ عن ذلك فقالت: نجعله في طِيبنا وهو من أطْيَب الطِّيب. وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر: لم يكن النبيّ ﷺ يمرّ في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه. وذكر إسحاق بن راهويه: أن تلك كانت رائحته بلا طِيبٍ ﷺ. وروى المُزَنيّ عن جابر قال: أردفني النبيّ ﷺ فالْتقمت خاتم النبوّة بِفَمِي وكان يَنِمّ عليّ مِسْكًا. ونقل القاضي عياض بن موسى قال: حكى بعض المعتَنِين بأخباره وشمائله ﷺ أنه كان إذا أراد أن يتغوَّط أنشقت الأرض فأبتلعت غائِطه وبَوْلَه، وفاحَتْ لذلك رائِحَة طيبة. وأسند محمد بن سعد في هذا خبرًا عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت للنبيّ ﷺ: إنك تأتي الخَلاَء ولا يرى منك شيء من الأذى. فقال: «يا عائشة أو ما علمتِ أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء فلا يرى منه شيء» قال القاضي عياض: وهذا الخبر وإن لم يكن

(١) الطاعة حسبي: أي تكفيني.

(٢) الجونة: التي يعد فيها الطيب ويحرز.

مشهورًا فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة الحَدَثَيْن منه ﷺ. ومن ذلك حديث عليّ بن أبي طالب في الوفاة وسنذكره إن شاء الله تعالى. وقد جاء عن أمه آمنة أنها قالت: ولدته نظِيفًا ما به قَذَر ﷺ. ولنختم هذه الفصول بحديث هِند بن أبي هالَة لجمعه بين صفاته ﷺ الذاتية والمعنوية. والله أعلم.

ذكر حديث هنْد بن أبي هالَة
وما تضمن من أوصاف رسول الله ﷺ الذاتية والمعنوية

حدّثنا الشيخان المحدِّثان شرف الدِّين أبو يوسف يعقوب بن أحمد بن يعقوب الحلبيّ، وزين الدين أبو محمد عبد الحقّ بن قينان بن عبد المجيد القرشيّ ـ رحمهما الله ـ قراءة عليهما وأنا أسمع في شهر رجب عام ثمانية وسبعمائة، قالا: حدّثنا الشيخ أبو الحسن محمد بن أبي عليّ الحسين بن عتِيق بن رشِيقِ الرَّبَعِي المالكي سماعًا في شوّال سنة ثمان وستين وستمائة بمصر، وبقراءة الشيخ زَيْن الدين الثاني على الشيخ نظام الدين الحسين بن محمد بن الحسن بن الخليلي، وبإجازتهما من الحافظ أبي الحسين يحيى بن علي بن عبد الله القرشيّ، وتاج الدين علي بن أحمد بن القسطلانيّ، قالوا أخبرنا أبو الحسين محمد بن أبي جعفر أحمد بن جبير الكناني، قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عيسى التميميّ إجازة، قال أخبرنا القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليَحْصبيّ رحمه الله تعالى، قال ابن القسطلانيّ: وأخبرنا أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمٰن بن مَضَاء إجازة، قال أخبرنا أبو الفضل عياض إجازة، قال القاضي أبو الفضل حدّثنا القاضي أبو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة، قال حدّثنا الإمام أبو القاسم عبد الله بن طاهر التميميّ، قال قرأت عليه: أخبركم الفقيه الأديب أبو بكر محمد بن الحسن النيسابوريّ، والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن المحمديّ، والقاضي أبو عليّ الحسن بن علي بن جعفر الوَخْشِيّ، قالوا: حدّثنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعيّ، قال أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، قال أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة الحافظ؛ قال حدّثنا سفيان بن وَكِيع، قال حدّثنا جُمَيع بن عمر بن عبد الرحمٰن العجليّ إملاء من كتابه، قال حدّثني رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة أمّ المؤمنين رضي الله عنها، يكنى أبا عبد الله عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال سألت خالي هند بن أبي هالة. قال القاضي أبو عليّ

رحمه الله: وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد بن خداداذ الكرخي الباقِلاّني، قال وأجاز لنا الشيخ الأجل أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خَيْرون، قالا أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مِهْران الفارسيّ، قراءة عليه، فأقرّ به، قال أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بابن أخي طاهر العلوي، قال حدّثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال: حدّثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أخيه موسى بن جعفر بن محمد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي ـ واللفظ لهذا السند ـ: سألت خالي هِند بن أبي هالة عن حِلْيَة[١] رسول الله ﷺ، وكان وَصّافًا، وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئًا أتعلق به، قال: كان رسول الله ﷺ فَخمًا[٢] مُفَخَّمًا يَتلألأ وجهه تَلألُؤ القمر ليلة البدر، أطول من المَرْبُوع، وأقْصَر من المشَذَّب[٣]، عظيم الهامَة، رَجِل الشعر، إن انْفَرَقَت عَقِيقَته فَرَق، وإلا فلا يجاوز شعره شَحْمة أُذُنه إذا هو وَفّر، أزْهَر[٤] اللّوْن، واسع الجَبِين، أزَجّ الحواجب، سَوَابغ[٥] من غير قَرَن، بينهما عِرْق يُدِرّه الغضب، أقنى العِرْنين، له نور يعلوه، ويحسبه من لم يتأمله أشمّ، كثُّ اللحية، أدْعَج، سهل الخدّيْن، ضلِيع الفم، أشْنَب مُفَلّج الأسْنان، دقيق المسْرُبة، كأنّ عنقه جِيدُ دُمْيَة في صفاء الفِضة، معتدل الخلق، بادِنًا متماسكًا، سواء البطن والصَّدر، مُشِيحُ[٦] الصَّدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكَراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللّبّة والسُّرة بشعر يجري كالخطّ، عارِي الثديين، ما سوى ذلك، أشعرُ الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين، رَحْب الراحة، شثْن الكفّين والقدمين، سائل[٧] الأطراف، أو قال سائن الأطراف، سَبْط القَصَب، خُمْصان الأخْمَصين، مَسِيح القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال[٨] زال تَقَلُّعًا، ويخطو تكَفُّؤًا، ويمشي هوْنًا، ذرِيع المِشْيَة، إذا مشى

---

(١) الحلية: الزينة، أو الصفة.
(٢) الفخم المفخم: العظيم المعظم في الصدور والعيون.
(٣) المشذب: الطويل البائن الطول مع نقص في لحمه.
(٤) أزهر اللون: نيّره.
(٥) السوابغ: التامة الطويلة.
(٦) مشيح الصدر: عريضه.
(٧) سائل الأطراف: أي ممتدها.
(٨) المراد بقوله: إذا زال تقلعًا: أي يرفع رجليه من الأرض رفعًا قويًا لا كمن يمشي اختيالاً ويقارب خطاه لأن ذلك من مشي النساء.

كأنما ينْحطّ من صَبَب، وإذا التفت ٱلتفت جميعًا، خافِض الطَّرْف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة[١]، يَسُوق أصحابه، ويبدأ من لقيه بالسلام. قلت: صف لي منطقه، قال: كان رسول الله ﷺ متواصلَ الأحزان، دائم الفكرة، وليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه[٢]، ويتكلم بجوامع الكلم، فَصْلًا لا فُضُول فيه ولا تقصير، دَمِثًا ليس بالجافِي ولا المُهِين، يعظِّم النّعمة وإن دَقّت، لا يَذُمّ شيئًا لم يكن يُذَمُّ ذَوَاقًا ولا يمدحه، ولا يُقام لغضبه إذا تُعُرّض للحقّ بشيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفّه كلها، وإذا تعجب قَلَبها، وإذا تحدّث ٱتصل[٣] بها فضرب بإبهامه اليمنى راحتَه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاحَ، وإذا فرح غَضّ طرفه، جُلُّ ضحكه التبسم، ويَفْتَرّ عن مثل حَبّ الغمام. قال الحسن: فكتمتها الحسين بن علي زمانًا، ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه، فسأل أباه عن مَدْخل رسول الله ﷺ ومَخْرجه ومجلسه وشكله، فلم يدع منه شيئًا، قال الحسين: سألت أبي ـ عليه السلام ـ عن دخول رسول الله ﷺ، فقال: كان دخوله لنفسه مَأذُونًا له في ذلك، فكان إذا آوى إلى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزء لله تعالى، وجزء لأهله، وجزء لنفسه. ثم جزّأ جزءه بينه وبين الناس، فيردّ ذلك على العامة بالخاصة، ولا يدّخر عنهم شيئًا، فكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه، قِسْمته على قدر فضلهم في الدّين، منهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم، ويُشغِلهم فيما أصْلَحهم والأمةَ من مسألته عنهم، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم، ويقول: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته، فإنه من أبلغ سلطانًا حاجة من لا يستطيع أبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة» لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره.

قال في حديث سفيان بن وَكِيع: «يدخلون رُوّادًا[٤]، ولا يتفرّقون إلا عن ذَوَاق[٥]، ويخرجون أدِلة»[٦]، يعني فقهاء، قلت: فأخبرني عن مخرجه كيف كان

(١) الملاحظة: النظر بشق العين الذي يلي الصدغ.

(٢) الأشداق: جوانب الفم.

(٣) اتصل: أي وصل إحدى يديه بالأخرى.

(٤) رواذًا: أي محتاجين وطالبين لما عنده من النفع لدينهم ودنياهم.

(٥) المراد بقوله: ولا يتفرقون إلا عن ذواق: أي يقوم لأنفسهم وأرواحهم مقام الطعام والشراب لأجسامهم.

(٦) أدلة: جمع دليل وهو معروف.

يصنع فيه، قال: كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه إلا مما يعنيهم، ويؤلّفهم ولا يفرقهم، يكرم كريم كل قوم ويولّيه عليهم، ويَحْذَر الناسَ ويحترس منهم من غير أن يَطْوِيَ عن أحد بِشْره وخُلُقه، ويتفقّد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويُحسِّن الحسن ويصوِّبه، ويُقبِّح القبيح ويُوهِنُه، معتدِل الأمر غير مُختلِف، لا يَغفُل مخافة أن يَغفُلوا أو يمَلُّوا؛ لكل حال عنده عَتَادٌ[1]، لا يُقَصِّر عن الحقّ ولا يجاوزه إلى غيره، الذين يلونه من الناس خيارُهم، وأفضلهم عنده أعمُّهم نصيحةً، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مُواسَاةً ومؤَازرة.

فسألتُه عن مجلسه عما كان يصنع فيه، فقال: كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يُوطِّن الأماكن، وينهى عن إيطانها، وإذا انْتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم عليه منه، مَن جالسه أو قارَبه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، من سأله حاجة لم يردّه إلا بها أو بمَيْسُورٍ من القول، قد وسِع الناسَ بَسْطُه وخُلُقه فصار لهم أبًا، وصاروا عنده في الحقّ متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى. وفي الرواية الأخرى: صاروا عنده في الحقّ سواء، مجلسه مجلس حِلْم وحَيَاء وصبر وأمانة، لا تُرفَع فيه الأصواتُ ولا تُؤْبَنُ فيه الحُرَم، ولا تُنثَى[2] فلتَاتُه - وهذه الكلمة من غير الروايتين - يتعاطفون، بالتقوى متواضعين، يُوقِّرون فيه الكبير ويرحمون الصغير، ويرفدون[3] ذا الحاجة ويرحمون الغريب.

فسألته عن سيرته ﷺ في جلسائه، فقال: كان رسول الله ﷺ دائمَ البِشْر، سَهْلَ الخلُق، ليّن الجانب، ليس بفَظٍّ ولا غليظ، ولا سَخّاب ولا فَحّاش، ولا عَيّاب، ولا مدّاح، يتغافل عما لا يُشْتَهى ولا يُؤْيِس منه، قد ترك نفسه من ثلاث: الرياء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذمّ أحدًا ولا يعيِّره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثُهم حديثُ أوّلهم، يضحك مما يضحكون منه، ويعجب مما يعجبون منه، ويصبر للغريب على الْجَفوة في المنطق، ويقول: «إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفدوه» ولا يطلب الثناء إلا من مكافىء، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام. هنا انْتهى حديث سُفيان بن وَكِيع.

---

(١) العتاد: ما يصلح لكل ما ينفع من الأمور.

(٢) لا تنثى: أي لا تشاع ولا تذاع. (٣) يرفدون: يعينون.

وزاد الآخر؛ قلت: كيف كان سكوته ﷺ؟ قال: كان سكوته على أربع: على الحلم والحَذَر والتقدير والتفكّر، فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس، وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى، وجمع له الحلم ﷺ في الصبر، فكان لا يُغضبه شيء يَسْتفِزّه. وجمع له في الحذر أربع: أخذه بالحَسَن، لِيُقتدَى به، وتركه القبيح لِيُنتهَى عنه، واجتهاد الرأي بما أصلح أمّته، والقيام لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة. ﷺ. فهذه جملة كافية من أوصافه ﷺ، فلنذكر أحواله.

ذكر أحوال رسول الله ﷺ

في دنياه، وما ناله من شدّة العيش فيها، وما رُوِي من أحواله في تطيُّبه ولباسه وفراشه، ووسادته، وتختّمه وتنعُّله، وخُفَّيه. وسِواكه، ومُشْطه، ومُكْحُلته ومرآته وقَدَحه، وما ورد في حِجَامته، وما ملكه من السِّلاح والدّواب وغير ذلك. ﷺ.

أما ما ناله ﷺ من شدة العيش في دنياه

فقد تقدّم من صفاته المعنوية زهده في الدنيا وتقلُّله منها، وأحلنا هناك على ما نورده في هذا الموضع. وسنورد منه ما تقف عليه إن شاء الله.

فمن ذلك ما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يبيت الليالي المتتابعة طاويًا، وأهله لا يجدون عشاءً، وكان عامة خبزهم الشعير. وعن أنس بن مالك أن فاطمة رضي الله عنها جاءت بكِسرة خبز إلى رسول الله ﷺ فقال: «ما هذه الكسرة»؟ قالت: قُرْصٌ خبزته فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكِسرة. فقال: «أمَا إنه أول طعام دخل فم أبيكِ منذ ثلاثة أيام». وعن أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ كان يَشُدّ صُلْبه بالحجر من الغَرَث»[1]. وعن مسروق قال: بينما عائشة تحدّثني ذات يوم إذ بكت؛ فقلت: ما يبكيك يا أم المؤمنين؟ قالت: ما ملأت بطني من طعام فشئت أن أبكي إلا بكيت؛ أذكرُ رسولَ الله ﷺ وما كان فيه من الجَهْد[2]. وعنه قال: دخلتُ على عائشة أمّ المؤمنين وهي تبكي، فقلت: يا أمّ المؤمنين ما يبكيك؟ قالت: ما أشبع فأشاء أن أبكي إلا بكيت؛ وذلك أن رسول الله ﷺ كان يأتي عليه أربعة أشهر ما يشبع من خبز بُرّ. وعنها رضي الله عنها قالت: ما شَبع آلُ محمد غَداءً وعَشاءً من خبز الشعير ثلاثة أيام متتابعات حتى لَحِق

---

(١) الغرث: الجوع. (٢) الجهد: المشقة.

بالله. ومن رواية عنها: ما رفع عن مائدته كِسْرة فضلاً حتى قُبِض. وعن أبي هريرة قال: كان يمرّ بآل رسول الله ﷺ هِلالٌ، ثم هلال، ثم هلال، لا يُوقَد في شيء من بيوته نارٌ، لا لخبز ولا لطبيخ، قالوا: بأي شيء كانوا يعيشون يا أبا هريرة؟ قال: بالأسودَيْن التمر والماء. قال: وكان له جيران من الأنصار ـ جزاهم الله خيرًا ـ لهم منائحُ[1] يرسلون إليه بشيء من لبن. وعن الحسن قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «والله ما أمسى في آل محمد صاع من طعام وإنها لتسعة أبيات» والله ما قالها آستقلالاً لرزق الله، ولكن أراد أن تَأسَّى به أمته. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما شبع رسول الله ﷺ في يوم مرتين حتى لحق بالله، ولا رفعنا له فَضْل طعام عن شبع حتى لحق بالله، إلا أن نرفعه لغائب. فقيل لها: ما كانت معيشتكم؟ قالت: الأسودان الماء والتمر. قالت: وكان لنا جيران من الأنصار لهم رَبَائِبُ[2] يسقونا من لبنها؛ جزاهم الله خيرًا. وعن آبن شهاب: أن أبا هريرة كان يمرّ بالمغيرة بن الأخْنَس وهو يطعم الطعام، فقال: ما هذا الطعام؟ قال: خبز النَّقيّ واللحم السَّمِين، قال: وما النَّقِيّ؟ قال: الدقيق. فتعجب أبو هريرة ثم قال: عجبًا لك يا مُغِيرةُ! رسول الله ﷺ قبضه الله عزّ وجل، وما شبع من الخبز والزيت في يوم مرتين، وأنت وأصحابك تَهْذِرُون[3] هاهنا الدنيا بينكم. وعن قَتادة قال: كنا نأتي أنس بن مالك وخَبَّازُه قائمٌ، فقال يومًا: كلوا فما أعلم رسول الله ﷺ رأى رغيفًا مُرَقّقًا حتى لحق بربه، ولا شاة سَمِيطًا[4] قَطّ. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما آجتمع في بطن النبيّ ﷺ طعامان في يوم قطّ، إن أكل لحمًا لم يزد عليه، وإن أكل تمرًا لم يزد عليه، وإن أكل خبزًا لم يزد عليه. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل أبو بكر رضي الله عنه قائمة شاة ليلاً فقَطَعْتُ، وأمسك عليّ رسولُ الله ﷺ، أو قطع رسولُ الله ﷺ وأمسكتُ عليه، فقيل لها: على غير مصباح؟ قالت عائشة: لو كان عندنا مِصْباح لأتدمنا به، كان يأتي على آل محمد شهر ما يختبزون خبزًا ولا يطبخون قِدْرًا. وعن عِمْران بن زيد المدِيني قال: حدّثني والدي، قال: دخلنا على عائشة، فقلنا: سلام عليك يا أُمّاه، قالت: وعليك، ثم بكت، فقلنا: ما بكاؤكِ يا أُمّاه؟ قالت: بلغني أن الرجل منكم يأكل من ألوان الطعام حتى يلتمس لذلك دواء، فذكرتُ نبيكم ﷺ، فذلك الذي أبكاني، خرج من الدنيا ولم يملأ بطنه في يوم من طعامين، كان إذا شبع

---

(١) المنائح: واحدتها المنحة، وهي الناقة أو الشاة ينتفع بلبنها زمانًا ثم يردها.

(٢) الربائب: جمع مربوبة، وهي الغنم التي تكون في البيت وليست بسائمة.

(٣) تهذرون: أي تتوسعون فيها. (٤) سميطًا: مشوية.

من التمر لم يشبع من الخبز، وإن شبع من الخبز لم يشبع من التمر، فذلك الذي أبكاني. وعن أسماء بنت يزيد أن رسول الله ﷺ تُوفّي يوم تُوفّي، ودِرْعه مرهونة عند رجل من اليهود بوَسْق[١] من شعير. وسُئِل سهل بن سعد: أكانت المناخل على عهد رسول الله ﷺ؟ قال: ما رأيت مُنْخُلاً في ذاك الزمان، وما أكل رسول الله ﷺ الشعير منخولاً حتى فارق الدنيا. فقيل له: كيف كنتم تصنعون؟ قال: كنا نَطْحَنها ثم نَنْفُخ قِشْرها، فيطير ما طار ويستمسك ما استمسك. وعن الأعرج، عن أبي هريرة أن النبيّ ﷺ كان يجوع، قال قلت لأبي هريرة: وكيف ذلك الجوع؟ قال: لكثرة من يغشاه وأضيافه، وقوم يلزمونه لذلك، فلا يأكل طعامًا أبدًا إلا ومعه أصحابه وأهل الحاجة يتتبعون من المسجد، فلما فتح الله تعالى خيبر اتّسع الناس بعض الاتّساع، وفي الأمر بعدُ ضيقٌ، والمعاش شديد في بلاد ظَلَفٍ[٢]، لا زرع فيها، إنما طعام أهلها التمر وعلى ذلك أقاموا. قال مَخْرَمَة بن سليمان: وكانت جَفْنة سَعْد تدور على رسول الله ﷺ منذ يوم نزل المدينةَ في الهجرة إلى يوم تُوفّي. وغير سعد بن عُبَادة من الأنصار يفعلون ذلك. وكان أصحاب رسول الله ﷺ كثيرًا يواسون، ولكن الحقوق تكثر والعُدّام يكثرون، والبلاد ضيقة ليس فيها معاش، إنما تخرج ثمرتهم من ماء ثَمَد[٣] يحمله الرجال على أكتافهم، أو على الإبل، والإبل أقل ذلك، وربما أصاب نَخْلَهم القُشَام فتذهب ثمرتهم تلك السنة، والقُشَام: شيء يصيب البلح مثل الجدري فيَنْتَثر؛ فهذه كانت حاله ﷺ في عيشه في غالب أوقاته، وهي سُنَّة الأنبياء صلوات الله عليهم.

وأما تطيبه ﷺ

فكان رسول الله ﷺ يحبّ الطِّيب، وكان يتطيب بالغَالِيَة[٤] وبالمِسْك، حتى يُرَى وَبِيصُه[٥] في مَفَارقه، ويتبخّر بالعُود[٦] ويَطْرح معه الكافُور، وكان يعرف في الليلة المظلمة بطِيبِ رِيحه ﷺ.

---

(١) الوسق: مكيلة معلومة، وهي ستون صاعًا، والصاع خمسة أرطال وثلث.
(٢) الظلف: الغليظ الصلب من الأرض، والمراد التي لا زرع فيها.
(٣) الثمد: الماء القليل الذي يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف.
(٤) الغالية: نوع من الطيب مركب من مسك وعود وعنبر ودهن.
(٥) الوبيص: البريق.
(٦) العود: ضرب من الطيب يتبخر به.

وأما لباسه ﷺ

وما روي من ألوانه وأصنافه وطوله وعرضه

فقد روي أنه ﷺ كان يتجمَّل لأصحابه، فضلاً عن تجمّله لأهله، ويقول: «إن الله يحب من عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتهيَّأ لهم ويتَجَمّل» ولبس ﷺ من الثياب البياضَ والحُمرة والصُفرة والخُضْرة والسَّواد.

أما البياض وما جاء فيه: فقد روي عن سَمُرة بن جندب أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بالبياض من الثياب فَلْيَلْبَسها أحياؤكم وكفِّنوا فيها موتاكم فإنها من خير ثيابكم» وفي رواية عنه «ألبسوا الثياب البيض فإنها أطهر وأطيب وكفّنوا فيها موتاكم». وعن أبي قِلاَبَة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ من أحبّ ثيابكم إلى الله البياض، فصلُّوا فيها وكفّنوا فيها موتاكم».

وأما الثياب الحمر: فروي عن البَرَاء قال: ما رأيت أحدًا كان أحسنَ في حُلّة حمراء من رسول الله ﷺ. وعنه: ما رأيت من ذي لِمّة أحسنَ في حُلّة حمراء من رسول الله ﷺ. وعن عَوْن بن أبي جُحَيْفَة عن أبيه قال: أتيت النبيّ ﷺ بالأبْطَحِ، وهو في قُبّة حمراء، فخرج وعليه جُبّة له حمراء وحُلّة عليه حمراء. وعن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يلبس بُرْده[١] الأحمر في العيدين والجمعة. وعن أبي جعفر محمد بن عليّ أن رسول الله ﷺ كان يلبس يوم الجمعة برده الأحمر؛ ويَعْتَمّ يوم العيدين، صلّى الله عليه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

وأما الثياب الصُفْر: فقد رُوي عن قَيْس بن سعد بن عُبَادة قال: أتانا رسول الله ﷺ فوضعنا له غسلاً فاغتسل، ثم أتيناه بمِلْحَفة وَرْسِيّة[٢] فاشتمل بها، فكأني أنظر إلى أثر الوَرْس على عُكَنِه. وعن بكر بن عبد الله المزني قال: كانت لرسول الله ﷺ مِلْحَفة مُوَرَّسَة، فإذا دار على نسائه رشّها بالماء. وعن أمّ سلمة رضي الله عنها قالت: ربما صُبِغ لرسول الله ﷺ قميصُه ورِداؤه وإزارُه بزعفران ووَرْس، ثم يخرج فيها. وعن عبد الله بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يصبغ ثيابه بالزعفران: قميصه ورِداءه وعِمامتَه. وعن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ عليه رداءٌ وعمامةٌ مصبوغين بالعبِير[٣]، والعبير عندهم الزّعفران. وعن زيد بن أسلم قال: كان رسول الله ﷺ يصبغ ثيابه كلها بالزعفران حتى العمامة.

---

(١) البرد الأحمر: برد يماني مخطط بحمرة وسواد.

(٢) الورسية: نسبة إلى الورس، وهو نبت أصفر يصبغ به، والورسية المصبوغة به.

(٣) العبير: أخلاط من الطيب.

وأما الثياب الخُضْر: فقد رُوِي أنّ رسول الله ﷺ كان يعجِبه الثياب الخضر. وعن أبي رِمْثَة قال: رأيت رسول الله ﷺ وعليه بُرْدان أخضران. والله المنعم.

وأما السَّوَاد وما ورد فيه: فقد روي عن جابر أن رسول الله ﷺ دخل مكة، وعليه عمامة سَوْداء. وعن حُرَيْث عن أبيه أن النبيّ ﷺ خطب الناس، وعليه عمامة سوداء. هذا ما وقفنا عليه من ألوان لباسه ﷺ.

فأما أصناف لباسه ﷺ وطولها وعرضها، فإنه عليه الصلاة والسلام لبس الصوف والحِبَرَة[(١)] والقطن، ولبس السُّنْدُس[(٢)] والحرير، ثم تركه، وورد في ذلك أخبار نذكر منها ما أمكن.

أما الصوف وما ورد فيه: فقد روي عن أبي بُرْدَة قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فأخرجت إلينا إزارًا غليظًا مما يُصنَع باليمن، وكِسَاء من هذه المُلَبَّدة[(٣)]، فأقسمت أن رسول الله ﷺ قُبِض فيهما. وعنها رضي الله عنها قالت: جعل للنبيّ ﷺ بُرْدَة سَوْداء من صوف فلبسها. وعن سهل بن سعد قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ ببردة منسوجة، فيها حاشيتاها. قال سهل: وتدرون ما البردة؟ قالوا: الشَّمْلَة، قال: نعم، هي الشَّمْلَة، فقالت: يا رسول الله، نسجتُ هذه البردة بيدي فجئت بها أكسوكها، قال: فأخذها رسول الله ﷺ محتاجًا إليها، فخرج علينا وإنها لإزاره، فحسّنها فلان ـ لرجل من القوم سمّاه ـ فقال: يا رسول الله، ما أحسنَ هذه البُرْدَة! اكسنيها، فقال: «نعم» فجلس ما شاء الله في المجلس ثم رجع، فلما دخل رسول الله ﷺ طواها ثم أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت، كُسِيَها رسولُ الله ﷺ محتاجًا إليها ثم سألته إياها، وقد علمت أنه لا يرد سائلًا! فقال الرجل: والله ما سألته إياها لألبسَها، ولكن لتكون كَفَني يوم أموت، قال سهل: فكانت كَفَنَه.

وأما الحِبَرَة وهي من بُرُود اليَمَن فيها حُمرة وبياض فكانت من أحبّ اللباس إلى رسول الله ﷺ. ورُوِي عن قَتَادة قال: قلت لأنس بن مالك: أيّ اللباس كان أحبّ وأعْجَب إلى رسول الله ﷺ؟ قال: الحِبَرَة. وعن محمد بن هلال قال: رأيت على هشام بن عبد الملك بُرْد النبيّ ﷺ من حِبَرَة له حاشيتان.

---

(١) الحبرة: من برود اليمن فيها حمرة وبياض.
(٢) السندس: ضرب من رقيق الديباج.
(٣) الملبّدة: ما تداخل ولزق بعضه في بعض.

وأما السُّنْدس والحرير: فإن رسول الله ﷺ لبس ذلك ثم تركه. رُوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أهدى ملك الروم إلى رسول الله ﷺ مُسْتَقَة(١) من سُنْدُس فلبسها، فكأنّي أنظر إلى يديها تَذَبْذَبَان من طولها. فجعل القوم يقولون: يا رسول الله، أنزلت عليك من السماء؟ فقال: «وما تعجبون منها، فوالذي نفسي بيده إن منديلاً من مناديل سعد بن مُعَاذ في الجنة خير منها» ثم بعث بها إلى جعفر بن أبي طالب فلبسها، فقال النبيّ ﷺ: «إني لم أعطكها لتلبسها» قال: فما أصنع بها؟ قال: «ٱبعث بها إلى أخيك النجاشيّ». وعن عقبة بن عامر قال: أهدى إلى رسول الله ﷺ فَرُوجٌ ـ يعني قَبَاء حرير ـ فلبسه، ثم صلّى فيه، ثم ٱنصرف فَنَزَعَه نَزْعًا شديدًا كالْكَارِه له، ثم قال: «لا ينبغي هذا للمتقين».

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ صلّى في خَمِيصَة(٢) لها أعْلام، فنظر إلى أعلامها نظرة، فلما سلّم قال: «ٱذهبوا بخَميصَتي هذه إلى أبي جَهْم فإنها أَلْهَتْنِي آنفًا عن صلاتي وأتوني بأنْبِجَانِيّ(٣) أبي جَهْم».

وأما القطن وما ورد في أطْوال ثياب رسول الله ﷺ وعَرْضها فروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت يومًا أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُرْد بَحْرَانيّ(٤) غليظ الحاشية. وعنه: كان قميص رسول الله ﷺ قُطْنيًا قصير الطول قصير الكُمّين. وعن بُذَيْل قال: كان كُمُّ رسول الله ﷺ إلى الرُّسْغ. وعن عُرْوة بن الزبير رضي الله عنهما: أن طول رداء النبيّ ﷺ أربع أذرع، وعرضه ذراعان وشبْر. وعنه: أن ثوب رسول الله ﷺ الذي كان يخرج فيه إلى الوفد ـ ورداؤه حَضْرميّ ـ طولُه أربع أذرع، وعرضه ذراعان وشِبْر، فهو عند الخلفاء قد خَلق(٥)، فطوَوْه بثوب يلبسونه يوم الأضحى والفِطر. وعن ٱبن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يلبس قميصًا قصير اليدين والطول. وعن عبد الرحمٰن بن أبي لَيْلَى قال: كنت مع عمر، في حديث رواه عنه قال فقال: رأيت أبا القاسم وعليه جُبّة شَامِيّة ضيقة الكُمّين.

---

(١) المستقة: فرو طويل الكمين.
(٢) الخميصة: ثوب أسود أو أحمر له أعلام.
(٣) الأنبجاني: نسبة إلى موضع يقال له أنبجان.
(٤) البحراني: نسبة إلى البحرين.
(٥) خلق: بلي.

ذكر صفة إزْرة رسول الله ﷺ
وما كان يقوله إذا لبس ثوبًا جديدًا

روي عن يزيد بن أبي حبيب أن رسول الله ﷺ كان يرخي الإزار من بين يديْه، ويرفعه من ورائه. وعن عِكْرمة مولى ٱبن عباس، قال: رأيت ٱبن عباس إذا ٱتزرَ أرْخى مقدّم إزاره، حتى تقع حاشيتاه على ظهر قدميه؛ ويرفع الإزار مما وراءه، فقلت له: لِمَ تأْتَزِر هكذا؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ يأْتزر هذه الإزْرة. وعن أبي سعيد الخدريّ قال: كان رسول الله ﷺ إذا ٱسْتَجَدّ ثوبًا سمّاه بٱسمه؛ قَميصًا أو إزارًا أو عِمامةً، ويقول: «اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك من خيره وخير ما صُنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صُنع له». وعن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى قال: كان رسول الله ﷺ «إذا لبس ثوبًا ـ أو قال ـ إذا لبس أحدكم ثوبًا فليقل الحمد لله الذي كساني ما أُوَاري به عورتي، وأتَجَمّل به في حياتي». وكان ﷺ يلبس الكساءَ الصوف وحده فيصلي فيه، وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره، ويعقد طرفيه بين كتفيه يصلّي فيه. وكان يلبس القَلانِس تحت العمائم، ويلبسها دونها ويلبس العمائم دونها ويلبس القلانس ذات الآذان في الحرب، وربما نزع قَلَنْسُوَته، وجعلها سترة بين يديه وصلّي إليها، وربما مشى بلا قَلَنسوة ولا عمامة ولا رِداء، راجِلًا يعود المرضى كذلك في أقصى المدينة. وكان يَعْتَمّ ويُسْدِل طَرَف عمامته بين كتفيه. وعن عليّ أنه قال: عَمَّمَني رسول الله ﷺ بعمامة، وسدل طرفها على مَنْكِبي، وقال: «إنّ العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين».

ذكر فِراش رسول الله ﷺ ووِسادته

روي عن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها، قالت: دخلت ٱمرأة من الأنصار عليّ فرأت فراشَ رسول الله ﷺ عَبَاءَةً مَثْنِيَّة، فانطلقت فبعثتْ إليّ بفراش حَشْوه صوفٌ، فدخل رسول الله ﷺ عليّ فقال: «ما هذا»؟ قلت: يا رسول الله؛ فلانة الأنصارية، دخلت عليّ فرأت فراشك فذهبت فبعثت هذا. فقال: «رُدّيه» فلم أردّه، وأعجبني أن يكون في بيتي، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فقال: «والله يا عائشة لو شئتُ لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة». وعنها: أنها كانت تفرِش لرسول الله ﷺ عَباءة بٱثنتين فجاء ليلة وقد رَبّعتها فنام عليها، فقال: «يا عائشة ما لفراشي الليلة ليس كما كان يكون»؟ قالت قلت: يا رسول الله، رَبّعتها، قال: «فأعيديه كما كان». وعنها قالت: كان لرسول الله ﷺ وِسادةٌ من أَدَم محشوّة لِيفًا، ودخل عمر بن الخطاب

رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وهو على سرير مَرْمُول[١] بشَريط، وتحت رأسه مِرْفَقَة[٢] من أدَم مَحشوَّة بليف، وقد أثر الشَّرِيط بجنبه، فبكى عمر، فقال: «ما يبكيك»؟ قال: يا رسول الله، ذكرتُ كِسْرى وقَيْصَر يجلسون على سُرُر الذّهب ويَلْبَسون السُّنْدُس والإسْتَبْرَق[٣]، فقال: «أمَا تَرضَوْن أن تكون لكم الآخرة ولهم الدنيا». وعن عبد الله بن مسعود قال: اضطجع رسول الله ﷺ على حصير فأثر الحصير بجلده، فلما استيقظ جعلت أمسح عنه وأقول: يا رسول الله، ألاَ آذَنْتَنَا نَبْسُط لك على هذا الحصير شيئًا يقيك منه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ما لي وللدنيا، وما أنا والدنيا، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»، وعن المغيرة بن شعبة قال: كان لرسول الله ﷺ فَرْوَة، وكان يستحب أن تكون له فَرْوة مدبوغة يصلّي عليها، وكان رسول الله ﷺ يصلّي على الحصير والخُمْرة[٤]، كما روي في الصحيحين.

ذكر ما لبسه رسول الله ﷺ
من الخواتم، ومن قال لم يَتَخَتّم

قد قدّمنا أن رسول الله ﷺ اتخذ الخاتم في سنة سبع من الهجرة عندما بعث رُسُلَه إلى الملوك، وختم به الكتب التي سَيَّرها إليهم؛ فلنذكر هنا ما لبسه من الخواتِم. وقد روي أنه تختم بالذهب والفضة والحديد الملويّ عليه الفضة، على ما نذكر ذلك من أقوالهم.

روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: اتخذ رسول الله ﷺ خاتمًا من ذهب، فكان يجعل فصّه في بطن كفه إذا لبسه في يده اليمنى؛ فصنع الناس خواتيم من ذهب، فجلس رسول الله ﷺ على المنبر فنزعه، وقال: «إني كنت ألبس هذا الخاتم وأجعل فصّه من باطن كفي» فرمى به، وقال: «والله لا ألبسه أبدًا» ونبذ النبيّ ﷺ الخاتم، فنبذ الناس خواتيمهم.

ثم اتخذ خاتمًا من فِضَّة فَصّه منه، ونقش عليه «محمد رسول الله» ثلاثة أسطر، كان يختم به الكتب إلى الملوك. وقد روي أن خاتمه كان من حديد، ملويّ عليه فِضّة، وقيل: إنه رآه في يد عمرو بن سعيد بن العاص حين قدم من الحبشة فقال:

---

(١) مرمول بشريط: أي منسوج بما ينسج به الحصير.
(٢) المرفقة: كالوسادة.
(٣) الإستبرق: الديباج الغليظ.
(٤) الخمرة: حصير صغير قدر ما يسجد عليه.

«ما هذا الخاتم في يدك يا عمرو»؟ قال: هذه حلقة يا رسول الله، قال: «فما نقشها»؟ قال: محمد رسول الله، فأخذه رسول الله ﷺ منه فتختمه، فكان في يده حتى قُبِض، ثم في يد أبي بكر حتى قُبِض،ثم في يد عمر حتى قُبِض، ثم في يد عثمان ستّ سنين، وفي السابعة وقع في بئر أَرِيس[١]. قال أنس بن مالك: فطلبناه مع عثمان ثلاثة أيام فلم نقدر عليه. وروي عن ابن سِيرين: أن نقشه كان «بسم الله، محمد رسول الله». وقد روى محمد بن سعد في طبقاته قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقيّ، قال حدّثنا عَطّاف بن خالد، عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فَرْوَة، عن سعيد بن المسيّب، قال: ما تختم رسول الله ﷺ حتى لقي الله، ولا أبو بكر حتى لقي الله، ولا عمر حتى لقي الله، ولا عثمان حتى لقي الله، هكذا روي. والصحيح أنه تختّم ﷺ، وتختموا رضوان الله عليهم أجمعين كما ذكرنا.

ذكر نعل رسول الله ﷺ وخُفّيه

روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبيّ ﷺ كان لنعله قِبالان[٢]. وعن عبد الله بن الحارث قال: كان نعل رسول الله ﷺ لها زِمَالاَن[٣] شِراكهما مَثْنِيّ في العُقْدَة. وعن سَلَمَة عن هِشام بن عُرْوَة قال: رأيت نعل رسول الله ﷺ مُخَصَّرة[٤] مُعَقَّبة[٥] مُلَسَّنة[٦] لها قِبالان. وعن عُبَيْد بن جُرَيْج قال قلت لابن عمر: يا أبا عبد الرحمٰن، أراك تستحب هذه النِّعال السِّبْتِيّة[٧]، قال: إني رأيت رسول الله ﷺ يلبسهما ويتوضأ فيهما. وعن عبد الله بن بُرَيْدَة عن أبيه: أن صاحب الحبشة أهدى إلى رسول الله ﷺ خُفّيْن سَاذَجَيْن[٨] فمسح عليهما، وفي رواية: أن النجاشي أهدى إلى رسول الله ﷺ خفين أسودين ساذَجَيْن فلبسهما ومسح عليهما.

---

(١) بئر أريس: بفتح الهمزة وكسر الراء، وسكون الياء آخر الحروف، وسين مهملة: بئر بالمدينة ثم بقبا مقابل مسجدها... (معجم البلدان).
(٢) القبال: زمام النعل، وهو السير الذي يكون بين الإصبعين.
(٣) رمالان: تثنية رمال: وهو سير من الجلد كالقبال.
(٤) المخصرة: التي لها خصر رقيق.
(٥) المعقبة: التي لها عقب من صبور يضم به الرجل.
(٦) الملسنة: التي فيها طول ولطافة على هيئة اللسان.
(٧) السبتية: التي أنسبت شعرها بالدباغ.
(٨) الساذج: الذي لا شعر عليه.

ذكر سِواك رسول الله ﷺ، ومشطه، ومُكْحُلته، ومِرْآته، وقَدَحه، وغير ذلك من أثاثه

روي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أنّ رسول الله ﷺ كان لا يَرْقُد ليلاً ولا نهارًا فيستيقظ إلا تَسَوّك قبل أن يتوضأ. وعن قَتَادة عن أنس، قال: استاك رسول الله ﷺ بجريد رطب وهو صائم، فقيل لقتادة: إن أناسًا يكرهونه، فقال: استاك واللّهِ رسولُ الله ﷺ بجريد رَطْب وهو صائم. وعن ابن جريج قال: كان لرسول الله ﷺ مشط عاج يَمْتَشِط به. وعن ثور عن خالد بن مَعْدان قال: كان رسول الله ﷺ يسافر بالمشط والمِرْآة والدُّهْن والمِكْحَل والسِّواك. وعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يكثر دهن رأسه، ويسرِّح لحيته بالماء. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت لرسول الله ﷺ مُكْحُلة يكتحل بها عند النوم ثلاثًا في كل عين. وعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يكتحل في عينه اليمنى ثلاث مرات، واليسرى مرتين. وعن أبي رافع قال: كان رسول الله ﷺ يكتحل بالإثـمِد وهو صائم. وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالإثمِد فإنه يجلو البصر، وينبت الشعر، وإنه من خير أكحالكم». وعن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَة بن مسعود قال: أهدى المُقَوْقِس إلى رسول الله ﷺ قَدَح زُجاج، كان يشرب فيه. وعن عطاء قال: كان لرسول الله ﷺ قَدَح زجاج، فكان يشرب فيه. وعن حُمَيْد قال: رأيت قَدَح النبيّ ﷺ عند أنس فيه فضّة، أو شُدَّ بفضّة. وقد جاء أنه ﷺ كان له رَبْعَة[1] فيها مرآة ومشط عاج ومُكْحُلة ومِقْرَاض وسِوَاك. وكان له قَدَح مُضَبَّب[2] بثلاث ضَبّات من فضّة - وقيل من حديد - وفيه حلقة. يُعلَّق بها، وهو أكبر من نصف المُدّ وأصغر من المدّ، وكان له قدح آخر يُدعَى الرَّيّان، وتَوْر[3] من حجارة يدعى المِخْضَب. ومِخْضَب[4] من شَبَهٍ[5] يكون فيه الحِنّاء والكَتَم توضع عند رأسه إذا وجد فيه حرًّا، ومِغْسَل من صُفْر، وقَصْعَة، وصاع يخرج به فِطْرته، ومُدّ، وكان له سرير، وقَطِيفَة، وكان له كِساء أسود كساه في حياته، وكان له ثوبان للجمعة، غير سائر ثيابه التي يلبسها في سائر الأيام، وكان له مِنْديل يمسح به وجهه من الوضوء، وربما مسح بطرف ردائه ﷺ.

---

(١) الربعة: إناء مربع كجونة العطار.
(٢) مضبب: مشعب.
(٣) التور: إناء من صفر أو حجارة.
(٤) المخضب: إناء يحضر فيه الخضاب.
(٥) الشبه: النحاس الشبيه بالذهب.

ذكر ما ورد في حجامة رسول الله ﷺ وحَجّامه

روي عن أنس بن مالك قال: ٱحتجم رسول الله ﷺ، وحجمه أبو طَيْبة، وأمر له بصاعين؛ وأمرهم أن يخفِّفوا عنه من ضريبته. وٱختلف في اسم أبي طَيْبة، فقيل: دينار، وقيل: نافع، وقيل: مَيْسَرة، وهو مولى بني حارثة. وعن جابر بن عبد الله قال: أخرج إلينا أبو طَيْبة المحاجم لثمان عشرة من شهر رمضان نهارًا، فقلت: أين كنت؟ قال: كنت عند رسول الله ﷺ أحجمه. وعن أنس قال: ٱحتجم رسول الله ﷺ، حجمه أبو طيبة مولى كان لبعض الأنصار، فأعطاه صاعين من طعام، وكلّم أهله أن يخفِّفوا عنه من ضريبته، وقال: «الحجامة من أفضل دوائكم». وعن ٱبن عباس رضي الله عنهما قال: ٱحتجم رسول الله ﷺ وهو صائم، فغشي عليه يومئذ، فلذلك: كرهت الحجامة للصائم. وعن سَمُرة بن جُنْدُب قال: كنت عند رسول الله ﷺ فدعا حجّامه فحجمه بمحاجم من قرون، وجعل يشرطه بطرف شفرة، فدخل أعرابيّ فرآه ولم يكن يدري الحجامة، ففزع وقال: يا رسول الله، علام تعطي هذا يقطع جلدك؟ فقال رسول الله ﷺ: «هذا الحجم» قال: يا رسول الله، وما الحجم؟ قال: «هو خير ما تداوى به الناس. وعن عطاء وٱبن عباس رضي الله عنهم قالا: ٱحتجم رسول الله ﷺ وهو مُحْرِم من وَجَع. وعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يحتجم ثلاثًا، على الأخْدَعَين[1] ثِنْتَيْن، وعلى الكاهِل[2] واحدة. وعن سعد بن أبي وقاص: أنه وضع يده على المكان الناتِىء من الرأس فوق اليافوخ، فقال: هذا موضع مَحْجَم رسول الله ﷺ الذي كان يحتجم، وجاء أن رسول الله ﷺ كان يسميها المغِيثة. وكان خالد بن الوليد يحتجم على هامته وبين كتفيه، فقيل له: ما هذه الحجامة؟ فقال: إن رسول الله ﷺ كان يحتجمها، وقال: «من أهراق منه هذه الدماء فلا يضره ألاّ يتداوى بشيء لشيء». وروي: أن الأقْرَع بن حابس دخل على النبيّ ﷺ وهو يحتجم في القَمَحْدُوَة: وهي آخر الرأس، فقال: لِم ٱحتجمت وسط رأسك؟ قال: «يا بن حابس إن فيها شفاء من وجع الرأس والأضراس والنعاس والمرض» وشك الراوي في الجنون. وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «الحجامة في الرأس هي المُغِيثَة أمرني بها جبريل حين أكلت طعام اليهودية». وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة أسرِي بي ما مررت بملأٍ من الملائكة إلا قالوا يا محمد مُرْ أمتك بالحجامة». وعن مَعْقِل بن يَسَار قال: قال رسول الله ﷺ: «الحجامة يوم الثلاثاء لسبع عشرة في الشهر دواء لِداءِ السَّنة». وقد

(١) الأخدعان: عرقان في جانبي العنق. (٢) الكاهل: ما بين الكتفين.

كان ﷺ يحتجم لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين. وعن الأوزاعي، عن هارون بن رِئاب: أن رسول الله ﷺ احتجم، ثم قال لرجل: «ادفنه لا يبحث عنه كلب».

ذكر ما ملكه رسول الله ﷺ من السّلاح

كان لرسول الله ﷺ تسعة أسياف: ذو الفَقَار تَنفّله[١] يوم بدر، وهو الذي رأى فيه الرؤيا في غزوة أُحُد، وكان قبل رسول الله ﷺ لِمُنَبّه بن الحجاج السّهمي، وثلاثة أسياف، أصابها من سلاح بني قَيْنُقاع، سيف قَلَعيّ[٢]، وسيف يُدْعَى البَتّار، وسيف يُدْعَى الْحَتف، وسيفان أصابهما من الفُلْس[٣]، سيف يُدعَى المِخْذَم[٤]، وآخر يُدعَى الرَّسُوب[٥]، وسيف ورثه من أبيه، وسيف يقال له العَضْب[٦]، أعطاه إياه سعد بن عُبَادة، وآخر يُدعَى القَضِيب[٧]، وهو: أوّل سيف تَقَلّد به رسول الله ﷺ، قال أنس: كان نَعْل[٨] سيف رسول الله ﷺ فِضّة، وقَبِيعَتُه[٩] فضّة، وما بين ذلك حلَق الفضّة.

وكان له ﷺ أربعة أرماح، ثلاثة أصابها من سلاح بني قَيْنُقاع، وواحد يقال لها المُثْنيّ. وكان له عَنَزةٌ: وهي حَرْبَة دون الرّمْح يمشي بها في يده، وتحمل بين يديه في العيدين، حتى تُرْكَز أمامه فيتخذها سترة يصلي إليها. وكان له أربعة قِسِيّ: قَوْس من شَوْحَط[١٠] تدعى الرَّوْحَاء، وأخرى من شوحط تدعى البَيْضَاء، وأخرى من نَبْع[١١] تُدعَى الصَّفْراء، وقوس تُدعَى الكَتُوم[١٢] كُسِرت يوم بدر. وكان له جَعْبَة تدعى الكافور، وكان له مِخْصَرَة[١٣] تسمى العُرْجُون، وكان له مِحْجَن[١٤] قدر الذراع

---

(١) التنفلة: من النفل وهو الغنيمة.
(٢) القلعيّ: نسبت إلى القلع، وهي قلعة بالبادية بالقرب من حلوان بطريق همذان.
(٣) الفلس: صنم لطيء. (٤) المخذم: المقطع.
(٥) الرسوب: من الرسب، وهو الذهاب إلى أسفل لأن ضربته تغوص في المضروب به.
(٦) العضب: القاطع. (٧) القضيب: يراد به اللطيف من السيوف.
(٨) نعل السيف: حديدة في أسفل جفنه.
(٩) قبيعة السيف: هي التي تكون على رأس قائم السيف.
(١٠) شوحط: شجر جبلي تتخذ منه القسيّ.
(١١) النبع: شجر يتخذ منه الرماح والسهام.
(١٢) الكتوم: سميت بذلك لانخفاض صوتها إذا رمي عنها.
(١٣) المخصرة: ما يختصره بيده، فيمسكه من عصا أو عكازة أو مقرعة أو قضيب، قد يتوكأ عليه.
(١٤) المحجن: عصا معوجة.

أو نحوه يتناول به الشيء، وهو الذي أستلم به الرّكن في حجة الوَدَاع، وكان له دِرْعَان أصابهما من سلاح بني قَيْنُقاع: دِرْع يقال لها السَّعْدية[١]، وأخرى يقال لها فِضة. وعن محمد بن مَسْلَمة قال: رأيت على رسول الله ﷺ يوم أحد دِرعين، دِرعه ذات الفُضُول، ودِرعه فِضّة، ورأيت عليه يوم حُنَيْن دِرْعين، ذات الفُضُول والسَّعْدية، ويقال: كانت عنده دِرْع داود عليه السلام التي لبسها لما قتل جَالُوتَ، وكان له مِغْفَر يقال له السَّبُوغ[٢]، وكان له ﷺ تُرْس؛ روى محمد بن سعد في طبقاته قال: أخبرنا عَتّاب بن زياد، قال حدّثنا عبد الله بن المبارك، قال أخبرنا عبد الرحمٰن بن يزيد بن جابر، قال سمعت مَكْحُولاً يقول: كان لرسول الله ﷺ تُرْسٌ فيه تِمْثَال رأس كَبْش، فكره رسول الله ﷺ مكانه، فأصبح وقد أذهبه الله تعالى. وفي رواية أخرى: كان له ﷺ تُرْس عليه تِمْثال عُقَاب، أُهْدِي له فوضع يده عليه فأذهبه الله، وكان له مِنْطَقَة[٣] من أدِيم مَبْشُور[٤] فيها ثلاث حِلَق من فِضّة، والإِبْزِيم[٥] من فِضّة، والطَّرَف من فضّة، وكان له راية سوداءُ مُخْمَلَة، يقال لها العُقَاب، ولواء أبْيَض وربما جعل الألوية من خُمُر نسائه ﷺ، ورضي عنهنّ.

ذكر دَوَابّ رسول الله ﷺ
من الخيل والبغال والحمير

أما خيله ﷺ، فقد ذكرنا في الباب الأول من القسم الثالث من الفَنّ الثالث من كتابنا هذا، وهو في السّفر التاسع من هذه النّسخة، أن خيل رسول الله ﷺ التي ملكها، على ما ظهر من مجموع الروايات التي أوردناها هناك تسعة عشر فرسًا: وهي السَّكْب[٦]، والمُرْتَجِز[٧]، والبَحْر[٨]، وسَبْحَة[٩]، وذو اللِّمَّة[١٠]، وذو العُقال[١١]،

---

(١) السعدية: نسبة إلى جبال سعد.
(٢) السبوغ: أي السابغ، وهو الطويل.
(٣) المنطقة: ما يشد به الوسط.
(٤) المبشور: المقشور.
(٥) الأبزيم: الذي في رأس المنطقة وما أشبهه.
(٦) السكب: الصب، سمي بذلك لسرعته في الجري.
(٧) المرتجز: سمي بذلك لحسن صهيله.
(٨) البحر: سمي بذلك لقوله ﷺ له: «ما أنت إلا بحر»، لسرعته.
(٩) السبحة: أي السابح، وهو الفرس إذا كان حسن مد اليدين في الجري.
(١٠) ذو اللمة: سمي بذلك لوفرة شعره.
(١١) ذو العقال: سمي بذلك لظلع في قوائمه. والظلع: العرج اليسير.

واللُّحَيْف[١]، ويقال فيه: اللّخيف بالخاء المعجمة، وقيل: النَّحيف بالنون، واللِّزاز[٢]، والظَّرِب[٣]، والوَرْد[٤]، والسَّجْل[٥]، والشحَا[٦]، والسِّرْحَان[٧]، والمُرْتَجِل[٨]، والأدْهَم[٩]، ومُلاوِح[١٠]، والعَيْسُوب، واليَعْبُوب[١١]، والمِرْوَاح[١٢]، وقد يكون الأدْهَم هو السَّكْب أو البَحْر، فتكون ثمانية عشر فرسًا.

وذكرنا هناك أخبار هذه الخيل ومن ذكرها. وذهب بعضهم إلى أن خيله ﷺ كانت عشرة أفراس: السَّكْب، والمُرتَجِز، ولزَازُ، واللَّخِيفُ، والظّرِب، والْوَرْد، والضَّرِس، ومُلاَوِح، وسَبْحَة، والبَحْر، ولم يذكر ما عداها، والله عزّ وجل أعلم.

وأما بغلات رسول الله ﷺ وحُمُره فقد ذكرنا أيضًا في الباب الثاني من القسم الثالث من الفن الثالث في السفر التاسع من كتابنا هذا، أن بغلات رسول الله ﷺ اللاتي ملكهنّ كُنّ سبعًا، على ما ظهر من مجموع الروايات التي ذكرناها هناك، وهنّ دُلْدُل التي أهداها له المُقَوْقِس، وفِضّة التي أهداها له فَرْوَة بن عمرو، وبغلة أهداها له كِسْرَى، وبغلته الأيْليّة التي أهداها له ابن العَلْمَاء صاحب أيْلَة، وبغلة بعثها له صاحب دُومَة الْجَنْدل، وبَغْلَة أهداها له يُوحَنّا بن روزيه، وبغلة أهداها له النجاشيّ صاحب الحبشة، وفي البَغْلة التي ذكر أن كِسْرى أهداها له ﷺ نظر، لما قدمناه من أنه مَزَّق كتاب رسول الله ﷺ ولم يجبه. ومن أهل العلم من ذهب إلا أنهنّ كنّ ثلاثة: دُلْدُل التي أهداها له المقوقس، وفضة وهبها لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وبغلة أهداها له صاحب أيْلَة. وكان له ﷺ من الْحُمُر: يَعْفُور، وعُفَير، وقد ذكرناهما في الباب المقدّم ذكره في السِّفْر التاسع.

---

(١) اللحيف: سمي بذلك لسمنه وكبره. (٢) اللزاز: المجتمع الخلق.
(٣) الظرب: سمي بذلك لقوته وصلابة حافره.
(٤) الورد: لون بين الكميت والأشقر.
(٥) السجل: مأخوذ من سجلت الماء إذا صببته.
(٦) الشحا: البعيد الخطوة. (٧) السرحان: الذئب.
(٨) المرتجل: الذي يخلط بين تباعد خطاه وتوسع جريه، وبين تقاربها وسرعته.
(٩) الأدهم: الأسود.
(١٠) الملاوح: العظيم الألواح، أو السريع العطش.
(١١) اليعبوب: الفرس الجواد.
(١٢) المرواح: مشتق من الرواح لتوسعه في الجري.

ذكر نَعَم رسول الله ﷺ

كان لرسول الله ﷺ عشرون لَقْحَة[١] بالغابة، يراح له منها كل ليلة بقِرْبَتَين عظيمتين من اللّبن، وكانت له لقحة تُدعى بُرْدَة، أهداها له الضحّاكُ بن سفيان، كانت تُحْلَب كما تُحْلَب لقحتان غَزيرتان، وكانت له مَهْرِيّة أرسلها إليه سعد بن عُبَادة من نَعَم بني عُقَيل، وكانت له القَصْوَاء[٢]، وهي التي هاجر عليها، وكان لا يحمله إذا نزل عليه الوَحْيُ غيرها، وهي العَضْبَاء[٣]، والجَدْعَاء[٤]، وقيل: العَضْبَاء غير القَصْوَاء، وقد ذكرنا في الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثالث نَعَمه بأبسط من هذا.

وكان له ﷺ مائة من الغَنَم. وكانت له سبْع مَنَائِح[٥]: عَجْرة، وزَمْزَم، وسُقْيَا، وبَرَكَة، ووَرِشة، وأطْلال، وأطْرَاف، وكانت أُمّ أيْمَن ترعاهنّ، وكانت له شاة يَخْتَصّ بشرب لبنها، تدعى غَيْثَة، وكان له دِيكٌ أبيض، هذا ما أمكن إيراده في هذه الفصول، وهو بحسب الٱختصار.

وقد آن أن نأخذ في ذكر مُعْجزاته ﷺ، وإنما أخّرْناَ ذكر المعجزات إلى هذه الغاية لأمُور: منها أنّ معجزاته ﷺ كانت في مدة حياته، تقع خلال غزواته، وغالب أوقاته، فلو ذكرناها قبل نهاية ذكر أحواله ﷺ، لكنّا قد قدّمنا منها شيئًا قبل وقته الذي وقع فيه. ومنها أنّا لمّا ذكرنا صفاته ﷺ فيما تقدّم، ٱستلزم إيراد أحواله تِلْوَ صفاته، وصار الكلام يتلو بعضه بعضًا، ولو ذكرنا المعجزات في خلال ذلك لٱنقطع الكلام وٱنفَرَط النظام، وأهمّ الأسباب في تأخير ذكر المعجزات إلى هذه الغاية، أنا أردنا أن تكون معجزاته ﷺ خاتمةً لهذه السِّيرة الشريفة، وتالية لهذه المناقب المُنيفَة لا يجعل بعدها من أخباره ﷺ إلا أخبار وفاته عليه السلام.

ذكر معجزات رسول الله ﷺ

ومعنى المعجزة أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها، ولا تكون معجزة إلا مع وُجود التَّحدي بالنبوّة، وأما مع عدم التحدي فهي كرامة، كأحوال الأولياء.

---

(١) اللقحة: الناقة القريبة العهد بالنتاج.
(٢) القصواء: التي قطع طرف أذنها.
(٣) العضباء: المشقوقة الأذنين أو مقطوعتهما.
(٤) الجدعاء: المقطوعة الأنف أو الأذن أو الشفة.
(٥) المنائح: واحدتها منيحة، وهي الشاة التي تعار للبنها.

والمعجزة على ضَرْبين: ضَرْبٌ هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عن الإتيان بمثله؛ كالقرآن على رأي من رأى أن من قدرة البشر أن يأتوا بمثله، ولكن الله تعالى صَرَفهم عن ذلك، فعجزوا عنه، وكصرف يَهُود عن تمنّي الموت، ونحو ذلك. وضَرْب هو خارج عن قدرة البشر كإحياء الموتى، وتَسْبيح الحَصى، وانْشِقَاق القمر، ونَبع الماء من بين الأصابع، وتكثير الطعام، وحَبْس الشمس، وردّها بعد غروبها.

وها نحن نورد في هذا الفصل من مشاهير معجزاته، وباهر آياته، ما تقف إن شاء الله تعالى عليه، وقد تقدم من معجزاته ﷺ في أثناء هذه السيرة ما تقدم، مما نُنبّه عليه في هذا الفصل، ونُحِيل عليه في مواضعه، ونشرح ونبين ما أدمَجْناه قبلُ إن شاء الله تعالى.

ومعجزاته ﷺ كثيرة: منها القرآن العظيم، وهو أكبرَها آيةً، وأعظمها دلالة على صدق نبوته ﷺ، ومنها انشقاق القَمَر، وحبس الشمس، وردّها، وتَفْجير الماء وانْبِعاثُه ونَبْعه من بين أصابعه وتكثير الطعام، وكلام الشَّجَر، وسَعْيُها إليه، وحَنين الجذْع، وتسبيح الطعام والحصى، وكلام الجمادات، وشهادة الحيوانات له ﷺ بالنبوة، وكلام الموتى، وإبراء المرضى، وإجابة الدعاء، وانقلاب الأعيان، وما أطلعه الله تعالى عليه من علم الغيوب، والإخبار بما كان ويكون، وما جمع له من المعارف والعلوم ومصالح الدنيا والدين، وسياسة العالم، والعِصْمة من الناس، وغير ذلك مما نشرحه ونبيّنه إن شاء الله تعالى.

فأما القرآن العظيم وما انْطوَى عليه من المعجزات، فمعجزاته كثيرة نحصرها في عشرة أوْجُه:

الوجه الأوّل: حُسْن تأليفه والْتِئام كَلِمه وفصاحتُه، ووجوه إيجازه، وبلاغته الخارقة عادةَ العرب، وذلك أنهم خُصّوا من البلاغة والحكم ما لم يُخَصّ به غيرهم من الأمم، وحَسْبك أن القرآن أنزل بلغتهم، ومع ذلك فقد قَرّعهم رسول الله ﷺ به، ووَبّخهم وسَفّه أحلامهم، وسبّ آلهتهم، وذمّ آباءهم، وشتت نِظامهم، وفرّق جماعتهم، وأنزل الله تعالى فيهم ما أنزل من قوله عزّ وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨] وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٣ و٢٤] وقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨] وغير ذلك، فنَكَصُوا عن معارضته،

وأحْجَموا عن مماثلته، ورَضُوا بقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [البقرة: ٨٨] و﴿فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥] و﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]. وٱعترف فصحاؤهم عند سماعه أنه ليس من كلام البشر؛ كالوليد بن المُغيرَة وعُتْبَة بن رَبِيعة، على ما قدّمنا ذكر ذلك.

الوجه الثاني من إعجازه: صورة نظمه العجيب، المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونَثْرها، وسَجْعها ورَجَزها وهَزَجها وقريضها، ومبسوطها[(١)] ومَقبوضها[(٢)]، كما قال الوليد بن المغيرة لقريش عند ٱجتماعهم كما قدمناه، ومن ذلك جمعه بين الدليل والمدلول، وذلك أنه ٱحتجّ بنظم القرآن، وحسن وصفه وإيجازه وبلاغته، وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده ووعيده، فالتّالي له يفهم موضع الحجّة والتّكليف معًا من كلام واحد.

الوجه الثالث من إعجازه: ما ٱنطوى عليه من الإخبار بالمغيبات، وما لم يكن ولم يقع فوُجد، كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]. وقوله في الروم: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ٣]. وقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]. وقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥] الآية. وقوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر: ١] السورة، فكان جميع ذلك: فتح الله مكة، وغلبت الروم فارس، وأظهر الله رسوله، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، واستخلف الله المؤمنين في الأرض، ومَكّن دينهم وملّكهم أقصى المشارق والمغارب، وما فيه من الإخبار بحال المنافقين واليهود، وكشف أسرارهم، وغير ذلك.

الوجه الرابع: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة، والأمم البائدة والشرائع الداثرة، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا من مارس العلوم من أهل الكتاب، وٱطلع على الكتب المنزلة القديمة، كقصص الأنبياء مع قومهم، وخبر موسى والخضِر وذِي القَرْنَيْن ولُقْمان وٱبنه وبدء الخلق، وغير ذلك مما في كتبهم القديمة مما ٱعترف بصحته العلماء من أحبار يهود، فمنهم من آمن به، ومنهم من صدّ عنه مع عدم إنكارهم لصحته، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥].

---

(١) مبسوطها: مطولات قصائدها.

(٢) مقبوضها: مختصر أوزانها.

الوجه الخامس: الرَّوْعَةُ التي تلحق قلوب سامعيه، وأسماعهم عند سماعه، والهيبة التي تعتريهم عند تِلاوته؛ قال الله عزّ وجل: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] هذا في حق المؤمنين به، وأما من كذّب به فكانوا يستثقلون سماعه، ويَوَدّون ٱنقطاعه؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: «القرآن صَعْب مُسْتصعب على من كَرهه، وهو الحَكَم» وقد تقدّم أن عُتبة بن رَبيعة لما سمع القرآن من رسول الله ﷺ وبلغ قوله: ﴿صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣] أمسك على فِي النبيّ ﷺ وناشده الرّحِم أن يَكُفّ.

الوجه السادس: كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا، وقد تكفل الله تعالى بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]. وقال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢] وسائر معجزات الأنبياء ٱنقضت بانقضاء أوقاتها، فلم يبق إلا خبرها، والقرآن العزيز باق منذ أنزله الله تعالى وإلى وقتنا هذا، وما بعده إن شاء الله إلى آخر الدهر، حجته قاهرة، ومعارضته ممتنعة.

الوجه السابع: أن قارئه لا يَمِلُّ قراءته، وسامعه لا تَمُجُّه مسامعه، بل الإكْبَاب على تلاوته وتَرْديده يزيده حلاوة ومحبة، لا يزال غَضًّا طريًّا، وغيره من الكلام ولو بلغ ما عساه أن يبلغ من البلاغة والفصاحة يُمَلّ مع الترديد، ويسأم إذا أعيد، وكذلك غيره من الكتب لا يوجد فيها ما فيه من ذلك، وقد وصف رسول الله ﷺ القرآن «أنه لا يَخْلُق على كثرة الردّ ولا تنقضي عِبَرُه، ولا تَفْنى عجائبُه، هو الفَصْل ليس بالهَزْل».

الوجه الثامن: أن الله تعالى يسر حِفظه لمتعلّميه، وقرّبه على متحفِّظِيه، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [القمر: ١٧] فلذلك إن سائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحدُ منها، وإن لازم قراءتها، وداوم مُدارستها، لم يسمع بذلك عن أحد منهم، والقرآن قد يسر الله تعالى حفظه على الغلمان في المدّة القريبة والنِّسوان، وقد رأينا من حفظه على كبر سنه، وهذا من معجزاته.

الوجه التاسع: مشاكلة بعض أجزائه بعضًا، وحسن ائتلاف أنواعها، والتِئام أقسامها، وحسن التخلص من قصة إلى أخرى، والخروج من باب إلى غيره على ٱختلاف معانيه، وٱنقسام السورة الواحدة على أمر ونهي، وخبر وٱستخبار ووعد ووعيد، وإثبات نبوّة وتوحيد، وتقرير وترغيب وترهيب، إلى غير ذلك، دون خلل

يتخلل فصوله، والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوّته، ولانَتْ جَزَالتُه، وقلَّ رَوْنقُه، وتَقَلْقَلت[١] ألفاظُه، وهذا من الأمور الظاهرة التي لا يحتاج عليها إقامةُ دليل، ولا تقرير حجة، ولا بسط مقال.

الوجه العاشر: وجمعه لعلوم ومعارف لم تعهدها العرب، ولا علماء أهل الكتاب، ولا اشتمل عليها كتاب من كتبهم، فجمع فيه من بيان علم الشرائع، والتنبيه على طرق الحجج العقليات، والرّد على فرق الأمم بالبراهين الواضحة، والأدلة البينة السهلة الألفاظ، الموجزة المقاصد؛ لقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ﴾ [يس: ٨١] وقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ﴾ [يس: ٧٩] وقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢] إلى غير ذلك مما اشتمل عليه من المواعظ والحِكم وأخبار الدار الآخرة، ومحاسن الآداب، وغير ذلك مما لا يحصيه واصفٌ، ولا يعده عادٌ، قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍۚ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ﴾ [الزمر: ٢٧] وقال رسول الله ﷺ: «إنّ الله أنزل عليّ القرآن آمِرًا وزاجرًا، وسنّةً خالية، ومثلاً مضروبًا، فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، لا يخلقه طُولُ الرّدّ، ولا تنقضي عجائبه، هو الحقّ ليس بالهزْل، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به فَلَجَ[٢] ومن قَسَم به أقْسَط[٣]، ومن عمل به أُجِر، ومن تمسك به هُدِيَ إلى صراط مستقيم، ومن طلب الهدى من غيره أضلّه الله، ومن حكم بغيره قَصَمه الله، هو الذكر الحكيم، والنّور المبين، والصراط المستقيم، وحَبْل الله المتين، والشّفاء النافع، عِصْمةٌ لمن تمسّك به، ونجاةٌ لمن اتّبعه، لا يَعْوَج فيقوَّمَ، ولا يَزيغ فيُسْتَعْتَب، ولا تَنْقَضي عجائبُه، ولا يَخلُق على كثرة الرّدّ». وفي الحديث: «قال الله تعالى لمحمد ﷺ: إني منزِّل عليك تَوْراةً حديثة تفتح بها أعْيُنًا عُمْيًا وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلْفًا، وفيها ينابيع العلم، وفَهْم الحِكمة، ورَبيع القلوب». وقد عدّوا في إعجازه وجوهًا كثيرة غير ما ذكرناه فلا نطوِّل بسردها.

وأما انْشِقاق القمر، وحبس الشمس ورجوعها، فكان ذلك من معجزات رسول الله ﷺ؛ قال الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ [القمر: ١ و٢]. وقد رويت قصة انشقاق القمر عن ابن

---

(١) تقلقلت: تحركت.

(٢) فلج: غلب من خاصمه.

(٣) أقسط: عدل.

مسعود، وأنس بن مالك، وٱبن عباس، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر، وحُذَيْفة، وجُبَيْر بن مطعم رضي الله عنهم، قال ٱبن مسعود: ٱنشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: «ٱشهدوا» قال ٱبن مسعود: حتى رأيت الجبل بين فُرْجَتي القمر، وفي بعض طرقه: ومن رواية مسروق عنه أنه كان بمكة، وزاد: فقال كفّار قريش سَحَركم ٱبنُ أبي كَبْشَة، فقال رجل منهم: إن محمدًا إن كان قد سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها، فٱسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا؟ فأتوا فسألوا فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك. وحكى السَّمَرْقَندي عن الضحاك نحوه. وقال: فقال أبو جهل هذا سِحْرٌ فٱبعثوا إلى أهل الآفاق حتى ينظروا أرأوا ذلك أم لا؟ فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقًا، فقالوا ـ يعني الكفار ـ: هذا سِحر مستمِر. وقال علي رضي الله عنه، من رواية أبي حُذَيْفة الأرحبي: ٱنشق القمر، ونحن مع النبي ﷺ. وعن أنس: سأل أهلُ مكة النبيّ ﷺ أن يريهم آية، فأراهم ٱنشقاق القمر مرتين، حتى رأوا حِراءَ بينهما، وفي رواية مَعْمَر، وغيره عن قَتادة عنه: أراهم القمر مرتين ٱنشقاقَه، فنزلت الآية: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾. وحكى الإمام أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حلِيم الحلِيميّ الجرجانيّ[1] في منهاجه قال: رأيت ببُخَارى الهلال وهو ابن ليلتين منشقًّا بنصفين، عَرْض كل واحد منهما كعرض القمر ليلة أربع أو خمس، وما زلت أنظر إليهما حتى ٱتصلا، ثم لم يعودا كما كانا، ولكنهما صارا في شكل أُتْرُجَة[2]، ولم أمِل طرفي عنهما إلى أن غاب، قال: وكان معي ليلتئذ جماعةٌ كثِيفة، من بين شريف وفقيه وكاتب وغيرهم من طبقات الناس، وكلٌّ رأى ما رأيت. قال: وأخبرني من وَثِقت به، وكان خبره عندي كعِيَاني أنه رأى الهلال وهو ٱبن ثلاث منشقًا بنصفين، قال: وإذا كان هكذا، ظهر أن قول الله عزّ وجل: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] إنما هو على الأنشقاق الذي هو من أشراط الساعة، دون الأنشقاق الذي جعله الله تعالى آية لرسوله ﷺ، وحجة على أهل مكة. وبالله التوفيق.

---

(١) الجرجاني هذا شافعي المذهب، رحل إلى بخارى وكتب الحديث عن أبي سهل محمد بن أحمد بن يوسف وغيره، وتفقه على أبي بكر الأودي وأبي بكر القفال، ثم صار إمامًا معظمًا وحدث بنيسابور. كانت وفاته في جمادى الأولى سنة ٤٠٣ هجرية.

(٢) الأترجة: ثمرة الأترج، وهو شجر يعلو، ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره كالليمون الكبار، وهو ذهبي اللون، ذكي الرائحة، حامض الماء.

وأما رجوع الشّمس: فقد روي عن أسماء بنت عُمَيْس أن النبيّ ﷺ كان يُوحَى إليه ورأسه في حِجْر عليٍّ، فلم يصلّ العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: «أصليت يا علي»؟ قال: لا. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فأردد عليه الشمس» قالت أسماء: فرأيتها غربت، ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت، ووقفت على الجبال والأرض، وذلك بالصّهْباء في خَيْبر. خرّجه الطحاوي في مشكل الحديث عن أسماء من طريقين، قال وكان أحمد بن صالح يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء؛ لأنه من علامات النبوّة.

وأما حبسها: فقد روى يونس بن بكير في زيادة المغازي عن ابن إسحاق: أن رسول الله ﷺ لما أسرِي به، وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العِير، قالوا: متى تجيء؟ قال: «يوم الأربعاء» فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون، وقد ولّى النهار ولم يجىء، فدعا رسول الله ﷺ فزيد له في النهار ساعة، وحبِست عليه الشمس ﷺ.

وأما نَبْعُ الماء من بين أصابعه ﷺ

فقد روي عن أنس بن مالك، وجابر، وعبد الله بن مسعود؛ قال أنَسٌ من رواية إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة: رأيت رسول الله ﷺ، وقد حانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوَضوء[1] فلم يجدوه، فأُتي رسول الله ﷺ بوَضوء[2]، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه، قال: فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم. ورواه أيضًا عن أنس قَتَادةُ، وقال: بإناء فيه ماء ما يغمر أصابعه، ولا يكاد يغمر، قال: كم كنتم؟ قال: زُهَاء ثلثمائة، وفي رواية عنه: وهم بالزَّوْراء عند السوق. وأما ابن مسعود، ففي الصحيح عنه من رواية عَلْقَمة: بينما نحن مع رسول الله ﷺ، وليس معنا ماء، فقال لنا رسول الله ﷺ: «اطلبوا مَن معه فضل ماءٍ» فأُتِي بإناءٍ فصبّه في إناءٍ، ثم وضع كفّه فيه، فجعل الماء يَنْبع من بين أصابع رسول الله ﷺ. وفي الصحيح عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال: «عطش الناس يوم الحُديبية، ورسول الله ﷺ بين يديه رَكْوةٌ[3] فتوضأ منها، وأقبل الناس نحوه، وقالوا: ليس عندنا ماءٌ، إلا ما في رَكْوَتك، فوضع النبيّ ﷺ يده في الرّكوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، وفيه:

---

(١) الوضوء: الماء الذي يتوضأ به. (٢) بوضوء: أي بإناء وضوء.
(٣) الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء.

فقلت كم كنتم؟ قالوا: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة. وفي صحيح مسلم في ذكر غَزْوة بُوَاط[١]، قال جابر قال لي رسول الله ﷺ: «يا جابر ناد الوَضوء» وذكر الحديث بطوله: وأنه لم يحد إلا قَطْرة في عَزْلاء[٢] شَجْب[٣]، فأُتِي به النبيّ ﷺ فغَمَزَه، وتكلم بشيء لا أدري ما هو، وقال: «نادِ بجَفْنَة[٤] الرّكْب» فأتيت بها فوضعتها بين يديه، وذكر أن النبيّ ﷺ بسط يده في الجَفْنة، وفرق أصابعه، وصبّ جابر عليه، وقال: «بسم الله» قال: فرأيت الماء يفور من بين أصابعه، ثم فارت الجَفْنة، وٱستدارت حتى ٱمتلأت، وأمر الناس بالاَستقاء فٱستقوا حتى رَوُوا، فقلت: هل بقي أحد له حاجة؛ فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهي مَلْأى. هذا مختصر ما رُوِيَ من تفجير الماء من بين أصابعه ﷺ.

وأما تَفْجيره وٱنْبِعاثُه وتكثيره ببركته ودعائه ﷺ

فمن ذلك ما رواه مالك بن أنس رحمه الله في الموطأ، عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تَبوك، وأنهم وَرَدُوا العين[٥]، وهي تَبِضّ[٦] بشيء من ماء مثل الشِّرَاك[٧]، فغرفوا من العَيْن بأيديهم حتى ٱجتمع في شيء، ثم غسل رسول الله ﷺ فيه وجهه ويديه، وأعاده فيها فجَرت بماء كثير فاستقى الناس. وفي حديث ٱبن إسحاق: فٱنخرق[٨] من الماء ما له حِسٌّ كحسِّ الصواعق، ثم قال: «يوشك يا مُعَاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد مُلِيءَ جِنانًا». ومنه قصة الحُدَيْبية، وقد تقدّم ذكرها في الغَزوات. ومن ذلك خبر صاحبة المزَادتَيْن، وهو مما روي عن عمران بن حُصَيْن، قال: أصاب النبيّ ﷺ وأصحابه عَطَشٌ في بعض أسفارهم، فوَجَّه رجلين من أصحابه، وأعلمهما أنهما يجدان ٱمرأة بمكان كذا، معها بعير عليه مَزَادَتان، الحديث. فوجداها وأتيا بها النبيّ ﷺ، فجعل في إناء من مزادتها، وقال فيه ما شاء الله أن يقول، ثم أعاد الماء في المزادتين، ثم فُتِحت عَزَاليهما[٩]، وأمر الناس فملأوا أسقيتهم حتى لم يدعوا شيئًا إلا ملأوه، قال عمْران: ويخيل لي أنهما لم تزدادا إلا

---

(١) بواط: جبال جهينة بقرب ينبع على أربعة برد من المدينة.
(٢) العزلاء: فم المزادة.
(٣) الشجب: السقاء الذي قد أخلق وبلي وصار شنًا.
(٤) جفنة: يراد بها على سبيل المجاز الذي يطعمهم ويشبعهم.
(٥) العين: المراد عين بتبوك.
(٦) تبض: أي تقطر وتسيل.
(٧) الشراك: سير النعل.
(٨) انخرق: انفجر.
(٩) عزاليهما: مثنى عزلاء، وقد تقدم تفسيرها.

أمتلاء، ثم أمر فجمع للمرأة من الأزْوَاد حتى ملأ ثَوْبها، وقال: «أذهبي فإنا لم نأخذ من مائك شيئًا ولكن الله سقانا». وعن عمرو بن شعيب أن أبا طالب قال للنبيّ ﷺ وهو رَدِيفه بِذِي المَجَاز: عطشت وليس عندي ماء، فنزل النبيّ ﷺ وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء فقال: «أشرب». وعن سَلَمة بن الأكوع؛ قال نبيّ الله ﷺ: «هل من وَضوء؟» فجاء رجل بإدَاوَة[١] فيها نُطْفَة[٢] فأفرغها في قدح فتوضأنا كلنا، نُدَغْفِقه[٣] دَغْفَقَةً أربع عشرة مائة. وفي حديث غزوة تَبُوك، وما أصاب الناس من العَطَش، ودعا رسول الله ﷺ، وأن الله تعالى أرسل سَحابة فأمطرت حتّى أرْتَوَى الناس، وأحْتَملوا حاجتهم من الماء، وقد تقدّم ذكره. ومن طريق آخر في هذه القصة عن عمر: وذكر ما أصابهم من العَطَش في جيش العُسْرَة، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرْثَه فيشربه، فرغب أبو بكر رضي الله عنه إلى النبيّ ﷺ في الدّعاء، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت[٤] السماء، فانسكبت فملأوا ما معهم من آنية، ولم يجاوز العسكر. والحديث في هذا الباب كثير.

وأما تكثير الطعام ببركته ودعائه ﷺ

فقد رَوَيْنا من ذلك أحاديث كثيرة بأسانيد صحيحة متّصلة، رأينا حذفها هاهنا اختصارًا لأشتهارها وأنتشارها، منها ما رويناه عن جابر رضي الله عنه: أن رجلًا أتى النبيّ ﷺ يستطعمه فأطعمه شَطْر وَسْق شعير، فما زال يأكل منه وأمرأته وضيفه حتى كَالَه[٥]، فأتى النبيّ ﷺ فأخبره فقال: «لو لم تكله لأكلتم منه وقام بكم». ومن ذلك حديث أبي طلحة المشهور، وإطعام رسول الله ﷺ ثمانين أو سبعين رجلًا من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده ـ أي إبْطِه ـ فأمر بها فَفُتّت، وقال فيها ما شاء الله أن يقول. وحديث جابر رضي الله عنه في إطعام رسول الله ﷺ يوم الخَنْدَق ألف رجل من صاع شعير، وعَنَاقٍ[٦]، قال جابر: فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وأنْحَرَفوا، وإن بُرْمَتنا[٧] لتَغِطّ[٨] كما هي، وإن عجيننا ليُخْبَز، وكان رسول الله ﷺ بصق في العجين والبُرْمة وبارك. ومن ذلك حديث أبي أيوب الأنصاري: أنه صنع لرسول الله ﷺ

---

(١) الإداوة: إناء صغير من جلد يتخذ للماء كالمزادة ونحوها.
(٢) النطفة: القليل من الماء.
(٣) الدغفقة: الصب الشديد.
(٤) قالت السماء: غيمت وظهر فيها سحاب.
(٥) كاله: قاسه.
(٦) عناق: أنثى المعز لم يتم لها سنة.
(٧) البرمة: القدر من الحجارة.
(٨) تغط: تغلي.

ولأبي بكر رضي الله عنه من الطعام زُهَاء ما يكفيهما، فقال له النبيّ ﷺ: «ادع ثلاثين من أشراف الأنصار» فدعاهم فأكلوا حتى تركوه، ثم قال: «ادع ستين» فكان مثل ذلك، ثم قال: «ادع سبعين» فأكلوا حتى تركوا، وما خرج منهم أحدٌ حتى أسْلَم وبايع، قال أبو أيوب: فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلاً. وعن سَمُرَة بن جُنْدب قال: أتى النبيّ ﷺ بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون. ومن ذلك حديث عبد الرحمٰن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال: كنا مع النبيّ ﷺ ثلاثين ومائة، وذكر في الحديث: عُجن صاعٌ من طعام، وصُنِعت شاة فَشُوي سَوَادُ[1] بطنها، قال: وأيْمُ اللّهِ ما من الثلاثين والمائة إلا وقد حُزّ له حَزّة من سواد بطنها، ثم جُعل منها قَصْعتان فأكلنا أجمعون، وفضل في القصعتين فحملته على البعير. ومن ذلك حديث عمر بن الخطاب، وأبي هريرة وسَلَمَة بن الأكْوَع رضي الله عنهم، فذكروا مَخْمَصَة[2] أصابت الناس مع النبيّ ﷺ في بعض مغازيه، فدعا ببقية الأزْوَاد، فجاء الرجل بالحَثْية من الطعام وفوق ذلك، وأعلاهم الذي أتى بالصّاع من التمر، فجمعه على نِطَع، قال سلَمَة: فحزَرْته كرُبْضَة البعير، ثم دعا الناس بأوْعِيتِهم، فما بقي في الجيش وِعاءٌ إلا ملأوه وبقي منه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أدعو له أهل الصُفَّة فتتبّعتهم حتى جمعتهم، فوُضِعت بين أيدينا صَحْفَة فأكلنا ما شئنا وفرغنا، وهي مثلها حين وُضعت، إلا أن فيها أثَرَ الأصابع. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وكانوا أربعين، منهم قوم يأكلون الجَذَعة[3] ويشربون الفَرَق[4] فصنع لهم مُدًّا من طعام، فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو، ثم دعا بعُسٍّ[5] فشربوا حتى رَوُوا وبقي كأنه لم يشرب. وقال أنس بن مالك: إن النبيّ ﷺ لما ابتنى بزينب أمره أن يدعو له قومًا سَمّاهم، وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحُجْرة، وقدّم إليهم تَوْرًا فيه قدر مدّ من تمر جُعِل حَيْسًا[6]، فوضعه قدّامه وغَمَس ثلاثَ أصابعه، وجعل القوم يتغدّون ويخرجون، وبقي التور نحوًا مما كان، وكان القوم أحدًا أو اثنين وسبعين. وفي رواية أخرى في هذه القصة أو مثلها: أن القوم كانوا زُهَاء ثلثمائة، وأنهم أكلوا

(١) سواد بطنها: أي الكبد.
(٢) المخمصة: اسم بمعنى المجاعة.
(٣) الجذعة من الخيل والدواب: ما استكمل سنتين ودخل في الثالثة.
(٤) الفرق: مكيال يتسع ستة عشر رطلاً.
(٥) العس: القدح الكبير يروي الثلاثة والأربعة.
(٦) الحيس: خليط من تمر وسمن وأقط.

حتى شبعوا، وقال لي: «ارفع» فلا أدري حين وضعتُ كان أكثر أم حين رَفَعتُ. وفي حديث جعفر بن محمد عن آله، عن علي رضي الله عنهم أن فاطمة رضي الله عنها طبخت قِدْرًا لغدائها، ووجهت عليًا إلى النبيّ ﷺ ليتغدّى معها، فأمرها فغَرَفتْ منها لجميع نسائه صَحفةً صَحفةً، ثم له عليه السلام ولعليّ، ثم لها، ثم رفعت القدر، وإنها لتفيض، قالت: فأكلنا منها ما شاء الله. ومن ذلك أن رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزوِّد أربعمائة راكب من أحْمَس، فقال: يا رسول الله، ما هي إلا أصْوُع، قال: «اذهب» فذهب فزوَّدهم منه، وكان قدر الفَصِيل الرّابض من التمر وبقي بحاله. ومن ذلك حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في دَيْن أبيه، وقد كان بَذَل لِغُرَماء أبيه أصل ماله فلم يقبلوه، ولم يكن في ثمرها سنين كَفَافُ دَيْنهم، فأمره النبيّ ﷺ بجَذِّها وجعلها بَيَادِر[1] في أصولها، ثم جاءه فمشى فيها ودعا، فأوْفَى جابر غُرَماء أبيه من ذلك، وفضل مثل ما كانوا يَجُذُّون كل سنة. وفي رواية: مثل ما أعطاهم. قال: وكان الغرماء يهودًا فعجبوا من ذلك. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أصاب الناس مَخْمَصَة فقال لي رسول الله ﷺ «هل من شيء»؟ قلت: نعم، شيء من التمر في المِزْوَد، قال: «فأتني به» فأتيته به فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها، ودعا بالبركة، ثم قال: «ادع لي عشرة» فأكلوا حتى شبعوا، ثم عشرة كذلك، حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا، قال: «خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه ولا تكُبّه» فقبضت على أكثر مما جئت به فأكلت منه وأطْعَمْتُ منه حياةَ رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، إلى أن قتل عثمان فانْتُهِب مني فذهب. وفي رواية: فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله. وذُكِر مثل هذه الحكاية في غزوة تَبُوكَ، وأن التمر كان بضع عشرة تمرة. ومنه أيضًا حديث أبي هريرة رضي الله عنه حين أصابه الجوع، فاستتبعه النبيّ ﷺ فوجد لبنًا في قَدَح قد أهدي إليه، وأمره أن يدعو أهل الصُفّة، قال فقلت: ما هذا اللبن فيهم! كنت أحقّ أن أصيب منه شَرْبة أتقوّى بها، فدعوتهم، وذكر أمر النبيّ ﷺ له أن يسقيهم، قال: فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يَرْوَى، ثم يأخذ الآخر حتى رَوِي جميعُهم، فأخذ النبيّ ﷺ القَدَح وقال: «بقيتُ أنا وأنت اقعد فاشرب» فشربت ثم قال: «اشرب» وما زال يقولها وأشرب حتى قلت: لا والذي بعثك بالحقّ ما أجد له مَسْلَكًا، فأخذ القَدَح فحمِد الله وسمّى وشرب الفَضْلة، ﷺ.

(١) البيادر: مفردها بيدر، وهو موضع تجفيف البر ونحوه ليخلص من تبنه.

وأما كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة وٱنقيادها إليه وإجابتها دعوته ﷺ

فمن ذلك ما رويناه بسند متصل عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فدنا منه أعرابيّ، فقال: «يا أعرابي أين تريد»؟ قال: إلى أهلي، قال: «هل لك إلى خير»؟ قال: وما هو؟ قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله» قال: من يشهد لك على ما تقول؟ قال: «هذه الشجرة السَّمُرَة»[١] وهي بشاطىء الوادي، فأقبلت تَخُدّ[٢] الأرض حتى قامت بين يديه، فٱستشهدها ثلاثًا فشهدت أنه كما قال، ثم رجعت إلى مكانها. وعن بُرَيْدة قال: سأل أعرابي النبيّ ﷺ آية فقال له: «قل لتلك الشجرة رسول الله ﷺ يدعوك» قال: فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقُها، ثم جاءت تَخُد الأرض، تَجُرّ عروقها مُغِيرَة[٣] حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ، فقالت: السّلام عليك يا رسول الله، قال الأعرابي: مرها فلترجع إلى مَنْبتها فٱستوت، فقال الأعرابي: إيذن لي أسجدْ لك، قال: «لو أمرتُ أحدًا أن يسجد لأحد لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها» قال: فأذنْ لي أقبّلْ يديك ورجليك، فأذن له.

ومن ذلك ما روي في الصحيح من حديث جابر بن عبد الله قال: ذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فلم يرَ شيئًا يستتر به، فإذا بشجرتين بشاطىء الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال: «ٱنقادي عليّ بإذن الله» فٱنقادت معه كالبعير المخْشُوش[٤] الذي يصانع قائده. وذكر أنه فعل بالأخرى مثل ذلك، حتى إذا كان بالمَنْصَف[٥] بينهما قال: «التئما عليّ بإذن الله» فالتأمَتَا. وفي رواية أخرى؛ فقال: «يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله ﷺ الحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما» ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها، فجلس خلفهما، فخرجت أحْضِر[٦]، وجلست أُحَدِّث نفسي، فالتفت فإذا رسول الله ﷺ مُقْبِل والشجرتان قد ٱفترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق، فوقف رسول الله ﷺ وقفة فقال[٧] برأسه ـ هكذا ـ يمينًا وشمالاً.

---

(١) السمرة: شجرة عظيمة ذات شوك من الطلح.
(٢) تخدّ الأرض: تشقها. (٣) مغيرة: مسرعة في مشيها.
(٤) المخشوش: الذي وضع في أنفه خشاش، وهو العود.
(٥) المنصف: وسط المكان. (٦) أحضر: أسرع في العدو.
(٧) المراد هنا أشار برأسه.

وروى أسامة بن زيد نحوه، قال: قال لي رسول الله ﷺ في بعض مغازيه: «هل»؟ يعني مكانًا لحاجة رسول الله ﷺ فقلت: إن الوادي ما فيه موضع بالناس[١]، فقال: «هل ترى من نخل أو حجارة»؟ قلت: أرى نخلات متقاربات، فقال: «انطلق وقل لهن إن رسول الله ﷺ يأمركنّ أن تأتين لمخرج رسول الله ﷺ وقل للحجارة مثل ذلك» فقلت ذلك لهنّ، فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن، والحجارة يتعاقدن حتى صِرن رُكامًا خلفهنّ، فلما قضى حاجته قال لي: «قل لهنّ يفترقن» فوالذي نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عُدْن إلى مواضعهنّ. وعن ابن مسعود مثله في غَزاة حُنَيْن. وعن يَعْلَى بن مُرّة ـ وهو ابن سَيَّابة ـ وذكر أشياء رآها من رسول الله ﷺ فذكر أن طَلْحَة ـ أو سَمُرَة ـ جاءت فأطافت به، ثم رجعت إلى مَنْبتها، فقال رسول الله ﷺ: «إنها استأذنت أن تسلم عليّ». وفي حديث ابن مسعود: آذنت النبيَّ ﷺ بالجِنّ ليلة استمعوا له شجرةٌ. وذكر أبو بكر بن فُورَك أن رسول الله ﷺ سار في غزوة الطّائف ليلاً وهو وَسِنٌ، فاعترضته سدْرَة[٢] فانفرجت له نصفين، حتى جاز بينهما، وبقيت على ساقين إلى وقتنا هذا، وهي هناك معروفة. وقد روي في مثل ذلك أحاديث كثيرة.

ومن ذلك قِصَّة حَنِين الجِذْع، والخبر بذلك مشهورٌ منتَشر خرّجه أهل الصحيح، ورواه جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، قال جابر بن عبد الله: كان المسجد مَسْقوفًا على جُذُوع نخل، فكان النبيّ ﷺ إذا خطب يقوم على جِذْع منها، فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العِشَار[٣]، وفي رواية أنس: حتى ارْتَجّ المسجد بِخُوَاره. وفي رواية سَهْل بن سَعْد: وكثر بكاء الناس لما رأوا به. وفي رواية المطلب بن أبي وَدَاعَة: حتى تَصَدّع وانْشَق، حتى جاء النبيّ ﷺ فوضع يده عليه فسكت. وزاد غيره: فقال النبيّ ﷺ «إن هذا بكى لما فَقَد من الذِّكْر». وزاد غيره: «والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه[٤] لم يزل هكذا إلى يوم القيامة تَحزُّنًا على رسول الله ﷺ»، فأمر به رسول الله ﷺ فدفن تحت المنبر. وفي حديث أبيّ بن كعب: فكان إذا صلّى النبيّ ﷺ صلّى إليه، فلما هُدِم المسجد أخذه أبيّ فكان عنده إلى أن أكلته الأرض وعاد رُفَاتًا. وذكر الإسفرايينيّ: أن النبيّ ﷺ دعاه إلى نفسه فجاءه

---

(١) المراد بقوله: بالناس، أي بسبب الناس.
(٢) السدرة: جمع السدر، وهي شجر النبق.
(٣) العشار: النوق الحوامل التي بلغت عشرة أشهر لحملها، واحدتها عشراء.
(٤) التزمه: اعتنقه.

يخرق الأرض فالتزمه، ثم أمره فعاد إلى مكانه. وفي حديث بُرَيْدة فقال النبيّ ﷺ: «إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه، تنبت لك عُروقُك، ويكتمل خَلْقُك ويُجَدّد لك خُوص وثمرة، وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك»، ثم أصغى له النبيّ ﷺ يستمع ما يقول فقال: بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه. فسمعه من يليه، فقال النبيّ ﷺ: «قد فعلت ـ ثم قال ـ اَختار دار البقاء على دار الفناء».

ومن معجزاته ﷺ نطق الجمادات

كتسبيح الطعام في جوفه، وتسبيح الحصى في كفّه وكفّ من صبّه في كفّه من أصحابه، وسلام الجبال والأحجار والأشجار عليه، وسجودها له، وغير ذلك مما يلتحق به على ما نشرحه إن شاء الله تعالى.

فمن ذلك ما رويناه بإسناد متصل عن البخاريّ بسنده، عن عَلْقَمة عن عبد الله قال: لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل، وفي غير هذه الرواية عن عبد الله بن مسعود قال: كنا نأكل مع رسول الله ﷺ الطعام، ونحن نسمع تسبيحه. وقال أنس بن مالك: أخذ النبيّ ﷺ كفًّا من حصًى فسبَّحنَ في يد رسول الله ﷺ حتى سمعنا التسبيح، ثم صبهنّ في يد أبي بكر فسبحن، ثم في أيدينا فما سبحن. وروى أبو ذَرّ مثله، وذكر أنهنّ سبحن في كفّ عمر وعثمان. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كنا بمكة مع رسول الله ﷺ فخرج إلى بعض نواحيها فما اَستقبله شجر ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. وعن جابر بن سَمُرَة عنه ﷺ أنه قال: «إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليّ» قيل: إنه الحجر الأسود. وعن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها، عنه ﷺ أنه قال: «لما اَستقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السّلام عليك يا رسول الله». وعن جابر بن عبد الله قال: لم يكن ﷺ يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له. وفي حديث العباس بن عبد المطلب إذ اَشتمل[١] عليه النبيّ ﷺ وعلى بنيه بمُلاءَته فأمَّنَتْ أُسْكُفّة[٢] الباب وحوائط البيت آمين آمين. وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: مرض النبيّ ﷺ فأتاه جبريل بطبق فيه رُمّان وعِنَب، فأكل منه ﷺ فسبّح. وعن أنس رضي الله عنه قال: صعد النبيّ ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان أُحُدًا فرَجَف بهم فقال: «اَثبتْ أُحُدُ، فإنما عليك نَبيٌّ وصِديق

---

(١) اشتمل عليه: أي ضمّه. (٢) الأسكفة: عتبة الباب التي يوطأ عليها.

وشهيدان»، ومثله عن أبي هريرة في حِرَاء، وزاد فيه: ومعه عليّ وطلحة والزُّبَيْر، وقال: «إنما عليك نبيٌّ أو صِدِّيق أو شهيد»، والخبر في حِرَاءَ أيضًا عن عثمان قال: ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم، وزاد عبد الرحمٰن وسعدًا، قال: ونسيت الاثنين. وقد روي أنه ﷺ حين طلبته قريش قال له ثَبير[1]: اهبط يا رسول الله، فإني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله، فقال حراء: إليّ يا رسول الله. وقد تقدّم ذكر خبر الأصنام، وسقوطها عندما أشار إليها بالقَضيب، حين فتح الله تعالى مكة عليه، صلّى الله عليه وسلّم تسليمًا كثيرًا أبدًا دائمًا.

ومن معجزاته ﷺ

كلام الحيوانات وسكونها وثباتها إذا رأته؛ كقصة الدّاجن، وكلام الضَّبّ والذّئب، والطائر والظَّبْية، وسجود الغنم والبعير، وخبر سفينَةَ مولاه مع الأسَدِ، وخبر العنز، وغير ذلك مما نورده إن شاء الله تعالى.

فمن ذلك ما رويناه بسند متصل عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان عندنا داجِنٌ، فإذا كان عندنا رسول الله ﷺ قرّ وثبت مكانه، فلم يجيء ولم يذهب، فإذا خرج رسول الله ﷺ جاء وذهب.

ومنه ما روي عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان في مَحْفِل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضَبًّا فقال: من هذا؟ قالوا: نبيّ الله، فقال: واللّات والعُزّى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضَّبّ. وطرحه بين يدي النبيّ ﷺ، فقال النبيّ ﷺ: «يا ضَبُّ» فأجابه بلسان مُبين يسمعه القوم جميعًا: لَبّيْك وسَعْدَيْك يا زَيْن من وَافَى القيامة، قال: «من تعبد»؟ قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عقابه، قال: «فمن أنا»؟ قال: رسول رب العالمين، وخاتم النبيين؛ وقد أفلح من صدّقك، وخاب من كذّبك. فأسلم الأعرابيّ.

ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن أبي سعيد الخُدْريّ قال: بينا راع يرعى غنمًا له، عرض الذئب لشاة منها فأخذها الراعي منه، فأقْعَى الذئب وقال للراعي: ألا تتّقي الله، حُلْتَ بيني وبين رزقي! قال الراعي: العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس، فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؛ رسول الله بين الحرَّتين

---

(١) ثبير: جبل على يمين الذاهب من منى إلى مكة.

يحدِّث الناس بأنْبَاء ما قد سبق، فأتى الراعي النبيّ ﷺ فأخبره، فقال النبيّ ﷺ: «قم فحدِّثهم»؛ ثم قال: «صَدَق». ورُوي حديث الذئب عن أبي هريرة. وفي بعض الطرق عنه قال الذئب: أنت أعجب! واقفًا على غنمك، وتركت نبيًا لم يبعث الله نبيًّا قَطُّ أعظم منه عنده قَدْرًا، قد فُتحت له أبوابُ الجنة، وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم، وما بينك وبينه إلا هذا الشِّعْب فتصير في جنود الله، قال الراعي: من لي بغَنَمِي؟ قال الذئب: أنا أرعاها حتى ترجع، فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى، وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبيّ ﷺ يقاتل، فقال له النبيّ ﷺ: «عد إلى غنمك تجدها بوَفْرِها»[١] فوجدها كذلك، وذبح للذئب شاة منها.

ورُوي أن أهْبان بن أوْس هو صاحب القصة ومُكَلِّم الذئب. ورُوي أيضًا أن صاحب القصة سَلَمة بن عمرو بن الأكْوَع، وأنها سبب إسلامه. وحكى أبو عمر بن عبد البر في ترجمة رافع بن عُمَيْرة الطائي أنه كلمه الذئب، وهو في ضَأنٍ له يرعاها، فدعاه إلى رسول الله ﷺ واللحاق به. قال: وزعموا أن رافع بن عميرة قال في كلام الذئب إيّاه: [من الوافر]

رَعَيْتُ الضَّأن أَحْميها بكَلْبِي ... من الضَّبع الخَفِيّ وكل ذِيبِ[٢]
فلمّا أنْ سمعتُ الذئب نادَى ... يبَشِّرني بأحمدَ من قريبِ
سَعَيْتُ إلَيْهِ قد شَمَّرْت ثَوْبِي ... على السّاقَيْنِ قاصِدَة الرّكيبِ[٣]
فألْفَيْتُ النبيَّ يقول قَوْلاً ... صَدُوقًا ليس بالقول الكَذُوبِ
يُبشِّرُني بدِين الحَقِّ حتى ... تَبَيَّنَتِ الشَّرِيعَةُ لِلْمُنِيبِ[٤]
وأبصرتُ الضِّياء يُضيءُ حَوْلِي ... أمَامِي إنْ سَعَيْتُ ومِن جَنُوبِي

في أبيات أخَر.

وروى ابن وهب: أن مثل هذه القصة وقع لأبي سفيان بن حرب، وصَفْوَان بن أميّة مع ذئب وجداه قد أخذ ظبيًا، فدخل الظّبي الحَرَم فانصرف الذئب فعجبًا من ذلك، فقال الذئب: أعجبُ من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار. فقال أبو سفيان: واللاّت والعُزّى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنا خُلُوفًا[٥]. وقد روي أيضًا مثل هذا الخبر، وأنه جرى لأبي جهل وأصحابه.

---

(١) الوفر: التمام والكمال.
(٢) الحفيّ: المبالغ في الطلب.
(٣) الركيب: من يكثر الركوب ويحسنه.
(٤) المنيب: الراجع إلى الله.
(٥) المراد تركها خالية من أهلها.

وعن عباس بن مِرْدَاس السُّلَميّ أنه لمّا تعجّب من كلام صنمه ضِمَار، وإنشاده الشعر الذي ذكرناه، فإذا طائر سقط، فقال: يا عباس، أتعجب من كلام ضِمار، ولا تعجب من نفسك؟ إن رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام، وأنت جالس!

وعن أنس رضي الله عنه قال: دخل النبيّ ﷺ وأبو بكر وعمر ورجلٌ من الأنصار حائطَ[١] أنصاريّ، وفي الحائط غنم، فسجدت له فقال أبو بكر: نحن أحقُّ بالسجود لك منها... الحديث. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخل النبيّ ﷺ حائطًا فجاء بَعِيرٌ فسجد له، وذكر مثله. ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك، وجابر بن عبد الله، ويَعْلَى بن مُرّة، وعبد الله بن جعفر قال: وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شَدّ عليه الجمل، فلما دخل عليه النبيّ ﷺ دعاه، فوضع مِشْفَره في الأرض وبرك بين يديه فخَطَمَه؛ وقال: «ما بين السماء والأرض شيء إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصيَ الجنِّ والإنسِ». وفي حديث آخر: أن النبي ﷺ سألهم عن شأنه فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه. وفي رواية: أن النبيّ ﷺ قال لهم: «إنه لاشتكى كثرة العمل وقلة العَلَف». وفي رواية: «إنه شكا إليّ أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاقّ العمل من صغره» فقالوا: نَعَم: وقد روي في قصة العَضْبَاءِ وكلامِها النبيّ ﷺ، وتعريفِها له بنفسها، ومبادرةِ العُشْب إليها في الرّعي، وتجنّبِ الوحوش عنها، وندائِهم لها أنْتِ لمحمد، وأنها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت. ذكره الإسفرائني. وروى ابن وهب: أن حَمام مكة أظلت النبيّ ﷺ يوم فتحها، فدعا لها بالبركة. وقد ذكرنا قصة الغار وخبر الحمامَتَيْن والعنكبوت.

وعن عبد الله بن قُرْط قال: قُرِّب إلى رسول الله ﷺ بدَنَات خمس أو ستّ أو سبع لينحَرها يوم عيد، فازْدَلَفْن[٢] إليه بأيَّتِهِنّ يبدأ. وعن أمّ سَلَمَة قالت: كان النبيّ ﷺ في صَحراء فنادته ظَبية: يا رسول الله، قال: «ما حاجتك»؟ قالت: صَادَنِي هذا الأعرابيّ ولي خِشْفَان[٣] في ذلك الجبل، فأطلقْني حتى أذهبَ فأرضعَهما وأرجع، قال: «وتفعلين»؟ قالت: نعم، فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها، فانتبه الأعرابي. فقال: يا رسول الله، ألك حاجة؟ قال: «تُطلِق هذه الظَّبْية» فأطلقها، فخرجت تعدو في الصحراء وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

---

(١) المراد بالحائط: البستان.

(٢) ازدلفن: تقربن منه.

(٣) الخشف: ولد الظبية.

ومنه ما روي من تسخير الأسَدِ لسَفِينَةَ مولى رسول الله ﷺ

إذ وجّهه إلى مُعاذ باليَمن، فلقي الأسدَ فعَرَّفه أنه مولى رسول الله ﷺ ومعه كتابه، فهَمْهَم وتنحّى عن الطريق، وذكر في منصرفه مثل ذلك. وفي رواية أخرى عنه: أن سفينة تكسرت به، فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد؛ قال فقلت: أنا مولى رسول الله ﷺ فجعل يَغمِزُني[1] بمَنْكِبه حتى أقامني على الطريق. وروي أنه ﷺ أخذ بأذن شاة لقوم من عبد القيس بين إصْبعَيْه ثم خلاّها، فصار لها مِيسَمًا، وبقي ذلك الأثر فيها وفي نسلها. وقد روي عن إبراهيم بن حمّاد بسنده كلام الحمار الذي أصابه بخيبر، وقال له: ما اسمك قال: اسمي يزيد بن شهاب، فسماه النبيّ ﷺ يَعفُورًا وأنه كان يوجهه إلى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم، وأن النبيّ ﷺ لما مات، تَرَدَّى في بئر جَزَعًا وحُزنًا فمات. وخبر الناقة التي شهدت عند النبيّ ﷺ لصاحبها أنه ما سرقها وأنها ملكه. وخبر العنز التي أتت رسول الله ﷺ في عسكره، وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زُهَاء ثلثمائة، فحلبها رسول الله ﷺ فأروَى الجُنْد، ثم قال لرافع: «املكها[2] وما أُراك»[3] فربطها فوجدها قد انطلقت. رواه ابن قانع وغيره، وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «إن الذي جاء بها هو الذي ذهب بها». وقال عليه السلام لفرسه، وقد قام إلى الصلاة في بعض أسفاره: «لا تَبرحْ بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا» وجعله قِبْلَته فما حرّك عُضوًا حتى فرغ من صلاته ﷺ.

ومن معجزاته ﷺ ما روي من كلام الأموات والأطفال وشهادتهم له بالنبّوة.

فمن ذلك ما روي عن فَهْد بن عطية: أن النبيّ ﷺ أُتِي بصبيّ قد شَبّ لم يتكلم قطّ، فقال له: «من أنا»؟ فقال: رسول الله. وعن مُعَرِّض بن مُعَيْقِيب قال: رأيت من النبيّ ﷺ عجبًا، جيء بصَبيّ يوم وُلد، فذكر مثله، وهو حديث مُبَارك اليَمَامة، ويعرف بحديث شاصُونه اسم راويه، وفيه؛ فقال له النبيّ ﷺ: «صدقت بارك الله فيك» ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شَبّ، فكان يسمى مبارك اليمامة، وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع.

وعن الحسن رضي الله عنه: أتى رجل النبيّ ﷺ فذكر له أنه طَرَح بُنَيّة له في وادي كذا، فانطلق معه إلى الوادي وناداها باسمها «يا فلانة أحيي بإذن الله» فخرجت وهي تقول: لَبّيكَ وسَعْديكَ، فقال لها: «إن أبوَيْك قد أسلما فإن أحببتِ أن أردّك عليهما» قالت: لا حاجة لي فيهما، وجدت الله خيرًا لي منهما.

---

(١) غمزه: ضغط عليه. (٢) أملكها: أي اتخذها ملكًا لك.

(٣) وما أراك: أي لا أظنك تملكها أو تحفظها.

وعن أنس رضي الله عنه أن شابًا من الأنصار/تُوفِّي وله أمّ عجوز عمياء قال: فسجّيناه وعزّيناها فقالت: مات ابني؟ قلنا: نَعَم، قالت: اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدّة، فلا تُحَمِّلَنَّ[1] عليّ هذه المصيبة، قال: فما برحنا أن كشَف الثوب عن وجهه فطَعِم وطَعِمنا. وروي عن عبد الله بن عبيد الله الأنصاري قال: كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شَمّاس - وكان قتل باليمامة - فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول: محمد رسول الله، أبو بكر الصدّيق، عمر الشهيد، وعثمان البرّ الرحيم، فنظرنا فإذا هو مَيِّت. وذكر عن النعمان بن بشِير: أن زيد بن خارجة خرّ ميتًا في بعض أزِقة المدينة، فرفع وسُجِّي إذ سمعوه بين العِشاءين والنساء يصرخن حوله يقول: أنصتوا أنصتوا، فَحُسِر عن وجهه، فقال: محمد رسول الله، النبيّ الأميّ، وخاتم النبيين، كان ذلك في الكتاب الأوّل، ثم قال: صدق صدق، وذكر أبا بكر وعمر وعثمان ثم قال: السّلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، ثم عاد ميتًا. ومن ذلك قصة الذِّراع وقول رسول الله ﷺ لأصحابه: ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة. وقد تقدّم خبر الذراع. والله مُنْجِي المتقين ووليهم.

ومن معجزاته ﷺ إبراء المرضى وذوي العاهات، كردِّ عَيْن قَتَادة، وكشف بصر الضرير، وتفْله ﷺ على جِراحات فبرأت، وغير ذلك مما نشرحه إن شاء الله تعالى.

أما عَيْن قَتَادة بن النعمان فقد روينا بإسناد متّصل عن سعد بن أبي وَقّاص: أن قَتَادة بن النعمان أصِيبت عينه يوم أحد حتى وقعت على وجنته، فردّها رسول الله ﷺ فكانت أحسن عينَيْه. وذكر الأصمعي عن أبي معشر المدني قال: أوفد أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم، بديوان المدينة إلى عمر بن عبد العزيز رجلًا من ولد قتادة بن النعمان، فلما قدم عليه قال له: ممن الرجل؟ قال: [من الطويل]

أنا ابن الذي سالَتْ على الخَدِّ عَيْنُه … فرُدّتْ بكَفِّ المصطفى أحسنَ الرد
فعادتْ كما كانت لأوّل أمْرِها … فيا حُسنَ ما عَيْنٍ ويا حسنَ ما رَدّ

فقال عمر بن عبد العزيز: [من البسيط]

تلك المكارِمُ لا قَعْبانِ مِن لَبَنٍ … شِيبًا بِماءٍ فَعادَا بَعْدُ أبْوَالا[2]

---

(١) أي لا تكلفني حملها.

(٢) القعب: القدح الضخم، أو الصغير الذي يروي الرجل. شيبا: خلطا.

حكاه ٱبن عبد البر. وروى النَّسائيّ عن عثمان بن حُنَيف أن أعمى قال: يا رسول الله، ٱدع الله أن يكشف لي عن بصري. قال: «فٱنْطلق فتوضأ ثم صَلِّ ركعتين، ثم قال اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيِّي محمدٍ نبي الرحمة يا محمد إني أتوجّه بك إلى ربك أن يكشف عن بصري اللهم شفِّعه فِيّ» قال: فرجع وقد كشف الله عن بصره.

وروي أن ٱبن مُلاَعِب الأسِنّة أصابه ٱستسقاء فبعث إلى النبيّ ﷺ، فأخذ بيده حَثْوة من الأرض فتَفَل عليها، ثم أعطاها رسوله، فأخذها متعجبًا ـ يرى أنه قد هُزِيء به ـ فأتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله. وذكر العُقَيْليّ عن حبيب بن فُدَيْك ـ ويقال فُوَيك ـ أن أباه ٱبيضّتْ عيناه، فكان لا يبصر بهما شيئًا، فتفَثَ رسول الله ﷺ في عينَيْه فأبصر، فرأيته يدخل الخيط في الإبْرة وهو ٱبن ثمانين.

وأتته ٱمرأة من خَثْعَم معها صبيّ به بلاءٌ[1] لا يتكلم، فأتِي بماءٍ فمضْمَضَ فاه وغَسَل يديه ثم أعطاها إياه وأمرها بسقْيِه ومسِّه به، فبَرأ الغلام، وعَقَل عَقْلاً، يَفْضُل عقولَ الناس. وعن ٱبن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت ٱمرأة بٱبن لها به جُنُونٌ، فمسح رسول الله ﷺ صدره فَثَعّ[2] ثَعّةً فخرج من جوفه مثل الجرْو الأسْوَد فَشُفِي. وكانت في كَفِّ شُرَحْبيل الجُعْفي سِلْعَة[3]، تمنعه القبض على السيف وعِنان الدابة، فشكاها إلى النبيّ ﷺ، فما زال يطْحَنها بكفِّه حتى رفعها ولم يبق لها أثَرٌ. وسألته جاريةٌ طعامًا وهو يأكل، فناولها من بين يديه، وكانت قليلة الحَيَاء، فقالت: إنما أريد من الذي في فِيكَ، فناولها ما في فِيهِ، ولم يكن يسأل شيئًا فيمنعه، فلما ٱستقر في جوفها أُلْقِي عليها من الحياء ما لم تكن ٱمرأة بالمدينة أشدّ حياء منها.

وأما الجِراحات التي تَفَلَ عليها فبَرأت فكثير

منها أنه ﷺ بَصَق على أثر سهم في وَجْه أبي قتادة، في يوم ذي قَرَد[4]، قال: فما ضرب[5] عليَّ، ولا قَاحَ. ومنها أن كُلْثُوم بن الحُصَيْن رُمِي يوم أُحُد في نحره، فبصق رسول الله ﷺ فيه فبرأ، وتَفَل على شَجّة عبد الله بن أنَيْس فلم تُمِدّ[6]. وتَفَل

(١) البلاء: عدم القدرة على الكلام. (٢) ثع: قاء.

(٣) السلعة: ورم غليظ غير ملتزق باللحم يتحرك عند تحريكه، وله غلاف، ويقبل الزيادة لأنه خارج عن اللحم.

(٤) ذو قرد: موضع قرب المدينة. (٥) ما ضرب: أي ما آلمني الجرح.

(٦) لم تمدّ: أي لم تصب بمدّة وقيح.

في رِجْل زيد بن مُعاذ حين أصابها السيف إلى الكعب حين قَتَل ٱبن الأشْرَف فبرئت، وعلى ساق علي بن الحَكَم يوم الخَنْدَق، إذ ٱنكسرت فبرِىء مكانه وما نزل عن فرسه. وقطع أبو جهل يد معوّذ بن عَفْراء في يوم بدر، فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله ﷺ وألصقها فلصقت. رواه ٱبن وهب، ومن روايته: أن خُبيب بن يَسَاف أصِيب يوم بَدْر مع رسول الله ﷺ بضربة على عاتقه حتى مالَ شِقُّه، فردّه رسول الله ﷺ، ونَفَث عليه حتى صح. ونَفَث على ضربة بساق سَلَمَة بن الأكْوَع يوم خَيْبر فبرئت. وتَفَل في عَينيْ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خَيْبر وكان رَمِدًا فأصبح بارئًا. وٱشتكى عليّ مرة فجعل يدعو، فقال النبيّ ﷺ: «اللهم اشفه أو عافه» ثم ضربه برجله فما ٱشتكى ذلك الوجع بعد ذلك.

ومن معجزاته ﷺ إجابة دعائه

وهذا فصل متسع جدًا، نذكر منه ما ٱشتهر وٱنتشر، وتواترت به الأخبار وتداولته الرُّواة، ونقله أصحاب السِّيَر، ولا شك ولا خلاف بين أحد من الأمة في إجابة دعائه ﷺ؛ وقد روي عن حُذَيفة أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده. روي عن أنس بن مالك قال: قالت أمي يا رسول الله، خادمُك أنَسٌ ٱدع الله له؛ قال: «اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته» قال أنس: فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليعادّون اليوم على نحو المائة، وما أعلم أحدًا أصاب من رخاء العيش ما أصبت، ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي، لا أقول سقطًا ولا ولد ولدٍ. ودعا ﷺ لعبد الرحمٰن بن عوف بالبركة، قال عبد الرحمٰن: فلو رفعت حجرًا لرجوت أن أصيب تحته ذهبًا، ولما مات حفر الذهب من تَرِكَته بالفُؤس حتى مَجَلت[1] فيه الأيدي، وأخذت كل زوجة ثمانين ألفًا، وكنّ أربعًا، وقيل: مائة ألف، وقيل: بل صولحت إحداهن ـ لأنه طلقها في مرضه ـ على نيف وثمانين ألفًا، وأوصى بخمسين ألفًا بعد صدقاته الفاشية في حياته. ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة. ولسعد بن أبي وَقّاص أن يجيب الله دعوته، فما دعا على أحد إلا ٱستجيب له. ودعا أن يعزّ الله الإسلام بعمر أو بأبي جهل فاستجيب له في عمر رضي الله عنه؛ قال ٱبن مسعود: ما زلنا أعزَّةً منذ أسلم عمر. وقال لأبي قَتادة: «أفلحَ وجهُك، اللهم بارك له في شعره وبَشَره»[2] فمات وهو ٱبن سبعين سنة

(١) المجل: تغير يكون في اليد من كثرة العمل.
(٢) البشر: ظاهر الجلد واليد.

وكأنّه ٱبن خمس عشرة. وقال للنابغة: «لا يَفْضُضِ[١] اللّهُ فاك» قال: فما سقطت له سِنّ، وكان، أحسن الناس ثَغْرًا، إذا سقطت له سِنّ نبتت له أخرى، وعاش عشرين ومائة سنة، وقيل: أكثر. ودعا لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «اللهم فقِّهْه في الدين وعلمه التأويل» فسمي بعْدُ الحِبْر وتَرْجُمان القرآن. ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صَفْقَة[٢] يمينه؛ فما ٱشترى شيئًا إلا ربح فيه. ودعا للمِقْدَاد بالبركة؛ فكان عنده غَرائر من المال. ودعا كذلك لعُرْوَة بن أبي الجَعْد، قال: فلقد كنت أقوم بالكُنَاسَة[٣] فما أرجع حتى أربح أربعين ألفًا. ودعا لعليّ أن يُكفَى الحرّ والقُرّ، فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف، وفي الصيف ثياب الشتاء، ولا يصيبه حَرٌّ ولا بَرْدٌ. ودعا على مُضَر فأُقحِطوا حتى ٱستعطفته قريش فدعا لهم فسُقوا. وتقدم خبره في دعائه في الاْستسقاء والاْستضحاء[٤]. ودعا على كِسْرَى أن يُمَزَّقَ ملكُه فلم يبق له باقيةٌ، ولم تَعُدْ لفارس مملكة. وقال لرجل رآه يأكل بشماله: «كُلْ بيمينك» قال: لا أستطيع، فقال: «لا ٱستطعت» فلم يرفعها إلى فيه بعدُ. وقال في عُتْبَة بن أبي لهب: «اللهم سَلِّط عليه كلبًا من كلابك» فأكله الأسد كما تقدم. ودعا على مُحَلِّم بن جَثَّامَة، فمات لسَبْع فلفَظَتْه الأرض ثم وُورِي فلفظته، فألقوه في صُدَّين ورَضَموا[٥] عليه بالحجارة، والصُّدّ جانب الوادي. ودعواته ﷺ كثيرة عليه أفضل الصلاة والسّلام.

ومن معجزاته ﷺ ٱنقلاب الأعْيَان

فيما لمسه أو باشره؛ كسيف عُكاشَة بن مِحْصِن، وعبد الله بن جَحْش، وغير ذلك، وكان من خبر عكاشة أن سيفه ٱنكسر يوم بدر فأعطاه رسول الله ﷺ جِذل[٦] حَطبٍ، وقال: «ٱضرب به» فعاد في يده سيفًا صارمًا طويلاً أبيض شديد المتن، فقاتل به، ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن ٱستشهد في قتال أهل الردّة، وكان هذا السيف يسمى العَوْن. ودفع لعبد الله بن جحش ـ وقد ذهب سيفه يوم أُحُد ـ عسيب[٧] نخل فرجع في يده سيفًا. ومن ذلك أنه ﷺ مرّ على ماءٍ فسأل عنه، فقيل له ٱسمه

---

(١) لا يفضض: أي لا يسقط الله أسنانك. (٢) أي في بيعه وشرائه.
(٣) الكناسة: سوق مشهورة بالكوفة.
(٤) الاستضحاء: بروز الأرض للشمس، وظهورها بعدم النبات فيها.
(٥) الرضم: وضع الصخور بعضها فوق بعض كالبناء.
(٦) الجذل: عود غليظ أو أصل من أصول الشجرة.
(٧) العسيب: جريدة النخل لا خوص عليها.

بَيْسَان وماؤه ملح، فقال: «بل هو نَعْمَان وماؤه طيِّب» فكان كذلك. ومنه أنه ﷺ أعطى قتادة بن النعمان ـ وكان قد صلّى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة ـ عُرْجُونًا[١]، وقال: «آنطلق به فإنه سيضيء لك من بين يديك عشرًا[٢]، ومن خلفك عشرًا، فإذا دخلت بيتك فسترى سوادًا فآضربه به حتى يخرج فإنه الشيطان» فانطلق فأضاء له العُرْجون، ووجد السواد فضربه حتى خرج. ومن ذلك أنه ﷺ زوّد أصحابه سِقَاء من ماء بعد أن أوْكَأه ودعا فيه، فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فإذا به لبنٌ طيب وفي فمه زبدة. رواه حَمّاد بن سَلَمَة.

ومما يلتحق بهذا الفصل

أنه ﷺ ركب فرسًا لأبي طلحة، كان يقطف[٣] ـ أو ـ به قطاف، فلما رجع قال: وجدنا فرسك بَحْرًا، فكان بعد لا يجارى. ونخس جمل جابر بن عبد الله، وكان قد أعْيَا فنَشِط حتى كان ما يملك زِمامه، وقد تقدم خبره. وخَفَق[٤] فرس جُعَيْل الأشجعي بمِخْفَقه[٥] معه وبَرَّك عليها فلم يملك رأسها نشاطًا، وباع من بطنها بآثني عشر ألفًا. وركب ﷺ حمارًا قَطُوفًا لسعد بن عُبادة فرده هِمْلاجًا[٦] لا يُسايَر. ومن ذلك بركة يده ﷺ فيما لمسه كقصة سَلْمَان في كتابته، وما غرس له ﷺ من الوَدِيّ[٧] فأطعمت كلها من عامها، والذَّهَب الذي أعطاه، وقد تقدم ذكر ذلك في إسلام سَلْمَان. ومنه أنه ﷺ مسح على رأس عُمَيْر بن سعد وبَرَّك فمات وهو ابن ثمانين سنة وما شاب. وكذلك السّائب بن يزيد، ومَدْلُوك[٨]، وكان يوجد لعُتْبَة بن فَرْقَد طِيبٌ يغلب طيب نسائه، وذلك أن رسول الله ﷺ مسح بيده على بطنه وظهره. ومسح على رأس قيس بن زيد الجُذاميّ، ودعا له فهلك وهو آبن مائة سنة، ورأسه أبيض، وموضعُ كَفِّ النبيّ ﷺ وما مَرَّت يدُه عليه من شعره أسود، فكان يُدعى الأغرّ. وروي مثل ذلك لعمرو بن ثَعْلَبة الجُهَنِيّ. ومسح وجه آخر فما زال على وجهه نور. ومسح وجه قَتَادة بن مِلْحَان، فكان لوجهه بريقٌ، حتى كان ينظر فيه كما ينظر في المرآة. ونضح في وجه زينب بنت أمّ سلمة نَضْحة من ماء، فما نعرف كان في وجه آمرأة من الجمال ما بها. ومسح على رأس صبي به عاهة فبرأ وآستوى شعره، وعلى غير واحد

(١) العرجون من النخل: كالعنقود من العنب.
(٢) عشرًا: يراد بها مقدار عشر أذرع.
(٣) يقطف: يبطىء في السير.
(٤) خفق الفرس: ضربها.
(٥) المخفقة: الدرة؛ أو العصا.
(٦) الهملجة: حسن سير الدابة في سرعة.
(٧) الوديّ: صغار النخل.
(٨) مدلوك: هو أبو سفيان الفزاري.

من الصبيان المرضى والمجانين فبرؤوا. وأتاه رجل به أُدْرَة[١] فأمره أن ينضَحها بماء من عَيْن مَجّ[٢] فيها ففعل فبرأ. وعن طاوس: لم يؤت النبيّ ﷺ بأحد به مَسٌّ فصَكّ[٣] في صدره إلا ذهب. والمس: الجنون. ومَجَّ في دَلْوٍ من بئر ثم صُبّ فيها ففاح منها ريح المسك. وشكا إليه أبو هريرة النسيان فأمره أن يبسط ثوبه، وغرف بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل فما نسي شيئًا بعدُ. ومن ذلك دُرُور الشياه الحَوَائل[٤] باللبن الكثير؛ كقصة شاة أمّ مَعْبَد، وأعْنُز معاوية بن ثور، وشاة أَنَس، وغَنَم حَليمة، وشَارفها[٥]، وشاة عبد الله بن مسعود، وشاة المِقْدَاد، والله أعلم.

ومن معجزاته ﷺ ما أخبر به من الغُيوب، وما يكون قبل وقوعه، فكان كما أخبر به ﷺ؛ روي عن حُذيفة قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا، فما ترك شيئًا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حَدّثه، حَفِظه مَنْ حَفِظه ونَسِيَه من نَسِيَه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه، ثم قال حذيفة: ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه، والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا، يبْلُغ من معه ثلثمائة فصاعدًا إلا قد سَمَّاه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته. وقال أبو ذَرٍّ: لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه عِلمًا. ومما أخبر به ﷺ مما يكون فكان، ما أخرجه أهل الصحيح والأئمة، مما وعد به رسول الله ﷺ أصحابه من الظُّهُور على أعدائه، وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعِراق، وظهور الأمن حتى تَظْعَن[٦] المرأة من الحِيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله، وأن المدينة ستُغْزَى، وتُفتح خيبر على يدي عليٍّ في غد يومه، وما يفتح الله على أمته من الدنيا، وما يؤتَون من زَهْرَتها، وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر، وما يحدث بينهم من الفِتُون والاختلاف والأهواء، وسلوك سبيل مَن قَبْلَهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة، الناجية منها واحدة، وأنه ستكون لهم أنْمَاط[٧]، ويغدو أحدهم في حُلّة ويروح في أخرى، وتوضع بين يديه صَحْفة وترفع أخرى، ويسترون بيوتهم كما تُستر الكعبة، ثم قال آخر الحديث: «وأنتم اليوم خير منكم يومئذ» وأنهم إذا مشوا المُطَيْطاء[٨]، وخَدَمتهم بنات

---

(١) الأدرة: انتفاخ في الخصيتين معروف.
(٢) مجّ فيها: تفل ريقه فيها.
(٣) صكّ: دفع بقوة.
(٤) الحوائل: التي لم تحمل مطلقًا.
(٥) الشارف: الناقة المسنة.
(٦) تظعن: تسافر، ترحل.
(٧) أنماط: واحدها نمط، وهو ضرب من البسط له خمل رقيق.
(٨) المطيطاء: مشية المتبختر ومد اليدين.

فارس والروم، ردّ الله بأسَهم بينهم، وسلّط شرارهم على خيارهم، وما أخبر به ﷺ من قتالهم التُرْك والخَزَر والرُوم، وذهاب كِسْرى وفارس، حتى لا كسرى ولا فارس بعده، وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده، وأن الروم ذات قرون إلى آخر الدهر، وأخبر بذهاب الأمثل فالأمثل من الناس، وتَقارُب الزمان، وقَبْض العلم، وظهور الفِتَن والهَرَج[١]، وقوله ﷺ: «زُوِيت[٢] لي الأرض فأُرِيتُ مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زُوِي لي منها» فكان كذلك؛ امتدت في المشارق والمغارب، ما بين أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه، ولم تمتدّ في الجنوب والشمال مثل ذلك. وقوله ﷺ: «ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب». وقوله: «لا يزال أهل الغَرْب ظاهرين على الحقّ حتى تقوم الساعة» ذهب ابن المديني إلى أنهم العرب؛ لأنهم المختصّون بالسَّقي بالغَرْب وهو الدّلو، وقيل: بل هم أهل المغرب، ومن رواية أبي أُمَامَة: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك» قيل: يا رسول الله وأين هم؟ قال: «ببيت المقدس». وأخبر ﷺ بملك بني أمية، وولاية معاوية، ووصاه، واتخاذ بني أمية مال الله دُوَلاً[٣].

وأخبر بخروج ولد العباس بالرايات السود، وملكهم أضعاف ما ملكوا، وأخبر بقتل عليّ رضي الله عنه، وأن أشقاها الذي يَخْضِب هذه من هذه؛ أي لحيته من رأسه. وقال: يُقْتل عثمان وهو يقرأ المصحف، وأن الله عسى أن يلبسه قميصًا، وأنهم يريدون خلعه، وأنه سيقطر دمه على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧]. وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حيًا، وأخبر بمحاربة الزبير لعليّ، ونُبَاح كِلاب الحَوْأب[٤] على بعض أزواجه، وأنه يقتل حولها قتلى كثيرة، وتنجو بعدما كادت، وأن عَمّارًا تقتله الفئة الباغية، وقال لعبد الله بن الزبير: «ويل للناس منك، وويل لك من الناس» وقال في قُزْمَان[٥] وقد أبلى بلاءً حسنًا مع المسلمين: «إنه من أهل النار» فقتل نفسه. وقال ﷺ: «يكون في ثَقيف كذّاب ومُبِير»[٦] فكان الكذاب المختار بن أبي عبيد، والمبِير الحجاج بن يوسف. وأخبر بالردّة، وأن الخلافة بعده ثلاثون، ثم مُلكا، وقال: «إن هذا الأمر بدأ نبوّة ورحمة، ثم يكون رحمة وخلافة، ثم يكون مُلكًا

---

(١) الهرج: الفتنة والاختلاط.
(٢) زويت: أي جمعت.
(٣) دولاً: هو ما يتداول من المال، فيكون لقوم دون قوم.
(٤) الحوأب: ماء في طريق البصرة.
(٥) قزمان: هو ابن الحارث العبسي المنافق.
(٦) المبير: المهلك الذي يسرف في القتل بغير حق.

عَضوضًا[١]، ثم يكون عُتوًّا وجَبْرُوَة وفسادًا في الأئمة» فكان كل ذلك كما أخبر. وأخبر أن سيكون في أمته ثلاثون كذّابًا فيهم أربع نسوة، وفي حديث آخر: «ثلاثون دجالاً كذّابًا آخرهم الدّجّال الكذّاب كلهم يكذب على الله ورسوله». وقال ﷺ: «يوشك أن يكثر فيكم العجم يأكلون فَيْئكم، ويضربون رقابكم» فكان كذلك. وقال: «لا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قَحْطان». وقال: «هلاك أمتي على يدي أُغَيْلِمة من قريش» قال أبو هريرة راوي الحديث: لو شئت سميتهم لكم، بنو فلان وبنو فلان. وأخبر بظهور القَدَرِيّة والرافضة، وسبِّ آخر هذه الأمة أوّلها. وأخبر بشأن الخوارج وصفتهم، والمُخْدَج[٢] الذي فيهم، وأن سِيمَاهم[٣] التَّحْليق[٤]. وقال: «خيركم قَرْني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يأتي بعد ذلك قوم يَشهدون ولا يُسْتَشْهَدون ويخونون ولا يؤتمنون ويَنْذرون ولا يَفُون». قال: «لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه». وأخبر ﷺ بالمُوتان[٥] الذي يكون بعد فتح المقدس. وما وعد من سكنى البصرة، وأن أمته يغزون في البحر كالملوك على الأسرّة؛ فكان في زمن يزيد بن معاوية. وقال: «إن الدِّين لو كان مَنُوطًا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس». وقال ﷺ في الحسن بن علي رضي الله عنهما: «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فِئتين». وأخبر بقتل الحسين بالطَّفّ[٦]، وأخرج بيده تربة، وقال: فيها مَضْجعه. وقال في زيد بن صُوحان: يسبقه عُضو منه إلى الجنة، فقُطِعت يدُه في الجهاد. وقال لسراقة: «كيف بك إذا لبست سُوَارَي كِسْرى» فلما أتى بهما لعمر ألبسهما إياه، وقال: الحمد لله الذي سلبهما كِسرى وألبسهما سُرَاقة. وقال: «تبنى مدينة بين دجلة ودُجَيْل وقُطْرَبُل[٧] والصَّرَاة[٨] تجبى إليها خزائن الأرض يُخْسَف بها». فبنيت بغداد. وقال: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل طائفتان دعواهما واحدة». وقال لعمر في سُهَيل بن عمرو: «عسى أن يقوم مقامًا يسرك يا عمر» فقام بمكة مقام أبي بكر يوم بلغهم موت النبيّ ﷺ، وخطب بنحو خطبته، وثَبّت الناسَ وقَوّى بصائرهم، وقال لخالد حين وجهه إلى أُكَيْدِر: «إنك بحده يصيد البقر» فكان كذلك. وقد تقدّم خبره. وأخبر ﷺ بوقائع نحن نترقب وقوعها؛ كقوله: «عمران بيت المقدس خراب يثرِب، وخراب

---

(١) العضوض: الذي يصيب الرعية فيه عسف وظلم.

(٢) المخدج: الناقص الخلق.

(٣) سيماهم: علامتهم.

(٤) التحليق: أي حلق الرؤوس.

(٥) الموتان: الموت الكثير.

(٦) الطفّ: موضع قرب الكوفة.

(٧) قطربل: قرية بالعراق.

(٨) الصراة: نهر بالعراق.

يثرِب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القُسْطَنْطِينِيّة». وأخبر بغير ذلك من الأمور التي وقعت في حياته في أماكن بعيدة، وأخبر بها حال وقوعها كموت النجاشي، وقتل أمراء مُؤْتة، وغير ذلك ﷺ.

ومن معجزاته عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته إياه مع كثرة أعدائه وتحزبهم وٱجتماعهم على أذاه

قال الله عزّ وجل: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧]. وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨]. وقال: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ﴾ [الزمر: ٣٦]. وقال: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ۝٩٥ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٩٦﴾ [الحجر: ٩٥ و٩٦]. وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠]. روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧] فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القُبّة، فقال لهم: «يأيها الناس ٱنصرفوا فقد عصمني الله ربي عزّ وجل». وقيل: كان النبي ﷺ يخاف قريشًا، فلما نزلت هذه الآية ٱستلقى، ثم قال: «من شاء فليخذلني». وقد تقدم من عصمة الله له وكفايته قصتا دُعثُور وغُورَث، وخبر حَمالة الحطب، وأخذ الله تعالى على بصرها حين أرادته بالفِهر[1]، وخبر أبي جهل حين أراده بالحجر، وغير ذلك.

وها نحن نورد في هذا الموضع من ذلك خلاف ما قدّمناه؛ فمن ذلك ما روي عن الحكم بن العاص أنه قال: تواعدنا على النبيّ ﷺ، حتى إذا رأيناه سمعنا صوتًا خلفنا ما ظننا أنه بقي بتهامة أحد، فوقعنا مغشيًا علينا، فما أفقنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله، ثم تواعدنا ليلة أخرى، فخرجنا حتى إذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: تواعدنا أنا وأبو جهم بن حُذيفة ليلةً قَتْل رسول الله ﷺ، فجئنا منزله فسمعنا له، فٱفتتح وقال: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢﴾ [الحاقة: ١، ٢] إلى: ﴿فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ۝٨﴾ [الحاقة: ٨] فضرب أبو جهم على عَضُد عمر وقال: ٱنجُ، وفرّا هاربين، فكانت من مقدِّمات إسلام عمر. ومن ذلك خروجه ﷺ على قريش حين اجتمعوا لقتله، فأخذ الله على أبصارهم حتى

---

(١) الفهر: الحجر قدر ما يملأ الكف.

ذَرَا الترابَ على رؤوسهم وخلص منهم. وقصة الغار، وأخْذُ الله على أبصارهم، وخبر سُراقة بن مالك بن جُعْشُم، وقد تقدّم ذكر ذلك. وفي خبر آخر أنّ راعيًا عرف خبر رسول الله ﷺ وأبي بكر حين هاجرا، فخرج يَشْتَدّ(١) ليعلم قريشًا بشأنهما، فلما دخل مكة ضُرِب على قلبه فما يدري ما يصنع، وأُنْسِيَ ما خرج له حتى رجع إلى موضعه. وذكر السَّمَرْقَنْدِيّ: أن رجلاً من بني المغيرة أتى النبيّ ﷺ ليقتله، فطمس الله بصره فلم يرَ النبيّ ﷺ وسمع قوله، فرجع إلى أصحابه ولم يرهم حتى نادوه، وذكر أنّ فيه وفي أبي جهل نزلت: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [يس: ٨ و٩]. وقد رُوي عن أبي هريرة أن أبا جهل وعد قريشًا: لئن رأى محمدًا ﷺ يُصلّي ليَطَأنّ رقبته، فلما صلّى النبيّ ﷺ أعلموه فأقبل، فلما قرب منه ولّى هاربًا ناكِصًا على عقبيه متّقيًا بيديه، فسئل فقال: لما دنوت منه أشرفت على خندق مملوء نارًا كدت أهوي فيه، وأبصرت هَوْلاً عظيمًا، وخَفْقَ أجنحة قد ملأت الأرض. فقال رسول الله ﷺ: «تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عُضوًا عُضوًا» ثم أنزل على رسول الله ﷺ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ [العلق: ٦] إلى آخر السورة. وقد ذكرنا أيضًا قصة شَيْبَة بن عثمان بن أبي طلحة في غزوة حُنَيْن. وعن فُضَالة بن عَمرو قال: أردت قتل النبيّ ﷺ عام الفتح وهو يطوف بالبيت، فلما دنوت منه قال: «أفضالة»؟ قلت: نعم، قال: «ما كنت تُحَدِّث به نفسك»؟ قلت: لا شيء، فضَحِك وٱستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي، فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئًا أحَبَّ إليّ منه. ومنه خبر عامر بن الطُّفَيْل، وأرْبَد بن قيس، وقد تقدم ذكر قصتهما.

ومن معجزاته ﷺ

ما جمعه الله تعالى له من المعارف والعلوم، وخصه به من الأطّلاع على جميع مصالح الدنيا والدين، ومعرفته بأمور الشرائع وغير ذلك، كاطلاعه ﷺ على أخبار من سلف من الأمم، وقصص الأنبياء والرسل، وأخبار الجبابرة والقرون الماضية، وحفظ شرائعهم، وسرد أنبائهم، وأيّام الله فيهم، ومعارضة كل فرقة من أهل الكتاب بما في كتبهم، وإعلامهم بأسرارها ومخبآت علومها، وإخبارهم بما كتموه من ذلك وغَيّروه، وٱحتوائه ﷺ على لغات العرب وغريب ألفاظها، والحفظ لأيامها وأمثالها وحِكَمها، ومعاني أشعارها، وما خصه الله تعالى به من جوامع الكلم، وما علمه من ضروب

---

(١) يشتد: يسرع في مشيه.

العلوم وفنون المعارف؛ كالطبّ والعبارة[١] والفرائض والحساب والأنساب وغير ذلك، مما جعل أهل هذه العلوم كلامه ﷺ فيها قدوة وحجة وأصولاً يرجعون إليها في علومهم؛ كقوله عليه السلام: «الرؤيا لأوّل عابر وهي على رِجل طائر» وقوله: «الرؤيا ثلاث: رؤيا حق، ورؤيا يحدّث بها الرجل نفسه، ورؤيا تحزين من الشيطان». وقوله: «إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذِب». وقوله: «أصل كل داء البَرَدَة»[٢] وقوله: «المعدة حوض البدن، والعروق إليها واردة» وقوله: «خير ما تداويتم به السَّعُوط، واللَّدُود[٣]، والحِجامة، والمَشِيّ[٤]، وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين، وفي العود[٥] الهندي سبعة أشفية» وقوله: «ما ملأ ابن آدم وِعاء شرًا من بطنه». وقوله لكاتبه: «ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للمملي». وقد وردت آثار بمعرفته حروف الخَطّ، وحسن تصويرها؛ كقوله: «لا تمدُّوا بسم الله الرحمٰن الرحيم» رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس، وقوله في الحديث الآخر الذي يروى عن معاوية أنه كان يكتب بين يديه - ﷺ - فقال له: «ألقِ[٦] الدّواة، وحرِّف القلم، وأقم الباء، وفرِّق السين، ولا تُعوِّر[٧] الميمَ، وحَسِّن الله، ومُدّ الرحمٰن، وجَوِّد الرحيم» وإن لم تصح الرواية أنه ﷺ كتب، فلا يبعد أن يكون قد رُزِق علم الخَطّ، ومُنع الكتابة والقراءة. وكذلك حفظه ﷺ لكثير من لغات الأمم؛ كقوله ﷺ: «سَنَهْ سَنَهْ» وهي حسنة بالحبشية، وقوله: و«يكثر الهَرْج» وهو القتل بها، وقوله في حديث أبي هريرة: «اشْكَنْب دَرْدَمْ» أي وجع البطن بالفارسية، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا من دارس العلوم، ومارس الكتب، وداوم المطالعة، وعكف على الاشتغال. وكان ﷺ بخلاف ذلك لا يقرأ ولا يكتب؛ كما أخبر الله تعالى عنه بقوله عزّ وجل: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨] وفي هذا أكبر آية، وأعظم دلالة، وأبين حجة، وأبهر معجزة له ﷺ.

---

(١) العبارة: تعبير الرؤيا.

(٢) البردة: التخمة وثقل الطعام على المعدة.

(٣) اللدود: ما يسقاه المريض في أحد شقي الفم.

(٤) المشيّ: الدواء المسهل.

(٥) العود الهندي: ضرب من الطيب يتبخر به.

(٦) ألق الدواة: اجعل لها ليقة، وهي صوفة تجعل في الدواة.

(٧) تعوّر: تطمس.

وقد رأينا أن نختم هذه الفصول بذكر

القصيدة التي ٱبتسمت ثُغُورها بوصف معجزاته، وتَحَلّت نُحورُها بجواهر صفاته، ورَفَلت في حُلَل الفَخار من باهر آياته، وسحبت ذُيُول الأفتخار بإشارات إلى غزواته، وفاح أَرَجُها فأخجل المِسْك الدّاريّ[1]، وأشرقت أنوارها على النيرين فما ظنك بالدراريّ، وهي قصيدة الشيخ الإمام العلامة أبي محمد عبد الله بن زكريا الشّقراطِيسيّ[2] رحمه الله تعالى، وإنما ٱقتصرنا عليها وصرفنا الرغبة دون غيرها إليها لأشتمالها على جمل من أخباره السنية، ونكت من آثاره التي هي بكل خير مَلِية، وهي: [من البسيط]

الحمد لله مِنّا باعِث الرسلِ ... هَدَى بأحمد مَنّا أحمدَ السُبُلِ[3]
خير البرية من بَدْوٍ ومن حَضَرِ ... وأكرم الخلق من حافٍ ومنتعِلِ
توراة موسى أتت عنه فصدّقها ... إنجيلُ عيسى بحقّ غيرِ مُفْتَعَلِ
أخبار أحبارِ أهل الكتب قد وردت ... عما رأوا ورَوَوْا في الأعصرِ الأُوَلِ
ضاءت لمولده الآفاق وٱتصلت ... بشرى الهواتِفِ في الإشراقِ والطَّفَلِ[4]
وصرحِ كسرى تداعى من قواعده ... وٱنقاضَ منكسِرَ الأرجاء ذا مَيَلِ[5]
ونار فارِس لم تُوقَد وما خَمِدت ... مُذْ أَلِف عام ونهرُ القوم لم يَسِلِ
خرّت لمبعثِه الأوثان وٱنبعثت ... ثواقب الشهب ترمِي الجِنَّ بالشُّعَلِ
ومنطِقُ الذئبِ بالتصديق معجِزَةٌ ... مع الذراع ونطق العَيْرِ والجملِ
وفي دعائك بالأشجار حين أتت ... تسعى بأمرِك في أغصانِها الذُّلُلِ
وقلتَ عودِي فعادت في منابِتِها ... تلك العروقُ بإذن الله لم تَمِلِ
والسَّرح بالشام لما جئتها سجدت ... شُمّ الذوائِبِ في أغصانِها الخضُلِ[6]
والجذع حَنّ لأن فارقته أسَفًا ... حنِينَ ثَكْلَى شَجَتها لَوْعَة الثُّكَلِ[7]
ما صبرُ مَن صار من عَيْنٍ على أثرٍ ... وحالُ مَن حالَ مِن حالٍ إلى عَطَلِ
حَيِي فمات سُكونًا ثم مات لَدُنْ ... حَيِي حَنِينًا فأضحى غاية المَثَلِ

---

(١) الداري: نسبة إلى دارين، وهي فرضة بالبحرين ينسب إليها المسك.
(٢) الشقراطيسي: نسبة إلى شقراطيسة من بلاد الجريد بتونس.
(٣) أحمد السبل: الإسلام. والمنّ: التفضل والإحسان.
(٤) الطفل: العشي. (٥) ٱنقاض: ٱنهار.
(٦) السرح: الشجر العظيم. الخضل: الناعمة. (٧) الثكلى: التي فقدت ولدها.

والشاة لمَّا مسحتَ الكفّ مِنك على ... جَهْدِ الهُزَالِ بأوْصالٍ لها قُحُلِ[١]

سَحّت ودَرَّت بِشَكْر الضرعِ حافِلةً ... فرَوَّتِ الركب بعد النَّهْل بالعَلَلِ[٢]

وآية الغارِ إذ وُقِّيتَ في حُجُبٍ ... عن كل رِجْسٍ لرِجسِ الكفر مُنْتَحِلِ

وقال صاحبك الصِّدِّيقُ كيف بنا ... ونحن منهم بمَرْأى الناظِر العَجِلِ

فقلتَ لا تحزِن إن الله ثالثنا ... وكنتَ في حُجُب سِتر منه مُنْسَدِلِ

حُمَّت لَدَيْكَ حَمامُ الوحشِ جاثِمةً ... كَيْدًا لكل غَوِيِّ القلبِ مُخْتَبِلِ[٣]

والعَنْكَبوتُ أجادَتْ حَوْكَ حُلَّتِها ... فما يُخال خلال النَّسْج من خَلَلِ

قالوا: وجاءت إليه سَرْحَةٌ سَترتْ ... وجهَ النبِيّ بأغصان لها هُدُلِ[٤]

وفي سُراقة آيات مُبيَّنة ... إذ ساختِ الحِجْر في وَحْل بلا وَحَلِ[٥]

عرجتَ تخترق السبع الطِّباق إلى ... مَقامِ زُلْفى كريم قمت فيه عَلِ[٦]

عن قابِ قَوْسَيْن أو أدنى هبطتَ ولم ... تَسْتكمِلِ الليلَ بين المَرِّ والقَفَلِ

دعوتَ للخلق عام المَحْل مبتهلا ... أفديك بالخلق مِن داعٍ ومُبْتَهِلِ

صَعَّدت كفَّيْك إذ كَفَّ الغَمامُ فما ... صَوَّبْت إلاّ بصَوْبِ الوَاكِفِ الهَطِلِ[٧]

أَرَاق بالأرضِ ثَجًّا صَوْبُ رَيِّقِهِ ... فَحَلّ بالأرض نَسْجًا رائقَ الحُلَلِ[٨]

زُهْر من النُّور حَلّت رَوْض أرضِهم ... زَهْرًا من النُّوْرِ ضافِي النَبتِ مُكْتَهِلِ

مِن كل غُصْنٍ نَضِيرٍ مُورِقٍ خَضِرٍ ... وكل نَوْرٍ نَضِيدٍ مُونِقٍ خَضِلِ[٩]

تحية أُحْيِيَتِ الأحياءَ من مُضَرٍ ... بعد المضرة تَرْوِي السُّبْل بالسَّبَلِ[١٠]

دامت على الأرض سبعًا غير مُقْلِعةٍ ... لولا دعاؤك بالإقلاعِ لم تَزُلِ

ويَوْمُ زَوْرك بالزَّوراءِ إذ صَدَرُوا ... مِن يُمْنِ كفِّك عن أعْجُوبة مَثَلِ[١١]

---

(١) قحل: يابسة.

(٢) سحت: صبت صبًا متتابعًا. النهل: الشرب الأول. العلل: الشرب الثاني.

(٣) حمت: قدرت وأحضرت. المختبل: مختل العقل.

(٤) هدل: أي متدلية.

(٥) سراقة: هو ابن مالك الذي كان دليل المشركين في اقتصاص أثر رسول الله حين هاجر. ساخت: دخلت وغابت قوائمها. الحجر: أنثى الخيل.

(٦) الطباق: السموات.

(٧) الصوب: النازل.

(٨) الثجّ: الاندفاق. الريق من كل شيء أفضله. والمراد برائق الحلل: النبات المختلف الألوان.

(٩) النضيد: المتراكب. الخضل: النديّ المبتل؛ أو الناعم.

(١٠) السُّبل: الطرق. والسَّبل: المطر.

(١١) الزور: الزائر. الزوراء: موضع بالمدينة.

والماء ينبع جَوْدًا من أناملها … وسط الإناء بلا نَحرٍ ولا وَشَلِ[١]
حتى توضأ منه القوم وٱغترفوا … وهم ثلاث مئين جَمْعُ مُحتفِلِ
أشبعتَ بالصاع ألفًا مُرْمِلِين كما … رَوَّيت ألفًا ونصف الألفِ من سَمَلِ[٢]
وعاد ما شبِع الألفُ الجِياعُ به … كما بَدَوْا فيه لم ينقص ولم يَحُلِ
أعجزتَ بالوَحْيِ أصحاب البلاغةِ في … عصرِ البيان فضَلّتْ أوْجهُ الحِيَلِ
سألتهم سُورة في مِثلِ حِكمتهِ … فتَلَّهُم عنه حَيْنُ العجزِ حِينَ تُلِي[٣]
ورام رِجْسٌ كذُوب أن يعارضه … بعيِّ غَيٍّ فلم يُحسِن ولم يطِلِ[٤]
مُشَبَّج بِركيكِ الإفكِ ملتبِسٍ … مُلَجْلَج بزَرِيِّ الزُّورِ والخَطَلِ[٥]
يَمجُّ أولَ حرفٍ منه سامِعُه … ويَعْترِيهِ كَلال العجْزِ والمَلَلِ
كأنّه منطِقُ الوَرْهاءِ شَذّبَه … لَبْس من الخَبْلِ أو مَسٌّ من الخَبَلِ[٦]
أمَرَّتِ البِئْرُ وٱغْوَرّتْ لِمَجَّتِه … فيها وأعمى بصِيرَ العَيْن بالتَّفَلِ[٧]
وأيبس الضّرعَ منه شُؤْمُ راحتِه … من بعد إرسالِهِ بالرِّسْل مُنْهَمِلِ[٨]
برئتَ من دِينِ قومٍ لا قِوامَ لهم … عقولُهم من وَثَاقِ الغَيِّ في غُلَلِ[٩]
يستخبِرون خفِيَّ الغيبِ من حَجَرٍ … صَلْدٍ ويرجون غَوْث النصرِ من هُبَلِ[١٠]
نالوا أذًى مِنك ـ لولا حِلْمُ خالقِهِم … وحجّةُ الله بالإنذارِ لم تُنَلِ
وٱستضعفوا أهلَ دينِ الله فٱصطبروا … لكل مُعْضِل خَطْبٍ فادحٍ جَلَلِ
لاقى بِلالٌ بلاءً من أُميَّة قد … أحَلّه الصبرُ فيه أكرمَ النُّزُلِ
إذ أجهدوه بضَنْكِ الضَّنْكِ وهو على … شدائدِ الأزْلِ ثَبْتُ الأزْرِ لم يَزَلِ[١١]

---

(١) الوشل: القليل الماء.
(٢) السمل: القليل من الماء يبقى في أسفل الإناء.
(٣) تلّهم: صرعهم. الحين: الهلاك.
(٤) يطل: من طال امتد؛ أو يطل من يطال: أتى بطائل.
(٥) المشبج: المضطرب الفاسد. الملجلج: المتردد في الكلام. الخطل: المنطق الفاحش المضطرب.
(٦) الورهاء: المرأة الحمقاء تتكلم بما لا يفهم. الخبْل: الفساد. الخَبَل: الجنون.
(٧) أمرت: صارت ذات مرارة.
(٨) الرسل: اللبن. المنهمل: الفائض.
(٩) الغلل: جمع غلة، وهي خرقة يشد بها فم الإبريق.
(١٠) هبل: أعظم أصنام قريش.
(١١) الضنك: الضيق. الأزل: الحبس والتضييق. الأزر: القوة. الثبت: ثابت القلب.

أَلْقَوْهُ بَطْحًا بِرَمْضاء البِطاحِ وقد ... عالوا عليه صُخُورًا جَمَّة الثِّقَلِ[(١)]

فوَحَّدَ اللّهَ إخلاصًا وقد ظهرت ... بظهرِهِ كنُدُوبِ الطَّلِّ في الطَّلَلِ[(٢)]

إنْ قُدَّ ظَهْرُ وَلِيِّ الله مِنْ دُبُرٍ ... قد قُدَّ قلبُ عدوّ الله من قُبُلِ

نَفَرْتَ في نَفَرٍ لم تَرْضَ أنفسُهم ... إذ نافروا الرِّجْسَ إلاّ القُدْسَ مِن نَفَلِ[(٣)]

بأنفُسٍ بُذِلَتْ في الخُلدِ إذ بَذَلَت ... عن صِدقِ بَذْلٍ ببَذْرٍ أكرمَ البَدَلِ

قالوا: محمد قد حَلّتْ كتائِبُه ... كالأُسْدِ تَزْأَرُ في أنيابِها العُصُلِ[(٤)]

فويلُ مكّةَ مِن آثارِ وَطْأَتِهِ ... وويلُ أُمِّ قُرَيْشٍ مِن جَوَى الهَبَلِ[(٥)]

فجُدْتَ عَفْوًا بِفضلِ العفوِ مِنك ولم ... تُلْمِمْ ولا بأليمِ اللَّوْمِ والعَذَلِ

أضربتَ بالصَّفحِ صفْحًا عن طَوائِلِهِم ... طَوْلاً أطال مَقِيلَ القَوْمِ في الْمُقَلِ[(٦)]

رحمتَ واشِجَ أرحامٍ أُتِيحَ لها ... تحت الوَشِيجِ نَشِيجَ الرَّوْعِ والوَجَلِ[(٧)]

عاذوا بِظلِ كريمِ العفوِ ذي لَطَفٍ ... مُبارِكِ الوجهِ بالتوفيقِ مُشْتَمِلِ

أحْبِبْ بخَيْلٍ من التَّكْوين قد جُنِبَتْ ... لجانِبٍ عن جَنابِ الحقِّ مُعْتَزِلِ[(٨)]

أعْمَيْتَ جَيْشًا بِكَفٍّ من حَصًى فجَثَوا ... وعُطِّلوا عن حِرَاكِ النَّقْلِ بالنَّقَلِ[(٩)]

ودعوة بفِناءِ البَيْتِ صادقةً ... غدا أُميَّةُ منها شَرَّ مُنْخَزِلِ[(١٠)]

غادرتَ جهلَ أبي جهلٍ بمَجْهَلَةٍ ... وشاب شَيْبَةُ قبل الموت من وَجَلِ

وعُتْبَةُ الشَّرِّ لم يُعْتِبْ فتعطِفَه ... منك العواطِفُ قبل الفَوْتِ في مَهَلِ[(١١)]

وعُقْبَةُ الغُمْرَ عقباه لِشِقْوَتِهِ ... قد ظَلّ مِن غَمَراتِ الغيِّ في ظُلَلِ[(١٢)]

وكلُّ أشْوَسَ عاتِي القلبِ مُنْقَلِبٍ ... جعلته بقَلِيبِ البِئْرِ كالجُعَلِ[(١٣)]

---

(١) الرمضاء: الأرض الشديدة الحرارة بالشمس. البطاح: الأودية.

(٢) الطلل: المطر الخفيف. الطلل: ما شخص من آثار الديار.

(٣) نافروا الرجس: جانبوا الأوثان والشرك. القدس: الجنة. النفل: الغنيمة.

(٤) العصل: الشديدة.

(٥) الهبل: الثكل.

(٦) طوائلهم: جمع طائلة، وهي العداوة. طولاً: منًّا وتفضلاً. المقيل: النوم في القائلة، وهي وقت الهاجرة.

(٧) الوشيج: اشتباك القرابة. النشيج: الغصة بالبكاء في الحلق من غير انتحاب.

(٨) الجناب: الفناء.

(٩) النقل: الحجارة.

(١٠) انخزل: انقطع.

(١١) مهل: رفق.

(١٢) الغمر: الجاهل الذي لم يجرب الأمور. ظلل: جمع ظلة.

(١٣) الشوس: النظر بمؤخر العين. المنقلب: المنصرف. القليب: البئر. الجعل: دويبة سوداء تكون في المواضع الندية.

وجائِم بِمُشارِ النَّقْعِ مُشْتَغِلِ ... بجاحِم من أُوَارِ النارِ مُشتعِلِ[١]
عَقدتَ بِالخِزْي في عِطْفَيْ مُقلَّدِهم ... طَوْقَ الحَمامةِ باقٍ غير منتقِلِ[٢]
أمسى خليلَ صَغارٍ بعد نَخْوَتهِ ... بالأمسِ في خُيَلاءِ الخَيْلِ والخَوَلِ[٣]
دام يُديمُ زَفيرًا في جوانِحِه ... جُنْحٌ من الشكِّ لم يَجْنَح ولم يَمِلِ[٤]
يُقاد في القِدِّ خَنقًا مُشْرَبًا حَنقًا ... يمشي به الذُّعر مشي الشاربِ الثَّمِلِ[٥]
أوْصالُه من صَليل الغُلِّ في عِلَلِ ... وقلبه من غَليل الغلّ في غُلَلِ[٦]
يَظَلّ يَحْجُلِ ساجي الطرْفِ خافِضَه ... بِمَسْكة الحجْل لا من مَسْكَة الحجَلِ[٧]
أزَحْتَ بالسيف ظهر الأرض من نَفرٍ ... أزحْتَ بالصدق منهم كاذب العللِ[٨]
تركتَ بالكفر صَدْعًا غير مُلْتَئِم ... وآبَ منك بقُرْحٍ غيرِ مُنْدَمِلِ
وأفلَتَ السيفُ منهم كلَّ ذي أسَفٍ ... على الحِمام حَماه آجلُ الأجَلِ[٩]
قد أعتقته عِتاق الخيل وهو يرى ... به إلى رِقِّ موتٍ رِقَّة الغَزَلِ
فكم بِمكة من باكٍ وباكية ... بفَيْضِ سَجْلٍ من الآماقِ مُنْسَجِلِ[١٠]
وكاسِف البالِ بالِي الصبر جُذْتَ له ... بوابِل من وَبالِ الخزْي مُتّصِلِ[١١]
فؤاده من سعِير الغيْظِ في غُلَلِ ... وعينه من غزير الدمع في غَلَلِ[١٢]
قد أسعرت منه صدرًا غير مُضطبِرٍ ... وحَمَّلتْ منه قلبًا غير مُحْتَمِلِ
ويومَ مكة إذ أشْرَفْتَ في أُمَمٍ ... يضِيق عنها فِجَاج الوَعْرِ والسَّهَلِ

(١) النقع: الغبار. الجاحم: الجمر الشديد الاشتعال. الأوار: اللهب.

(٢) عطفا الإنسان: جانباه من لدن رأسه إلى وركه.

(٣) الصغار: الذل والهوان. الخول: الخدم والحشم.

(٤) داميًا: أي جريحًا يسيل دمه. الجوانح: الأضلاع. الجنح: الظلمة.

(٥) القد: السير. الثمل: السكران.

(٦) الغل: القيد. غليله: حرارته والتهابه.

(٧) يحجل: يقفز في الحجل، وهو القيد. ساجي: ساكن. الحجل: الحجال، وهي قباب العروس تزين بالستور.

(٨) أزحت: أزلت وأذهبت.

(٩) أفلت السيف: حملهم السيف على الهرب. الأجل: أمد العمر.

(١٠) السجل: الدلو العظيمة المملوءة ماء. منسجل: منصب.

(١١) الوابل: الشديد الانصباب.

(١٢) السعير: الاشتعال. الغلل: الماء الذي ليس له جري.

خَوافِقٍ ضاق ذَرْعُ الخافِقَيْن بها ... في قاتم من عَجاجِ الخيل والإبِلِ[١]

وجَحْفَلٍ قَذَفُ الأرجاءِ ذي لَجَبٍ ... عَرَمْرَمٍ كزُهاءِ الليلِ مُنْسَدِلِ[٢]

وأنت - صلّى عليك الله - تَقْدُمُهم ... في بَهْوِ إشراقِ نورٍ منك مُكْتَمِلِ

يُنير فوقَ أغرِّ الوجهِ مُنْتَجَبٍ ... متوّج بعزيز النصرِ مُقْتَبِلِ[٣]

تسمُو أمامَ جنودِ اللّهِ مُرْتَدِيًا ... ثوب الوَقارِ لأمر الله ممتثِلِ

خشعتَ تحت لِواءِ العزِّ حين سمتْ ... بك المهابةُ فِعلَ الخاضِعِ الوَجِلِ

وقد تَباشر أملاكُ السماء بما ... مُلِّكتَ إذ نِلتَ منه غاية الأملِ

والأرض تَرْجُف من زَهْوٍ ومن فَرَقٍ ... والجوُّ يَزْهَر إشراقًا من الجَذَلِ[٤]

والخيل تختال مَيْلًا في أعِنَّتِها ... والعِيسُ تَنْثال رَهْوًا من ثُنَى الجُدُلِ[٥]

لولا الذي خَطَّتِ الأقلام من قَدَرٍ ... وسابِقٍ من قضاءٍ غيرِ ذي حوَلِ

أهَلَّ ثَهْلانُ بالتهليلِ من طَرَبٍ ... وذابَ يَذْبُل تكبيرًا من الذُّبُلِ[٦]

الملك للّه هذا عِزُّ من عُقِدت ... له النبوّة فوق العرشِ في الأزَلِ

شَعَبْتَ صَدْعَ قريشٍ بعدما قَذَفتْ ... بهم شَعُوبُ شِعاب السَّهْلِ والقُلَلِ[٧]

مِن كل مُهْتَصِرٍ لله منتصِرٍ ... بالسيف مُخْتَصِرٍ بالرُّمْح معتَقِلِ[٨]

يمشي إلى الموت عالِي الكعبِ معتقِلًا ... أظمى الكُعُوب كمشي الكاعِبِ الفُضُلِ[٩]

قد قاتلوا دونك الأقيال عن جَلَدٍ ... وجالَدوا بجِلاء البِيضِ والجَدَلِ[١٠]

وصلتهم وقطعتَ الأقربين معًا ... في الله لولاه لم تَقْطَع ولم تَصِلِ

وجاء جِبريل في جُندٍ لهم عُدَد ... لم يبتذِلها أكُفّ الخلقِ بالعملِ

---

(١) الخوافق: الألوية والبنود. والخافقان: أفقا المشرق والمغرب.

(٢) اللجب: اشتباك الأصوات. عرمرم: كثير.

(٣) الأغر: الأبيض المنير. المنتجب: المتخير.

(٤) الزهو: خفة الطرب. الفرق: الفزع. الجذل: الفرح والسرور.

(٥) تختال: تتبختر. العيس: الإبل. الرهو: ضرب من السير. الجدل: جمع جديل: الزمام.

(٦) ثهلان ويذبل: جبلان. الذبل: الرماح.

(٧) شعبت: جمعت. الصدع: الشق. شعوب: من أسماء الموت. القلل: أعالي الجبال.

(٨) مهتصر: أي كاسر للأقران. المعتقل: الذي جعل رمحه بين ساقه وركابه.

(٩) الكعوب: الرماح. الكاعب: الفتاة التي نهد ثديها. الفضل: المتفضلة في ثوب واحد من غير قناع.

(١٠) الأقيال: الملوك. الجلاد: المضاربة.

بِيضٌ من العَوْنِ لم تُستلَّ من غُمُدٍ خيلٌ من الكَوْنِ لم تُستَنّ في طِيَلِ[1]
أزكى البريةِ أخلاقًا وأطهرها وأكثر الناسِ صفحًا عن ذوِي الزَّلَلِ
زان الخشوعَ وقارٌ منه في خَفَرٍ أرَقّ من خَفَرِ العذراءِ في الكِلَلِ[2]
وطُفتَ في البيت محبُورًا وطاف به من كان عنه قُبَيْل الفتحِ في شُغُلِ
والكفر في ظلماتِ الرِّجْسِ مُرْتَكِس ثاوٍ بمنزلةِ البَهْمُوتِ من زُحَلِ[3]
حجزتَ بالأمنِ أقطار الحجاز معًا ومِلت بالخوفِ عن خَيْفٍ وعن مَلَلِ[4]
وحَلّ أمْنٌ ويُمْن منك في يَمَنٍ لما أجابت إلى الإيمان في عجَلِ
وأصبح الدين قد حُفّت جوانِبه بِعِزةِ النصرِ واستعلى على المِلَلِ
قد طاع مُنْحَرِفٌ منهم لِمعترِفٍ وانقاد منعدِلٌ منهم لِمعتدِلِ
أخْبِبْ بِخُلّة أهلِ الحقّ في الخُلَلِ وعِزّ دولتِه الغرّاء في الدوَلِ
أمَّ اليَمامَة يومٌ مِنه مُصْطَلِم وحَلّ بالشامِ شُؤم غير مرتحِلِ[5]
تَعرّقتْ منه أعراق العِراقِ ولم يترك من التُّرْكِ عَظْمًا غير مُنْتَثِلِ[6]
لم يبق للفرسِ ليث غير مفترِسٍ ولا مِن الحُبْش جيش غير مُنْجَفِلِ[7]
ولا مِن الصِّينِ صَوْنٌ غير مبتذَل ولا مِن الروم مرمى غير منتَضَلِ[8]
ولا مِن النُّوب جِذْم غير منجَذِمٍ ولا مِن الزِّنْج جِذْل غير منْجَذِلِ[9]
ونِيل بالسَّيفِ سيف النِّيلِ واتصلت دعوى الجنود فكلٌّ بالجِلادِ صَلِي[10]
وسُلّ بالغَرْبِ غَرْبُ السيف إذ شَرِقتْ بالشرقِ قبلُ صدورُ البِيضِ والأَسَلِ[11]
وعاد كل عدوّ عَزّ جانِبه قد عاذ مِنك بِبذلٍ مِنه مُبتذِلِ

(١) البيض: السيوف. في طيل: أي في حبل.
(٢) الكلل: جمع كلة، وهو الستر الرقيق يخاط كالبيت يتوقى فيه من البعوض.
(٣) البهموت: الحوت الذي يزعمون أنه يحمل الثور الحامل للأرض.
(٤) الخيف: منى (اسم موضع). ملل: موضع بين مكة والمدينة.
(٥) المصطلم: المستأصل بالهلاك.
(٦) تعرقت: أخذ ما عليها من اللحم. الأعراق: العظام. منتثل: مستخرج.
(٧) المنجفل: المنهزم.
(٨) المنتضل: المرتمي.
(٩) الجذم: الأصل. والمنجذم: المنقطع. منجذل: منقطع.
(١٠) سيف: شاطىء. الجلاد: المضاربة.
(١١) غرب السيف: حده. البيض: السيوف. الأسل: الرماح.

بِـذِمَّـةِ الـلَّـهِ والإيـمـانِ مُـتَّـصِـلٌ ... أو مِن شَبَا النَّصْلِ بالأموالِ مُنتصِلِ[1]
يا صفوة الله قد صافيتُ فِيك صَفَا ... صَفْوِ الوِدادِ بِلا شَوْبٍ ولا دَخَلِ[2]
ألستَ أكرمَ من يمشِي على قدم ... مِن البريةِ فوق السهلِ والجبلِ
وأزْلَف الخلقِ عند الله منزلةً ... إذ قِيل في مشهدِ الأشهادِ والرسلِ
قم يا محمد فاشفع في العِباد وقُلْ ... تُسمَع وسَلْ تُعْطَ وأشفع عائدًا وسَلِ
والكوثر الحوض يَرْوِي الناس مِن ظمأ ... بَرْحٍ ويُنْقَع منه لاعِجُ الغُلَلِ[3]
أصفى من الثلج إشراقًا مذاقتُه ... أحلى من اللبن المضروب بالعسلِ
نحَلْتُك الوُدَّ عَلِّي إذ نحلتكه ... أُحْبَى بفضلِك منه أفضلَ النِّحَلِ[4]
فما لجِلدِي بِنَضْج النار من جَلَدٍ ... ولا لِقلبِي بِهَوْلِ الحشرِ من قِبَلِ
يا خالق الخلقِ لا تُخْلِق بما اجترمت ... يداي وجهِيَ مِن حُوبٍ ومن زَلَلِ[5]
واصحبْ وصَلِّ وواصِلْ كلَّ صالِحةٍ ... على صَفِيِّك في الإصباحِ والأُصُلِ

ﷺ.

وقد آن أن نأخذ في ذكر أخبار وفاة رسول الله ﷺ، ونبدأ من ذلك بما أنزل عليه عند اقتراب أجله، ثم نذكر ابتداء وجعه والحوادث التي اتفقت في أثناء مرضه إلى حين وفاته ﷺ.

ذكر ما أنزِل على رسول الله ﷺ
عند اقتراب أجله، وما كان يقوله مما استُدِل به على اقترابه

كان مما استدِل به على اقتراب أجل رسول الله ﷺ، نزول سورة الفتح، وتتابع الوحي، وتكرار عرضِ القرآن على جبريل، واستغفار رسول الله ﷺ لأهل البقيع والشهداء. روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل عن قول الله عزّ وجل: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ [النصر: ١ و٢] فقال بعض أصحاب رسول الله ﷺ: أمِرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا الله وفتح علينا. وقال بعضهم:

(١) شبا النصل: حدّه وطرفه. النصل: السيف.
(٢) المراد بقوله: صافيت فيك: صافيتك. الشوب: الخلط. الدخل: الدغل والفساد.
(٣) البرح: الشديد. ينقع: يسكن. اللاعج: الشديدة الحرارة. الغلة: شدة العطش.
(٤) نحل: أعطى. حباه: أعطاه.
(٥) خلق: بلى. الحوب: الذنب.

فتح المدائن والقصور. وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا، قال عمر: كذاك تقول يأبن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له؛ قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر: ١] وذاك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر: ٣] فقال عمر رضي الله عنه: ما أعلم منها إلا ما تقول. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما صلّى النبيّ ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ إلا يقول فيها: «سبحانك ربّنا وبحمدك اللهم أغفر لي». وعن أبن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ داعٍ من الله ووداعٌ من الدنيا. وعنه رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة فقال: «إنه نُعِيت إليّ نفسي» قالت: فبكيتُ، فقال: «لا تبكي فإنك أوّل أهلي بي لحوقًا» فضحكتُ. وروى محمد بن سعد بسنده إلى أنس بن مالك: أن الله تبارك وتعالى تابع الوحي على رسول الله ﷺ قبل وفاته حتى توفّي، وأكثر ما كان الوحي في يوم توفّي رسول الله ﷺ. وروى أبن سعد أيضًا بسنده إلى عِكرمة قال قال العباس: لأعلمنّ بقاء رسول الله ﷺ فينا، فقال له: يا رسول الله، لو أتخذت عرشًا فإن الناس قد آذوك، قال: «والله لا أزال بين ظهرانيهم ينازعوني ردائي ويصيبني غُبارهم حتى يكون الله يريحني منهم» قال العباس: فعرفنا أن بقاء رسول الله ﷺ فينا قليل. وعن واثِلة بن الأسقع قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: «أتزعمون أني من آخركم وفاة، ألا وإني من أوّلكم وفاة، وتتبعوني أفْنَادًا[1] يُهلك بعضُكم بعضًا». وعن أبي صالح قال: كان جبريل يعرض القرآن كل سنة مرة على رسول الله ﷺ، فلما كان العام الذي قُبِض فيه عرضه عليه مرتين. وكان رسول الله ﷺ يعتكف في شهر رمضان العشر الأواخر، فلما كانت السنة التي قبض فيها أعتكف عشرين يومًا. وعن عائشة وأبن عباس رضي الله عنهم نحوه.

ذكر استغفار رسول الله ﷺ لأهل بَقِيع[2] الغَرْقَد[3] والشُّهداء، وما روي من تخييره بين البقاء ولقاء الله تعالى، وأختياره لقاء ربه عزّ وجل

روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قام رسول الله ﷺ ذات ليلة فلبس ثيابه ثم خرج، فأمرت جاريتي بَرِيرَة فتبعته، حتى إذا جاء البقيعَ وقف في أدناه ما شاء الله

---

(١) أفنادًا: أي جماعات متفرقين قومًا بعد قوم.
(٢) البقيع: المكان المتسع الذي فيه شجر.
(٣) الغرقد: شجر عظيم كان ينبت في المدينة المنورة فزال فسمي المكان باسمه «بقيع الغرقد».

أن يقف، ثم انصرف فسبقته بَرِيرَة فأخبرتني فلم أذكر له شيئًا حتى أصبح، ثم ذكرت ذلك له فقال: «إني بُعثت لأهل البقيع لأصلّي عليهم». وعنها رضي الله عنها قالت: افتقدت النبيّ ﷺ من الليل فتبعته فإذا هو بالبقيع فقال: «السّلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم لنا فَرَطٌ[1]، وإنا بكم لاحقون، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تَفْتِنَّا بعدهم» قالت: ثم التفت إليّ فقال: «وَيْحها لو تستطيع ما فَعلتْ». وعنها رضي الله عنها قالت: وَثَب رسول الله ﷺ من مضجعه من جوف الليل، فقلت: إلى أين بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال: «أمرت أن أستغفر لأهل البقيع» قالت: فخرج وخرج معه مولاه أبو رافع، وكان أبو رافع يحدّث قال: استغفر رسول الله ﷺ لهم طويلاً ثم انصرف، وجعل يقول: «يا أبا رافع إني خُيِّرت بين خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة، وبين لقاء ربي والجنة فاخترت لقاء ربي». وعن أبي مُوَيْهبة مولى رسول الله ﷺ قال قال لي رسول الله ﷺ من جوف الليل: «يا أبا مُوَيْهبة إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلقْ معي» فخرج وخرجت معه حتى جاء البقيع فاستغفر لأهله طويلاً، ثم قال: «ليهنِئكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفِتن كقِطع الليل المظلم يَتْبع بعضها بعضًا، يَتْبع آخرها أوّلها، الآخرة شر من الأولى» ثم أقبل عليّ فقال: «يا أبا مُوَيْهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة» فقلت: بأبي أنت وأمي، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، فقال: «لا والله يا أبا مُوَيْهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة» ثم استغفر لأهل البقيع وانصرف. والجمع بين هذه الأحاديث كلها غير مناف؛ لأن رسول الله ﷺ ربما استغفر لأهل البقيع ليالي، ويؤيد هذا ويَعْضُده ما رواه عطاء بن يَسار عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ كلما كانت ليلتها منه يخرج من آخر الليل إلى البقِيع فيقول: «السّلام عليكم دار قوم مؤمنين، أتانا وإياكم ما توعدون، وإنا إن شاء الله بكم للاحِقون، اللهم اغفر لأهل بَقِيع الغَرْقَد». وعن عطاء بن يَسار أن رسول الله ﷺ أُتِي فقيل له: اذهب فصَلِّ على أهل البقِيع، ففعل ذلك ثم رجع فرَقَد، فقيل له اذهب فصلِّ على الشهداء، فذهب إلى أُحُد فصلّى على قتلى أُحُد، فرجع معصوب الرأس، فكان بُدوّ الوجع الذي مات فيه ﷺ.

وعن عُقبة بن عامر الجُهنيّ: أن رسول الله ﷺ صلّى على قتلى أُحُد بعد ثمان سنين كالمودِّع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: «إني بين أيديكم فَرَط وأنا عليكم شهيد، وإنّ موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه وأنا في مقامي هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تَنافسوها».

---

(١) الفرط: مقدم القوم ليهيىء لهم وسائل الماء.

ذكر ٱبتداء وجع رسول الله ﷺ
وٱستئذانه نساءه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها

كان ٱبتداء وجع رسول الله ﷺ في يوم الأربعاء، قيل: لإحدى عشرة بقيت من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة. وقيل: لليلة بقيت من صفر.

روي عن ٱبن شهاب، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ـ دخل حديث أحدهما في حديث الآخر ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: بدا برسول الله ﷺ شَكْوُه الذي تُوفِّي فيه وهو في بيت ميمونة، فخرج في يومه ذلك حتى دخل عليَّ، قال ٱبن مسعود عنها: رجع رسول الله ﷺ من البقيع فوجدني وأنا أجِد صُداعًا في رأسي، وأنا أقول: وارأساه، فقال: «بل أنا يا عائشة وارأساه» قالت ثم قال: «وما ضَرّكِ لو متّ قبلي فقمتُ عليك وكفّنتِك وصليتُ عليكِ ودفنتكِ» قالت قلت: والله لكأني بك لو قد فعلتَ ذلك لرجعتَ إلى بيتي فأعرستَ فيه ببعض نسائك. قالت: فتبسم رسول الله ﷺ، وتتامّ[١] به وجعه وهو يدور على نسائه، حتى ٱستُعِزّ[٢] بِهِ وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه فٱستأذنهن أن يُمَرَّض في بيتي فأذِنّ له، قالت: فخرج يمشي بين رجلين من أهله، أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر، عاصبٌ رأسه تَخُطّ قدماه حتى دخل بيتي، قال عبيد الله: فحدثت بهذا الحديث عبد الله بن عباس فقال: هل تدري مَن الرجل الآخر؟ قال قلت: لا، قال: علي بن أبي طالب قالت عائشة: ثم غُمِر[٣] رسول الله ﷺ، وٱشتدّ به وجعه، فقال: «هَريقوا[٤] عليّ من سبع قِرَب من آبارٍ شَتَّى» وفي رواية: «لم تُحْلَل أوكِيتُهنّ[٥] لعلي أعهد إلى الناس» قالت: فأجلسناه في مِخْضَب[٦] لحفصة بنت عمر، ثم طَفِقْنا نصبّ عليه من تلك القِرَب حتى جعل يشير إلينا بيده أن قد فعلتنّ، ثم خرج إلى الناس وصلّى بهم وخطبهم ﷺ.

ذكر خطبة رسول الله ﷺ
وما أمر به من سدّ الأبواب التي تشرع إلى مسجده
إلا باب أبي بكر الصدِّيق ووصيته بالأنصار

روي عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه، قال: خطب رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) تتام به: تتابع.

(٢) استعز به: اشتد به المرض وأشرف على الموت.

(٣) غمر: أغمي عليه. (٤) هريقوا: صبوا.

(٥) الأوكية: واحدتها وكاء، وهي رباط فم القربة.

(٦) المخضب: إناء تغسل فيه الثياب.

«إن الله خَيَّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله» فبكى أبو بكر فقلت في نفسي: ما يُبْكِي هذا الشيخ أن يكون رسول الله ﷺ يخبرنا عن عبدٍ خُيِّر فاختار؟ قال: وكان رسول الله ﷺ هو المخَيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا به، قال فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر لا تبك، أيها الناس، إنّ أَمَنَّ الناسِ عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا من الناس خليلاً كان أبو بكر، ولكن أخوّة الإسلام ومودّته، لا يبقين في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر». وعن قُتيبة بن سعيد عن الليث بن سعد، عن يحيى بن سعيد؛ أن النبيّ ﷺ قال: «إن أعظم الناس عليّ منًّا في صحبته وذات يده أبو بكر، فأغلقوا هذه الأبواب الشارعة كلها في المسجد إلا باب أبي بكر» قال قُتيبة: قال الليث بن سعد، قال معاوية بن صالح، فقال ناس: أغْلقَ أبوابَنا وترك باب خليله، فقال رسول الله ﷺ: «قد بلغني الذي قلتم في باب أبي بكر، وإني أرى على باب أبي بكر نورًا، وأرى على أبوابكم ظلمة» رواه محمد بن سعد في طبقاته الكبرى. وروي بسنده إلى عِكرمة عن ٱبن عباس قال: خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصبًا رأسه في خرقة، فقعد على المنبر فحمِد الله وأثنى عليه وقال: «إنه ليس أحد أمنَّ عليّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قُحافة، ولو كنتُ مُتَّخذًا من الناس خليلاً لٱتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خُلَّة الإسلام أفضل، سُدّوا عني كلَّ خَوْخَة[1] في هذا المسجد غير خَوْخة أبي بكر» وعن أبي الحويرث قال: لما أمر رسول الله ﷺ بالأبواب تُسدّ إلا باب أبي بكر، قال عمر: يا رسول الله، دعني أفتح كُوّة أنظر إليك حين تخرج إلى الصلاة، فقال رسول الله ﷺ: «لا». وعن أبي البَدَّاح بن عاصم بن عديّ، قال قال العباس بن عبد المطلب: يا رسول الله، ما بالك فتحت أبواب رجال إلى المسجد، وما لك سددت أبواب رجال؟ فقال: «يا عباس، ما فتحتُ عن أمري ولا سددتُ عن أمري» قالت عائشة رضي الله عنها في حديثها: وأوصى رسول الله ﷺ بالأنصار، فقال: «يا معشر المهاجرين، إنكم أصبحتم تزيدون والأنصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم، هم عَيْبَتي[2] التي أويت إليها، أكرموا كريمهم، وتجاوزوا عن مسيئهم». ومن رواية: «ٱحفظوني فيهم؛ اقبلوا من مُحسنهم وتجاوزوا عن مُسيئهم».

---

(١) الخوخة: كوة في البيت تؤدي إليها الضوء.

(٢) عيبتي: أي خاصتي وأهل سري.

ذكر ما قاله رسول الله ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفيه

رُوي عن أبي أُمامة، عن كعب بن مالك قال: إنّ أحدث عهدي بنبيّكم ﷺ قبل وفاته بخمس، فسمعته يقول ويُحَرِّك كفّه «إنه لم يكن نبيّ قبلي إلا وقد كان له من أمته خليل، ألا وإنّ خليلي أبو بكر، إنّ الله ٱتخذني خليلاً كما ٱتخذ إبراهيم خليلاً».

وعن أبي مُلَيْكة قال قال النبيّ ﷺ في مرضه الذي مات فيه: «ٱدعوا إليّ أبا بكر» فقالت عائشة: إن أبا بكر رجل يغلبه البكاء، ولكن إن شئت دعونا لك ٱبن الخطاب، قال: «ٱدعوا إليّ أبا بكر» قالت: إن أبا بكر يَرِقّ، ولكن إن شئت دعونا لك ٱبن الخطاب. فقال: «إنكنّ صواحب يوسف، ادعوا إليّ أبا بكر وٱبنَه، فليكتب أن يطمع في أمر أبي بكر طامع أو يتمنّى متمنٍّ» ثم قال: «يأبى الله ذلك والمؤمنون، يأبى الله ذلك والمؤمنون» قالت عائشة: فأبى الله ذلك والمؤمنون، فأبى الله ذلك والمؤمنون.

وروى محمد بن سعد بسنده إلى عُروة، وعبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود، والقاسم بن محمد، كلهم يحدّث عن عائشة رضي الله عنها ـ دخل حديث بعضهم في حديث بعض ـ قالت: بدىء برسول الله ﷺ في بيت مَيْمُونة فدخل عليّ وأنا أقول: وارأساه، فقال: «لو كان ذلك وأنا حيٌّ فأستغفر لكِ وأدعو لكِ وأكفِّنكِ وأدفنكِ» فقلت: واثكلاه، فوالله إنك لتحبّ موتي، ولو كان ذلك لظللت يومك مُعَرِّسًا ببعض أزواجك. فقال النبيّ ﷺ: «بل أنا وارأساه لقد هممت ـ أو أردت ـ أن أرسل إلى أبيكِ وإلى أخيكِ فأقضي أمري، وأعهد عهدي، فلا يطمع في الأمر، طامع ولا يقول القائلون: أو يتمنى المتمنون». وقال بعضهم في حديثه: «ويأبى الله إلا أبا بكر».

وعن محمد بن جُبَيْر قال: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ يذاكره في الشيء، فقال: إن جئتُ فلم أجدك؟ قال: «فأت أبا بكر». وعن عاصم بن عمرو بن قَتادة، قال: ٱبتاع النبيّ ﷺ بعيرًا من رجل إلى أجل فقال: يا رسول الله، إن جئت فلم أجدك؟ يعني بعد الموت، قال: «فأت أبا بكر»، قال: فإن جئت فلم أجد أبا بكر، بعد الموت؟ قال: «فأت عمر»، قال: فإن جئت فلم أجد عمر؟ قال: «إن ٱستطعت أن تموت إذا مات عمر فمت».

ذكر أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يصلّي بالناس في مرضه، وخروج رسول الله ﷺ وما كلّم به الناس وكم صلّى أبو بكر بالناس صلاة، وما روي من أن رسول الله ﷺ ائتم بأبي بكر رضي الله عنه

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ جاء بلال يُؤذِنه بالصلاة فقال: «مُرُوا أبا بكر يصلّي بالناس» فقلت: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أَسِيف[(١)]، وأنه متى ما يقوم مقامك لا يُسمِع الناس، فلو أمرتَ عمر، فقال: «مُرُوا أبا بكر يصلّي بالناس» فقلت لحفصة: قولي له إن أبا بكر رجل أَسِيف، وأنه متى يقوم مقامك لا يُسمِع الناس، فلو أمرت عمر، فقال: «إنكنّ لأنتنّ صواحب يوسف، مُرُوا أبا بكر يصلّي بالناس» فلما دخل أبو بكر في الصلاة وجد رسول الله ﷺ في نفسه خِفة فقام يهادَى[(٢)] بين رجلين، ورِجلاه تَخُطّان في الأرض حتى دخل المسجد، فلما سمع أبو بكر حِسّه ذهب أبو بكر يتأخر، فأوْمَأ إليه رسول الله ﷺ، فجاء النبيّ ﷺ حتى جلس عن يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يصلّي قائمًا، وكان رسول الله ﷺ يصلّي قاعدًا؛ يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله ﷺ، والناس يقتدون بصلاة أبي بكر. رواه البخاري في صحيحه. وروى محمد بن سعد بسنده عن عُبَيْد بن عُمَيْر الليثي نحوه. وقال: فلما فرغا من الصلاة قال أبو بكر: أي رسول الله، أراك أصبحت بحمد الله صالحًا، وهذا يوم ابنة خارجة ـ امرأة لأبي بكر من الأنصار ـ فأذن له رسول الله ﷺ، وجلس رسول الله ﷺ في مُصلاّه أو إلى جنب المنبر، فحذّر الناس الفِتَن، ثم نادى بأعلى صوته، حتى إن صوته ليخرج من باب المسجد، فقال: «إني واللّهِ لا يُمسك الناسُ عليّ بشيء؛ لا أُحِلّ إلا ما أحلّ الله في كتابه، ولا أحرِّم إلا ما حَرّم الله في كتابه» ثم قال: «يا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة رسول الله اعملا لما عند الله فإني لا أغني عنكما من الله شيئًا» ثم قام من مجلسه ذلك، فما انتصف النهار حتى قبضه الله تعالى. وعن سعيد بن المسيّب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بني عبد مَنَاف لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئًا، سَلُوني ما شئتم». وعن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود قال: دخلت على عائشة فقلت لها حدّثيني عن مرض

---

(١) الأسيف: الرقيق القلب، البكّاء.

(٢) يهادى بين رجلين: أي يمشي بينهما معتمدًا عليهما من ضعفه وتمايله.

رسول الله ﷺ، قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ فقال: «أصَلَّى الناسُ»؟ فقلت: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، قال: «ضعوا لي ماء في المِخْضَب» قالت: ففعلنا فٱغتسل ثم ذهب ليَنُوءَ(١) فأغمي عليه ثم أفاق، فقال: «أصَلَّى الناسُ»؟ فقلت: لا، هم ينتظرونك، فقال: «ضعوا لي ماء في المخضب» قالت: ففعلنا فذهب فٱغتسل فقال: «أصَلَّى الناسُ»؟ قلت: لا، هم ينتظرونك، والناس عُكُوف في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الآخرة، قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر بأن يصلّي بالناس، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلّي بالناس، فقال أبو بكر ـ وكان رجلاً رقيقًا ـ: يا عمر، صلِّ بالناس، فقال له عمر: أنت أحقّ بذلك، فصلّى أبو بكر تلك الأيام. ثم إن النبيّ ﷺ وجد في نفسه خِفّة فخرج بين رجلين أحدهما العباس، فصلّى الظهر وأبو بكر يصلّي بالناس، قالت: فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه النبيّ ﷺ ألاّ يتأخر، وقال لهما: «أجلساني إلى جنبه» فأجلساه إلى جنب أبي بكر فجعل أبو بكر يصلّي، وهو قائم بصلاة النبيّ ﷺ، والناس يصلون بصلاة أبي بكر، والنبيّ ﷺ قاعد، قال عُبيد الله: فدخلت على عبد الله بن عباس فقلت له: ألا أعرض عليك ما حدّثتني به عائشة عن مرض رسول الله ﷺ؟ قال: هات، فعرضتُ حديثها عليه فما أنكر منه شيئًا غير أنه قال: سَمّت لك الرجل الذي كان مع العباس؟ قلت: لا، قال: هو عليّ بن أبي طالب.

وروى محمد بن سعد، عن محمد بن عمر، عن عبد الرحمٰن بن عبد العزيز، وعبد العزيز بن محمد عن عمارة بن غَزِيّة عن محمد بن إبراهيم قال: قال رسول الله ﷺ وهو مريض لأبي بكر: «صلِّ بالناس» فوجد رسولُ الله ﷺ خِفّة فخرج وأبو بكر يصلّي بالناس، فلم يشعر حتى وضع رسولُ الله ﷺ يده بين كتفيه، فنكص أبو بكر، وجلس النبيّ ﷺ عن يمينه، فصلّى أبو بكر وصلّى رسول الله ﷺ بصلاته، فلما ٱنصرف قال: «لم يُقْبَض نبيّ قطّ حتى يَؤُمّه رجل من أمته». وروي نحوه عن أبي معشر، عن محمد بن قيس. وعن أمّ سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان في وجعه إذا خف عنه ما يجد خرج فصلّى بالناس، وإذا وجد ثقله قال: «مُرُوا الناسَ فليصلّوا» فصلّى بهم ٱبن أبي قحافة يومًا الصبح فصلّى ركعة، ثم خرج رسول الله ﷺ فجلس إلى جنبه فأتَمّ بأبي بكر، فلما قضى أبو بكر الصلاة أتمّ رسول الله ﷺ ما فاته. وعن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلّى في مرضه بصلاة

(١) ينوء: ينهض.

أبي بكر ركعة من الصبح ثم قضى الركعة الباقية. قال الواقدي: ورأيت هذا الثَّبْتَ عند أصحابنا؛ أن رسول الله ﷺ صلّى خَلْفَ أبي بكر. وروى محمد بن سعد بسنده إلى عبد الله بن زَمْعَة بن الأسود قال: عُدْتُ رسول الله ﷺ في مرضه الذي تُوفّي فيه، فجاءه بلال يُؤْذِنُه بالصلاة، فقال لي رسول الله ﷺ: «مُرِ الناسَ فليصلّوا» قال عبد الله: فخرجت فلقيت ناسًا لا أكلمهم، فلما لقيت عمر بن الخطاب لم أبغِ مَنْ وَرَاءَه، وكان أبو بكر غائبًا فقلت له: صلّ بالناس يا عمر، فقام عمر في المقام وكان عمر رجلاً مُجهِرًا، فلما كبّر سمع رسول الله ﷺ صوته، فأخرج رأسه حتى أطلعه للناس من حجرته، فقال: «لا، لا، لا، ليصل بهم ٱبن أبي قحافة» قال: يقول ذلك رسول الله ﷺ مُغْضَبًا، قال: فٱنصرف عمر فقال لعبد الله بن زَمْعَة: يأبن أخي أمرك رسول الله ﷺ أن تأمرني؟ قال فقلت: لا، ولكني لما رأيتك لم أبغِ مَنْ وَرَاءَك، فقال عمر: ما كنت أظنّ حين أمرتني إلا أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صلّيتُ بالناس، فقال عبد الله: لَمّا لم أرَ أبا بكر رأيتك أحقَّ من حضر بالصلاة. وعن عبد الله بن عباس قال: حَضرت الصلاةُ فقال النبيّ ﷺ: «مُرُوا أبا بكر يصلّي بالناس» فلما قام أبو بكر مقام النبيّ ﷺ ٱشتدّ بكاؤه وٱفتتن، وٱشتدّ بكاء من خَلْفه، لفقد نبيهم ﷺ، فلما حَضرت الصلاةُ جاء المؤذّن إلى النبيّ ﷺ فقال: قولوا للنبيّ ﷺ يأمر رجلاً يصلّي بالناس، فإن أبا بكر قد ٱفتتن من البكاء والناس خلفه، فقالت حفصة زوج النبيّ ﷺ: مروا عمر يصلّي بالناس حتى يرفع الله رسوله، قال: فذهب إلى عمر فصلّى بالناس، فلما سمع النبيّ ﷺ تكبيره قال: «من هذا الذي أسمع تكبيره»؟ فقال له أزواجه: عمر بن الخطاب، وذكروا له ما قاله المؤذّن، وما قالت حفصة، فقال رسول الله ﷺ: «إنكنّ لصواحبُ يوسف، قولوا لأبي بكر فليصلّ بالناس» قال: فلو لم يستخلفه ما أطاع له الناس. وعن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: لم يزل رسول الله ﷺ في وجعه إذا وجد خِفّة خرج، وإذا ثقل وجاءه المؤذّن قال: «مروا أبا بكر يصلّي بالناس» فخرج من عنده يومًا الآمر يأمر الناس يصلّون وٱبن أبي قحافة غائب، فصلّى عمر بن الخطاب بالناس فلما كبّر قال رسول الله ﷺ: «لا، لا، أين ابن أبي قحافة»؟ قال: فٱنتقضت الصفوفُ وٱنصرف عمر، قال: فما برحنا حتى طلع ٱبن أبي قُحافة وكان بالسُّنُح[1] فتقدّم فصلّى بالناس. وعن أنس بن مالك: أن أبا بكر

(١) السنح: موضع قرب المدينة.

رضي الله عنهما كان يصلّي بهم في وجع رسول الله ﷺ الذي تُوفِّي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة، كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة ينظر إلينا، وهو قائم كأنّ وجهه ورقة مصحف، ثم تبسّم رسول الله ﷺ ضاحكًا ونحن في الصلاة من الفرح. قال: ونَكصَ أبو بكر على عقبيه، فأشار إليهم رسول الله ﷺ «أن أتموا صلاتكم» قال: ثم دخل وأرخى الستر، فتوفي من يومه ﷺ. وقال محمد بن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، قال سألت أبا بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة: كم صلّى أبو بكر بالناس؟ قال: صلّى بهم سبع عشرة صلاة، قلت: من حدّثك ذلك؟ قال قال: حدّثني أيوب بن عبد الرحمٰن بن صَعْصَعة، عن عبّاد بن تميم، عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، قال: صلّى بهم أبو بكر ذلك.

ذكر ما اتفق في مرض رسول الله ﷺ

خلاف ما ذكرناه، من اللَّدُود[1] الذي لُدّ به، والكتاب الذي أراد أن يكتبه، والوصية التي أمر بها، والدنانير التي قسمها، والسواك الذي استَنّ به ﷺ.

فأمّا اللَّدود الذي لُدّ به ﷺ وما قال فيه

رُوي عن أمّ سلمة رضي الله عنها قالت: تخوّفنا على رسول الله ﷺ ذات[2] الجَنْب وثَقُل فلَدَدْناه، فوجد خشونة اللّدّ فأفاق، فقال: «ما صنعتم بي»؟ قالوا: لَدَدْناك، قال: «بماذا»؟ قلنا: بالعُود الهِنْدي، وشيء من وَرْس وقَطَرات زيت، فقال: «من أمركم بهذا»؟ قالوا: أسماء بنت عُمَيس، قال: «هذا طِبٌّ أصابته بأرض الحبشة، لا يبقى أحد في البيت إلا الْتُدَّ إلا ما كان من عمّ رسول الله ﷺ» يعني العباس، ثم قال: «ما الذي كنتم تخافون عليّ»؟ قالوا: ذات الجَنْب، قال: «ما كان الله ليسلطها عليّ». وفي رواية عن أمّ بِشْر بن البَرَاء؛ قال: «ما كان الله ليسلطها على رسوله، إنها همزة من الشيطان، ولكنها من الأكلة التي أكلتُها أنا وابنك، هذا أوَانُ قطَعَتْ أبْهَرِي»[3]. ومن حديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فجعل بعضهم يَلُدُّ بعضًا. وعن هشام قال: كانت أمّ سلمة وأسْمَاء بنت عُمَيْس هما لدّتاه، قال: فالْتَدّت يومئذ ميمونة وهي صائمة؛ لِقَسَم النبيّ ﷺ، قال: وكان منه عقوبة لهم.

---

(١) اللدود: ما يسقاه المريض في أحد شقي الفم.

(٢) ذات الجنب: هي ورم حار يعرض للحجاب المستبطن للأضلاع.

(٣) الأبهر: عرق إذا انقطع مات صاحبه.

وأما الكتاب الذي أراد رسول الله ﷺ أن يكتبه ثم تركه لما وقع عنده من التنازع

فقد اختلفت الروايات في هذا الحديث عن عبد الله بن عباس وغيره، فمن رواية سعيد بن جُبير عن ابن عباس رضي الله عنهم أنه قال: اشتكى النبيّ ﷺ يوم الخميس فجعل ـ يعني ابن عباس ـ يبكي ويقول: يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد بالنبيّ ﷺ وجعه فقال: «ايتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتابًا لا تَضِلّوا بعده أبدًا» قال فقال بعض من كان عنده: إنّ نبيّ الله هَجَر[1]، قال فقيل له: ألا نأتيك بما طلبت؟ قال: «أو بعد ماذا»؟ فلم يَدْعُ به. ومن طريق آخر عن سليمان بن أبي مسلم عن سعيد بن جُبير قال: فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ تنازع. فقالوا: ما شأنه أهَجَر؟ استفهِموه، فذهبوا يعيدون عليه. فقال: «دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه». قال: وأوصى بثلاث، قال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم» وسكت عن الثالثة، فلا أدري قالها فنسيتها، أو سكت عنها عمدًا؟ ومن رواية طلحة بن مُصَرِّف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ايتوني بالكتف والدَّواة أكتب لكم كتابًا لا تَضِلّوا بعده أبدًا». قال فقالوا: إنما يَهْجُر رسول الله ﷺ. هذه الروايات عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما. وروي عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود عن ابن عباس قال: لما حضرت رسولَ الله ﷺ الوفاةُ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال رسول الله ﷺ: «هَلُمَّ أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده» فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قَرّبوا يكتُبْ لكم رسول الله ﷺ، ومنهم من يقول ما قال عمر؛ فلما كثر اللَّغط والاختلاف وغُمِر رسول الله ﷺ قال: «قوموا عني». قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرَّزِيّة كلّ الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم. وعن عِكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال في مرضه: «ايتوني بدواة وصحيفة أكتبْ لكم كتابًا لن تَضِلُّوا بعده أبدًا». فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من لفلانة وفلانة ـ من مدائن الروم ـ إن رسول الله ﷺ لن يموت حتى يفتتحها، ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو إسرائيل موسى؛ فقالت زينب زوج النبيّ ﷺ: ألا تسمعون للنبيّ ﷺ يعهد إليكم؟ فَلَغطوا

---

(١) هجر: هذى.

فقال: «قوموا» فلما قاموا قبض النبيّ ﷺ مكانه. وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لما كان في مرض رسول الله ﷺ الذي توفي فيه، دعا بصحيفة ليكتب فيها لأمته كتابًا لا يَضِلون ولا يُضِلّون، فكان في البيت لَغَط وكلام، وتكلم عمر بن الخطاب، قال: فرفضه النبيّ ﷺ.

وعن محمد بن عمر الواقديّ عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: كنا عند رسول الله ﷺ، وبيننا وبين النساء حجاب، فقال رسول الله ﷺ: «اغسلوني بسبع قِرب وأتوني بصحيفة ودواة أكتبْ لكم كتابًا لن تَضِلُّوا بعده أبدًا» فقال النسوة: ايتوا رسول الله ﷺ بحاجته. قال عمر فقلت: اسكتن فإنكن صواحبه إذا مرض عَصَرْتُنّ أعينكنّ، وإذا صح أخذتن بعنقه. فقال رسول الله ﷺ: «هُنّ خير منكم».

هذا ما وقفنا عليه من الروايات المسندة في هذا الحديث، وقد تذرّعت به طائفة من الروافض، وتكلموا فيه وطعنوا على من لغط عند رسول الله ﷺ حتى امتنع من الكتابة.

وقد تكلم القاضي أبو الفضل عِياض بن موسى بن عِياض رحمه الله على هذا الحديث، وذكر أقوال العلماء وما أبدَوه من الاعتذار عن عمر رضي الله عنه فيما قال، فقال رحمه الله تعالى، قال أئمتنا في هذا الحديث: النبيّ ﷺ غير معصوم من الأمراض، وما يكون من عوارضها من شدّة وجع وغَشْي ونحوه، مما يطرأ على جسمه، معصومٌ أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما يطعن في معجزته، ويؤدّي إلى فساد في شريعته، من هذيان أو اختلال في كلام، وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث «هَجَر» إذ معناه هذى يقال: هَجَر هُجْرًا إذا أفحش، وأهجر تعدية هجر، وإنما الأصح والأولى «أهَجَر»؟ على طريق الإنكار على من قال لا نكتب، قال: وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث الزهري ومحمد بن سلاّم عن ابن عُيَيْنة، قال: وكذا ضبطه الأصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق، وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره، قال: وقد تُحمل عليه رواية من رَواه هجر على حذف ألف الاستفهام، والتقدير: أهجر؟ أو أن يُحملَ قول القائل: «هَجَر» أو أهجَرَ دهشةً من قائل ذلك وحيرةً؛ لعظيم ما شاهد من حال الرسول ﷺ وشدّةِ وجعه، وهول المقام الذي اختلف فيه عليه، والأمر الذي همّ بالكتاب فيه، حتى لم يضْبِط هذا القائل لفظه وأجرى الهجر مجرى شدّة الوجع؛ لأنه اعتقد أنه يجوز عليه الهجر، كما حملهم الإشفاق على حراسته، والله تعالى يقول:

﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧] ونحو هذا. وأما على رواية: «أَهُجْرًا»، وهي رواية أبي إسحاق المستملِي في الصحيح، في حديث ابن جُبير، عن ابن عباس من رواية قُتَيْبة، فقد يكون هذا راجعًا إلى المختلفين عنده ﷺ، ومخاطبةً لهم من بعضهم، أي جئتم باختلافكم على رسول الله ﷺ وبين يديه هُجْرًا ومنكرًا من القول! والهُجْر بضم الهاء الفحش في المنطق.

وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث، وكيف اختلفوا بعد أمره لهم عليه السلام أن يأتوه بالكتاب، فقال بعضهم: أوامر النبيّ ﷺ يفهم إيجابها من ندبها من إباحتها بقرائن، فلعل قد ظهر من قرائن قوله ﷺ لبعضهم ما فهموا أنه لم يكن منه عَزْمَة، بل أمرٌ ردّه إلى اختيارهم، وبعضهم لم يَفهم ذلك، فقال: استفهِموه، فلما اختلفوا كَفَّ عنه إذ لم تكن عَزْمة[1]، ولِما رأوه من صواب رأي عمر رضي الله عنه. ثم هؤلاء قالوا: ويكون امتناع عمر إمّا إشفاقًا على النبيّ ﷺ من تكليفه في تلك الحال، وإما إملاء الكتاب، وأن يدخل عليه مشقة من ذلك كما قال: إنّ النبيّ اشتدّ به الوجع. وقيل: خشي عمر أن يكتب أمورًا يعجزون عنها فيحصلون[2] في الحَرَج بالمخالفة، ورأى أن الأرفق بالأمة في تلك الأمور سعة الاجتهاد، وحكم النّظر، وطلب الصواب، فيكون المصيبُ والمخطىء مأجورًا، وقد علم عمر تقرر الشرع وتأسيس الملّة، وأن الله تعالى قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣] وقوله ﷺ: «أوصيكم بكتاب الله وعِتْرتي». وقول عمر: حَسْبنا كتاب الله، ردٌّ على من نازعه، لا على أمر النبيّ ﷺ. وقد قيل: إن عمر خشي تَطرّق المنافقين، ومن في قلبه مرض لِما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة، وأن يتقوّلوا في ذلك الأقاويل كادّعاء الرافضة الوصية وغير ذلك. وقيل: إنه كان من النبيّ ﷺ على طريق المشورة والاختبار، هل يتفقون على ذلك أم يختلفون، فلما اختلفوا تركه. وقالت طائفة أخرى: إن معنى الحديث أن النبي ﷺ كان مجيبًا في هذا الكتاب لما طلب منه لا أنه ابتداء بالأمر به، بل اقتضاه منه بعض أصحابه، فأجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها، واستدل في مثل هذه القضية بقول العباس لعليّ: انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فإذا كان الأمر فينا علِمناه، وكراهة عليّ هذا وقوله: «والله لا أفعل» الحديث. واستدل بقوله: «دعوني فإن الذي أنا فيه خير» أي الذي أنا فيه خير من إرسال الأمر وترككم، وكتابَ الله. وأن تَدَعوني مما طلبتم. وذُكر أن الذي طُلب كتابه في أمر الخلافة بعده وتعيين ذلك. هذا ما أورده في معنى هذا الحديث. والله تعالى أعلم.

---

(١) عزمة الرجل: أسرته وقبيلته. وعزمة من عزمات الله: أي حق من حقوقه.

(٢) يحصلون: يقعون.

وأمّا ما وصّى به رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه

فقد رُوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت «الصلاة، وما ملكت أيمانكم»، حتى جعل رسول الله ﷺ يُغرغر بها في صدره، وما يكاد يفيض بها لسانه. وعن أمّ سلمة نحوه. وعن كعب بن مالك قال: أغمي على رسول الله ﷺ ساعة ثم أفاق، فقال: «اللّهَ اللّهَ فيما ملكت أيمانكم، ألبسوا ظهورهم، وأشبعوا بطونهم، وألينوا لهم القول». وعن الزهريّ عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة أن رسول الله ﷺ آخر عهده أوصى ألا يُترَك بأرض العرب دينان. وعن مالك بن أنس عن إسماعيل بن أبي حكيم، عن عمر بن عبد العزيز قال: آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لا يَبقينّ دِينان بأرض العرب». وعن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة أنه كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أوصى بالرّهاويين الذين هم من أهل الرّهاء[1]، قال: وأعطاهم من خَيْبر وجعل يقول: «لئن بقيتُ لا أدع بجزيرة العرب دِينين». وعن عليّ بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم أنه قال: أوصى رسول الله ﷺ بالداريّين وبالرّهاويّين وبالدّوْسيين خيرًا. وعن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاث وهو يقول: «ألاَ لا يموت أحد منكم إلا وهو يحسن بالله الظنّ». وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نَعَى لنا نبينا وحبيبنا نفسَه قبل موته بشهر، بأبي هو وأمّي ونفسي له الفداء، فلما دنا الفراق جمعنا في بيت أمّنا عائشة وتشَدد لنا فقال: «مرحبًا بكم، حيّاكم الله بالسلام، رحمكم الله، حفظكم الله، جَبَركم الله، رزقكم الله، رفعكم الله، نفعكم الله، آداكم[2] الله، وقاكم الله، أوصيكم بتقوى الله وأوصي الله بكم؛ وأستخلفه عليكم، وأحذركم الله إني لكم منه نذير مبين ألاّ تَعْلوا على الله في عباده وبلاده فإنه قال لي ولكم: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٨٣﴾ [القصص: ٨٣]. وقال: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ

---

(١) الرها: بضمّ أوله، والمد، والقصر: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ سميت باسم الذي استحدثها، وهو الرهاء بن البلندي بن مالك بن دعر. والنسبة إليها الرهاوي... (معجم البلدان لياقوت).

(٢) آداكم الله: قوّاكم وأعانكم على عدوكم.

مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠] قلنا: يا رسول الله متى أجلك؟ قال: «دنا الفراق، والمنقلب إلى الله، وإلى جنة المأوى، وإلى سِدرة المنتهى، وإلى الرفيق الأعلى والكأس الأوفى والحظ والعيش المُهَنَّى» قلنا: يا رسول الله من يَغْسِلك؟ قال: «رجال من أهلي الأدنى فالأدنى» قلنا: يا رسول الله ففيم نُكفِّنك؟ قال: «في ثيابي هذه إن شئتم أو في ثياب مصر أو في حُلّة يمانية» قال قلنا: يا رسول الله، من يصلّي عليك؟ وبكينا وبكى، فقال: «مهلًا رحمكم الله وجزاكم عن نبيكم خيرًا، إذا أنتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري هذا على شَفَة قبري في بيتي هذا، ثم اخرجوا عني ساعة، فإن أول من يصلّي عليّ حبيبي وخليلي جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت معه جنوده من الملائكة بأجمعهم، ثم ادخلوا عليّ فَوْجًا فَوْجًا، فصلوا عليّ وسلموا تسليمًا، ولا تؤذوني بتزكية ولا برَنّة، وليبدأ بالصلاة عليّ رجال من أهلي ثم نساؤهم ثم أنتم بعد، وأقرِئوا السلام على من غاب من أصحابي، وأقرِئوا السلام على من يتبعني على ديني من قومي إلى يوم القيامة». قلنا: يا رسول الله، فمن يدخلك قبرك؟ قال: «أهلي مَعَ ملائكة كثيرة يرونكم من حيث لا ترونهم».

وأما الدّنانير التي قسمها رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه

فقد روي عن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها قالت: أصاب رسول الله ﷺ دنانير فقسمها إلا ستة، فدفع الستة إلى بعض نسائه، فلم يأخذه النوم حتى قال: «ما فعلت الستة»؟ قالوا: دفعتها إلى فلانة، قال: «ايتوني بها» فقسم منها خمسة في خمسة أبيات من الأنصار، ثم قال: «استنفقوا هذا الباقي» وقال: «الآن استرحت» فرقد.

وعن المطلب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال لعائشة، وهي مُسْنِدتُه إلى صدرها: «يا عائشة ما فعلت تلك الذهب»[1]؟ قالت: هي عندي، قال: «فأنفقيها» ثم غشي على رسول الله ﷺ وهو على صدرها، فلما أفاق قال: «هل أنفقت تلك الذهب يا عائشة»؟ قالت: لا والله يا رسول الله، قالت: فدعا بها فوضعها في كفّه، فعدّها فإذا هي ستة دنانير، فقال: «ما ظنُّ محمد بربه أن لو لقي الله وهذه عنده»! فأنفقها كلها، ومات من ذلك اليوم.

---

(١) المراد بقوله: تلك الذهب: أي تلك الدنانير الذهب.

وأما السِّواك الذي اَستَنّ به رسول الله ﷺ عند موته

فقد روي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: دخل عبد الرحمٰن بن أبي بكر على النبي ﷺ في شكواه، وأنا مسندته إلى صدري، وفي يد عبد الرحمٰن سِواك فأمرها أن تقضمه، فقضمته ثم أعطته رسول الله ﷺ. ومن حديث آخر عنها قالت: فنظر رسول الله ﷺ إليه وهو في يده نظرًا عرفت أنه يريده، فقلت: يا رسول الله، تريد أن أعطيك هذا السّواك؟ فقال: «نعم» فأخذته فمضغته حتى لَيَّنته ثم أعطيته إياه، فاستَنّ به كأشدّ ما رأيته استنّ بسواك قبله ثم وضعه، فكانت عائشة تقول: كان من نعمة الله عليّ وحسن بلائه عندي، أن رسول الله ﷺ مات في بيتي، وفي يومي وبين سَحْري[1] ونَحْرِي، وجمع بين ريقي وريقه عند الموت. فقال لها القاسم بن محمد: قد عرفنا كل الذي تقولين، فكيف جمع بين ريقِك وريقه؟ قالت: دخل عبد الرحمٰن ابن أمّ رُومان أخي على رسول الله ﷺ يعوده، وفي يده سِواك رطب، وكان رسول الله ﷺ مولعًا بالسّواك، فرأيت رسول الله ﷺ يشخص بصره إليه، فقلت: يا عبد الرحمٰن، اَقضم السواك فناولنيه، فمضغته ثم أدخلته في فِي رسول الله ﷺ فتسوّك به، فجمع بين ريقي وريقه.

ذكر تخيير رسول الله ﷺ
بين الدنيا والآخرة عند الموت

رُوي عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت سمعت أنه لا يموت نبيّ حتى يُخيَّر بين الدنيا والآخرة، فأصابت رسول الله ﷺ بُحّة شديدة في مرضه، فسمعته يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] فظننت أنه خُيِّر. وعن المطلب بن عبد الله، قال قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يقول «ما من نبيّ إلا تُقبض نفسه ثم تُردّ إليه فيخيّر بين أن تُردّ إليه إلى أن يلحق» قالت: فكنت قد حفظت ذلك منه، فإني لَمُسْنِدتُه إلى صدري فنظرت إليه حتى مالت عنقه، فقلت قد قضى وعرفت الذي قال، فنظرت إليه حتى اَرتفع ونظر، قالت: قلت إذًا والله لا تختارنا، فقال: «مع الرفيق الأعلى في الجنة» ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾. وعن سعيد بن المسيّب وغيره أن عائشة زوج النبيّ ﷺ قالت: كان

---

(١) السحر: الرئة.

رسول الله ﷺ يقول: «إنه لم يُقْبض نبيٌّ حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُخيَّر» قالت عائشة: فلما نزل برسول الله ﷺ ورأسه على فخذي غُشِي عليه ساعة، ثم أفاق فأشخص بصره إلى السَّقْف سَقْفِ البيت، ثم قال: «اللهم الرفيق الأعلى» قالت: فقلت الآن لا يختارنا، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدّثنا وهو صحيح، فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ. وعن أبي بُرْدة بن أبي موسى قال: كان رسول الله ﷺ قد أسندته عائشة إلى صدرها فأفاق، وهي تدعو له بالشفاء فقال: «لا، بل أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل».

ذكر ما قاله رسول الله ﷺ عند نزول الموت به

رُوي عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: لما نزل بالنبيّ ﷺ الموتُ دعا بقدح من ماءٍ فجعل يمسح به وجهه، ويقول: «اللهم أعنِّي على سَكَرات الموت» وجعل يقول: «أَدْنُ منِّي يا جبريل، أَدْنُ منِّي يا جبريل، أَدْنُ منِّي يا جبريل». وعن عبد الله بن عباس وعائشة رضي الله عنهم قالا: لما نزل بالنبيّ ﷺ طَفِق يلقي خَمِيصَته[1] على وجهه، فإذا أغتمّ بها ألقاها عن وجهه ويقول: «لعنة الله على اليهود والنصارى أتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

ذكر وفاة رسول الله ﷺ

رُوي عن محمد بن جعفر عن أبيه قال: لما بقي من أجَل رسول الله ﷺ ثلاث نزل عليه جبريل فقال: يا أحمد، إن الله أرسلني إليك إكرامًا لك، وتفضيلاً لك، وخاصّة لك، يسألك عما هو أعلم به منك، يقول لك: كيف تجدك؟ قال: «أجدني يا جبريل مغمومًا، وأجدني يا جبريل مكروبًا» فلما كان في اليوم الثاني هبط إليه جبريل فقال له مثل ذلك، وأجابه رسول الله ﷺ بمثل ما أجابه به بالأمس، فلما كان اليوم الثالث نزل إليه جبريل، وهبط معه مَلَك الموت، ونزل معه ملك يقال له إسماعيل، يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء قطّ ولم يهبط إلى الأرض منذ يوم كانت الأرض على سبعين ألف مَلَك، ليس منهم مَلَك إلا على سبعين ألف مَلَك، فسبقهم جبريل، فقال: يا أحمد، إن الله أرسلني إليك إكرامًا لك، وتفضيلاً لك، وخاصّة لك، يسألك عما هو أعلم به منك، يقول لك: كيف تجدك؟ قال: «أجدني يا جبريل مغمومًا، وأجدني يا جبريل مكروبًا» ثم أستأذن مَلَك الموت فقال جبريل: يا أحمد،

(١) الخميصة: ثوب خز أو صوف معلم.

هذا ملك الموت يستأذن عليك، ولم يستأذن على آدميّ كان قبلك، ولا يستأذن على آدميّ بعدك، قال: «ائذن له» فدخل ملك الموت فوقف بين يدي رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله، يا أحمد، إن الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك في كل ما تأمرني به، إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها، وإن أمرتني أن أتركها تركتها، قال: «وتفعل يا ملك الموت»؟ قال: بذلك أمرت أن أطيعك في كل ما أمرتني، فقال جبريل: يا أحمد، إن الله قد اشتاق إليك، قال: «فامض يا ملك الموت لما أمرتَ به» قال جبريل: السّلام عليك يا رسول الله، هذا آخر موطئي الأرضَ إنما كنتَ حاجتي من الدنيا، فتوفّي رسول الله ﷺ، وجاءت التعزية يسمعون الصوت والحسَّ، ولا يرون الشخص: السّلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ﴾ [آل عمران: ١٨٥] إن في الله عَزاءً من كل مصيبة، وخَلَفًا من كل هالك، ودَرَكًا من كل ما فات، فبالله فَثِقوا، وإياه فارجوا، إنما المُصاب من حُرم الثواب، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكانت وفاة رسول الله ﷺ كما جاء في الأحاديث الصحيحة في حِجر عائشة وبين سَحْرها ونَحْرها. وقد قيل: إنه توفّي في حجر عليٍّ، والصحيح الأوّل. وذلك في يوم الاثنين حين اشتدّ الضُحَى، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل، وقيل: لليلتين خلتا منه. ولما مات ﷺ سُجّي بثوب حِبَرة، كما روي عن عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما، ودخل أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وقال: بأبي وأمي ما أطيب مَحْياك ومَماتَك. وفي لفظ: طبت حيًا وميتًا. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما توفّي رسول الله ﷺ جاء أبو بكر فدخل عليه فرفعت الحجاب، فكشف الثوب عن وجهه، فاسترجع فقال: مات والله رسول الله، ثم تحوّل من قبل رأسه فقال: وانبياه، ثم حَدَر فمه فقبّل وجهه ثم رفع رأسه، فقال: واخليلاه، ثم حَدَر فمه فقبّل جبْهته ثم رفع رأسه، فقال: واصَفِيّاه، ثم حدر فمه فَقبّل جبهته، ثم سجّاه بالثوب ثم خرج. وعن عبد الرحمٰن بن عوف: أن عائشة أخبرته أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنُح[١] حتى نزل، فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيَمّم[٢] رسولَ الله ﷺ وهو مُسَجّى بِبُرْد حِبَرة فكشف عن وجهه ثم أكَبّ عليه يقبّله وبكى، ثم قال: بأبي أنت، والله لا يجمع الله عليك مَوْتَتَيْن أبدًا، أما الموتة التي كُتبت عليك فقد مِتّها.

---

(١) السنح: موضع بعوالي المدينة فيه منازل بني الحارث بن الخزرج.
(٢) تيمم: قصد.

ذكر ما تكلم به الناس حين شكّوا في وفاة رسول الله ﷺ وخطبة أبي بكر رضي الله عنه

رُوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما تُوفِّي رسول الله ﷺ بكى الناس فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد خطيبًا فقال: لا أسمعَنّ أحدًا يقول إن محمدًا قد مات، ولكنه أُرسل إليه كما أرسل إلى موسى بن عِمران، فلبث عن قومه أربعين ليلة، وإني والله لأرجو أن تُقطع أيدي رجالٍ وأرجلهم يزعمون أنه مات. وعن عِكْرمة قال: لما تُوفِّي رسول الله ﷺ فقالوا: إنما عُرج بروحه كما عرج بروح موسى، قال: وقام عمر خطيبًا فوعد المنافقين، وقال: إن رسول الله ﷺ لم يمت، ولكن إنما عُرِج بروحه كما عُرِج بروح موسى، لا يموت رسول الله ﷺ حتى يقطع أيدي أقوام وألسنتهم، قال: فما زال عمر يتكلم حتى أزبد شِدْقاه، فقال العباس: إن رسول الله ﷺ يأسَن[1] كما يأسَن البشر، وإن رسول الله ﷺ قد مات فادفنوا صاحبكم، أيُميت أحدَكم إماتة ويُمِيته إماتتين؟ هو أكرم على الله من ذلك، فإن كان كما تقولون فليس على الله بعزيز أن يبحث عنه التراب فيخرجه إن شاء الله، ما مات حتى ترك السبيلَ نَهْجًا واضحًا، أحلّ الحلال، وحَرَّم الحرامَ، ونكح وطلّق، وحارب وسالم، وما كان راعي غنم يتبع بها صاحبها رؤوس الجبال، يخبط عليها العِضاة[2] بمِخْبَطِه ويَمدرُ حوضها بيده، بأنصَب ولا أزأب[3] من رسول الله ﷺ كان فيكم. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما توفي رسول الله ﷺ استأذن عمر والمغيرة بن شعبة فدخلا عليه فكشفا الثوب عن وجهه فقال عمر: أغْشيًا؟ ما أشَدَّ غشيَ رسول الله ﷺ! ثم قاما فلما انتهيا إلى الباب، قال المغيرة: يا عمر، مات والله رسول الله ﷺ، فقال عمر: كذبت ما مات رسول الله ﷺ، ولكنك رجل تَحُوسُك[4] فتنةٌ، ولن يموت رسول الله ﷺ حتى يُفني المنافقين، ثم جاء أبو بكر وعمر يخطب الناس فقال له أبو بكر: اسكت؛ فسكت، فصعد أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قرأ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر: ٣٠] ثم قرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٤﴾ [آل عمران: ١٤] ثم قال: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت. فقال عمر: هذا في كتاب الله؟ قال: نعم، قال: أيها الناس، هذا أبو بكر وذو شيبةِ المسلمين فبايِعُوه فبايَعه

---

(١) يأسن: يتغير.
(٢) العضاه: كل شجر له شوك صغر أو كبر.
(٣) زأب: أصلح.
(٤) تحوسك: بمعنى تخالطك وتحثك على ركوبها.

الناس. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخل أبو بكر المسجد وعمر بن الخطاب يكلِّم الناس، فمضى حتى دخل بيت النبيّ ﷺ الذي توفّي فيه، وهو بيت عائشة، وكشف عن وجه النبيّ ﷺ بُرْد حِبَرَة، كان مسَجًّى به فنظر إلى وجهه ثم أكبّ عليه فقبَّله، فقال: بأبي أنت؛ واللّهِ لا يجمع الله عليك موتتين، لقد متّ الموتة التي لا تموت بعدها، ثم خرج أبو بكر إلى الناس، وعمر يكلمهم فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فكلمه أبو بكر مرتين أو ثلاثًا، فلما أبى عمر أن يجلس قام أبو بكر فتشهد، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فلما قضى أبو بكر تشهده قال: أما بعد؛ فمن كان منكم يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤]. قال: فلما تلاها أبو بكر أيقن الناس بموت النبيّ ﷺ، وتلقاها الناس من أبي بكر حين تلاها أو كثير منهم، حتى قال قائل من الناس: والله لكأنّ الناس لم يعلموا أن هذه الآية أنزلت حتى تلاها أبو بكر. فزعم سعيد بن المسيّب أن عمر بن الخطاب قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها فعَقِرت[1] وأنا قائم حتى خررت إلى الأرض، وأيقنت أن النبيّ ﷺ قد مات. وعن الحسن قال: لما قُبض رسول الله ﷺ ائْتمر أصحابه فقالوا: تربصوا بنبيكم ﷺ لعله عُرِج به، قال: فتربصوا به حتى رَبَا بطنه، فقال أبو بكر: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت. وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه أنه لما شك في موت النبيّ ﷺ قال بعضهم: قد مات، وقال بعضهم: لم يمت، وضعت أسماء بنت عُمَيْس يدها بين كتفيه، وقالت: قد توفّي رسول الله ﷺ، قد رُفِع الخاتم من بين كتفيه. وكان من أصحاب رسول الله ﷺ من أُخرس عن الكلام لِما رَاعَه من موت رسول الله ﷺ، فما تكلم إلا بعد الغد، وأُقعد آخرون، منهم علي بن أبي طالب، ولم يكن فيهم أثبت من أبي بكر والعباس رضي الله عنهما، قالوا: وعَزّى الناس بعضهم بعضًا برسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ قد ذكر ذلك للناس قبل موته، كما روي عن سهل بن سعد؛ قال قال رسول الله ﷺ: «سيعزِّي الناس بعضهم بعضًا من بعدي التّعْزيةَ بي» فكان الناس يقولون ما هذا؟ فلما قبض رسول الله ﷺ لقِي الناس بعضهم بعضًا يعزِّي بعضهم بعضًا برسول الله ﷺ.

---

(١) العقر: أن تسلم الرجل قوائمه إلى الخوف فلا يقدر أن يمشي من الفرق والدهش.

ذكر غُسْل رسول الله ﷺ
ومن غَسّله، وتكْفِينه وحُنوطه

رُوي أن أصحاب رسول الله ﷺ لما ذكروا غسله سمعوا من باب الحجرة: لا تغسلوه فإنه طاهر مطهَّر، ثم سمعوا صوتًا بعده: ٱغسلوه فإن ذلك إبليس وأنا الخضر، وعزّاهم فقال: إن في الله عَزاءً من كل مصيبة، وخَلَفًا من كل هالك، ودرَكًا من كل فائت، فباللّهِ فثِقُوا وإياه فأرجوا، فإن المُصاب من حُرِمِ الثواب. وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما توفي رسول الله ﷺ ٱختلف الذين يغسلونه، فسمعوا قائلًا لا يدرون من هو، يقول: ٱغسلوا نبيكم وعليه قميصه، فغسل رسول الله ﷺ في قميصه. وعن عَبّاد بن عبد الله عن عائشة قالت: لو ٱستقبلت من أمري ما ٱستدبرت، ما غَسَل رسول الله ﷺ إلا نساؤه، إن رسول الله ﷺ لما قُبض ٱختلف أصحابه في غسله، فقال بعضهم: ٱغسلوه وعليه ثيابه، فبينما هم كذلك إذ أخذتهم نعسةٌ، فوقع لِحْيُ كل إنسان منهم على صدره، فقال قائل منهم لا يُدْرَى من هو: ٱغسلوه وعليه ثيابه، قالوا: وكان الذي تولى غسل رسول الله ﷺ عليُّ بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وأسامة بن زيد، وكان عليٌّ يغسله ويقول: بأبي أنت أمي، طِبْت مَيتًا وحيًا. وقيل: كان عليّ يغسل النبيّ ﷺ والفضل وأسامة يحجبانه، وقيل: غسل والعباس قاعد والفضل مُحْتَضِنُه، وعليّ يغسله، وأسامة يختلف، وقيل: وليَ غسله العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، والفضل بن العباس وصالح مولى رسول الله ﷺ. وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: أوصى رسول الله ﷺ ألا يغسله أحد غيري، فإنه «لا يرى أحد عورتي إلا طُمست عيناه». قال عليّ: فكان الفضل وأسامة يناولاني الماء من وراء الستر، وهما معصوبا العين. قال عليّ: فما تناولت عضوًا إلا كأنّما يقلبه معي ثلاثون رجلًا حتى فرغت من غسله. وقيل: كان معهم شُقْران مولى رسول الله ﷺ. وعن سعيد بن المسيّب قال: غسل النبيَّ ﷺ، وكفّنه أربعةٌ: عليٌّ والعباسُ والفضلُ وشُقْران، وقيل: لم يحضره العباس، بل كان بالباب، وقال: لم يمنعني أن أحضر غسله إلا أني كنت أراه يستحي أن أراه حاسرًا. وقيل: حضره عَقِيل بن أبي طالب، وأوس بن خَوَلِيّ، وذلك أن أوس بن خَوَلِيّ قال: يا عليّ، أنشُدك الله في حظّنا من رسول الله ﷺ، فقال له عليّ: ٱدخل، فدخل فجلس، وقيل: إنما دخل لأن الأنصار قالت: نناشدكم الله في نصيبنا من رسول الله ﷺ، فأدخلوا رجلًا منهم يقال له أوس بن خَوَلِيّ يحمل جرّةً بإحدى يديه. والذي أثبته الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي رحمه الله في مختصر

السيرة قال: تولى غسله عليٌّ والعبّاسُ والفضْلُ وقُثَمَ ٱبنا العباس وأسامة بن زيد وشُقْران موليا رسول الله ﷺ، قال: وحضره أوس بن خَوَلِيّ الأنصاريّ. وعن عليّ رضي الله عنه قال: لما أخذنا في جهاز رسول الله ﷺ أغلقنا الباب دون الناس جميعًا، فنادت الأنصار نحن أخواله، ومكاننا من الإسلام مكاننا، ونادت قريش نحن عصبته، فصاح أبو بكر: يا معشر المسلمين، كل قوم أحقّ بجنازتهم من غيرهم، فنَشدتكم الله فإنكم إن دخلتم أخرتموهم عنه، واللّهِ لا يدخل عليه أحد إلا من دُعي. وعن أبي جعفر محمد بن علي قال: غسل النبيّ ﷺ ثلاث غسلات بماء وسِدْر، وغسل في قميص، وغسل من بئر يقال لها الغَرْس لسعد بن خَيْثَمَة بقُبَاء، وكان يشرب منها وولي غسل سَفِلَته عليّ، والعباس يصبّ الماء، والفضل مُحتَضِنه يقول: أرِحْني أرِحْني، قطعتَ وَتيني[1]! إني أجد شيئًا ينزل عليّ مرتين. وعن عبد الله بن الحارث: أن عليّا غسله، يدخل يده تحت القميص، والفضل يمسك الثوب عليه، والأنصاريّ ينقل الماء وعلى يَدِ عليٍّ خرقةٌ تدخل يدُه وعليه القميص. وعن عبد الله بن جعفر الزهري عن عبد الواحد بن أبي عون، قال: قال رسول الله ﷺ لعليٍّ في مرضه الذي توفي فيه: «ٱغسلني يا عليُّ إذا متّ» فقال: يا رسول الله، ما غسلت ميتًا قط، فقال رسول الله ﷺ: «إنك سَتُهيَّأ، أو تُيَسّر» قال علي: فغسلته فما آخذ عضوًا إلا تبعني، والفضل أخذ بِحُضْنِه يقول: أعجل يا عليّ ٱنقطع ظهري. وعن سعيد بن المسيّب قال: التمس عليٌّ من النبيّ ﷺ عند غسله ما يُلتَمس من الميت فلم يجد شيئًا، فقال: بأبي أنت وأمي؛ طِبْت حيًا وميتًا. هذا ما لخصناه في غسله ﷺ مما أورده محمد بن سعد في طبقاته على سبيل الاختصار وحذف الأسانيد. والله أعلم.

وأما تكفينه ﷺ

فقد ٱختلف فيه؛ فقيل: كُفِّن في ثلاثة أثواب بيض كُرْسُف[2]، وقيل: في ثلاثة أثواب أحدها حِبْرة، وقيل: في رَيْطَتَيْن[3] وبُرْد نَجْرانيّ. وقيل: في ثلاثة أثواب بُرُود يمانية غِلاظٌ إزارٌ وَرِدَاءٌ ولِفَافَة. وقيل: في حُلّة حمراء وقِبْطية[4]. وقيل: في حُلّة يمانية وقميص. وقيل: في حُلّة حِبَرة وقميص. وقيل: في سبعة أثواب. والذي ورد

---

(١) الوتين: الشريان الرئيسي الذي يغذي جسم الإنسان بالدم النقي الخارج من القلب.

(٢) الكرسف: القطن.

(٣) الريطة: كل ملاءة ليست بلفقتين؛ أو كل ثوب رقيق لين.

(٤) قبطية: ثوب من ثياب مصر رقيق أبيض.

في الصحيح أنه ﷺ كُفِّن في ثلاثة أثواب بيض سَحُوليّة من ثياب سَحُول - بلدة باليمن - ليس فيها قميص ولا عمامة، بل لفائف من غير خياطة. وحُنِّطَ رسول الله ﷺ، وكان في حَنُوطه المِسْك، وأبقى منه عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه شيئًا أدَّخره لحنوطه إذا مات.

ذكر الصَّلاة على رسول الله ﷺ

رُوي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أول من صلّى على رسول الله ﷺ العباس بن عبد المطلب، وبنو هاشم، ثم خرجوا، ثم دخل المهاجرون والأنصار، ثم الناس رِفَقًا[1] رِفَقًا، فلما انقضى الناس دخل عليه الصبيان صفوفًا، ثم النساء، وقيل: النساء والصبيان. وذكر البيهقي عن الواقديّ عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال: وجدت هذا في صحيفة بخط أبي، فيها: لما كُفّن رسول الله ﷺ ووُضِع على سريره، دخل أبو بكر وعمر فقالا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ومعهما نفَرٌ من المهاجرين والأنصار قَدْر ما يسع البيت، فسلّموا كما سلّم أبو بكر وعمر وصَفُّوا صُفُوفًا لا يؤمّهم عليه أحد، فقال أبو بكر وعمر وهما في الصفّ الأول حِيَال رسول الله ﷺ: اللهم إنا نشهد أن قد بَلّغ ما أنزل إليه، ونصح لأمته، وجاهد في سبيل الله حتى أعزّ الله به دينه، وتَمّت كَلِماته، فأُومِن به وحدَه لا شريك له، فاجعلنا يا إلهنا ممن يتّبع القول الذي أنزل معه، واجمع بيننا وبينه حتى يعرِفنا ونعرّفه بنا فإنه كان بالمؤمنين رؤوفًا رَحيمًا، لا نبتغي بالإيمان بدَلاً، ولا نشتري به ثمنًا أبدًا. فيقول الناس آمين آمين، ثم يخرجون ويدخل آخرون حتى صَلّوا عليه: الرجال والنساء ثم الصبيان. وعن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده عن عليّ رضي الله عنهم قال: لما وُضِع رسول الله ﷺ على السرير قال عليٌّ: لا يؤمّ أحدٌ؛ هو إمامكم حيًا وميتًا، فكان يدخل الناس رَسَلاً[2] رَسَلاً، فيصلّون عليه صَفًّا صَفًّا، ليس لهم إمام ويُكَبِّرون، وعليّ قائم بِحِيال رسول الله ﷺ يقول: سلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته، اللهم إنا نشهد أنه قد بَلَّغ ما أنزل إليه ونصح لأمته، وجاهد في سبيل الله حتى أعزّ الله دينه وتَمَّت كلمته، اللهم فاجعلنا ممن يتبع ما أنزل إليه، وثبتنا بعده واجمع بيننا وبينه. فيقول الناس: آمين، آمين. وقد قيل في سبب صلاة الناس عليه أفْذَاذًا: إنما فعلوا ذلك ليكون كل منهم في الصلاة أصلاً لا تابعًا لأحد. وقيل: ليطول وقت الصلاة فيلحق من يأتي من حول المدينة.

---

(١) رفقًا رفقًا: أي جماعات جماعات.

(٢) الرسل: الرفق والتؤدة، ورسلاً: أي فرقًا.

ذكر قبر رسول الله ﷺ ولَحْده وما فُرش تحته ومَنْ فَرشه، ومَن دخل قبره، ووقت دفنه ومدّة حياته ﷺ

رُوي أن أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته اختلفوا في مكان دفنه؛ فقال بعضهم: ندفنه في مُصلاّه. وقال بعضهم: عند المنبر. وقال بعضهم: ٱدفنوه مع أصحابه بالبقيع. فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما دُفن نبيٌّ قط إلاّ في المكان الذي توفّي فيه». وقيل: «قال «ما مات نبيٌّ إلا دفن حيث يُقبَض» فرفع فراش النبيّ ﷺ الذي توفّي عليه وحفر له تحته، وذلك في بيت عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها. ثم ٱختلفوا أيلحد له أم لا؟ وكان في المدينة حَفّاران أحدهما يُلحد وهو أبو طلحة، والآخر لا يلحد وهو أبو عبيدة. فاتفقوا على أن من جاء منهما أوّلاً عَمِل عَمَلَه، فجاء الذي يلحد فلحد لرسول الله ﷺ. وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ، كان بالمدينة رجلان: أبو عبيدة بن الجرّاح يَضْرَح حُفَر أهل مكة، وأبو طلحة الأنصاريّ هو الذي يحفِر لأهل المدينة، وكان يُلْحد. فدعا العباس رجلين فقال لأحدهما: ٱذهب إلى أبي عبيدة، وقال للآخر: ٱذهب إلى أبي طلحة، وقال: اللهم خِرْ لرسولك، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة فجاء به فلَحَد له. وقد رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اللّحد لنا والشّقّ لغيرنا». وقيل قال: «والشّقّ لأهل الكتاب». قيل: وكان ﷺ يرى اللحد فيعجبه فألحد له، وأطبق له تسع لَبِنَات وفُرش تحته في قبره قَطِيفَة حمراء كان يُغطّى بها ﷺ نزل بها شُقْران. وأما من نزل قبره ﷺ فالعباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، والفضل وقُثَم ٱبنا العباس، وشُقْران مولاه، وقيل: أدخلوا معهم عبد الرحمٰن بن عوف، قيل: وعَقِيل وأسامة بن زيد، وصالح، وأوْس بن خَوَلِيّ. والذي صححه الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف رحمه الله: العباس وعليٌّ والفضل وقُثَم وشُقْران. وزعم المغيرة بن شعبة أنه نزل قبر النبيّ ﷺ، وأنه آخر الناس عهدًا برسول الله ﷺ في قبره. روي عن الشعبي قال: كان المغيرة يحدّثنا هاهنا، يعني بالكوفة قال: أنا آخر الناس عهدًا بالنبيّ ﷺ لما دُفن وخرج عليٌّ من القبر ألقيت خاتَمي فقلت: يا أبا الحسن خاتَمي، قال: ٱنزل فخذ خاتمك، فنزلت فأخذت خاتَمي، ووضعت يدي على اللَّبِن ثم خرجت. وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: لما وُضع رسول الله ﷺ في لحده، ألقى المغيرة بن شعبة خاتَمه في القبر، ثم قال: خاتمي، خاتَمي! فقالوا: ٱدخل فخذه، فدخل ثم قال:

أهيلوا عليّ التراب، فأهالوا عليه التراب حتى بلغ أنصاف ساقيه فخرج، فلما سُوِّي على رسول الله ﷺ قال: أخرجوا عني حتى أغلق الباب، فإنّي أحدَثكُم عهدًا برسول الله ﷺ، فقالوا: لعمْري لئن كنتَ أردتَها لقد أصبتَها. وأنكر علي بن عبد الله بن عباس هذا، وقال: كان آخر الناس عهدًا برسول الله ﷺ قُثَم بن العباس، كان أصغر من كان في القبر، وكان آخر من صعِد. والله أعلم.

وأما وقت دفنه ﷺ ومدة مرضه

فقيل: دفن رسول الله ﷺ ليلة الأربعاء، وقيل: ليلة الثلاثاء، وقيل: يوم الثلاثاء حين زاغت الشمس. والله أعلم. وسُنِّم[١] قبره ورُشّ عليه الماء. وكانت مدّة مرضه اثني عشر يومًا. وقيل: أربعة عشر يومًا. وكان مرضه بالصّداع ﷺ.

وأما سِنّه ﷺ
ومدّة مقامه بالمدينة من حين هجرته إلى يوم وفاته ﷺ

فقد روي أن رسول الله ﷺ توفي، وقد بلغ من السِّن ثلاثًا وستين سنة، وقيل: خمسًا وستين، وقيل: ستين. وروى محمد بن سعد قال: أخبرنا هشام بن القاسم، قال: حدّثنا أبو معشر عن يزيد بن زياد قال: قال رسول الله ﷺ لعائشة في السنة التي قُبض فيها: «إن جبريل كان يَعْرِض عليّ القرآن في كل سنة مرة، فقد عَرَض عليّ العامَ مرتين، وأنه لم يكن نبيٌّ إلا عاش نصف عمر أخيه الذي كان قبله، عاش عيسى ابن مريم مائة وخمسًا وعشرين سنة، وهذه اثنتان وستون سنة» ومات في نصف السنة. والذي نقلناه أوّلاً هو الذي صححه العلماء. والله أعلم.

وكان مقامه بالمدينة من لدن الهجرة إلى أن توفّي ﷺ عشر سنين.

ذكر ميراث رسول الله ﷺ
وما روي فيه

رُوي عن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنا لا نُورَث، ما تركناه صَدَقة». وروى محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر بن واقد، قال حدّثنا مَعْمَر ومالك وأُسامة بن زيد عن الزهريّ عن عروة عن عائشة؛ قال

(١) سنّم: أي جعل له سنام، أي رفع عن الأرض.

محمد بن عمر: وحدّثني مَعْمَر وأُسامة بن زيد وعبد الرحمٰن بن عبد العزيز عن الزهري عن مالك بن أوْس بن الحَدَثان عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقّاص وعباس بن عبد المطلب قالوا قال رسول الله ﷺ: «لا نورث ما تركناه فهو صدقة» يريد بذلك رسول الله ﷺ نفسَه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لا تَقْتَسِم ورثتي دينارًا ولا درهمًا، ما تركتُ بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فإنه صدقة». وعن عائشة: إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنهما أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ فيما أفاء الله على رسوله، وفاطمة حينئذ تطلب صدقة النبيّ ﷺ التي بالمدينة وفَدَك، وما بقي من خُمس خيبر، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركنا صدقةٌ» إنما يأكل آلُ محمد في هذا المال، وإني والله لا أغيّر شيئًا من صدقات رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملنّ فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ. فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئًا، فوَجَدتْ[1] فاطمة على أبي بكر، فهجرته ولم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر. وعن أبي جعفر قال: جاءت فاطمة إلى أبي بكر تطلب ميراثها، وجاء العباس بن عبد المطلب يطلب ميراثه، وجاء معهما عليّ بن أبي طالب، فقال أبو بكر: قال رسول الله ﷺ «لا نورث، ما تركنا صدقةٌ» وما كان النبيّ يَعُول فعليّ، فقال عليٌّ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦] وقال زكريا: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٥] قال أبو بكر: هو هذا، واللّهِ تعلم مثل ما أعلم. فقال عليّ: هذا كتاب الله ينطق، فسكتوا وانصرفوا. وعن زيد بن أسلم عن أبيه، قال سمعت عمر بن الخطاب يقول: لما كان اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ بويع لأبي بكر في ذلك اليوم، فلما كان من الغد جاءت فاطمة إلى أبي بكر رضي الله عنهما معها عليّ رضي الله عنه فقالت: ميراثي من رسول الله أبِي، ﷺ، فقال أبو بكر: أمن الرِّثّة[2] أو من العُقَد[3]؟ قالت: فَدَك وخَيْبر وصدقاته بالمدينة أرثها كما ترثك بناتك إذا متّ، فقال أبو بكر: أبوك واللّهِ خير مني، وأنت واللّهِ خير من بناتي، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا نورث، ما تركنا صدقةٌ» يعني هذه الأموال القائمة، فتعلمين أن أباك أعطاكها؟ فوالله لئن قلتِ نعم لأقبلنّ قولك ولأصدقنك. قالت: جاءتني أمّ أيمن فأخبرتني أنه أعطاني فَدَك. قال: فسمِعته يقول

---

(١) وجدت: غضبت، أو حقدت. (٢) الرثة: الرديء من متاع البيت.

(٣) العقد، جمع عقدة: الأرض الكثيرة النخل.

هي لكِ؟ فإذا قلتِ قد سمعته فهي لك، فأنا أصدِّقكِ وأقبلُ قولكِ. قالت: قد أخبرتكَ ما عندي. وعن عمرو بن الحارث خَتَن رسول الله ﷺ أخي ميمونة قال: والله ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهمًا ولا دينارًا، ولا عبدًا ولا أمة، ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء وسلاحه، وأرضًا تركها صدقة. وعن زرّ بن حُبَيْش: أن إنسانًا سأل عائشة رضي الله عنها عن ميراث رسول الله ﷺ فقالت: عن ميراث رسول الله ﷺ تسألني؟ لا أبا لك! توفي رسول الله ﷺ ولم يدع دينارًا ولا درهمًا، ولا عبدًا ولا أمة ولا شاة ولا بعيرًا. وعن ابن عباس نحوه، قال: وترك دِرعه رَهْنًا عند يهوديّ بثلاثين صاعًا من شعير. وقد رُوي أنه ﷺ ترك يوم مات ثوبي حِبَرة وإزارًا عُمَانيًا، وثوبين صُحَاريين[١]، وقميصًا صُحاريًا، وجُبّة يمنية، وخَمِيصَة وكِساء أبيض، وقَلانس صغارًا لاَطِئة[٢] ثلاثًا أو أربعًا، وإزارًا طوله خمسة أشبار، وملحفة مُوَرَّسة. ﷺ. هذا الذي أورده الشيخ محب الدين الطبريّ في مختصر السيرة.

ذكر ما نال أصحاب رسول الله ﷺ وآله من الحزن على فقده، ونبذة مما رَثَوْه به ﷺ

رُوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما ثقل النبيّ ﷺ جعل يتغشاه الكرب، فقالت فاطمة: واكَرْبَ أبتاه، فقال لها ﷺ: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم». فلما مات ﷺ قالت فاطمة: يا أبتاه أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه جنة الفِرْدوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ينعاه، يا أبتاه من ربه ما أدناه! قال: فلما دفن قالت فاطمة: يا أَنَسُ أطابت أنفسكم أن تَحْثُو على رسول الله ﷺ التراب؟ وعن عِكرمة قال: لما توفّي رسول الله ﷺ بكت أمّ أيمن، فقيل لها أتبكين على رسول الله ﷺ؟ فقالت: أما والله ما أبكي عليه ألاّ أكون أعلم أنه ذهب إلى ما هو خير له من الدنيا، ولكن أبكي على خبر السماء انقطع. وعن عبد الرحمٰن بن سعد بن يربوع قال: جاء عليّ بن أبي طالب يومًا متقنعًا متحازنًا، فقال أبو بكر: أراك متحازنًا، فقال عليّ: إنه عَناني ما لم يَعْنِك، قال يقول أبو بكر: اسمعوا ما يقول! أنشُدكم اللّهَ أترون أحدًا كان أحزن على رسول الله ﷺ منّي؟ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت عثمان بن عفان يقول: توفّي رسول الله ﷺ فحزن عليه رجال من أصحابه حتى كاد بعضهم يُوَسْوِس.

(١) صحاريان: نسبة إلى صحار: وهي قصبة عمان، بلد عامر أهل حسن طيب نزه ذو يسار وتجار وفواكه. . . (معجم البلدان).

(٢) اللاطئة: اللاصقة.

وعن القاسم بن محمد: أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ذهب بصره فدخل عليه أصحابه يعودونه، فقال: إنما كنت أريدهما لأنظر بهما إلى رسول الله ﷺ، فأمّا إذ قبض الله نَبيه فما يَسُرّني أن ما بهما بظبي من ظِباء تَبالة(١). وأمّا عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها فإنها لازمت قبره ﷺ.

ورَثَى رسولَ الله ﷺ جماعةٌ من أصحابه وعمّاته رضي الله عنهم فقال أبو بكر الصِّدّيق رضي الله عنه: [من المتقارب]

أيا عينُ فابكي ولا تسأمِي ... وحُقَّ البُكاءُ على السَّيِّدِ
على خَيْرِ خِنْدِفَ عند البَلا ... ءِ أمْسَى يُغَيَّب في المُلْحَدِ(٢)
فصلَّى المليكُ وليُّ العبادِ ... وربُّ البِلادِ على أحْمدِ
فكيف الحيَاةُ لِفقْدِ الحبيب ... وزَيْنِ المعَاشِر في المَشْهَدِ
فلَيْتَ المماتَ لنا كلِّنا ... وكُنَّا جميعًا مع المُهْتَدِي

وقال أيضًا رضوان الله عليه: [من الكامل]

لمّا رأيتُ نَبِيّنا مُتَجَدِّلاً ... ضاقت عليَّ بعَرضِهِنّ الدُّورُ
وارْتَعْتُ رَوْعَةَ مُسْتَهامٍ وَالِهٍ ... والعَظْمُ مِنِّي واهِنٌ مكسورُ(٣)
أعَتِيقُ وَيْحَكَ إنّ حِبّك قدْ ثَوَى ... وبقيتَ منفردًا وأنتَ حَسِيرُ(٤)
يا لَيْتَني مِن قبْلِ مَهْلَكِ صاحبي ... غُيِّبتُ في جَدَثٍ عليّ صُخورُ(٥)
فَلَتَحْدُثَنّ بَدائعٌ من بعدِه ... تَعْيَا بهنّ جَوَانِحٌ وصُدورُ

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب: [من الوافر]

أرِقْتُ فباتَ لَيْلِي لا يَزولُ ... ولَيْلُ أخي المصيبة فيه طُول
وأسْعَدنِي البكاءُ وذاك فيما ... أُصِيبَ المسلمون به قليلُ
لقد عَظُمت مصيبتنا وجَلّت ... عَشيَّةَ قيل قد قُبِض الرسولُ
وأضحَتْ أرضُنا مما عَرَاها ... تكادُ بنا جوانبُها تمِيلُ
فقدنا الوَحيَ والتنزيل فينا ... يَرُوح به ويغْدُو جِبْرَئيلُ
وذاك أحقُّ ما سالَتْ عليه ... نفوسُ الناس أو كَربَت تَسِيلُ

---

(١) تبالة: موضع باليمن خصب.
(٢) خندف: ولد إلياس بن مضر.
(٣) الروعة: الفزعة. المستهام: الذي أسقمه الهم. الوهن: الضعف.
(٤) الحسير: المتلهف.
(٥) الجدث: القبر.

نـبـيٌّ كـان يـجْـلُـو الـشـكّ عـنـهـا ... بـمـا يُـوحَـى إلـيـه ومَـا يَـقُـولُ
ويَـهْـدِيـنـا فـلا نَـخْـشـى ضـلالاً ... عـلـيـنـا والـرسُـولُ لـنـا دَلِـيـلُ
أفـاطِـمُ إن جَـزِعْـتِ فـذاكَ عُـذْرٌ ... وإن لـم تَـجْـزَعِـي ذاكَ الـسَّـبِـيـلُ
فـقَـبْـر أبـيـكِ سـيِّـدُ كـلِّ قَـبْـرٍ ... وفـيـه سَـيِّـدُ الـنَّـاس الـرسـولُ

وقال عبد الله بن أُنيس[1]: [من الطويل]

تَطَاولَ ليْلِي واعترتني القَوَارعُ ... وخَطْبٌ جليل للبليّة جامعُ
غداةَ نَعَى الناعي إلينا محمدًا ... وتلك التي تَسْتَكّ منها المَسامعُ[2]
فلو رَدَّ مَيْتًا قتْلُ نفسي قتلتُها ... ولكنّه لا يدفَعُ الموتَ دافعُ
فآليتُ لا آسَى على هُلْك هالكٍ ... من الناس ما أوْفى ثَبِيرٌ وفارعُ
ولكنّني باكٍ عليه ومُتْبِعٌ ... مُصِيبَتُه إنّي إلى الله راجِعُ
وقد قَبَض اللّهُ النبيِّين قبلَه ... وَعادٌ أصيبَت بالرُّزَى والتّبابِعُ[3]
فيا ليتَ شِعْري من يقوم بأمرنا ... وهل في قريش من إمام يُنازعُ
ثلاثةُ رهْط من قريش هُمُ هُمُ ... أزِمّةُ هذا الأمر واللّهُ صانِعُ[4]
عَليٌّ أو الصِّدّيقُ أو عُمَرٌ لها ... وليس لها بعد الثلاثة رابِعُ
فإن قال مِنّا قائلٌ غيرَ هذه ... أبَيْنا وقلنا اللّهُ راءٍ وسامعُ
فيا لَقُريشٍ قَلِّدوا الأمرَ بعضَهم ... فإنّ صحيحَ القول للناسِ نافعُ
ولا تُبْطِئوا عنها فُوَاقًا فإنّها ... إذا قُطِعت لم تُمْن فيها المطامعُ[5]

وقال حسان بن ثابت الأنصاريّ: [من البسيط]

آلَيْتُ حِلفَةَ برٍّ غير ذي دَخَل ... مِنّي أَلِيّةَ حقٍّ غير إفْنَادِ[6]
تالله ما حَمَلَتْ أنثى ولا وَضَعَت ... مِثْلَ النّبي نَبيِّ الرَّحْمَة الْهَادِي
ولا مَشَى فَوْق ظهر الأرْض من أحد ... أوْفى بِذِمَّة جارٍ أو بميعَاد
مِن الذي كان نُورًا يُسْتَضَاء به ... مُبارَكَ الأمْر ذا حَزْم وإرْشَادِ

---

(١) عبد الله بن أنيس: هو من رجال برك بن وبرة أخي كلب بن وبرة من قبائل قضاعة؛ ورجال برك كانوا حلفاء لبطن من جهينة، فحالف ذلك البطن بني سلمة من الأنصار. وكان عبد الله يلقب بذي المخصرة. والتخصر: أن يأخذ بيده عصا يتكىء عليها. (الاشتقاق).
(٢) تستك منه المسامع: تصمّت.
(٣) التبابع: ملوك اليمن جمع تبع.
(٤) أزمة: جمع زمام.
(٥) الفواق من الزمن: مقدار ما بين الحلبتين.
(٦) الدخل: الخديعة والمكر. الإفناد: الكذب.

مُصدِّقًا للنبيين الأُلى سلفوا ... وأبْذَلَ الناسِ للمعروف لِلْجادِي[1]

خَيْرَ البريَّة إنِّي كنتُ في نَهَرٍ ... جارٍ فأصبحتُ مثل المُفْرَدِ الصَّادِي[2]

أمسَى نِساؤك عَطَّلْنَ البيوتَ فما ... يَضْرِبْن خَلْفَ قَفا سِتْرٍ بأوْتادِ

مثلَ الرَّوَاهب يَلْبَسْنَ المُسُوحَ وقد ... أيقنَّ بالبُؤْس بعد النِّعمة الْبَادِي[3]

وقال أيضًا: [من الكامل]

ما بَالُ عَيْنكَ لا تنام كأنَّما ... كُحِلَتْ مآقِيها بكُحْلِ الأرْمَدِ

جَزَعًا على الْمَهْديِّ أصبحَ ثاويًا ... يا خيرَ مَن وَطِىء الحصى لا تبْعُدِ

يا وَيْحَ أنصارِ النبيِّ ورَهْطِه ... بعد المغيَّب في سَوَاءِ المُلْحَدِ

جنْبِي يَقِيك التُّرْبَ لَهْفِي ليْتَنِي ... غُيِّبْتُ قبلَك في بَقِيعِ الغَرْقَدِ

يا بِكْرِ آمِنَةَ المباركَ ذِكْرُه ... وَلَدَتْه مُحْصَنَةٌ بسَعْدِ الأسْعُدِ[4]

نُورًا أضاء على البَرِيّة كلِّها ... من يُهْدَ للنورِ المباركِ يَهْتَدِي

أأقيمُ بعدَك بالمدينة بيْنَهم ... يا لَهْفَ نفسي لَيْتَنِي لم أُولَدِ

بأبِي وأمِّي من شَهِدتُ وَفَاتَه ... في يوم الاثْنين النَّبيُّ المهتَدِي

وظَلِلْتُ بعد وَفاتِه مُتَبَلِّدًا ... يا ليْتَنِي صُبِّحتُ سُمَّ الأسوَدِ[5]

أو حَلَّ أمرُ الله فينا عاجلاً ... في رَوْحة من يومنا أو في غَدِ

فتقوم سَاعتُنا فنلْقَى سَيِّدًا ... مَحْضًا مضاربُه كريمَ المَحْتِدِ[6]

يا ربِّ فاجمعنا معًا ونبيَّنا ... في جنة تُفْقِي عُيُونَ الحُسَّدِ[7]

في جَنَّة الفِرْدَوْسِ فاكْتُبْها لنا ... يا ذَا الجَلالِ وذَا العُلاَ والسُّؤْدَدِ

واللهِ أسْمَعُ ما حَيِيتُ بهالكٍ ... إلاَّ بَكَيْتُ على النبيِّ محمَّدِ

ضاقت بالأنصار البلادُ فأصبحوا ... سُودًا وجُوهُهم كَلَون الإثْمدِ

ولقد ولَدْنَاه وفِينَا قَبْرُه ... وفُضُولُ نعمتِه بِنَا لم يُجْحَدِ

---

(١) الجادي: طالب الجدوى، وهي العطية.

(٢) الصادي: من الصدى، وهو العطش الشديد.

(٣) البادي: أي الظاهر.

(٤) المحصنة: العفيفة. سعد السعود: منزلة من منازل القمر، والمراد اليمن والبركة.

(٥) المتبلد: المتحير المتلهف. الأسود: الحية العظيمة.

(٦) مضاربه: أصله وقومه وأبوه وشرفه. المحتد: الأصل.

(٧) تفقي: تقلع.

والله أهـــداهُ لـــنـــا وهَـــدَى بـــه ... أنـــصـارَه فـــي كـــلِّ ســاعَـةِ مَـشْـهَـدِ
صَـلّـى الإلـهُ ومَـنْ يَـحُـفُّ بـعـرشِـهِ ... والـطـيِّـبـون عـلـى الـمـبـارَك أحْـمَـدِ

ووقفت فاطمة الزَّهْراء رضي الله عنها على قبره ﷺ فقالت:

مـا ضَـرّ مَـن قَـدْ شَـمّ تُـرْبَـةَ أحْـمَـد ... ألا يَـشـمّ مَـدَى الـزّمـان غَـوَالِـيـا[1]
صُـبَّـتْ عـلـيّ مَـصَـائـبٌ لَـوْ أنّـهـا ... صُـبَّـت عـلـى الأيّـام صِـرْنَ لـيـالِـيَـا

وقالت رضي الله عنها: [من الكامل]

اَغْـبَـرّ آفـاقُ الـسّـمـاءِ وكُـوِّرَتْ ... شَـمْـسُ الـنـهـارِ وأظْـلَـم الـعَـصْـرَانِ
والأرضُ مِـنْ بـعْـدِ الـنـبـيّ كـئِـيـبَـةٌ ... أسَـفًـا عـلـيـه كَـثِـيـرةُ الـرَّجَـفَـانِ
فـلْـتَـبْـكِـهِ شَـرْقُ الـبِـلادِ وغَـرْبُـهـا ... وَلْـتَـبْـكِـهِ مُـضَـرٌ وكُـلُّ يَـمَـانِـي
ولـيـبْـكِـهِ الـطَّـوْدُ الـمـعَـظّـم جَـوُّه ... والـبَـيْـتُ ذو الأسْـتَـارِ والأرْكَـانِ[2]
يـا خَـاتَـم الـرُّسْـلِ الـمـبـارَك صِـنْـوُه ... صَـلَّـى عَـلَـيْـكَ مُـنَـزِّلُ الـفُـرْقَـانِ[3]
نـفْـسـي فِـدَاؤك مـا لِـرأسِـك مَـائـلًا ... مـا وَسَّـدُوك وِسَـادَةَ الـوَسْـنَـانِ

وقالت صفية بنت عبد المطلب: [من المتقارب]

أفـاطِـمُ بَـكِّـي ولا تَـسْـأَمِـي ... بـصُـبْـحِـك مـا طـلـع الـكَـوْكَـبُ
هـو الـمَـرْءُ يُـبْـكَـى وحُـقَّ الـبُـكَـا ... عـلـى الـمـاجِـدِ الـسَّـيـدُ الـطـيِّـبُ[4]
فـأوْحَـشَـتِ الأرضُ مِـن فَـقْـدِه ... وأيُّ الـبَـرِيّـةِ لا يُـنْـكَـبُ
فـمـا لِـيَ بـعْـدَك حـتـى الـمَـمَـا ... تِ إلاّ الجَوَى الدّاخلُ الْمُنْصِبُ[5]
فـبَـكِّـي الـرَّسـولَ وحُـقّـتْ لـه ... شُـهُـودُ الـمـديـنَـةِ والـغُـيَّـبُ
لَـتَـبْـكِـيـكَ شَـمْـطـاءُ مَـضْـرورَةٌ ... إذا حُـجِـبَ الـنـاسُ لا تُـحْـجَـبُ[6]
لَـيَـبْـكِـيـكَ شـيْـخٌ أبـو وِلْـدَة ... يـطـوف بـعَـقْـوَتـهِ أشْـهَـبُ[7]
ويَـبْـكِـيـك رَكْـبٌ إذا أرْمَـلُـوا ... فـلـم يُـلْـفَ مـا طَـلَـبَ الـطُّـلَّـبُ[8]

---

(١) الغواليا: جمع غالية، وهي أخلاط من الطيب.
(٢) الطود: الجبل. والمراد بالجوّ: الأودية.
(٣) الصنو: المثل.
(٤) الماجد: الشريف الخيّر.
(٥) المنصب: المتعب.
(٦) المضرورة: التي أصيبت بالضرر.
(٧) العقوة: الساحة. الأشهب: الجدب والفقر.
(٨) أرملوا: نفد زادهم.

وتَبكي الأبَاطِحُ مِن فَقْدِه ... وتَبكيه مَكّةُ والأخْشَبُ[1]
فعينيَ مَا لكِ لا تَدْمَعِينَ ... وحُقّ لدَمْعِكِ يُسْتَسْكَبُ

وقالت صفية أيضًا: [من الخفيف]

عَيْنِ جودِي بدَمْعة تَسْكابِ ... للنبيّ المطهّر الأوّابِ
عين مَن تَنْدُبين بعد نَبيٍّ ... خَصَّه الله ربُّنا بالكِتابِ
فاتحٌ خاتِمٌ رؤوفٌ رحيمٌ ... صادِقُ القِيلِ طيِّب الأثْوابِ
مُشْفِق ناصِح شفِيق علينا ... رحمة من إلَهِنا الوَهّابِ
رحمةُ اللّهِ والسّلامُ عليه ... وجزاه المليكُ حسنَ الثّوابِ

وقالت أرْوَى بنت عبد المطلب: [من الوافر]

ألاَ يا عيْنِ ويْحَكِ أسعِدِينِي ... بدَمْعِك ما بقيتِ وطاوِعينِي
ألاَ يا عيْنِ وَيحَكِ واسْتَهلّي ... على نُور البلادِ وأسْعِدِيني
فإن عَذَلَتْكِ عاذلةٌ فقُولِي ... عَلامَ وفِيمَ ويْحَكِ تعْذِلينِي[2]
على نُورِ البلاد معًا جميعًا ... رسولِ الله أحمد فاتْركِينِي
فإلاّ تُقْصِري بالعَذْل عنّي ... فلُومِي مَا بَدَا لَكِ أو دَعِينِي
لِأَمْرٍ هَدَّنِي وأذَلّ رُكْنِي ... وشَيَّبَ بعدَ جِدَّتها قُرُونِي

وقالت عَاتِكَةُ بنت عبد المطلب: [من الكامل]

يا عينِ جُودِي ما بَقيتِ بعَبْرةٍ ... سَحًّا على خيرِ البريّةِ أحمدِ
يا عيْن فاحتَفِلِي وسُحّي واسْمَحِي ... فابْكِي على نور البلادِ محمّدِ[3]
أنّى لَكِ الوَيلاتُ مثلُ محمّدٍ ... في كُلِّ نائِبَةٍ تَنُوبُ وَمَشْهَدِ
فابْكِي المبارَكَ والموفّقَ ذَا التُّقى ... حامِي الحقيقَةِ ذا الرّشاد المُرْشِدِ
من ذَا يَفُكّ عن المُغَلّل غُلّهُ ... بعد المُغَيَّب في الضّريح المُلْحَدِ
أمْ مَنْ لكلِّ مُدَفَّعٍ ذي حاجة ... ومُسلسَلٍ يَشكو الحديد مُقَيَّدِ[4]
أم مَنْ لِوَحي الله يَنْزِلُ بيننا ... في كلِّ مُمْسَى ليْلةٍ أو في غَدِ
فعليك رحْمَةُ رَبّنا وسلامُه ... يا ذا الفَوَاضِلِ والنّدَى والسُّؤدَدِ

---

(١) الأخشب: جبل مشرف على مكة.
(٢) العاذلة: اللائمة.
(٣) اسمحي: جودي.
(٤) المدفع: الفقير الذليل.

وقالت هند بنت أثاثة بن عَبّاد بن المطّلِب بن عبد مَنَاف أخت مِسْطَح: [من الوافر]

أشَابَ ذوَائبي وأذَابَ رُكْني ... بُكاؤكِ فاطِمُ المَيْتَ الفقيدَا[1]

فأعطيْتَ العَطاء فلم تُكَدِّرْ ... وأخْدمْتَ الوَلائِدَ والعَبِيدَا[2]

وكُنتَ مَلاذَنا في كلِّ لِزْبٍ ... إذا هَبَّت شآمِيةٌ بَرُودَا[3]

وإنّك خيرُ من رَكِبَ المَطايَا ... وأكْرَمُهم إذا نُسِبُوا جُدُودَا

رسولُ الله فارَقَنا وكُنّا ... نُرَجّي أن يكون لنا خُلُودَا

أفاطِمُ فاصْبِري فلقد أصابَتْ ... رزِيّتُكِ التَّهَائِمَ والنُّجُودَا[4]

وأهلَ البَرِّ والأبْحَارِ طُرًّا ... فلم تُخْطِئ مصيبتُه وَحِيدَا

وكان الْخَيرُ يُصْبِح في ذُرَاهُ ... سَعيد الجَدِّ قد وَلَد السُّعُودَا[5]

ورثاه ﷺ غير هؤلاء مما لو ٱسْتَقْصَيْنا ذلك لطال، وٱتّسَع فيه المجال، ومَراثيه ﷺ ومدائحه كثيرةٌ تزداد في كل عصر، وتَتَضاعف في كلِّ دهر، صلّى الله عليه وسلّم تسليمًا كثيرًا دائمًا أبدًا.

تمّ الجزء الثامن عشر، ويليه الجزء التاسع عشر،
وأوله: الباب الثاني من القسم الخامس في أخبار الخلفاء الراشدين

(١) الركن: الجانب الأقوى.
(٢) الولائد: الجواري.
(٣) اللزب: الطريق الضيق.
(٤) التهائم: المنخفضات من الأرض. والنجود: المرتفعات.
(٥) الجد: الحظ.



فهرس المحتويات